أَحَاديثُ

في الدِين والثَقافة والاجتِماع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الإسلامي - بناية حطيط
هاتف : 0096 1 3514905 - تلفاكس : 00961 1 553119

دار الواحة للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - شارع الحمراء - ص ب: ١١٣/٥٢٢٧

حسن موسى الصفار

أحاديث

في الدِين والثَقافة والاجتِماع

الجزء الرابع

تقديم

بقلم العلامة السيد محمد حسن الأمين*

أعترف ـ في بداية هذه الكلمة ـ أنني لن أتمكنمن إنصاف الشيخ حسن الصفار باحثاً ومفكراً وأديباً محدثاً، فذلك يقتضيني أضعاف المساحة المخصصة لهذه الكلمة بمناسبة صدور الجزء الرابع من موسوعته: (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع).

لم أكن قد تعرفت عليه شخصياً، عندما قرأت بعض كتبه وكتاباته، التي شدَّتني إليه شداً لم أعهده من نفسي لدى قراءة آثار المعاصرين إلاَّ نادراً. . .فمن هو هذا الفتى العالم ذو النص المترع بكل هذه الجرأة والشفافية؟!

من صاحب هذا الخطاب الإسلامي، ذي الأجنحة القوية الواثقة، القادرة على التحليق، في آفاق لم تفترع بكارتها من قبل أجنحة أترابه من أصحاب الخطب والكتب الإسلامية؟

---

* أديب، مفكر إسلامي، مستشار المحكمة الجعفرية العليا، بيروت ـ لبنان.

وظلَّت هذه الأسئلة تراودني، حتى التقيت الشيخ الصفار لأول مرَّة في دمشق، التي كثيراً ما يرتادها. .وكان لقاءً حميماً وقصيراً، ولكنه كان كافياً لأكتشف بعضاً من سرِّ جاذبية نصِّه..

فقد وجدته يشبه نصه شبهاً عجيباً. .هو ونصه يتشابهان حدَّ التماثل، وقد يظن البعض أن هذا التشابه ليس حالة نادرة، فكل الكتَّاب يشبهون نصوصهم!

ليس ذلك صحيحاً، بل نادراً ما يشبه الكاتب نصّه، وهذا النادر لا نعثر عليه إلاَّ عندما يجتمع للكاتب صفتان هما: الصدق والإبداع في آن واحد، فالكاتب يكون صادقاً غير مبدع، ويكون مبدعاً غير صادق، وفي الحالتين لا يكون النص مشبهاً صاحبه. . .فإذا اجتمعت له النعمتان: الصدق والإبداع تجلَّت سمة التماهي النادر بين المبدع ونصّه. .

إن أعلى نص عربي بشري هو (نهج البلاغة)، ولم يكن كذلك لو لم يتوفر ذلك التطابق العجيب بين عليٍّ عليه السلام وكلماته. . .ثمة من بلغاء العرب وخطبائهم من تأسرك رشاقة الصناعة والتدبيج ومهارة اللعب على الكلام، ولكن ليس لهم جاذبية كلام علي عليه السلام. .لأنهم لم يبلغوا في نصوصهم درجة التماثل التي بلغها في نصِّه بين صدقه وإبداعه.

سيبقى علي عليه السلام سيد البلاغة العربية، بسبب هذه الخاصية الفريدة، رغم تبدل القيم الفنية والجمالية للنص العربي، ورغم حاجتنا لقيم جديدة تتعلق بمعايير بلاغة الكلام، بحيث تكون هذه القيم مشتقة من خصائص عصرنا وحساسياته وسرعة أدائه.

استطاع الشيخ الصفار، أن يقدم لنا في خطابه الإسلامي، درجة

عاليـة مـن قيـم البلاغـة، التي ننشـدها فـي عصرنا. .

وإذا كان المجـال لا يتسـع للخـوض فـي تحديد العناصر المشـترطة لهـذه البلاغـة، فإننـا نتوقف عند سـمتها الأساسـية. .وهذه السـمة تتجلى في قـوة انتمـاء الخطاب الإسـلامي إلـى عصره. .

ولمزيـد مـن التوضيـح، سـنفترض أن أحـد المعاصريـن كتـب نصـاً إسـلامياً، يتنـاول فيـه شـأناً من شـؤون الفقـه أو الاجتمـاع أو السياسـة أو سـواها مـن الشـؤون. .وسـنفترض أن هـذا النـص كان متوفراً علـى أعلى شـروط الفصاحـة والبلاغـة، وفـق قواعدهـا المقـررة فـي علـم البيـان.. ولكننـا عنـد قـراءة هـذا النـص لـم نسـتطع أن نعـرف، أو أن نتنبـأ، بزمـن صـدور هـذا النـص. .أو بـدا لنـا أن هـذا النـص يمكـن نسـبته إلـى عـدَّة عصـور، دون أن ينشـأ عن ذلـك أي مفارقـة معرفية، بحيث بـدا كما لو أنه نـصّ بـدون زمـان!! فهـل بوسـعنا أن نعطـي لهذا النـص صفـة البلاغة؟!

مـن وجهة نظري فـإن الجـواب. .كلا، وذلك لأن النـص الذي يفتقر إلـى هويـة عصره، يغدو نصـاً ناقص الهويـة، أي نصاً بـدون خصوصية.

إن كل النصـوص البشـرية الخالـدة، وعلـى رأسـها نصُّ علـيّ عليه السلام لم تكـن لتتجـاوز عصرها، وتبقى حيَّـة في كل العصـور التي تلتهـا، إلاَّ لأنها كانـت شـديدة الاتصـال بعصرها، وتوفَّـرت لها ـ مـع ذلك ـ درجـة عالية من شـروط الصـدق والإبداع!

فـي ضـوء هـذا المقتـرح المعرفي، كمعيـار لتقييـم النصـوص عامة، والخطـاب الإسـلامي بصـورة خاصـة. .يبـدو لـي نـص الشـيخ الصفـار نصـاً فكريـاً ومعرفيـاً بامتيـاز، ونصـاً إسـلامياً معاصـراً بامتياز.

لا تقتصر قيمة نصه على حجم المعارف الإسلامية فيه، من فقه وحديث وتفسير وعقيدة وتاريخ، ولكن قيمته تكمن ـ أيضاً ـ في وعي متقدم لثقافة العصر الراهن، وأزماته وإشكالاته. .وعي مشحون بالمعرفة وبالقلق في آن. .الأمر الذي يفتقر إليه الخطاب الإسلامي المعاصر غالباً، فيبدو للبعض وكأنه مجرد تكرار لنصوص تراثية سابقة، وبحسبان هؤلاء أن المعرفة والمعرفة الإسلامية بالخصوص، تمَّ إنتاجها في العصور التي سبقت، وأن مهمة المعاصرين تقتصر على تيسير هذه المعرفة وتقديمها للأجيال الجديدة فحسب.

في نص الشيخ الصفار نقف على وعي متقدم لطبيعة الخطاب الإسلامي، فهو بالرغم من كونه خطاباً موصولاً بالتراث، شديد الاتصال به، إلاَّ أنه خطاب موصول بأشد الأواصر بطبيعة عصره ومشكلاته وأزماته وحساسيته الخاصة والمعقَّدة، وهذا ما يجعل منه (أي من الخطاب) إضافة مضيئة، وليس مجرد استعادة أو تكرار لمقولات التراث.

وقبل أن أنهي هذا التقديم المختصر غير المنصف، كما أشرت في البداية، أودّ أن أنوِّه بتلك الدرجة العالية من النزعة الحوارية، في أدب الشيخ الصفار ومساجلاته، ووعيه المتقدم لحقائق التعدد والتنوع، في الفكر والاجتماع والسياسة، وهذا الوعي وإن كان مصدره ثقافة العصر الراهن، إلاَّ أنه مؤسَّسٌ على قواعد قرآنية أصيلة، تمكَّن الكاتب من بلورتها بعمق ودراية علمية متقدمة.

ولست أحسب أن الشيخ الصفار كان بوسعه أن يقف بهذا العمق على مسائل الحوار والتعدد لو لم تكن له تلك التجربة الحية في

خوض مسائل الإصلاح والتغيير، والاضطلاع بمهمات التحول والتجديد في إطار مجتمعه خاصة، وفي إطار المجتمع العربي والإسلامي بصورة عامة.

كم أتمنى أن يُصار إلى تعميم اقتناء هذه الموسوعة على جميع المعنيين من الباحثين في الخطاب الإسلامي المعاصر، وليس على خطباء الجمعة فحسب، داعياً الله أن يوفقه إلى المزيد من المساهمة في إثراء ساحة الفكر والعمل الإسلامي، في مرحلة تتعاظم فيها حاجتنا للتنوير والأصالة.

محمد حسن الأمين

٣/ ٩/ ٢٠٠٣م

بيروت

أول الحديث

وتفجرت ينابيع المعرفة أمام إنسان هذا العصر، وتدفق عليه سيل المعلومات من كل الاتجاهات وعن كل الأشياء.

أوشكت الأميّة على الانقراض، فبعد أن كان القادرون على القراءة والكتابة في سالف الزمان عدداً قليلاً من الناس، يعدون على الأصابع في كل مجتمع من المجتمعات، أصبحت الأميّة نسبة ضئيلة تتقلص كل عام على مستوى العالم.

وحتى من يفقدون السمع أو البصر أتيحت لهم فرص التعلم، وتوفرت لهم وسائل الخلاص من الأميّة.

وانفتحت آفاق علوم الأرض والسماء، أمام أبناء البشر، من مختلف الأعراق، والألوان، والأصقاع، والشرائح والطبقات، ولم يعد العلم حكراً على نخبة من أبناء السلاطين والأثرياء الارستقراطيين.

وأصبح العالم بأحداثه وتطوراته حاضراً أمام الإنسان، وهو مضجع على سرير نومه، أو متكئ على أريكته، يشاهد كل خبر أو حدث هام لحظة وقوعه، بالصورة الملونة، والصوت الواضح بأي لغة يتقنها.

أما الحاسب الآلي، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، فهي العصا

السحرية المتاحة لكل إنسان في هذا العصر، ليستحضر بها أي معلومة يريدها، وأي فكرة يبحث عنها، وبها يفتح كل أبواب خزائن العلم والمعرفة، في مختلف المجالات والتخصصات، وقد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم هذا العام ٢٠٠٣م ٩. ٦٢٢ مليون إنسان، ويتوقع أن يصل إلى ١. ٧٠٩ مليون في العام القادم.

قبل سنوات قرأت في أحد التقارير: أن العالم أنتج من المعلومات خلال الثلاثين سنة الماضية، ما يزيد على الذي تم إنتاجه في الخمسة آلاف سنة السابقة.

ونسخة واحدة من عدد الأحد لصحيفة (نيويورك تايمز) تحتوى على المعلومات التي يمكن أن يكتبها أوربي في القرن السابع عشر طيلة حياته.

وكل يوم هناك نحو عشرين مليون كلمة، تنتج بواسطة الوسائل الإعلامية والمعلوماتية المختلفة.

والقارئ الذي يستطيع أن يقرأ ألف كلمة في الدقيقة، سيستغرق شهراً ونصف الشهر لقراءة إنتاج يوم واحد فقط. وفي نهاية هذه المدة سيتكدس لديه ما يحتاج إلى خمس سنوات ونصف من القراءة[١].

وقبل سنتين أشارت أرقام اليونسكو واتحاد الناشرين الدولي إلى أن العالم يصدر فيه سنوياً حوالي مليون وربع المليون عنوان من الكتب.

وحوالي نصف المليون دورية مطبوعة

وحوالي خمسة ملايين تقرير علمي وفني.

---

(١) المجلة: مجلة أسبوعية تصدر من لندن، عدد ٩٢٨ بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٩٧م.

وحوالي ربع المليون رسالة ماجستير ودكتوراة.

وربع المليون كتاب ودورية اليكترونية. [١]

في هذا العصر الذي تزدحم أمام إنسانه الأفكار، وتتراكم المعارف، وتتوالى المعلومات، كيف يمكن للخطاب الديني أن يشق طريقه إلى عقل هذا الإنسان المعاصر؟

وكيف يرقى إلى مستوى المنافسة والتحدي؟

إن أول شرط تأهيلي لمقبولية الخطاب الديني، يكمن في انتمائه لهذا العصر الحاضر، بأن يستخدم لغته، ويعيش قضاياه واهتماماته، ويستفيد من وسائله وتقنياته.

إن تقدم العلم، وتطور المعرفة، ويسر تداول المعلومات وانتشارها، ليس مشكلة، ولا عامل تحد سلبي أمام الخطاب الإسلامي، بل هو في الواقع مكسب عظيم للإنسانية، وداعم لحقائق الدين، المنسجمة مع الفطرة، المتوافقة مع سنن الله تعالى في الطبيعة والحياة.

فالجهل هو العائق الأكبر أمام اهتداء الإنسان للدين، وهو سبب انحداره إلى مهاوي الكفر والشرك والضلال، لذلك يستعيذ المؤمن بالله تعالى من الجهل: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

ويحذر الله تعالى نبيه من مستوى التفكير الهابط للجهلاء يقول تعالى: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾[٣].

---

(١) وجهات نظر: مجلة تصدر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة عدد ٣٧ فبراير ٢٠٠٢م.

(٢) سورة البقرة آية ٦٧.

(٣) سورة الأنعام آية ٣٥.

ويقول تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾[١].

وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «الجهل أصل كل شر».[٢]

ويحيل الإمام علي سبب عداء الناس لكثير من الحقائق والمواقف إلى الجهل يقول عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا»[٣].

أما العلم فهو طريق الإيمان والهدى واكتشاف الحق، يقول تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[٤].

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «العلم حياة الإسلام وعماد الإيمان»[٥].

تأسيساً على هذه الحقيقة فإن التقدم العلمي يخدم المبادئ الدينية، ويجعل الناس أكثر تهيأً لقبولها والتفاعل معها، كما أن تطور وسائل المعرفة يتيح أفضل الفرص لعرض قيم الإسلام، وإيصال صوته إلى المسامع والعقول.

لكن المشكلة تكمن في استيعاب دعاة الإسلام لحقائق العصر، وقدرتهم على تنزيل مفاهيمه، وإسقاط قيمه، على واقع الحياة الحاضر. ذلك أن شريحة واسعة منهم تعيش بأبدانها في هذا الزمن، لكنها تنتمي بعقولها ولغتها وتصوراتها إلى أزمنة غابرة، تنظّر لمشاكل تلك العصور، وتنشغل بصراعات الماضي الفكرية والسياسية، وتتقمّص اهتمامات الأسلاف، وتفقد القدرة على الإبداع الفكري،وجرأة

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٢) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم،الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكم رقم ١٧٢،٤٣٨، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٤) سورة سبأ آية ٦.

(٥) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٢٨٩٤٤، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الاجتهـاد الفقهي.

إن قسـماً مـن الخطابـات الدينيـة تثيـر السـخرية والامتعـاض، لمخالفتهـا روح العصـر، وتجاهلهـا شـرائط الزمـان والمـكان، وعـدم تناسـبها مـع أوضـاع المجتمعـات.

فـي مقالـة لـه بعنـوان (أزمة خطبـة الجمعـة) كتـب الدكتـور خالص جلبـي نقـداً لاذعاً لهـذا النوع مـن الخطابات، مستشـهداً ببعـض نماذجه، ومما جاء فـي المقـال الفقـرات التالية:

منـذ أيـام يزيـد بـن معاويـة يصعـد كل يـوم جمعـة نفـس الخطيـب، ويكـرر نفـس الديباجة، ويعيد نفـس الدعاء للسـلطان بالحفـظ والصون. ويتلقـى الموجـة جمهور أخـرس أتقن الصمـت، مختوم بختـم على الفم أكبـر مـن ختـم الحبـل السـري علـى البطـن، ليسـمع حديـث واعـظ في قضايـا لا تسـتحق الاجتمـاع، فـلا يزيـد الحديـث فيها عـن فواكـه الجنة، وعـن الآخـرة، وعـن فرعـون ذي الأوتاد.

وروي لـي مـن بلـد عربـي، أن خطـب الجمعـة تكتـب بيـد موظـف وصـي على عقـول النـاس، وترسـل بالفاكس إلـى خطباء كل المسـاجد، كـي يقـرؤوا خطبـة واحـدة موحـدة مؤممة، فهـذا أريـح لوجـع الدماغ.

وفـي مدينـة مونتريـال فـي كنـدا، حضـرت خطبـة وصـلاة الجمعة، فظننـت نفسـي في مسـجد الأتـراك في حي قاسـيون فـي دمشـق، فلم يزد الحديـث عـن مواعـظ عثمانية، وأدعيـة عدوانية، بـأن يدمر اللـه الكافرين جميعـاً وعائلاتهـم. فـي الوقـت الـذي منـح فيـه الكنديـون المسـلمين الجنسـية، ومعهـا الـرزق الوفيـر، والدراسـة المجانيـة، والأمـان من جلد المخابـرات، وتقارير الشـرطة السـرية.

وفـي مكان مـا حضرت خطبة في مسـجد، فحـوّل الخطيـب الخطبة

إلى مناسبة فقهية، في الاستنجاء والاستبراء بالحجارة، مع أن الناس لم تعد تستخدم الحجارة في دورات المياه منذ أيام الاستعمار الفرنسي.

وفي بلدتي التي عشت فيها طفولتي، كان الإمام يخطب من كتاب (ابن أبي نباتة) من أيام السلطان قلاوون. وهناك ٥٢ خطبة على مدار السنة، وحسب المواسم، وكنا صياماً فتحدث عن الحج، ثم انتبه إلى أنه بدل المواسم، فبدأ يقلب على عجل عن الخطبة المناسبة، بعد أن ضل طريقه إليها.

وفي بلد عربي كان الخطيب يدعو بحرقة على طوائف لا نهاية لها بالتدمير الكامل، وتيتيم الأطفال، وترميل النساء، وأن يريه عجائب خلق الله فيهم. وكان أكثر حماسة عند الدعاء على العلمانيين أن يُقتلوا عدداً، وُيهلكوا بددا، ولا يُبق منهم أحدا. كرر ذلك ثلاث مرات وصوته مختنق بالبكاء. (١)

وإذا كان هؤلاء الخطباء يعانون من القصور في وعي عصرهم، وفهم رسالتهم، فإن قسماً آخر من الخطباء يمارسون التقصير، فهم لا يصرفون جهداً كافياً لإعداد خطاباتهم والتحضير لها. رغم توفر الوسائل والأدوات، فمعاجم الفهرسة على الكمبيوتر، ومواقع البحث على الإنترنت، تجلب أي معلومة أو مصدر يحتاجه الخطيب لإعداد ما يريد بحثه.

كما أن وسائل الإعلام المحليّة والأجنبية تتيح الإطلاع على مختلف القضايا والمشاكل المعاشة في مجتمع اليوم.

وفي مجتمعنا عدد وافر من الأخصائيين والمتخصصين يمكن استشارتهم والاستفادة من أرائهم، لمعالجة القضايا المرتبطة

(١) الشرق الأوسط: جريدة يومية تصدر من لندن٢٦/ ٦/ ٢٠٠٢م.

بتخصصا تهم .

إن ضعف الإعداد والتحضير للخطاب، يجعل المعالجة فيه سطحية بسيطة، كما أن هندسة الموضوع ومنهجية الطرح، تصبح مرتبكة أو غير متقنة.

بينما يكون الخطيب المجتهد في الإعداد والتحضير مهيمناً على موضوع بحثه، مُنسِّقاً لنقاطه وأفكاره، مشبعاً له بالأدلة والشواهد المؤثرة، مما يجعله أكثر فائدة وأقدر على الإقناع والتأثير.

وفي هذه الموسوعة (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) أقدم لإخواني الدعاة إلى الله، وإلى خطباء الجمعة والمناسبات الدينية، تجربتي المتواضعة، في مجال الخطاب الديني، حيث كنت أصرف جهداً ووقتاً في الإعداد والتحضير للخطابات التي ألقيها ـ غالباً ـ:

أولاً: باختيار مواضيعها من خلال معايشة هموم المجتمع ومتابعة قضايا العصر.

ثانياً: بالاجتهاد في بحث كل موضوع من خلال المصادر المتوفرة من الكتب والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت.

ثالثاً: باستشارة ذوي التخصصات في المواضيع التي تتطلب ذلك، فعند بحثي لموضوع في الصحة النفسية مثلاً، ألتقي مع أطباء مختصين، وأسألهم عن آرائهم وملاحظاتهم، والمراجع المفضّلة لديهم. وعند تحضيري لموضوع يرتبط بالعمل التطوعي الاجتماعي، أتصل مع المسؤولين في الجمعيات الخيرية، وأصغي إلى همومهم ومعاناتهم وإنجازاتهم، وأستعين بمقترحاتهم، وهكذا في الشأن التربوي أو الرياضي أو الاقتصادي.

رابعاً: بذل الجهد في منهجية البحث، واختيار أفضل الأساليب والعبارات المناسبة.

ولا أدري ما هو مستوى تجربتي المتواضعة؟ وما مدى حظها من النجاح؟

لقد لاحظت تجاوباً طيباً من الجمهور، ورصدت شيئاً من التأثير للأفكار التي تضمنتها هذه الخطابات على المجتمع، لكني أعزو ذلك إلى توفيق الله تعالى وفضله، وليس من الضروري أن يكون ذلك التجاوب والتأثير بفعل جدارة تلك الخطابات، وإذا كان فيها مستوى من الجدارة فهو أيضاً بفضل الله وتوفيقه.

وبين يدي القراء الكرام الجزء الرابع من هذه الموسوعة، وهو يشتمل على كلمات الجمعة لعام ١٤٢٣هـ، ملحقاً بها بعض الكتابات المتفرقة، والمقابلات الصحفية، التي نشرت أثناء نفس العام.

أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع في الدعوة إلى سبيله، وأن يجعلني من المتعظين الواعظين، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه وعباده إنه ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

حسن بن موسى الصفار

القطيف ٢٠/ ٩/ ١٤٢٤هـ

١٥/ ١١/ ٢٠٠٣م

أحاديث

كربلاء فلسطين

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٢ محرم ١٤٢٣هـ

التصنيف المذهبي

النظرة الطائفية للتراث والتاريخ

محاولات رائدة

كربلاء جديدة

التخاذل سبب المأساة

إحياء قضية عاشوراء ليس معالجة لحدث تاريخي تجاوزه الزمن، وليس المقصود منه إعلان المناوأة والعداء لشخص يزيد بن معاوية، وأقطاب حكمه، وجنود جيشه، فهم جميعاً قد أصبحوا في مزبلة التاريخ، ونالهم ما يستحقون من العقاب الإلهي.

ولا يستهدف الاحتفاء بعاشوراء الانتصار لشخص الإمام الحسين وأصحابه، فقد كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإحياء عاشوراء ليس قضية مذهبية طائفية يستغلها مذهب تجاه المذاهب الأخرى، أو تشهرها طائفة في مقابل سائر الطوائف.

فالحسين عليه السلام ما ثار باعتباره ممثلاً لطائفة خاصة، أو إماماً لمذهب معين، بل فجرّ نهضته المباركة من أجل الأمة كلها، وباعتباره يمثل الامتداد الطبيعي والرسالي لجده رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي قال عنه «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا» أخرجه ابن ماجه والترمذي وابن حنبل[1].

(١) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، فضائل الحسن والحسين. بن حنبل: مسند الإمام أحمد، حديث رقم ١٧٧٠٤.

والحسين في بيانات وخطب ثورته، كان يتحدث عن إحقاق الحق، ومواجهة الباطل والظلم، والسعي لإصلاح شأن الأمة كلها، يقول: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

ويقول عليه السلام: «أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت».

ويقول عليه السلام: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما».

وهكذا كل خطبه وشعاراته تتحدث عن واقع الأمة، والدفاع عن مصالحها، والعمل بالكتاب والسنة، كمنطلق للثورة المقدسة، وليس من أجل مطمع شخصي، أو ثأر قبلي، أو مصلحة فئوية.

التصنيف المذهبي

ومعلوم أن الأمة الإسلامية ما كانت آنذاك تعيش انقساماً مذهبياً، ولا فرزاً طائفيا، حتى تصنّف ثورة الحسين ضمن حالة مذهبية أو طائفية معينة. لقد خذلت الحسين جماهير الكوفة التي كانت تظهر الولاء والتأييد له، وبعثت له آلاف الرسائل تستحثه القدوم إليها، لتنضوي تحت رايته، فكانوا مصداقاً لما وصفهم به الفرزدق، حينما سأله الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى العراق: ما خلّفت الناس؟ فقال الفرزدق: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.

وفي المقابل حظي بنصرة الإمام الحسين أشخاص كانوا ضمن

أجـواء بعيـدة عـن أهـل البيـت عليهم السلام، كزهيـر بـن القين بـن قيـس البجلي، والـذي تذكـر المصـادر أنه كان هـواه قريبـاً مـن الأمويـين، وعندما خرج الحسـين إلـى العـراق، كان زهير قد عاد مـن مكة أيضاً علـى نفس الطريق الـذي يسـير فيـه الحسـين، يقـول الفـزاري المصاحـب لـه كمـا يـروي الطبـري: «كنـا مـع زهيـر بـن القيـن البجلـي حيـن أقبلنا مـن مكة، نسـاير الحسـين، فلـم يكن شـيء أبغـض إلينا مـن أن نسـايره في منزل، فإذا سـار الحسـين تخلـف زهيـر بن القيـن، وإذا نزل الحسـين تقدم زهيـر».[1] لكن هـذا الرجـل بعـد أن التقى بالحسـين وحادثـه، تغيّـر موقفه، وانضـم إليه، وأصبح فـي طليعـة أنصاره الشـهداء.

وكذلـك الحـر بن يزيـد الرياحي والـذي كان قائداً عسـكرياً بارزاً في الجيـش الأمـوي، وكان علـى رأس أول فرقـة خرجت لمواجهة الحسـين عليه السلام لكنـه فـي اليوم العاشـر مـن المحرم، وبعد أن سـمع خطاب الحسـين عليه السلام، ورأى شـرعية موقفـه، وجـور الموقـف الأمـوي، عدل إلى معسـكر الحسـين، وقاتـل بين يديـه، وفاز بالشـهادة معه.

فالقضيـة كانـت معركـة بيـن الحـق والباطـل، بيـن الالتـزام بالكتاب والسـنة، والانحـراف عنهما، والحسـين كان يمثل موقف الشـرع والحق، وقـد نصرتـه ثلـة مؤمنة تلتـزم بالشـرع، وتضحي مـن أجل الحـق، وقاتلته جمـوع ضالـة منحرفـة، خضعت لسـلطة الباطـل، وخذلته نفـوس مضللة جبانـة اسـتجابت للترهيـب والترغيـب، وآثـرت المصالـح الزائلـة علـى رضـا اللـه ونصرة الديـن. وكل ذلـك بعيد عن الفـرز المذهبـي، حيث لم يكـن هنـاك بعـد سـنة ولا شـيعة، بهـذا المصطلح الـذي حدث فيمـا بعد

(١) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري ج٤ ص٢٩٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

مـن السـنين والقرون.

النظرة الطائفية للتراث والتاريخ

ومـن المشـاكل التـي نعانـي منهـا الآن كمسـلمين فـي تعاملنـا مـع تراثنـا وتاريخنـا، أننـا نسـقط الفـرز المذهبـي اللاحـق علـى تاريخنـا السـابق، فنتعامل مـع الأحداث والشـخصيات والحقائق مـن خلال الفرز المذهبـي الـذي نعيشـه، ممـا يفقدنـا الموضوعيـة والإنصـاف. فنقـدس شـخصية أو نهتـم بحـدث معيـن، إذا كنـا نصنّفه ضمـن دائرتنـا المذهبية، ونهمـل شـخصية أو نتنكـر لحـدث حقيقـي، لأننـا نعتبره يصب فـي خانة المذهـب الآخر.

وهـذا هـو بالضبـط مـا يحصـل لقضيـة الإمـام الحسـين عليه السلام، حيـث يُتعامـل معهـا وكأنهـا قضيـة مذهبيـة، أو موضـوع يخـص الشـيعة، ولا يعنـي بقيـة المسـلمين. مع أن شـخصية الإمام الحسـين عليه السلام موضـع تقدير واحتـرام ومحبـة كل المسـلمين، ولا أحـد ينازع فـي ذلـك، ومقتله بتلك الطريقـة الشـنيعة مـدان ومرفـوض مـن قبـل جميع المسـلمين، فـلا أحد يبـرره أو يقبلـه. فبـدءاً ممـن تبقى مـن صحابة رسـول اللـه صلى الله عليه وآله، كجابر بن عبـد اللـه الأنصـاري، وزيـد بـن أرقـم ،وعبد اللـه بن عبـاس، وعبـد الله بـن جعفر، والموجـودات من أمهـات المؤمنين كأم سـلمة، مـروراً بطبقة التابعيـن، وأجيـال الفقهـاء والعلمـاء والشـعراء المسـلمين، فـي جميـع العصـور، كلهـم كانـوا يبـدون التألـم والتفجّـع على مـا أصاب الحسـين عليه السلام، وهنـاك قصيـدة تنسـب للإمـام الشـافعي فـي رثـاء الحسـين عليه السلام منها قوله:

فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتهـا أنفـس وقلـوب

ذبيـح بلاجـرم كأن قميصـه صبيـغ بمـاء الأرجـوان خضيب
تزلزلـت الدنيـا لآل محمـد والكائنات لهـم تـضويم
يُصلى على المبعوث من آل هاشم ويُغـزى بنـوه إن ذا لعجيـب
لئـن كان ذنبـي حـب آل محمـد فذلـك ذنب لسـت عنـه أتوب[1]

هكـذا كانـت قضيـة الحسـين عليه السلام فـي العهـود الإسـلامية الأولـى، محـل اهتمـام مـن قبـل جميـع المسـلمين العارفيـن بمقام الحسـين عليه السلام، قبـل أن تسـتحكم حالـة الفـرز المذهبـي، لتصبـح القضيـة وكأنهـا تخص الشـيعة، ولا يهتـم بهـا غيرهـم.

محاولات رائدة

ويقتضـي الإنصـاف أن نشـيد ببعـض الجهـود الطيبـة، والمحاولات الرائـدة، التـي تجـاوزت هـذا السـياق الخاطـئ، لتتعاطـى مـع قضيـة الحسـين عليه السلام فـي إطارهـا الإنسـاني والإسـلامي، كبعـض محاضـرات الشـيخ عبـد الحميد كشـك في مصـر، التي خصصهـا للحديث عـن ثورة الإمـام الحسـين ومقتلـه. وكتـاب المفكـر الأديب عبـاس محمـود العقاد (أبـو الشـهداء الحسـين بـن علـي)، وكتـاب الأديـب خالـد محمـد خالد (أبنـاء الرسـول فـي كربـلاء)، وكتـاب الشـيخ عبـد اللـه العلايلي (سـمو المعنـى في سـمو الـذات)، وكتـاب الدكتورة عائشـة عبد الرحمـن (بنت الشـاطئ) (بطلـة كربـلاء زينـب بنـت علي).

والمسـرحية الرائعـة للأديـب عبـد الرحمـن الشـرقاوي، والتـي تقع فـي جزأيـن بعنـوان: (الحسـين ثائراً)، (الحسـين شـهيداً).

(١) شبر: جواد شبر، أدب الطف ج١ ص٢١٤، دار المرتضى، بيروت ١٩٨٨م.

إن مثل هذه الجهود الطيبة تشكل نماذج صادقة لاختراق الحصار الذي فرضته حالة الفرز والتصنيف المذهبي الطائفي، على قضية ثورة الإمام الحسين، وهي قضية هامة عظيمة، يمكن للأمة أن تستفيد من دروسها وعطاءاتها المتجددة.

بالطبع فإن قسطاً من المسؤولية يقع على عاتق الجانب الشيعي، بأن يوفّر الأجواء المناسبة لإحياء هذه القضية في إطارها الإسلامي، وأن يبذل الجهود لإخراجها من التقوقع المذهبي الخاص. كما ينبغي أن تحظى مناسبة عاشوراء باهتمام لائق من سائر المسلمين، فلا يتعامل معها بتجاهل وإعراض. وتلك هي مسؤولية الواعين والمنصفين في الجانبين.

كربلاء جديدة

لم تعد كربلاء مجرد بقعة من الأرض في جنوب العراق، ولم يعد عاشوراء مجرد مقطع زمني سنة ٦١هـ، بل تحولت كربلاء بعد شهادة الإمام الحسين إلى عنوان لكل ميدان صراع بين الحق والباطل، وأصبح عاشوراء لحظة متجددة تطلق على كل زمن تتألق فيه مواقف الصمود والتضحية، من أجل قضايا الحرية والعدل، حتى قيل: كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

وبهذا الاعتبار فإن ما يجري في فلسطين الآن يجعلنا أمام كربلاء معاصرة، وعاشوراء جديد، حيث تقف إرادة الشعب الفلسطيني شامخة صامدة تقدم الضحايا والقرابين، أمام قوة الجور والظلم الصهيوني، المتكئة على دعم أمريكا وحمايتها. وكما أعلن الإمام الحسين عزمه على الثبات والمقاومة مع اختلال التوازن العسكري بينه وبين الجيش

الأمـوي قائلاً:

«ألا وإنـي زاحـف بهـذه الأسـرة مـع قلـة العـدد وخـذلان الناصـر» فـإن الفلسـطينيين العزّل المحـدودي الإمكانات والقـدرات، يعلنون الآن تمسـكهم بحـق مقاومـة الاحتـلال والطغيان.

وكمـا تعالـت صرخـات الحسـين فـي صحـراء كربـلاء: أمـا مـن مغيـث يغيثنـا؟ أمـا مـن معيـن يعيننـا؟ أمـا مـن ذاب يـذب عن حـرم الله وحرم رسـوله؟ فـإن نسـاء فلسـطين وأطفالها اليوم، وهم يعيشـون أبشـع المآسـي والفجائع ،يسـتصرخون ضميـر العالم، ويسـتثيرون همم العرب والمسـلمين، للوقـوف معهـم فـي أقسـى محنـة يتعـرض لهـا شـعب من الشـعوب المعاصـرة.

إن ثـورة الحسـين تشـكل مصـدر إلهـام لأبنـاء فلسـطين الغيـارى، ترفـع معنوياتهـم، وتشـحذ هممهـم، وتقـوي إرادتهـم، كمـا تقـدم للأمة الإسـلامية درسـاً بليغـاً، في التحذيـر من خـذلان الحق، والسـكوت أمام عربـدة الباطـل والجور.

وكما أثمرت شـهادة الحسـين، ومآسـي عترتـه، مجداً خالـداً ونصراً ظافـراً، طمـس ذكـر الأمويـين ومحـى باطلهـم، فـإن تضحيـات الشـعب الفلسـطيني اليـوم، وملاحـم بطولاتـه الحاضـرة، تصنـع الآن مسـتقبل النصـر والتحريـر للقـدس الشـريف، وتشـق طريق العـزة والكرامـة، أمام شـعوب الأمـة العربيـة والإسـلامية إن شـاء الله.

وكمـا قرت عيوننـا بالأمس القريـب، بتحرير جنوب لبنـان، واندحار جيـش الاحتـلال الصهيونـي، علـى أثـر تضحيـات المقاوميـن المؤمنين، فإننـا علـى موعـد قريـب مـع نصـر جديـد - إن شـاء اللـه - علـى أرض

فلسطين باستمرار الانتفاضة الباسلة، وتضحيات المجاهدين الغيارى، وما ذلك على الله بعزيز.

التخاذل سبب المأساة

كيف حدثت مأساة كربلاء؟

وكيف تمكّن يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وقادة جيشهما، من ارتكاب تلك الفظائع بسبط رسول الله وريحانته، وبالعترة النبوية الطاهرة؟

لقد منعوا الماء عن عيالات أهل البيت، وتركوهم يعانون شدة الظمأ والعطش، وذبحوا الأطفال الرضّع، وقتلوا الحسين سيد شباب أهل الجنة، والفتية الهاشمية، ومن معهم من الأنصار أفجع قتلة، حزوا رؤوسهم، ورضوا صدر الحسين بالخيول، ثم سبوا النساء والأطفال، وأخذوهم أسارى إلى الكوفة والشام، يتفرج الناس عليهم، وبلغت الجرأة بيزيد وابن زياد أن صار يعبث برأس الحسين أمام الجمهور، وينكت ثناياه بعصاه.

كيف حدث كل ذلك؟ وأين كانت الأمة؟

لقد وقعت المأساة حينما صُورتِّ المعركة وكأنها نزاع بين شخصين، أو طرفين على الحكم والسلطة، وساد موقف الخذلان جماهير الأمة، خوفاً من سطوة الحكم الأموي، أو رغبة في عطائه، وإيثاراً للسلامة والراحة. ففسح ذلك المجال للسلطة الأموية أن تمارس جريمتها النكراء، وأن تكرّس وجودها الظالم، لتعربد في ساحة الأمة، دون وازع و رادع، تنتهك الحرمات، وتصادر الحريات،

وتعيث في الأرض فساداً، حيث أباح يزيد فيما بعد المدينة المنورة لجيشه بقيادة مسلم بن عقبة، ثلاثة أيام سنة٦٣هـ، فيما عرف بواقعه الحَرَّة.

يقول ابن الأثير: «وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض. . ثم استدعى (مسلم بن عقبة) بعمرو بن عثمان بن عفان، وأمر به فنتفت لحيته بين يديه، وكان ذا لحية كبيرة. . قال المدائني: وأباح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال، ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج. . وقال المدائني عن شيخ من أهل المدينة قال: سألت الزهري: كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف»[1]. ولو أن رجالات الأمة وجماهيرها وقفت مع الإمام الحسين، ولم تخضع لإغراءات وبطش يزيد، لما حصلت مأساة كربلاء، ولما ضاعت كرامة الأمة وحرمة مقدساتها.

وأمتنا الإسلامية اليوم أمام كربلاء جديدة، فإذا ما تخاذلت الأمة عن شعب فلسطين، وفسحت المجال لجيش الصهاينة المعتدين، يقتل ويدمر، ويعيث في أرض فلسطين فساداً، ويذيق أهلها ألوان الذل والهوان والمآسي، فإن الأمر لن يقتصر على فلسطين وأهل فلسطين، بل سيصبح العرب والمسلمون جميعاً تحت هيمنة الإذلال الصهيوني،

(١) الدمشقي: الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج٨ ص٢٢٨، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

وأطماع الصهاينة التوسعية واضحة، من خلال احتلالهم لأراضي عدة دول عربية، وتهديداتهم المستمرة لجميع البلدان الإسلامية.

إن على كل مسلم أن يفكر فيما يمكنه عمله والقيام به، ضد هذا العدوان الصهيوني البشع، على مقدساتنا وأهالينا في فلسطين، وأن لا يرضى لنفسه بموقف المتابع المتألم لما يجري فقط، وأضعف الإيمان أن يضرع إلى الله تعالى بالدعاء، وأن يبذل ماله لدعم الانتفاضة في فلسطين، وأن يتبرع بدمه، وأن يقاطع البضائع الأجنبية المستوردة من الجهات الداعمة للصهاينة. وحكوماتنا العربية والإسلامية عليها أن تتحمل مسؤولياتها أمام الله والتاريخ، فعار وخزي أن تتشبث بعض الحكومات بعلاقاتها مع إسرائيل مع كل ما يجري في فلسطين!!

نسأل الله تعالى أن يثبت أقدام المجاهدين، وأن يعين أهالينا في فلسطين، ليتحملوا أعباء الصمود والمقاومة، وأن يعّجل لهم بالنصر، ويدفع عنهم كيد الصهاينة المعتدين. وأن يقر أعيننا بتحرير المسجد الأقصى والصلاة فيه آمين رب العالمين.

أحاديث

أمريكا تقود صدام الحضارات

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٣هـ

برنامج العداء الأمريكي

الاستجابة الواعية للتحدي

تمتين الجبهة الداخلية

التنمية والارتقاء الحضاري

تواجه الأمة اليوم حملة شرسة على وجودها وقيمها ومصالحها، من أكبر وأعتى قوة على وجه الأرض، متمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، بالطبع ليست أطماع الهيمنة، ولا توجهات العداء جديدة على أمريكا تجاه المسلمين، لكن الجديد فيها هذه الوقاحة المعلنة، والاستهداف الواضح الشامل، ففي الماضي كانت أمريكا تظهر الصداقة والتحالف مع بعض المسلمين، وتمارس العداء تجاه البعض الآخر، وكانت تفرّق بين من تعتبرهم مسلمين معتدلين، ومن تصفهم بأنهم راديكاليون ثوريون، لكنها الآن تكشّر عن أنيابها تجاه الجميع، وقبل فترة داهموا العديد من المؤسسات الإسلامية الرسمية، وذات الوجود القانوني، في أمريكا، كمكتب رابطة العالم الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجامعة العلوم الإسلامية الاجتماعية، والمجلس الفقهي، إلى ١٤ مؤسسة أخرى دينية واجتماعية وثقافية، حاصروها وداهموها، وفتشوا منازل بعض القيادات الإسلامية، وأخذوا أجهزة الحاسب الآلي، وما في تلك المؤسسات والبيوت من وثائق وملفات وتسجيلات، وانتهكوا حرمات المنازل، وحصل أن قيدوا أُماً وابنتها بالحديد لمدة ثلاث ساعات في أحد المنازل!!

يجري كل ذلك في دولة تدعي زعامة العالم الحر، والدفاع عن

الحرية والديمقراطية!! وفي هذا السياق يأتي تجميد أموال وأنشطة مختلف المؤسسات الإسلامية الإغاثية والخيرية والاستثمارية.

ويبدو أن العقلية السياسية في أمريكا مبرمجة على أساس التصدي والمواجهة لعدو ما على مستوى العالم، لتكون هذه المواجهة شعاراً وإطاراً للتعبئة والحشد داخلياً ودولياً، كما توفر مبرراً وغطاءً لممارسة الهيمنة وفرض الزعامة والنفوذ العسكري والسياسي على العالم.

فبعد الحرب العالمية الثانية، وانتهاء خطر النازية، ظهرت كتابات داخل أمريكا من دوائر التخطيط السياسي، تهيئ الرأي العام لمواجهة عدو جديد بعد النازية، وهو الشيوعية، وكان (جورج كينان) الدبلوماسي والأستاذ الجامعي الأمريكي، هو الذي وضع نظرية احتواء الشيوعية، وتنبأ بأن القضاء على النازية ليس هو نهاية المشاكل العالمية، وأن الشيوعية ستصبح الخطر الجديد، وأنها ستهدد الغرب، ولا بد من احتوائها بتأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفيتي، ووضع خطط لمنع انتشار الشيوعية في الدول الغربية، ودول العالم الثالث. وكانت المواجهة مع المعسكر الشرقي، ومحاربة النفوذ الشيوعي، هي مبرر سباق التسلح الذي خاضته أمريكا مع الاتحاد السوفييتي، وهي محور الزعامة الأمريكية للغرب، أو ما أطلق عليه العالم الحر، وكانت إطاراً وعنواناً لفلك الهيمنة والسيطرة الأمريكية على العالم، عسكرياً وسياسياً واقتصاديا.

وبعد سقوط الشيوعية، كان لابد من البحث عن عدو جديد لأمريكا والغرب، وهنا جاء طرح (صامويل هنتنغتون) الأستاذ بجامعة هارفارد، والقريب من دوائر مراكز القرار السياسي في أمريكا، حول

(صدام الحضارات) والذي نشره عام ١٩٩٣م في دورية (فورين) وهي مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية، ثم وسعه وعمقه ونشره على هيئة كتاب سنة ١٩٩٧م بعنوان (صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي).

ويؤكد هذا الطرح على أن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية، وأن حضارات العالم الثالث وفي مقدمتها الإسلام ستشكل الخطر الجديد على الحضارة الغربية.

هذه النظرية وأمثالها، تلعب دور التحضير والتهيئة، للمعركة التي تريد أمريكا قيادة الغرب والعالم نحوها ضد الإسلام والأمة الإسلامية.

ويعترف (هنتنغتون) نفسه بأن من طبيعة الغرب افتعال معارك الصراع والصدام مع الحضارات والأمم الأخرى، فيقول: «ابتداءً من سنة ١٥٠٠م بدأ التوسع الضخم للغرب مع جميع الحضارات الأخرى، وقد تمكن الغرب أثناء ذلك من الهيمنة على أغلب الحضارات وإخضاعها لسلطته الاستعمارية، وفي بعض الحالات دمر الغرب تلك الحضارات».

لقد وقع اختيارهم على الإسلام كعدو جديد، يعبئون قواهم وطاقاتهم ضده، ويهيمنون على العالم باسم مواجهته، تحت شعار مكافحة الإرهاب، ذلك لأن الإسلام يحمل قيماً حضارية تنافس الطروحات الغربية، ولأن هناك انبعاثاً في أوساط المسلمين، وإقبالاً على الإسلام في داخل أمريكا والبلدان الأوربية. .

وتستهدف هذه المواجهة تعويق نهضة الأمة، وتحديد انتشار

الإسلام، وإبقاء العالم الثالث تحت الهيمنة، والحفاظ على مركز الزعامة العالمية للأمريكيين.

وجاءت أحداث ١١ سبتمبر إيذاناً بدخول المعركة مرحلتها التنفيذية، وإعلاناً لبدء الحملة السافرة الشاملة على الإسلام والمسلمين، ولا يزال غموض كثير يلف ذلك الحدث العجيب في ١١ سبتمبر، ويلقي بظلال من الشك حول الجهة التي قامت به. وسوء استخدام الأمريكيين لتلك الأحداث، وإفراطهم في استغلالها يؤكد تلك الشكوك، ويضع الكثير من علامات الاستفهام.

برنامج العداء الأمريكي

وماذا تفعل أمريكا الآن؟

١. إنها تقود حملة عالمية للتعبئة ضد الإسلام والمسلمين تحت شعار مكافحة الإرهاب، ومن مظاهر تلك الحملة التصريحات المسيئة التي صدرت من قبل العديد من المسؤولين الأمريكيين والغربيين، وكذلك الكتابات الصحفية التحريضية على الإسلام والمسلمين، حتى دعى رئيس تحرير إحدى المجلات الواسعة الانتشار في أمريكا إلى ضرب مكة المكرمة بالقنبلة النووية، وأصبح كل عربي ومسلم في موقع الشبهة والاتهام.

فقد نشرت مجلة (ناشيونال ريفيو) (**National review**) المعبرة عن صوت الاتجاه السياسي المحافظ في أمريكا، مقالة لمحررها «ريتش لوري» اقترح فيها ضرب مكة بقنبلة نووية، لتكون بمثابة إرسال إشارة للمسلمين.

وأضاف في مقالته: «إن مكة متطرفة بالطبع، ومن ثم قد يموت بعض الناس ولكن ذلك سوف يرسل إشارة»، وأشار (لوري) إلى عامل الردع النفسي، الذي سيساور المسلمين الراديكاليين، إذا علموا أن الأمريكيين شديدو الغضب لدرجة قد تدفعهم إلى تحويل مدينتهم المقدسة إلى تلال من الحطام.

٢. تسعى لفرض وجودها العسكري والأمني على العديد من البلدان العربية والإسلامية.. كما هو الحال في أفغانستان وباكستان واليمن والصومال.. ومحاولات ضرب العراق وتهديد إيران.

٣. إطلاق العنان للإجرام الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، فمع كل ما يقوم به شارون من مجازر جماعية، وحرب إبادة وتدمير، في الأراضي الفلسطينية، إلا أن الإدارة الأمريكية تواصل دعمها السياسي له، وتمنع حتى صدور قرار برقابة دولية من قبل مجلس الأمن، قد تحدّ من حرية الإجرام الإسرائيلي، وتبرر كل الفظائع والمجازر التي ترتكبها إسرائيل بأنها دفاع عن النفس، ومقاومة للإرهاب.

والهدف الأمريكي من كل ذلك، هو الحفاظ على وجود إسرائيل وتفوقها العسكري على دول المنطقة، وكسر روح الصمود والتحدي الفلسطيني والإسلامي، ولكي ترفع الشعوب الإسلامية راية العجز والاستسلام أمام الصهاينة والأمريكيين.

٤. تضييق الخناق على المؤسسات الإسلامية بإدراجها في قوائم

الجهات الإرهابية، لشل حركتها وتجميد أموالها.

إن من أهم إنجازات الصحوة الإسلامية المعاصرة، قيام مؤسسات ناجحة في مجال العمل الخيري والثقافي والاقتصادي، بدأت في تطوير تجربتها، وتوسيع نطاق عملها على المستوى العالمي، مما يوّفر لها الخبرة والكفاءة، وتنمية قدراتها في الاستثمار والتنمية، ويعطي المصداقية لطروحاتها وأفكارها.

ويبدو أن ذلك يزعج الأمريكيين، فهم لا يريدون للإسلام أن يطرح بهذه الطريقة، ولا أن يعمل دعاته بهذا الأسلوب، من هنا تقع هذه المؤسسات ضمن دائرة الاستهداف الأمريكي في هذه المرحلة.

٥. الضغط على الدول الإسلامية لإلغاء وإضعاف مناهج التعليم الديني بحجة أنها تغذي التطرف.

بالطبع لا يمكن إنكار حاجة مناهج التعليم بشكل عام، والتعليم الديني بشكل خاص إلى التطوير والإصلاح، فتطورات الحياة المعاصرة، تطرح تحديات بالغة، تجاه الفكر والثقافة والنظام الأخلاقي للمجتمع.

وطالما دعا المصلحون الواعون، والعلماء والمثقفون المتنورون لمراجعة هذه المناهج، على قاعدة التمسك بالأصالة الدينية، وحفظ ثوابت القيم والمبادئ، مع تطوير الآليات والبرامج، وأساليب العرض، وجدولة الأولويات.

ومؤسف جداً تأخير عملية المراجعة والإصلاح، حتى أصبحنا في مأزق لا نحسد عليه، فالقيام بهذه المهمة الآن يبدو وكأنه استجابة

للضغوط الخارجية، وتأجيلها يعني الاستمرار في الخطأ، وتراكم النتائج السلبية.

في مقابل هذه الهجمة الشرسة على أمتنا في مختلف الأبعاد وعلى شتى الجبهات ماذا على الأمة أن تفعل؟

الاستجابة الواعية للتحدي

إذا كانت المعركة قد فرضت علينا، وإذا كانت المواجهة هي قدر الأمة، فعلينا أن نستجيب للتحدي بوعي وإرادة، فلا تسيطر الهزيمة على نفوسنا، ولا يتسلل الضعف إلى قلوبنا، وفي نفس الوقت لا نستدرج للتهور، ولا نتصرف من وحي الانفعال. إن بعض الخطابات الإسلامية المتشنجة، وبعض المواقف المتطرفة، تضر مستقبل الإسلام والأمة، وتخدم أغراض الأعداء.

فالمطلوب صمود بوعي، ومواجهة بتخطيط، ومواقف رزينة متعقلة، إننا كمسلمين لا نؤمن بنظرية صدام الحضارات، ولا يصح أن ننساق ضمن مخططاتها، لأن ديننا يدعو إلى الحوار والتعارف بين الحضارات، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وحضارتنا الإسلامية إبان قوتها وازدهارها لم تسحق الحضارات الأخرى، ولم تقمع سائر الثقافات، بل كان شعارها: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

فلا يصح أن نُستدرَج، وأن نتحرك أو نتحدث بانفعال، وكأننا ضد الشعوب والأمم الأخرى، فمعركتنا هي مع القوى السياسية الاستكبارية، ووظيفتنا الانفتاح مع الأمم والشعوب، والتخاطب

والتعامل معها باحترام.

إننا لا نعادي الأمريكيين كأمريكيين، ولا كمسيحيين، ولا اليهود كيهود، وإنما نعادي الظلم والطغيان والإرهاب من أي جهة كان، ولو أن جهة إسلامية مارست العدوان والظلم ضد مسيحيين أو يهود، لكان علينا الوقوف أمامها، والانتصار للمظلوم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وكما فسّر رسول الله ﷺ: مقولة «انصر أخاك ظالماً أو مظلوما» بأن تردع أخاك عن ظلمه إن كان ظالما.

تمتين الجبهة الداخلية

لكي تتجه الأمة لهذا التحدي الكبير، يجب تجاوز الانشغال بالخلافات والصراعات الداخلية، التي استغرقت اهتماماتنا في الفترة الماضية، وشغلتنا ببعضنا، وأعطت الفرصة للأعداء لينفذوا من خلالها بيننا .

هذه النزاعات بين بعض حكومات البلدان الإسلامية، والصراعات بين بعض الشعوب وحكوماتها. والاختلاف بين المذاهب والطوائف.. والاحتراب بين التيارات الفكرية والسياسية.

لقد آن أن نصل جميعاً وفي ظل هذه التحديات الخطيرة، التي تستهدف وجودنا، وتجهز على ما تبقى من كرامتنا، إلى مستوى من النضج والتحضر في التعامل مع خلافاتنا وصراعاتنا الداخلية، على قاعدة الاحتكام للحوار، واحترام الرأي الآخر، والقبول بالتعددية، والاختلاف في إطار العيش المشترك، وتحت سقف المصلحة العامة.

فكم في المجتمعات وبين الدول الغربية من خلافات حدودية،

وصراعات مصلحية، وتنوع قومي ومذهبي وسياسي، لكنهم تمكنوا من عقلنة خلافاتهم، وتقنين صراعاتهم، وهم الآن ينسجون وحدتهم الأوربية بخطوات عملية محكمة، فقد أصدروا عملتهم الموحدة (يورو)، ولديهم برلمانهم الموحّد، ولازالوا يتابعون خطى وحدتهم، دون تنكر للتمايز والخصوصيات، ودون جور من طرف على آخر.

لقد كان رائعاً جداً أن جاء طرح الدعوة إلى حوار الحضارات، وتخصيص سنة بهذا العنوان على المستوى الدولي من قبل الأمة الإسلامية، حيث قدم الاقتراح الرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي إلى الأمم المتحدة، وتمت الموافقة عليه واعتمدت السنة ٢٠٠١م لهذا الشعار، وتبنت العديد من الدول الإسلامية مؤتمرات ضمن هذا السياق، كان من آخرها ندوة (الحوار بين الحضارات) التي انعقدت في الرياض (٣-٦ محرم ١٤٢٣هـ).

إنها مبادرة رائعة لكننا بحاجة أكثر إلى تفعيل منهجية الحوار داخل الأمة، بين قواها وتياراتها المختلفة، لنتجاوز حالة الاحتراب، والتحريض المتبادل على الكراهية، ولنتخذ قراراً باحترام بعضنا بعضا، والاعتراف بالرأي الآخر المذهبي والسياسي، ضمن إطار الوحدة الوطنية والإسلامية.

وواضح أن الهجمة الشرسة ضدنا لا تفرق بين عربي وعجمي، ولا بين شيعي وسني، ولا بين قومي وديني، ولا بين قطر وآخر، مادام عنوانها صدام الحضارات، فكلنا مصنّفون ضمن الحضارة والأمة الإسلامية.

التنمية والارتقاء الحضاري

غالباً ما كانت سمة خطابنا الإسلامي إظهار الظلامة التي نعاني منها من قبل الأعداء، وجورهم علينا، ونواياهم ضدنا، ثم استثارة العواطف والمشاعر، والتحريض والتعبئة تجاه الآخر.

لكننا قلّ أن نلتفت إلى بناء الذات، ومعالجة نقاط الضعف، ومحاولة الارتقاء بمستوى التنمية، مما جعلنا نراوح مكاننا، وكرّس في واقعنا الثغرات والسلبيات، وأفقد أجيالنا الناشئة الثقة بدينهم وحضارتهم، وجعلهم فريسة لاستقطابات الشرق والغرب.

إننا وفي ظل ما نواجهه من أخطار، مطالبون بالنقد الذاتي، والمراجعة لأفكارنا وأوضاعنا، بموضوعية وشجاعة، مستهدين بالقيم الأساسية، والمبادئ المحورية في ديننا، معتمدين على استثارة عقولنا وفطرتنا، مستفيدين من تجارب الآخرين وتطورات الحياة.

إن المطلوب منا كأفراد ومجتمعات رفع مستوى الفاعلية والإنتاج، فلا يفيدنا اجترار مشاعر الظلامة والغبن، ولا يكفينا ترديد الشعارات، ولا تسيير المظاهرات، ولا التغني بالمبادئ وأمجاد التاريخ، بديلاً عن الكدح والنشاط، ومضاعفة الجهد والعطاء.

أحاديث

الشباب في عالم التحديات

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ صفر ١٤٢٣ هـ

طبيعة مرحلة الشباب

بين العاطفة والعقل

ثلة الأقران

توجيه الطاقة والنشاط

الانفتاح على الشباب

البرامج والمؤسسات

بين حين وآخر تقوم بعض الفئات والمجاميع من الشباب بممارسات وتصرفات مزعجة تعكر صفو الأمن الاجتماعي، وتخالف النظام الأخلاقي والقيمي للمجتمع، كما حصل أيام عيد الفطر الماضي في كورنيش جدة، وقبله في شارع الأمير عبد الله في الرياض، وما حدث من تصرفات عبثية طالت بعض المصالح العامة والممتلكات الخاصة خلال الأسبوع الماضي في القطيف.

إن مثل هذه الممارسات لا يمكن قبولها ولا تبريرها، ذلك أن حماية الأعراض والممتلكات الخاصة والعامة، هي من أولويات المبادئ والقيم الدينية، وأجلى مصاديق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

والمواطن الصالح هو من يشعر بالمسؤولية تجاه مصالح وطنه وأبناء مجتمعه، ويحرص على حمايتها من أي عبث أو اعتداء. لكن مجرد الإدانة والرفض لهذه التصرفات الخاطئة لا يكفي لاحتوائها، ولا يمنع من تكرارها، بل يجب أن نتعامل معها كجرس إنذار، ومؤشر خطر، على ما يعتمل في أوساط الجيل الناشئ من أبنائنا وشبابنا.

هذا الجيل الذي نشأ في عالم مليء بالتحديات، مزدحم بالمؤثرات الإعلامية والثقافية، يكاد يعيش نوعاً من الاغتراب والازدواجية، بين

ما يسمعه من موروث ديني، وقيم اجتماعية، وبين ما يشاهده من وضع خارجي، بانفتاحه على العالم، عبر وسائل الاتصالات، وقنوات الإعلام والبث المباشر.

كما أن لصعوبات الحياة ومشاكلها في الظروف المعاصرة أثراً واضحاً في تأزم نفسيات أبناء هذا الجيل من الشباب.

وذلك يستدعي دراسة جادة، واهتماماً عميقاً، من قبل الجهات المعنية والواعية في المجتمع، لمساعدة هذا الجيل من أبنائنا على مواجهة تحديات الحياة.

طبيعة مرحلة الشباب

لكل مرحلة في عمر الإنسان طبيعتها وسماتها، وينبغي النظر إليها من خلال تلك الطبيعة والسمات، لا عبر منظار مرحلة أخرى، فلا يصح التعامل مع مرحلة الطفولة على أساس معادلات مرحلة الشباب، ولا مقايسة فترة الشباب بمرحلة الشيخوخة.

إن مرحلة الشباب هي فترة التطلعات والآمال عند الإنسان، فهو في مرحلة الطفولة لم يكتشف ما حوله بعد، ولا يمتلك القدرة النفسية والذهنية للتفكير المستقبلي، واستهداف طموحات معينة، فشعوره بذاته يكون في مرحلة بدائية، وتطلعاته بسيطة محدودة. . وكذلك في مرحلة الشيخوخة والكبر، حيث تخبو آمال الإنسان وتطلعاته غالباً، بسبب ما واجهه في حياته من مشاكل وإخفاقات، تجعله أكثر واقعية ورضاً بما هو فيه، وأبعد عن الآمال والتخيلات. . أما مرحلة الشباب فهي فترة انبعاث الآمال والتطلعات، حيث تتوهج طموحات الإنسان

نحـو بنـاء مسـتقبله وحياته، ويفكِّـر في تأميـن متطلبات معيشـته، وتكوين شـخصيته وموقعيته فـي المجتمع.

وهنـا يحتـاج الشـباب إلى أفـق مفتـوح أمـام طموحاتهم، بـأن تتوفر لهـم فرص التقـدم العلمي والعملي، وأن تتيسـر لهم سـبل تحقيق مطالب الحيـاة، وبنـاء المسـتقبل. كمـا يحتاجـون إلـى التوجيـه السـليم الـذي يدفعهم لتفجيـر طاقاتهم وكفاءاتهـم، وتحّمل المسـؤوليات والتحديات، فبالجـد والاجتهـاد تتحقـق الآمـال والتطلعات.

إن شـعور الشـباب بانسـداد الأفـق أمـام طموحاتهم، وتعـذر تحقيق رغباتهـم المشـروعة، فـي بنـاء كفاءتهـم، ومسـتقبل حياتهـم، ينتـج حالة مـن القلـق والاضطـراب الذهنـي والنفسـي، قـد يتحـول إلـى حالـة مـن الإحبـاط، وحسـب تأكيـد علمـاء النفـس: فـإن ظاهـرة قبـول الإحبـاط والرضـا بـه أكثـر قـوة عند الشـباب.

والإحبـاط حالـة مرضيـة، لها آثـار خطيرة علـى نفس المصـاب بها، قـد تدفعه إلـى العـدوان والتمرد علـى واقعـه الاجتماعي. وتشـير العديد مـن الدراسـات الاجتماعيـة إلـى أن قلة فـرص العمـل، وارتفاع مسـتوى البطالـة فـي صفـوف الشـباب، هـو مـن أهـم أسـباب ظاهـرة الانحـراف والتمـرد عنـد هـذا الجيل.

بين العاطفة والعقل

فـي مرحلـة الشـباب تتوهـج مشـاعر الإنسـان، وتقـوى عواطفـه وأحاسيسـه، كأثـر مـن آثـار نمـوه الجسـمي، وتفتـق غريزتـه الجنسـية. وهنـا غالبـاً ما يقع الشـاب تحت ضغـط عواطفه وأحاسيسـه، فيسـتجيب

لإثارات الشهوة، وتسيطر عليه حالات الحماس والاندفاع، ويتخذ مواقف وقرارات غير ناضجة، قد تسبب له ضرراً بالغاً في مستقبل حياته. وتشير بعض النصوص الدينية إلى تغلب العاطفة على العقل في مرحلة الشباب لدى الكثيرين، مما يجعل بعض تصرفاتهم وممارساتهم تشبه أعمال المجانين فاقدي نعمة العقل، أو المخمورين الواقعين تحت نشوة السكر. كما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشباب شعبة من الجنون»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر الشباب فإن لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار»[2].

وإذا كان عنفوان العاطفة قوياً عند الشاب، فيجب استثارة العقل لديه، والتأكيد على مرجعيته، لتتوازن توجهات الشاب وتصرفاته بين عقله وعاطفته، فلا ينساق خلف أهوائه وشهواته، ولا يخضع للمشاعر والأحاسيس على حساب العقل والمنطق.

وهو بهذا يحتاج إلى التذكير بدور العقل، والى التحذير من الغفلة عنه، ويحتاج إلى مرافقة العقلاء الناضجين، والاستفادة من نصائح المرشدين.

ومن أهم ما يعانيه شباب هذا العصر، تأثير وسائل الإعلام، التي تحرّض فيهم عواطفهم، وتذكي مشاعرهم وأحاسيسهم، فأغلب

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٤٣٥٨٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢ص٣٧٣، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

البرامج والأفلام في القنوات الفضائية، تستثير الشهوة والغريزة، وتدفع نحو المغامرة والعنف، وتشجع على التمرد والانفلات من القيم والأعراف، تحت شعار الحرية والاستمتاع بالحياة.

ثلة الأقران

من جانب آخر نلحظ تكريساً في الانفصال بين جيل الأبناء الشباب، وجيل الآباء الكبار، حيث يعيش الشباب مع بعضهم كأقران وشلل وتجمعات، وتضعف لديهم حالة التواصل مع آبائهم وعوائلهم.

إن انجذاب الشباب نحو أقرانهم وأندادهم شيء طبيعي، لكن الأقران قد يكرسون ويؤكدون فيما بينهم التوجهات السلبية، إن لم تتوفر لهم الأجواء الصالحة.

يشير الدكتور عزت حجازي في كتابه (الشباب العربي ومشكلاته) إلى دور ثلة الأقران في حياة الشاب إيجاباً وسلباً، ويقول ما خلاصته:

إن وجود الشاب الاجتماعي يتوزع بين عوالم ثلاثة: الأسرة، ورفاق الدراسة، والأصدقاء أو ثلة الأقران. وتنفرد ثلة الأقران بتأثير خاص في حياة الشاب، فهي جماعته المرجعية التي تسبق في أهميتها غيرها، ويستمد الشاب منها قيمه وعاداته وأساليب تصرفاته، ومعايير الحكم على الذات والآخرين.

وترجع أهمية ثلة الأقران في حياة معظم الشباب إلى عدة عوامل من أهمها:

ما توفره لأعضائها من صحبة دافئة وتقبل، وصداقة حقيقية، تزودهم بطاقات متجددة لتحمل متاعب الحياة، ومشكلات مرحلة

السـن. ومـا تقدمـه لهم مـن فـرص تصريـف التوترات التـي يعانـون منها فـي حياتهـم. كمـا تتيـح لهـم الاسـتفادة مـن خبـرات ومهـارات بعضهم البعـض، وتبعـث فيهـم الشـعور بالأهميـة الشـخصية.

غيـر أن لثلـة الأقـران وجهـاً آخر تمثلـه بعض أبعادهـا السـلبية، التي مـن أهمها:

١. التسـلط علـى الأعضـاء، وقهـر فرديتهم، وإلغـاء اسـتقلالهم، ومن ثـم يعيـش الشـاب تسـلط الرفـاق، وخاصـة العناصـر القويـة التي تهيمـن علـى سـائر الأعضاء.

٢. ليـس من النـادر أن تتسـبب ثلة الأقران فـي زيادة حـدة الصراع بين الشـاب وأسـرته ومربيـه والكبـار الآخريـن، بمـا توفره لـه من دعم في تحديـه لهم وثورتـه عليهم.

٣. قـد تدفـع الجماعـة أفرادهـا إلـى التـورط فـي ألـوان مـن السـلوك الـلا اجتماعـي، أو المضـاد للمجتمـع، لـم يكونـوا ليقدمـوا عليـه وحدهـم.

٤. غالبـاً مـا يكـون النشـاط داخلها عشـوائياً، لا هـدف موضوعيـاً له، وغالبـاً مـا تنغلـق الثلـة على نفسـها، وتصنع لهـا عالمهـا الخاص، ممـا يعزلها عـن الواقـع الاجتماعـي ويدمر علاقاتهـا به[1].

إن علـى الآبـاء أن يحرصـوا علـى الصداقـة مـع أبنائهم، وإشـراكهم معهـم فـي أجوائهـم، بمـا يسـتلزم ذلـك مـن إظهـار الاحتـرام لهـم،

(١) حجازي: الدكتور عزت، الشباب العربي ومشكلاته ص٢٤٩،٢٥٢،الطبعة الثانية ١٩٨٥م، سلسلة عالم المعرفة (٦) الكويت.

والاستماع لآرائهم. لأن تواصل الشباب مع جيل الكبار، يساعدهم في تجاوز ضغوط العاطفة والأحاسيس، ويجعلهم أقرب إلى العقلانية والاعتدال.

توجيه الطاقة والنشاط

النضج الجسمي، والتوهج العاطفي في مرحلة الشباب، يبعث لدى الشاب طاقة هائلة من القوة والنشاط، تحتاج إلى تصريف وتفعيل، فمرحلة الشباب هي منطقة القوة في حياة الإنسان، التي تعقب ضعف الطفولة، وتسبق عجز الشيخوخة. كما تشير إلى ذلك الآية المباركة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[1].

إن هذه القدرات والطاقات الهائلة من النشاط لدى جيل الشباب، تشكل رصيداً هاماً للتنمية في المجتمع، ولتحقيق قفزات التقدم في مستواه العلمي والعملي، إذا ما أتاح المجتمع للشباب فرص العمل والحركة، وفتح أمامهم أبواب الفاعلية والإنتاج، في الميادين المختلفة.

وقد كان للشباب في تاريخنا الإسلامي، دور بارز في بناء الحضارة الإسلامية، وصنع المكاسب والإنجازات، حين كانت قيادة المجتمع تدفع بالشباب الكفء إلى الواجهة، وتمنحه الفرصة لإبراز مواهبه وقدراته القيادية.

فحينما أراد رسول الله ﷺ أن يختار أميراً لمكة، وحاكماً عليها بعد

(١) سورة الروم آية ٥٤.

الفتح، اختار من دون كبار صحابته شاباً في حوالي الثالثة والعشرين من عمره، يقال له: (عَتّاب بن أسيد) مع حداثة عهده بالإسلام، حيث لم يسلم إلا يوم الفتح، وعينه أميراً لمكة، المدينة الأهم قداسة ومكانة في الجزيرة العربية.

كما أن آخر مهمة عسكرية أمر بها رسول الله ﷺ ، كانت بعث فرقة من الجيش لغزو الروم، تضم كبار الصحابة من وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وقتادة بن النعمان، وأمثالهم، تحت إمرة شاب لم يبلغ العشرين من العمر، هو (أسامة بن زيد بن حارثة) وحينما اعترض بعض المسلمين على ذلك، وقال أحدهم وهو عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟ وبلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً، وتحامل على مرضه، وخرج إلى المسجد، وخطب الناس قائلاً: «أما بعد أيها الناس فما مقالة قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟! ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيمُ الله كان للإمارة لخليقا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة. . . . »، وكرر ﷺ وهو على فراش مرضه عدة مرات: «أنفذوا جيش أسامة»[1].

إن طاقات الشباب تأبى على الكبت، وترفض الجمود، وإذا لم تجد أمامها قنوات سليمة للتصريف والتفعيل، وإذا لم تفتح أمامها الخيارات المناسبة لممارسة الحركة والنشاط، فستتفجر في

(١) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج٦ ص٢٤٨ الطبعة الاولى ١٩٩٣ دار الكتب العالمية، بيروت.

الاتجاهـات الخاطئـة، وعبـر الطـرق المخالفـة للقانـون والنظـام.

ومـا اهتمـام دول العالـم اليـوم برعاية الأنشـطة والفعاليات الشـبابية وتشـجيعها، كالنشـاط الرياضـي، إلا مـن أجـل احتـواء هـذه الطاقـات الفائضـة لـدى جيل الشـباب.

إن الأنديـة الرياضيـة، وسـائر المؤسسـات التـي تعنـى باسـتيعاب قـدرات الشـباب ومهاراتهـم العلميـة والفنيـة والاجتماعيـة، أصبحـت مـن الضـرورات في عالـم اليـوم. والمجتمـع الأرقى هـو الأكثـر اهتماماً بطاقـات أبنائـه وشـبابه.

الانفتاح على الشباب

لا يصـح لنـا أن نتـرك أبناءنـا وشـبابنا فريسـة لوسـائل الإعـلام والاتصـالات، وقنـوات البـث الفضائـي، وهـي تبشّـر بثقافـة ماديـة اسـتهلاكية، وأنمـاط سـلوك غريبـة، مخالفـة لقيمنـا وأمـن مجتمعنـا. ولا ينبغـي أن ننفـر منهـم ونبتعـد عنهـم حينمـا تزعجنـا بعـض تصرفاتهم الطائشـة، فهـم ضحايـا بيئـة تعانـي مـن خلـل فـي أسـاليبها التربويـة، وأجوائهـا الاجتماعيـة.

كمـا لا يمكـن المراهنة علـى القمع والـردع وحده، فقـد يدفعهم إلى المزيـد مـن التحـدي، ويدخلنا فـي دوامـة الفعـل ورد الفعل، إننـا نحتاج إلـى الـردع والتأديـب، ضمن حدود معينـه، لكن المراهنة يجـب أن تكون علـى الاقتـراب مـن الشـباب أكثـر، وفهـم ظروفهـم ومعاناتهـم، وتوفيـر الأجـواء الصالحـة لهم.

إن الحاجـة ماسـة في مجتمعاتنا إلى الانفتاح على الشـباب وتجسـير

العلاقة معهم، من قبل العائلة، وعلماء الدين، والمسؤولين، لمساعدتهم على تجاوز هذه المرحلة الحرجة التي يمرون بها، والظروف الصعبة التي يعاني منها بعضهم في تسيير أمور حياته، ولتطمينهم ومعالجة ما يساورهم من قلق على بناء مستقبلهم، وتأمين متطلبات الحياة.

وهنا لابد من الإشارة إلى ضرورة تطوير الخطاب التربوي والديني مع الشباب، بحيث يكون أقدر على التأثير فيهم، فشباب اليوم منفتحون على لغة وسائل الإعلام الجذابة، ومطلعون على كثير من المعارف والعلوم المعاصرة، وهم يشاهدون أساليب التخاطب الوجداني والعاطفي، وإتاحة الفرصة للنقاش والحوار، وتفهم الرأي الآخر.

وبهذا لا يستقطبهم التخاطب الفوقي بأسلوب الأمر والنهي، والردع والزجر، والاسترسال في ذكر النصوص والأقوال، ومصادرة حق الاعتراض والتساؤل.

ولنا في منهج رسول الله ﷺ خير قدوة وأسوة، فقد جاءه غلام شاب، فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا! فصاح به الناس وقالوا: مه. فدنا منه ﷺ وأقبل عليه يحاوره بهدوء، وقال له: أتحب الزنا لأمك؟

أجاب الغلام: لا

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لأختك؟

قال: لا

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. أتحبه لابنتك؟

قال: لا

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك. ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدر الغلام الشاب، ودعا له قائلاً: اللهم كفّر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه[1].

البرامج والمؤسسات

مرحلة الشباب هي مرحلة صقل الشخصية، وبلورة الطاقات والمواهب، وذلك لا يتم إلا عبر برامج ومؤسسات تستوعب الشباب، وتنمي قدراتهم ومهاراتهم، بما ينفع مستقبلهم ومستقبل الوطن، ويتيح لهم مجال تصريف فائض القوة والنشاط، والاستفادة من أوقات الفراغ.

وكلما توفرت البرامج والمؤسسات لاحتضان الشباب، كانت ضمانة أكبر لصلاحهم وتقدمهم. بينما الضعف والفراغ في هذا المجال يعني توقع بروز توجهات سلبية، في وسط هذا الجيل.

لذلك تهتم كل دولة بإنشاء مؤسسة خاصة تعنى بشؤون الشباب، بمسمى وزارة أو وكالة أو مديرية، حسب اختلاف التنظيمات الحكومية في البلدان.

وقبل نصف قرن من الزمان استحدثت في المملكة العربية السعودية إدارة لرعاية الشباب، تابعة لوزارة الداخلية سنة ١٣٧٢هـ.

---

(١) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، ج٨ ص١٨٣، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

ثـم انتقلـت إلـى وزارة المعـارف سـنة ١٣٨٠هـ. ثم أصبحـت ضمن مهام وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعيـة سـنة ١٣٨٢هـ. وحتـى صـدور قـرار مجلـس الـوزراء سـنة ١٣٩٤هـ بأن تصبح جهازاً مسـتقلاً باسـم (الرئاسـة العامـة لرعايـة الشـباب) والتي ترعـى الآن أكثر من اثنين وسـبعين منشـأة رياضيـة وثقافيـة فـي مختلـف مناطـق المملكة.

إن مجتمعنـا السـعودي يعتبـر فـي طليعـة المجتمعات الشـابة، حيث تصـل نسـبة الفئـة التـي تقـل عـن ٢٥سـنة إلـى ٥٥٪ مـن عـدد السـكان. ويواجـه شـباب المملكـة اليوم تحديـاً كبيراً فـي الحفاظ على قيـم دينهم، وتقاليـد مجتمعهـم، فـي ظـل العولمـة الثقافيـة، والانفتـاح الإعلامـي الهائـل. كمـا أن سـنوات الطفـرة الاقتصاديـة أوجـدت تغييـراً فـي بعض أنمـاط السـلوك والعـادات الاجتماعيـة، أضعفـت التماسـك العائلـي والعلاقـات الأسـرية.

و بعـض الصعوبـات الحادثة في مجـال التعليم، وخاصـة لجهة قدرة الجامعـات علـى اسـتيعاب الراغبيـن فـي الالتحـاق، أو في مجـال تأمين فـرص العمـل والوظائـف للخريجين،أو لزيـادة التعقيد فـي متطلبات بناء الحيـاة مـن زواج وسـكن. . كل هذه الصعوبات تشـكل ضغوطـاً على من يتعرض لهـا من جيل الشـباب.

وليـس بعيـداً أن يكـون مجتمعنـا مسـتهدفاً من قبـل جهـات معادية، تسـعى لتشـجيع حالات الميوعـة والانفلات في أوسـاط أجيالنا الناشـئة.

مـن هنـا يجب النظـر بعمق واهتمـام لما يواجه شـبابنا مـن تحديات، وأن نتعامـل مـع مـا يطفو على السـطح مـن تصرفـات خاطئـة، تصدر من بعـض فئات الشـباب، على أنهـا جرس إنـذار، وعلامة خطر. فلا ننشـغل

بتلـك الظواهر عـن الجـذور والخلفيات، حيـث لا تفيد معالجـة أعراض المـرض الخارجية إن لـم يتم تشـخيصه ومداواته.

إن العائلـة والجهـات الحكوميـة، والمؤسسـات الأهليـة، وعلمـاء الديـن المرشـدين، وكل واع فـي المجتمـع، مطالبـون جميعـاً بمضاعفـة الجهـد والاهتمـام، لرعاية هذا الجيل الشـاب، ومسـاعدته علـى مواجهة تحديـات عالـم اليوم.

أحاديث

أهل البيت عليهم السلام وخيارات المواجهة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٢٣هـ

الإمام علي والخلافة
صلح الإمام الحسن
الإمام الصادق وحركة العباسيين
الإمام الرضا والمشاركة في الحكم
موقف أهل البيت
الطريق الشرعي
وحدة الأمة
ثورة الإمام الحسين
ثورات العلويين
معركة الوعي

المدرسة الفكرية والفقهية لأهل البيت ﷺ، تشكل رؤية شاملة للإسلام، وبرنامجاً كاملاً لتطبيقه. ولا شكَّ أنهم كانوا مهتمين ببث ونشر ما يعتقدون أنه الفهم الصحيح للدين، وأن يأخذ طريقه للتنفيذ والتجسيد في حياة المسلمين.

ولوجود النص النبوي على مرجعيتهم، كما في حديث الثقلين، وحديث سفينة نوح، وحديث الغدير، وأمثالها، وباعتبارهم الأكفأ والأعرف بشريعة الله تعالى، فإن أئمة أهل البيت ﷺ يرون لأنفسهم أحقية الإمامة والقيادة للأمة.

لكن ذلك لم يدفع أياً منهم للصراع والمغالبة على الحكم والسلطة،ولا للسعي من أجل الفرض والهيمنة على الجمهور.

الإمام علي والخلافة

بعد وفاة رسول الله ﷺ، ومبايعة أبي بكر بالخلافة، في سقيفة بني ساعدة، كان هناك من يستحث الإمام علياً للتصدي للخلافة، كما ينقل ابن الأثير في تاريخه. . قال: «فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. . وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع علي. . أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، ثم قال لعلي:

ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلا، فزجره علي وقال: والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرا! لا حاجة لنا في نصيحتك»[١] ونحوه ورد في تاريخ الطبري[٢].

وينقل ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) أن العباس بن عبد المطلب قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الأمر إذا كان لم يُقل[٣]. لكن علياً رفض ذلك حفاظاً على وحدة الأمة، ومراعاة لخطورة الظروف.

ومرة أخرى، عرضت الخلافة على الإمام علي ﷺ، بعد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث كان واحداً من ستة عينهم الخليفة عمر، ليختاروا أحدهم خليفة للمسلمين، فعرض عبد الرحمن بن عوف على الإمام علي ﷺ بمحضر المسلمين في المسجد قائلاً: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال الإمام علي : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي[٤].

لقد فوَّت على نفسه الخلافة والحكم آنذاك برفضه الالتزام بشرط لا يقتنع به، لأنه لم يكن حريصاً على السلطة بمقدار حرصه على مبادئه.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٠،١١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٩٨٩م.
(٢) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٢ ص٤٤٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
(٣) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج١ ص١٢، مؤسسة الحلبي،القاهرة.
(٤) ابن كثير: أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.

وقرأت مؤخراً تعليقاً جميلاً للدكتور إسماعيل الشطي[١] على هذه الحادثة التاريخية، قال فيه:

«ولقد كان الجيل الأول من المسلمين رضوان الله عليهم، يريد أن يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في إدارة الدولة، جزءاً من الشريعة، لولا تصدي الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في أول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب الله وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لا يعدو كونها اجتهاداً بشرياً، يسعُ من بعدهم، ويتسع لآفاق المستقبل، وبتضحيته هذه أوقف الإمام ـ كرم الله وجهه ـ زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات»[٢].

ويتحدث المؤرخون عن تمنّع علي وعزوفه عن الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان، لولا إلحاح الجمهور عليه، قال ابن كثير: «وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة، حتى تكرر قولهم له، وفرَّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، وأغلق بابه، فجاء الناس فطرقوا الباب، وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب»[٣].

وحينما تصدى للخلافة، واضطر لمواجهة فتن المناوئين في حرب الجمل وصفين والنهروان، حفاظاً على الأمن والاستقرار، ووحدة الأمة، كانت تلك المواجهات مؤلمة له، وثقيلة على نفسه،

(١) شخصية إسلامية سياسية من الكويت.

(٢) الشطي: الدكتور إسماعيل، الإسلام الذي نريد، مقال في جريدة الشرق الأوسط ٧، ١٩٩٨م.

(٣) ابن كثير: أبو الفداء،البداية والنهاية، ج٧ ص٢١٨، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م

ولـولا كونـه فـي موقـع المسـؤولية، لـكان أبعد عـن تلـك الصراعات مع الطامحيـن للمواقـع والمناصـب، التـي لا حـرص لـه عليهـا، ولا رغبة له فيهـا، يقـول عليه السلام: «أمـا والـذي فلـق الحبـة، وبـرأ النسـمة، لـولا حضـور الحاضـر، وقيـام الحجـة بوجـود الناصر، ومـا أخذ اللـه علـى العلماء ألا يُقـارُّوا على كظـة ظالم، ولا سـغب مظلـوم، لألقيت حبلها علـى غاربها، ولسـقيت آخرهـا بـكأس أولهـا، ولألفيتـم دنياكـم هـذه أزهد عنـدي من عفطة عنـز»[1].

صلح الإمام الحسن

ومثـل موقـف الإمـام علـي عليه السلام، كانـت مواقـف الأئمـة الهـداة مـن بعـده، فقـد جنـح الإمـام الحسـن عليه السلام للصلـح مـع معاويـة، رغم أنـه كان الخليفـة الشـرعي الـذي بايعه المسـلمون بعـد شـهادة أبيه، فكانـت بيعته عامـة شـاملة لجميـع مناطق العالم الإسـلامي، على غرار بيعـة أبيه، حيث بايعـه جميـع أهـل العـراق وفـارس والحجازيـون واليمانيـون، لكنـه لما رأى إصـرار معاويـة على انتزاع السـلطة، واسـتعداده لعمـل كل ما يوصله إلـى ذلـك، ورأى أن المواجهة العسـكرية تعنـي الدخول في حـرب أهلية طاحنـة، لـن تكـون مضمونـة النتائج، بسـبب اسـتخدام معاويـة لمختلف أسـاليب الترهيـب والترغيـب، وافـق على الصلـح والتنازل عن السـلطة.

أخـرج الحاكـم عـن جبيـر بـن نُفيـر قـال: قلـت للحسـن: إن الناس يقولـون: إنـك تريـد الخلافـة، فقـال: قـد كان جماجـم العرب فـي يدي، يحاربـون مـن حاربـت، ويسـالمون مـن سـالمت، فتركتهـا ابتغـاء وجـه

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

اللـه، وحقـن دمـاء أمـة محمـد صلى الله عليه وآله[١].

الإمام الصادق وحركة العباسيين

بعـد أن سـاد التذمـر في أوسـاط الأمـة من حكـم الأمويين، وتحرك العباسـيون للانقضـاض علـى السـلطة، رافعيـن شـعارات الدعـوة لأهل البيـت، والأخـذ بثأرهـم، عرضـوا علـى الإمـام جعفـر الصـادق عليه السلام الانضمـام إلـى حركتهـم وثورتهـم، ليكـون فـي موقـع الزعامـة والقيادة، فرفـض دعوتهـم. فقـد كتـب إليـه أبـو مسـلم الخراسـاني ـ والـذي كان يقـود المواجهـة العسـكرية مـع الأمويين ـ كتابـاً جـاء فيه: «إنـي أظهرت الكلمـة، ودعـوت النـاس عـن مـوالاة بني أميـة، إلى مـوالاة أهـل البيت، فـإن رغبـت فـلا مزيد عليـك»، فأجابـه الإمـام: «ما أنـت مـن رجالي ولا الزمـان زمانـي»[٢].

ومـرة أخـرى، بعـث إليـه أبـو سـلمة الخـلال، وهو أحـد القـادة في حركـة العباسـيين، يدعـوه ليكـون فـي صـدارة الحركـة وزعامتهـا، فـرد الإمـام الصـادق دعوتـه[٣].

الإمام الرضا والمشاركة في الحكم

تعزيـزاً لشـرعية حكمـه، وتأكيـداً لسـلطته، أراد الخليفـة المأمـون العباسـي إدخـال الإمـام الرضـا عليه السلام وإشـراكه فـي الحكـم، فاختـاره ولياً للعهـد، لكـن الإمام الرضا اعتـذر عن القبول وامتنع، لـولا ضغط المأمون وإلحاحـه، فوافق الإمـام الرضا على المشـاركة الرمزية الاسـمية، دون أن

(١) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧، دار الجيل، بيروت ١٩٩٤م.
(٢) القرشي: باقر شريف، عصر الإمام الصادق، ص٧٧.
(٣) المصدر السابق، ص٧٤.

يتحمل أي مسؤولية تنفيذية عملية.

وتشير بعض المصادر التاريخية، إلى أن المأمون عرض على الإمام علي الرضا أن يتنازل له عن الحكم، ويوليه الخلافة، لكن الإمام الرضا رفض ذلك رفضاً باتاً. قال ابن كثير في البداية والنهاية: «كان المأمون قد همَّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله ولي العهد من بعده»[1].

موقف أهل البيت

إذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يرون في أنفسهم الأحقية والجدارة لقيادة الأمة، فلماذا لم يقتنصوا الفرص لتولي السلطة؟ ولماذا اتسم موقفهم بالترفع والعزوف عن خوض غمار العمل السياسي؟

يمكننا أن نفهم موقف الأئمة على ضوء الحقائق التالية:

إن المهمة الأولى والأساس لأئمة أهل البيت عليهم السلام، هي حفظ الرسالة، وتبيين الشريعة، أما تحمل أعباء الحكم والسلطة فهي مهمة ثانية ثانوية، قياساً للمهمة الرسالية الأولى. فإذا ما تعارضت المهمتان، كما حصل بسبب الأطماع السياسية، والصراعات المصلحية فإن الأولوية عندهم للمهمة الأولى.

وقد كتب الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، حول هذا الموضوع، بحثاً علمياً رائعاً، في كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) تحت عنوان (ماهية الإمامة ومسؤولية الإمام الأولى عند الشيعة) وخلاصة ما جاء فيه: إن المهمة التي تكوِّن ماهية الإمامة،

(١) ابن كثير: أبو الفداء، البداية والنهاية، ج١٠ ص٢٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت..

وأساس تشريعها من الله تعالى في المعتقد والتشريع الإسلامي، عند الشيعة الإمامية، هي مهمة تتعلق بالإسلام نفسه، عقيدة وشريعة على مستوى الحراسة، والتبليغ، والتفسير والحفظ. وأما المهمة السياسية التنظيمية ـ مهمة الحكم السياسي ـ فتقع في الدرجة الثانية من مهمات الإمام المعصوم، ولا تكوِّن ماهية الإمامة، بل يمكن أن تحول أسباب قاهرة بين الإمام وبين ممارستها، دون أن تتأثر ماهية الإمامة المعصومة، والمهمة الأساس للإمام المعصوم، وهي كونها استمراراً للنبوة من دون الوحي.

وبتفحص الروايات والنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول قضية الإمامة نجد أنها تركز على المهمة الأولى، من حيث ضرورتها، وحاجة الدين والأمة لها، وأهلية الأئمة دون غيرهم للتصدي لها، أما البعد الثاني المتصل بتصدي الإمام للحكم والسلطة، فلم يحض إلا بعدد قليل من الروايات والنصوص.

واستعرض الشيخ شمس الدين نصوص الإمامة في مصدرين شيعيين أساسيين هما كتاب (الكافي) للشيخ الكليني (توفي ٣٢٨هـ) وكتاب (علل الشرائع) للشيخ الصدوق (توفي ٣٨١هـ) ليؤكد تركيزها على الجانب الأول، وكثرة وكثافة النصوص حوله. وبعضها ظاهر في أولويته[١].

الطريق الشرعي

وإذا كان الحكم والسلطة وظيفة من وظائف الإمامة، ووسيلة

(١) شمس الدين: محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٣٢٥ ـ ٣٦٢، الطبعة الثانية ١٩٩١م، المؤسسة الدولية، بيروت..

لتمكينها من تحقيق أهدافها وتطلعاتها الرسالية، إلا أن طريق الوصول إلى الحكم، وآلية استلام السلطة، يجب أن يكون منسجماً مع مفاهيم الإسلام وتشريعاته، فليس الحكم مطلوباً بأي ثمن، وبأي وسيلة، ولو كانت مخالفة لقيم الإسلام وأحكامه.

لذلك رفض الأئمة عليهم السلام الأساليب الملتوية في الصراع السياسي للوصول إلى الحكم، ولم يرضوا لأنفسهم تسنم عرش السلطة عن طريق الفرض والقوة، ولا عبر المؤامرات والدسائس، بل التزموا منهجية الوضوح والنزاهة، واحترام إرادة الأمة واختيارها، وإن أدى ذلك إلى فقدان المكاسب السياسية، وفوت الامتيازات والمصالح. فالمبدئية وسيلة وهدف..

وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام علي عليه السلام بقوله: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس»[1].

وفي مورد آخر يقول عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه! والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجما»[2].

ويبدو أن اختيار الأمة ورضاها، هو الطريق المشروع الذي يقبله الإمام، لممارسة دور الحكم والقيادة، وليس القوة أو التآمر أو الثورات والانقلابات، يقول الإمام علي عليه السلام «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليَّ

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٠٠، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
(٢) المصدر السابق، خطبة رقم ١٢٦.

عهداً فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[١].

وحدة الأمة

ليس هناك شيء أخطر على وحدة الأمة، وتماسك المجتمع، من الصراعات السياسية، والتي بسببها تتحول الأمة الواحدة إلى شيع وأحزاب، وتكون مدخلاً للتمزق والاحتراب الأهلي، حيث تراق الدماء، وتنتهك الحرمات، وينعدم الأمن والاستقرار.

ومع إيمان أئمة أهل البيت عليهم السلام بحقهم في القيادة والحكم، إلا أنهم تنازلوا عن الأخذ بذلك الحق، حين كان يستلزم احتراباً داخلياً، فقد عصمهم ورعهم وحرصهم على وحدة الأمة، من خوض الصراعات السياسية، والسعي للمغالبة على السلطة والحكم.

ينقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة خطبة للإمام علي عليه السلام يقول فيها: «فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام»[٢].

ثورة الإمام الحسين

كيف يمكن فهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام على ضوء ما سبق من الحقائق؟ فالإمام الحسين كسائر الأئمة الهداة، حريص على وحدة الأمة، ملتزم بالنهج الشرعي، بعيد عن الدوافع الذاتية المصلحية،

(١) المنتظري: الشيخ حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه، ج١ ص٥٠٥، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، الدار الإسلامية،بيروت.

(٢) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ج١ ص٣٠٨، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.

يعطي أولوية للدور الرسالي في تبليغ الشريعة وحفظها وحمايتها. فلماذا حصل في عهده ما لم يحصل في عهود بقية الأئمة، من صدام مع السلطة، أدَّى إلى شهادته بتلك الصورة الفظيعة ؟

إن من يدرس ذلك المقطع التاريخي، ويتأمل ظروفه وأحداثه، يدرك أن الظرف الحسيني كان ظرفاً استثنائياً.

١. تولي يزيد بن معاوية للخلافة كان تدشيناً لظاهرة الخلافة والحكم الوراثي، فلم يسع الحسين القبول بذلك والمبايعة.

٢. شخصية يزيد كانت مجمعاً للعديد من الصفات السيئة، وكان يجهر بمخالفاته وانحرافاته، وقد نقل المؤرخون ومنهم الطبري: أن وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري ـ غسيل الملائكة ـ وعبد الله بن أبي عمرو والمنذر بن الزبير، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة، قدموا على يزيد بن معاوية، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، ثم انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة عدا المنذر بن الزبير، فأظهروا شتم يزيد وعتبة وقالوا: إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرَّاب والفتيان[1].

٣. وجود قاعدة عريضة من الأمة طالبت الإمام الحسين عليه السلام بالتصدي للأمر، وهم أهل الكوفة، بعددهم الوفير، وتاريخهم

(١) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤ ص٣٦٨، الطبعة الخامسة ١٩٨٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

القتالي، فقد وصلته منهم آلاف الرسائل، والعديد من الوفود، تستحثه للقدوم عليهم، وقبول بيعتهم، مما جعل الحسين أمام مسؤولية شرعية، ولم يحصل لإمام من الأئمة مثل هذا التجاوب الجماهيري، بعد أبيه علي وأخيه الحسن، واللذين استجابا بدورهما، وتصديا لتحمل المسؤولية، بناءً على طلب الناس وقبولهم. فكان لا مناص للحسين أن يستجيب، وإلا فسيكون محاسباً أمام التاريخ والأمة، كيف فوَّت الفرصة ولم يتحمل المسؤولية؟

وعلمه بالنتائج لا يبرر له عدم العمل بظواهر الأمور.

٤. مع كل ذلك فقد سعى الإمام الحسين لتلافي الاصطدام مع الجيش الأموي، وعرض عليهم في أكثر من موقف أن يتركوه ينصرف إلى ثغر من الثغور، أو يعود إلى المدينة، لكنهم أصروا عليه أن يستسلم لهم، ويبايع يزيد ذليلاً، فلما رفض ذلك شنوا هجومهم عليه.

ففي أول خطاب له، أمام أول فرقة قابلته من الجيش الأموي، بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، قال عليه السلام: «إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت بها عليَّ رسلكم، أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم»[1] وفي خطبته يوم العاشر من المحرم قال لهم «أيها الناس : إذا

(١) القرشي: باقر شريف، حياة الإمام الحسين، ج٣ ص٧٥، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار البلاغة، بيروت.

كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض»[١].

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن محادثات جرت بين الإمام الحسين عليه السلام، وبين قائد الجيش الأموي عمر بن سعد، انتهت بالتوافق على رجوع الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة أو المدينة أو بعض الثغور، فكتب ابن سعد إلى ابن زياد بذلك، والذي كاد أن يوافق على الأمر لولا إفساد شمر بن ذي الجوشن لهذه المهمة، وتشجيعه ابن زياد على رفض هذه الفكرة، والإصرار على القتال[٢].

ثورات العلويين

أما ثورات العلويين فلم يتزعمها أحد من الأئمة، وفي بعض الأحيان كان الأئمة ينصحون قادة تلك الحركات بالعدول عن موقفهم الصدامي، لكن الضغوط الهائلة التي كانت تنهال على العلويين وأتباعهم من قبل الحاكمين، كانت تسبب الانفجار، وتدفع إلى المواجهة.

وبدراسة متأنية لكل ثورة من تلك الثورات، يتبين دور الظروف الخارجية في انطلاقها، كما يتضح موقف الحذر والابتعاد من قبل الأئمة عن مباشرة أي دور فيها، أو إظهار أي تأييد لها. بالطبع كان الأئمة يتفهمون مبررات تلك الحركات، ويتألمون لما ينال الثائرين من مآس وفظائع، ويثنون على المخلصين منهم.

---

(١) المصدر السابق ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨، ١٣٠.

معركة الوعي

وإذا لـم يكـن الصـدام والمواجهـة مـع الواقـع القائـم نهجـاً للأئمة عليهم السلام، فـإن ذلـك لا يعنـي تخليهـم عـن أي مسـؤولية أو دور تجـاه الواقـع السياسـي، فهـم معنيـون بتبييـن مفاهيم الإسـلام وتشـريعاته فـي مختلف ميادين الحيـاة، والشـأن السياسـي لـه موقعيته وأهميتـه الدينيـة والفعلية، مـن هنـا تصـدى الأئمـة لتوعيـة الأمـة بمسـؤولياتها علـى هـذا الصعيد، بالتأكيـد علـى قيـم الإسـلام ومبادئـه التـي تحكـم السـلطة السياسـية، وبالتحذيـر مـن الاسـتبداد والظلـم والتجـاوز علـى حقـوق الرعيـة، وبتحميـل جمهـور الأمـة مسـؤوليتهم تجـاه مجريـات الأمـور، و توجيـه النـاس إلـى القيـادة الشـرعية بمواصفاتهـا ومقاييسـها المطلوبـة، فتربّـت علـى أيديهـم أجيـال مؤمنة بحقهـم ونهجهم، وتكـونَّ تيـار جماهيري في الأمـة متمسـك بإمامتهـم ومرجعيتهم، أخذ في الاتسـاع والانتشـار، رغم الضغـوط والعوائـق. كمـا قدموا للأمة وللبشـرية جمعـاء نموذجاً مشـرقاً فـي العمـل السياسـي الملتزم بالمبـادئ والقيـم، وحفظوا رؤية الإسـلام، ومعالـم شـرعته، مـن تأثيـر واقـع الصراعـات السياسـية المصلحية.

أحاديث

سلاح المقاطعة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ صفر ١٤٢٣هـ

قريش تفرض المقاطعة
حماية أبي طالب
تحت الحصار
انهيار المقاطعة
المقاطعة في الحاضر
دلالات المقاطعة

المقاطعة الاقتصادية سلاح قديم جديد، طالما استعمله الأقوياء الظالمون ضد الضعفاء المظلومين، لفرض إرادتهم عليهم، ودفعهم للاستسلام لهيمنتهم. وقد يشهر المظلومون هذا السلاح تجاه ظالميهم في بعض الظروف، حينما يكونون في موقعية تتيح لهم ذلك، لممارسة نوع من الضغط على الطرف الآخر.

فالمقاطعة أداة ووسيلة في ميدان صراع الإرادات، وساحات المعارك، وكأي سلاح آخر، لابد من إتقان استخدامه في مواقعه المناسبة.

قريش تفرض المقاطعة

نقرأ في السيرة النبوية: أن قريشاً فرضت الحصار والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية على بني هاشم، لالتزامهم حماية الرسول ﷺ، فقد فشلت أساليب المشركين الدعائية في الحد من انتشار دعوة الإسلام، حيث اتهموا النبي ﷺ بالجنون والسحر والكذب، ومارسوا ضده مختلف أنواع الضغوط النفسية، والإيذاء الشخصي، لكنه ﷺ كان صامداً ثابتاً، وكانت أخلاقه وصدق رسالته عامل تأثير وجذب حتى للمناوئين والمخالفين، ففي كل يوم يزداد عدد المسلمين، وتتسع رقعة الاستجابة للدين، وهناك عناصر نوعية متميزة في المجتمع القرشي

أخذت تنضم إلى صفوف المؤمنين بالدعوة، كما أن هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، واستقبال النجاشي لهم، ورفضه محاولات وفد قريش إليه لطلب طردهم، فتح أمام الدعوة أفقاً للانتشار، وحقق لها اختراقاً معنوياً وسياسياً كبيراً.

كل ذلك أثار حنق قريش وقلقها من تقدم الدعوة الإسلامية، ودفع زعماءها للتفكير بجد في التخلص من وجود النبي ﷺ، بحبسه أو التنكيل به، أو تصفيته جسدياً.

حماية أبي طالب

من المعروف تاريخياً أن النبي ﷺ ولد يتيماً، حيث مات أبوه عبدالله، وهو جنين في بطن أمه آمنة بنت وهب، والتي ماتت عنه ﷺ وهو في السادسة من عمره، وكفله عند ولادته جده عبد المطلب، ولكنه مات هو الآخر، والنبي ﷺ في الثامنة من عمره، فتولى كفالته ورعايته عمه أبو طالب شيخ البطحاء، وأبرز أبناء عبد المطلب.

وأجمع المؤرخون وكتاب السيرة النبوية، على عظيم محبة أبي طالب لرسول الله ﷺ، وتفانيه في رعايته وحمايته، منذ صغره وحتى بعثته وإعلانه الدعوة، حيث وقف أبو طالب إلى جانبه بكل ثقله ونفوذه الاجتماعي، ورفض كل مساومات قريش وضغوطها، ووضع حياته وحياة أسرته من الهاشميين تحت وطأة الضغوط والأعباء الاجتماعية والاقتصادية، دفاعاً عن رسول الله ﷺ وحريته في تبليغ الرسالة.

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه

حتى مـات أبو طالـب»[١].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول ﷺ:

«وأمـا أبـو طالـب فهـو الـذي تولـى تربيـة رسـول اللـه ﷺ مـن بعـد جـده كمـا تقـدم، ورقَّ عليـه رقـة شـديدة، وكان يقدمـه علـى أولاده. قال الواقـدي: قـام أبـو طالـب ـ مـن سـنة ثمان مـن مولد رسـول اللـه ﷺ إلى السـنة العاشـرة من النبوة أي ثلاثـاً وأربعين ـ يحوطه ويقـوم بأمره، ويذب عنـه، ويلطـف بـه. وقال أبـو محمد بـن قدامـة: كان يقـر بنبـوة النبي ﷺ، وله فـي ذلـك أشـعار، منها:

ألا أبلغـا عنـي علـى ذات بيننـا ... لؤياً وخصا من لؤي بني كعب
بأنـا وجدنـا في الكتـاب محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ في أول الكتب

ومنها:

تعلَّـم خيـار النـاس أن محمـدا ... وزير لموسى والمسيح ابن مريم
فـلا تجعلـوا للـه نـداً وأسـلموا ... فإن طريق الحق ليس بمظلم»[٢]

تحت الحصار

وقـف أبـو طالـب وخلفـه بقيـة الهاشـميين سـداً منيعـاً يحـول بيـن المشـركين وبيـن النيـل مـن رسـول اللـه ﷺ وتصفيتـه جسـدياً، وأعلـن أبـو طالـب موقفهـم الصامـد في قصيـدة مطولـة أشـبه بالبيان السياسـي، أخـذت مداهـا في الانتشـار، وصداهـا في منتديـات قريش، ومـن أبياتها:

كذبتم وبيت الله نُبزي محمدا ... ولمـا نطاعـن دونـه ونقاتـل

(١) ابن هشام: عبد الملك، السيرة النبوية، ج٢ ص٣٠، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٤م.
(٢) ابن عبد الوهاب: الشيخ محمد، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص٦٥، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤١٨هـ.

ونسلمه حتى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلهاً ليس عنه بغافل[1]

لذلك قرر زعماء المشركين فرض مقاطعة اقتصادية واجتماعية على النبي ﷺ وأسرته المحامين عنه، والملتفين حوله، بزعامة أبي طالب.

وعقدوا اجتماعاً بدار الندوة، ووقعوا ميثاقاً يلتزمون بموجبه مقاطعة بني هاشم، فلا يبتاعون منهم شيئاً ولا يبيعونهم، ولا ينكحون إليهم ولا يُنكحونهم، وأن لا يؤاكلونهم ولا يكلموهم، وكتبوا بذلك صحيفة وقّع عليها أربعون من زعماء قبائل قريش، وعلقوها في جوف الكعبة، لتأكيد التزامهم بتنفيذها. حتى يسلّم بنو هاشم رسول الله ويتخلوا عن حمايته.

فجمع أبو طالب بني هاشم- عدا أبي لهب الذي انضم إلى المشركين- وحملهم مسؤولية الدفاع عن الرسول ﷺ، وتعاقدوا جميعاً على رفض طلب قريش، والصمود أمام تآمرها.

وخرجوا من مكة ليقيموا في فسحة بين جبالها تعرف بشِعب أبي طالب، فيها بعض البيوت المتواضعة، والسقائف البسيطة.

وبث أبو طالب رجالاً منهم على نقاط مرتفعة للمراقبة والحراسة تحسباً لأي هجوم مباغت.

وبدأت المقاطعة أوائل السنة السابعة للبعثة، واستمرت ثلاثة

(١) ابن هشام: عبد الملك، السيرة النبوية، ج١ ص٣٠٩، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ.

أعـوام حتـى منتصـف شـهر رجـب مـن السـنة العاشـرة للبعثـة.

ولإحـكام الحصـار كان أبـو جهـل، والعـاص بـن وائـل، والنضر بن الحـارث بـن كلـدة، وعقبة بن أبـي معيـط، يخرجون إلـى الطرقـات التي تدخـل مكـة، فمـن رأوه معه ميـرة وطعامـاً نهوه أن يبيع بني هاشـم شـيئاً، وهـددوه بنهـب أمواله إن خالـف ذلك.

كمـا وضعـت قريـش جواسـيس علـى طريق الشِـعب حتـى لا يصل إليهـم طعام سـراً، لكـن أم المؤمنيـن خديجة عليها السـلام رتّبـت مع ابن أخيهـا حكيـم بن حـزام، وأبـي العاص بـن الربيع، وهشـام بن عمـرو، أن يسّـربوا كميـات مـن الطعام تحـت جنح الظـلام، إلـى بني هاشـم، مقابل مبالـغ طائلـة. وكانت المحـاولات تنجـح في بعـض الأحيان.

وتشـير بعـض المصادر إلى أن خديجـة وأبا طالب أنفقـا كل ثروتهما أثنـاء الحصار للتغلب علـى صعوباته[1].

بالطبـع هنـاك أربعـة أشـهر حـرم، يحترمهـا العـرب فيمـا بينهـم، وتتوقـف خلالهـا الاعتـداءات، ليأمـن حجـاج البيـت، وأسـواق الأدب والتجـارة، وهي: شـهر رجب وذي القعـدة وذي الحجة ومحـرم، فكانت فرصـة النبـي ﷺ والهاشـميين للخروج مـن الشِـعب، حتى يعـرض النبي ﷺ دعوتـه علـى النـاس، وليشـتري بنـو هاشـم مـا يحتاجـون مـن مؤن.

لكـن ضغـوط المشـركين كانت تلاحقهـم أيضاً، حيـث كان أبو لهب يصيـح بالتجـار: يـا معشـر التجـار غالـوا علـى أصحـاب محمـد حتى لا يدركـوا معكـم شـيئا، فقـد علمتـم مالـي ووفـاء ذمتـي، فأنا ضامـن أن لا

(١) السبحاني: الشيخ جعفر، سيرة سيد المرسلين، ج١ ص٥٠٧، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار البيان العربي، بيروت.

خسار عليكم. فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً وكان الوليد بن المغيرة يقول: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، حتى كان المسلم لا يكاد يجد ما يشتريه لعياله.

فعاش الهاشميون مع نسائهم وأطفالهم فترة حرجة قاسية، كانوا يعانون فيها الجوع وفقدان مختلف احتياجاتهم الحياتية، وكان أطفالهم يتضورون ويصرخون جوعا، حتى اضطر الرجال والنساء إلى أكل أوراق الشجر اليابس، ليدرأوا به غوائل الجوع.

انهيار المقاطعة

ثبات النبي ﷺ، وصمود أبي طالب عليه السلام، واستقامة الهاشميين، والأخبار التي كانت تنتشر عن معاناتهم، أحدثت ردود فعل معارضة للمقاطعة في أوساط قريش، وظهرت أصوات ومواقف تدعوا لإعادة النظر في جدوى الحصار والمقاطعة على بني هاشم.

ونزل الوحي على رسول الله ﷺ يخبره أن الإرضة (دودة بيضاء شبه النملة) أكلت جميع ما في صحيفة المقاطعة المعلقة في الكعبة، عدا كلمة (باسمك اللهم). فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب عليه السلام. فقال أبو طالب: أربك أخبرك بهذا؟ قال ﷺ: نعم.

فانطلق أبو طالب من ساعته مع عصبة من بني هاشم، باتجاه مجلس قريش، فرحبوا به ظانين أنه بصدد التفاوض على الاستسلام، والتراجع عن موقفه. لكنه فاجأهم بقوله: إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: أن الله تعالى أخبره أنه بعث على صحيفتكم دابة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم، وظلم وجور، وترك اسم الله،

فـإن كان حقـاً فارجعوا عمـا أنتم عليه مـن الظلم والجـور وقطيعة الرحم، وإن كان باطـلاً دفعـت محمـداً إليكـم لتفعلـوا به ما شـئتم، فوافقـوا على ذلـك، وتناولـوا الصحيفة مـن جوف الكعبـة فوجدوا الأمر كمـا أخبرهم.

وهكـذا انتهـى الحصـار، وفشـلت ضغوط قريـش، وخـرج النبي ﷺ وأبـو طالـب ﷺ والهاشـميون بـرؤوس مرفوعـة، ومعنويات عاليـة، رغم معاناتهم الشـديدة القاسـية.

المقاطعة في الحاضر

ولا تـزال المقاطعة الاقتصادية سـلاحاً تسـتخدمه الـدول والأمم في حـالات الصـراع والحـروب، ومع الأثـر المتعاظم للـدور الاقتصادي في العصـر الحاضـر، فإن هذا السـلاح يصبـح أكثر فعاليـة وخطورة.

وفـي أواخـر القـرن الثامن عشـر سـنة ١٧٦٥م اسـتخدم الأمريكيون فـي ثورتهـم علـى الاسـتعمار البريطانـي سـلاح المقاطعـة ضـد البضائع البريطانية.

وأثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة وضعت كل مـن إنجلتـرا والولايات المتحدة قائمة سـوداء، تشـمل الشـركات والأفراد في الأقطـار المحايدة، الذيـن يتاجرون مع العدو، ولا يسـمح للشـركات والأفـراد المدرجين في القائمة السـوداء بشـراء البضائع مـن الولايات المتحـدة أو بريطانيا. وأدى ذلـك إلـى حرمـان ألمانيـا واليابـان وإيطاليـا من الحصـول علـى البضائع التـي كان مـن الممكن أن تشـتريها لهم الأقطـار المحايدة.

وقـد مارسـت أمريـكا ولا تـزال علـى إيـران ألوانـاً مـن الحصـار والمقاطعـة الاقتصاديـة منـذ احتـلال السـفارة الأمريكيـة في طهـران بعد

انتصار الثورة الإسلامية، واستصدرت أمريكا وبريطانيا من مجلس الأمن إجراءات عقوبات تشمل الحصار والمقاطعة على ليبيا عند أزمة لوكربي، ولايزال العراق يعيش تحت الحصار منذ غزوه للكويت.

وتوجد الآن منظمات في داخل أمريكا تأسست من عام ١٩٠٩م تروج للبضائع الأمريكية فيقولون: (**Buy union buyAmerican**). إذا أردت أن تكون حليفاً فاشتر المنتج الأمريكي، وترصد قائمة بالشركات التي تنتج بضائع، أو تروج لبضائع غير أمريكية لمقاطعتها، وعندهم قائمتين: لا تشترِ، واشترِ (**Don›t buy, Do buy**)

ويستخدم اليهود سلاح المقاطعة بإتقان للضغط على مختلف الجهات لصالح مواقفهم، ولتنمية إنتاجهم وصناعتهم.

وقبل فترة وجيزة قامت وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلية بحملة لتشجيع شراء الصناعات الإسرائيلية، في مقابل شراء البضائع الأجنبية، وقال رئيس الحكومة أرييل شارون أثناء جلسة الحكومة لمناقشة الموضوع: إنني لا أفهم لماذا تكون أقلام الرصاص الموجودة على مكتبي هنا ألمانية الصنع[١].

ويضغط اليهود الأمريكيون في أمريكا على وسائل الإعلام بالمقاطعة لتكون أكثر انحيازاً لإسرائيل، ففي هذه الأيام وعلى أثر نشر بعض الصحف الأمريكية لشيء من جرائم إسرائيل في مخيم جنين، وفي قمع انتفاضة الشعب الفلسطيني، شنت المنظمات اليهودية والمجموعات المؤيدة لإسرائيل، حملة تحريض لمقاطعة تلك الصحف، ففي لوس انجلس أوقف ألف شخص اشتراكاتهم

(١) المجلة: مجلة أسبوعية تصدر من لندن، عدد ١١٦٠ص١٠ تاريخ ١١/ ٥/ ٢٠٠٢م.

فـي صحيفـة (لـوس انجلـس تايمـز) احتجاجـاً علـى مـا اعتبـروه تغطية غيـر دقيقة منحـازة للجانـب الفلسـطيني. وفي نيويـورك ناشـد الكثير من أعضـاء الجاليـة اليهوديـة القـراء بمقاطعـة صحيفـة (نيويـورك تايمـز).

دلالات المقاطعة

فـي مواجهـة العـدوان الصهيونـي البشـع، ومـع تصاعـد جرائمـه بحـق مقدسـاتنا وشـعبنا فـي فلسـطين، فـإن اسـتخدام سـلاح المقاطعـة الاقتصاديـة ضـد مؤيـدي هذا العـدوان وحماته، هـو مـن أول الواجبات، وأبسـط الجهـود التـي لا يصـح التـردد فـي القيـام بهـا.

إن الواحـد منـا إذا تعـرض لإهانـة شـخصية مـن قبـل أحـد الباعة أو التجـار فإنـه لا يفكـر أبداً فـي العودة إليـه أو التعامـل معه، وليـس بحاجة إلـى قـرار مـن حكومة، أو فتـوى من مرجـع، حتى يقاطـع بقالـة أو متجراً سـبه أو شـتمه صاحبهـا، بـل يندفـع لذلـك بـلا تـردد احترامـاً لنفسـه، وحفاظـاً علـى كرامته.

فكيـف نتـردد فـي مقاطعـة المنتجـات والبضائـع الأمريكية،مـع كل مـا يوجهـه لنـا الأمريكيـون مـن صفعـات وضربـات، تسـتهدف وجودنا وكرامتنـا وحقوقنـا المشـروعة؟

وإذا كان هنـاك نقـاش في مدى حجم الضرر الذي نسـتطيع أن نلحقه بالاقتصـاد الأمريكـي، من خـلال المقاطعـة، فإنـه لا نقاش في أنـه ينبغي لنـا أن نمتلـك إحساسـاً ومشـاعر تتأثـر بالعدوان والإسـاءة، وتنتـج ردود فعـل تؤكد في النفـس والواقـع الخارجي احترامنـا لكرامتنـا ومصالحنا.

كمـا أن مـن حقنـا أن نوصـل للأمريكييـن عبـر المقاطعـة لبضائعهم

ومنتجاتهم، رسالة تحمل انزعاجنا وغضبنا، من موقفهم الظالم المنحاز للعدوان الصهيوني.

ولا شك أن الأمريكيين يهتمون بمصالحهم الاقتصادية، و لا يستهينون بأي قدر من الخسارة، كما يفكرون في تأكيد نفوذهم، وخدمة سمعة بلادهم، بدليل توجههم أخيراً لتشكيل لجان، ووضع خطط سياسية وإعلامية، لتحسين صورة أمريكا في العالم الإسلامي.

فإذا ما تضامن المسلمون في مختلف أنحاء العالم على مقاطعة المنتجات الأمريكية، فلابد وأن يكون لذلك تأثير على دوائر صنع القرار الأمريكي.

ومن خلال المقاطعة ينبغي ترشيد الاستهلاك في مجتمعاتنا، وتشجيع الإنتاج المحلي والعربي والإسلامي، واختيار البدائل عن المنتجات الأمريكية، من الدول المتعاطفة مع قضايانا، أو المحايدة على الأقل. أما السلع والمنتجات التي لا بديل لها، أو نكون مضطرين إليها، فإن للحاجة والاضطرار أحكامها، يقول تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

ويجب أن تتطلع أمتنا إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، واللحاق بركب التقدم الصناعي والتكنلوجي، وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره»[1].

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٤ ص٤٢١، الطبعة الثالثة المصححة ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أحاديث

قلق الاختبارات

كلمة الجمعة بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٤٢٣هـ

بين الاهتمام والقلق
النتائج العكسية
الثقة والاطمئنان
دور العائلة
المدرسة والمعلم

ما إن تأتي فترة الاختبارات من كل عام، حتى يعيش الطلاب والطالبات ومعهم أُسرهم، ما يشبه حالة الطوارئ، والظروف الاستثنائية، استعداداً لمواجهة هذه المحطة المهمة في مراحل التعليم المختلفة. وذلك يعكس موقعية التعليم في حياة الإنسان المعاصر، حيث أصبح محدداً أساساً لقيمته الاجتماعية، ولتشكيل حياته المعيشية. ولأن الاختبار هو نقطة العبور من محطة تعليمية إلى أخرى، وهو بوابة التخرج إلى ميدان الحياة العامة، والتأهيل الوظيفي والعملي، ولأن معدّل الدرجات التي يحصدها الطالب، ومستوى الأداء في الاختبار يؤثر في تحديد المرحلة التالية، وفي مقدار ونوعية الخيارات والفرص المتاحة أمام الطالب المتخرج والطالبة المتخرجة، لكل ذلك من الطبيعي أن تواكب الاختبارات هذه الدرجة العالية من الاهتمام.

بين الاهتمام والقلق

وإذا كان الاهتمام بالاختبارات مطلوباً، ليكون الطالب أفضل استعداداً وقدرة على الأداء، ولتقف الأسرة خلفه مشجعة ودافعة نحو المزيد من الجد والاجتهاد. فإن المبالغة في الاهتمام تتحول إلى حالة من القلق العالي وهو أمر مضر، ويؤدي إلى نتائج عكسية.

ويبدو أن الكثير من الطلاب والطالبات وعوائلهم في مختلف المجتمعات، يعانون من درجة عالية من القلق، تنتابهم في أوقات الاختبارات، وتخلّف العديد من الآثار والمضاعفات السلبية.

وقد اهتم الباحثون وخبراء علم النفس التربوي بهذه الظاهرة، ورصد نتائجها، وخاصة على صعيد مستوى الإنجاز الأكاديمي للطلاب.

فمنذ منتصف الخمسينيات من هذا القرن وحتى الآن، أُجريت العديد من الدراسات والبحوث، في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حول موضوع قلق الاختبارات عند الطلاب، في كل المراحل التعليمية المختلفة. وحصلت دراسات قليلة محدودة حول ذات الموضوع في العالم العربي.

ووضع بعض الخبراء قياسات لتحديد درجة القلق من الاختبار، عبر طرق عديدة، ولعل استفتاءات التقرير الذاتي (**self Report**) هي أشهر تلك الطرق المستخدمة،

وهناك مقياس قلق الاختبار **TestAnxiety Inventory** من إعداد **Spielberger** وزملائه[1].

وتقدر الدراسات المختلفة في أمريكا وأوروبا أن حوالي ٢٠٪ من طلبة المدارس يعانون من قلق الاختبار، بدرجات متفاوتة، وأن ٢٠٪ من المتعلمين الذين كانوا يعانون من درجة عالية من قلق الاختبار،

(١) الطواب: سيد محمود، قلق الامتحان والذكاء والمستوى الدراسي وعلاقتها بالتحصيل الأكاديمي ص١٦١، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت المجلد العشرون، العدد الثالث، الرابع ١٩٩٢م.

تسربوا من المدرسة، بسبب الفشل الأكاديمي[١]. ويفترض أن هذه النسب تكون مرتفعة في العالم الثالث.

النتائج العكسية

إن ما يطمح إليه الطالب هو تجاوز الاختبار بنجاح، وتحقيق معدل متقدم، وهو ما تتمناه له أُسرته، والإخفاق في تحقيق هذا الطموح هو ما يوجب القلق والخوف، إن الدرجة المقبولة من القلق هي التي تبعث على المزيد من الجد والاجتهاد، والتهيؤ والاستعداد.

لكن شدة القلق والتي تعتبر حالة سلبية مرضية، تؤدي إلى نتيجة عكسية، وتوقع الطالب فيما يحذر منه، وتفوّت عليه فرصة النجاح والتقدم. لأنها تحدث عنده حالة انفعالية مصحوبة بتوتر وتحفز، وحدة انفعال، وانشغالات عقلية سالبة، تفقده القدرة على التركيز المطلوب في المذاكرة وأثناء الاختبار.

إن القلق الشديد ينبعث من ضعف الثقة بالنفس، حيث يشكك في قدرته على استيعاب المادة، أو استذكار المعلومة عند الحاجة إليها. كما تغذيه بعض الأفكار الوسواسية، والهواجس التشاؤمية، التي تجعل الطالب أمام شبح الفشل المرعب، والمصير القاتم المجهول.

وكم من طالب يكون استيعابه للمادة جيداً، وحافظته للمعلومات يقظة، وقدرته على الاستعادة والاستذكار مناسبة، لكن ارتفاع درجة القلق لديه، وانشغاله بالهواجس والمخاوف، يصيبه بنوع من الإرباك والاضطراب، فتتشتت أفكاره، وتفلت المعلومات من بين يديه، ويتردد

(١) قسم علم النفس التربوي، جامعة اليرموك، قلق الاختبار والأفكار العقلانية واللاعقلانية، مجلة علم النفس العدد ٢٦ السنة السابعة ١٩٩٢م.

فـي اختيار الإجابـات، وبالتالي يكـون أداؤه ضعيفاً سـيئاً.

إن ذات الطالـب لو أتاح لنفسـه فرصة الاطمئنان والارتياح النفسـي، ولـو سـيطر على حالـة القلق والخـوف لديه، لوجـد في قدراتـه وإمكاناته الخيـر الكثيـر، ولـو واجهتـه الأسـئلة التـي تعثّـر أمامهـا فـي موقـف الاختبـار، ضمـن حالـة طبيعيـة، لمـا رأى صعوبـة فـي تقديـم الإجابـات الصحيحـة عليهـا. لكـن سـيطرة الحالـة السـلبية عليـه أعاقتـه عن حسـن الأداء والإنجـاز.

وكمـا يتحـدث علمـاء النفـس، فـإن الإنسـان حينمـا تواجهـه مهمـة مـا، يحتاج إلـى تركيـز انتباهه، وتوجيـه طاقاته نحـو أدائهـا، وأن يتمحور اهتمامـه بـذات الأمـر المطلـوب، لكـن حالـة القلـق العالـي تنتـج لديـه اسـتجابات غيـر مرتبطة بالمهمـة المطلوبـة، وغالباً ما تكـون مركزة حول الـذات. فمثـلاً بالنسـبة للطالب فـي موقـف الاختبـار، يحتاج إلـى تركيز اهتمامـه وذهنـه حـول الأسـئلة المثـارة أمامـه، لكـن الإفـراط فـي القلق يشـغل ذهـن الطالب، بمـا يدور في أحاسيسـه ومشـاعره، فقد يجد نفسـه مسـتغرقاً فـي التفكير حول ما سـيترتب على فشـله وضعـف أدائه، وكيف سـيكون موقفـه أمـام أهلـه أو زملائه؟

وهنـاك دراسـات علميـة ميدانيـة كثيـرة، وخاصـة فـي المجتمعـات الغربيـة، اهتمـت ببيـان العلاقـة بين قلـق الاختبـار والإنجـاز الفعلي عند الطـلاب، وأكـدت الارتبـاط بيـن مسـتويات القلـق العالـي للاختبـار، وانخفـاض مسـتوى الأداء الأكاديمـي عنـد الطلاب، حيـث توصلت إلى أن الطـلاب الذيـن يعانـون مـن القلـق العالـي للاختبـار، يحصلـون غالباً علـى تقديـرات أقـل فـي هـذه الاختبـارات، مقارنـة بالطـلاب الآخريـن

ذوي القلـق المنخفـض.

وتشـير نتائـج عـدد من الدراسـات فـي هذا المجـال، إلـى أن الأفراد الذيـن يعانـون مـن درجـة عاليـة مـن قلـق الاختبـار، يقضـون كثيـراً مـن وقتهـم قبـل وخـلال الاختبـار وهم:

١. منزعجون حول أدائهم ويفكرون في أداء الآخرين.

٢. يفكـرون فـي البدائـل التـي يمكـن اللجـوء إليها فـي حالة فشـلهم فـي الاختبار.

٣. تنتابهم بشكل متكرر مشاعر العجز وعدم الكفاية.

٤. يتوقعون العقاب وفقدان الاحترام والتقدير.

٥. تنتابهم ردود فعل واضطراب فسيولوجية مختلفة.

وينتـج عـن هذا كلـه نوبات مـن الاضطـراب أو الهيجـان الانفعالي، الأمـر الـذي يعيق التركيـز والانتبـاه لمهمة الإجابـة على أسـئلة الاختبار، ويـؤدي بالتالي إلى ضعـف الأداء.

الثقة والاطمئنان

الثقـة بالنفـس والاطمئنـان هـي أهـم قـوة يتسـلح بهـا الطالـب فـي موقـف الاختبـار، فهـي التـي تمكنـه مـن اسـتيعاب مـوادّ دراسـته عنـد المذاكـرة والمراجعـة، وهي التـي تركز انتباهـه على ما يواجهه من أسـئلة الاختبـار، وتعطيـه الفرصـة لاسـترجاع المعلومات واسـتذكارها بشـكل منظـم وفـق الحاجـة إليها.

أمـا كيـف يتوفّـر الطالـب علـى هـذه الصفـة؟ وكيـف يمتلـك هـذه

القـوة؟ فـإن عوامـل عديـدة لهـا دور فـي بنـاء الشـخصية علـى أسـاس الثقـة والاطمئنـان، منهـا: التربيـة العائلية السـليمة، ومنها الثقافـة والوعي الصحيـح، الـذي يخلـق عند الإنسـان منهجيـة التعامل والتصرف السـليم فـي مختلـف الظـروف والأزمات.

وهـذا مـا تؤكده القيـم والمفاهيـم الدينية التـي تجعل الإنـسان على صلـة دائمـة بـالله سـبحانه وتعالى، هذه الصلـة تشـيع في النفـس الثقة والاطمئنـان ﴿الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَتَطْمَئِـنُّ قُلُوبُهُـمْ بِذِكْـرِ اللَّـهِ أَلاَ بِذِكْـرِ اللَّـهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُـوبُ﴾[1].

وذكـر اللـه هنـا يعنـي تلـك المنظومـة مـن القيـم والمفاهيـم التـي يؤمـن بهـا الإنسـان المسـلم، وينظـر مـن خلالهـا إلـى الحيـاة والأمـور، فيكـون موضوعيـاً فـي تفكيـره، منطقيـاً فـي حسـاباته، متحمـلاً لواجباته ومسـؤولياته، دارئـاً عـن نفسـه المخـاوف والقلـق بالتـوكل علـى اللـه، والثقـة بـه وبمـا رزقه اللـه مـن قـدرات وإمكانيات ذاتيـة عظيمـة. ويقول اللـه تعالـى: ﴿يُثَبِّـتُ اللَّـهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا بِالْقَـوْلِ الثَّابِـتِ فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَفِـي الآخِـرَةِ﴾[2] والقـول الثابـت هـو منهجيـة التفكير الصحيـح، ونمط السـلوك السـليم.

مـن ناحيـة أخـرى فإن اسـتعداد الطالـب وتهيئـه للاختبـار، باهتمامه الدراسـي طـوال العـام، ومراجعتـه الدقيقة لكل مـادة يذهـب لاختبارها، يجعلـه علـى بصيرة مـن أمره، واثقاً من نفسـه. إن مشـكلة بعـض الطلاب والطالبـات هـي التسـاهل فـي دروسـهم، وعـدم الاجتهـاد في اسـتيعابها

(١) سورة الرعد آية ٢٨.
(٢) سورة إبراهيم آية ٢٧.

أثناء الدراسة، والتسويف في المذاكرة، فيداهمهم الاختبار، وهم على غير أهبة كافية، فيضغطون على أنفسهم في وقت محدود قصير قبل الاختبار، وذلك من أهم أسباب الإصابة بحالة القلق الشديد.

ويمكن القول هنا إن حالة الطالب في موقف الاختبار، تعكس مجمل علاقته مع المدرسة والتعليم، فالطالب الجادّ المجدّ، يستقبل الاختبار بثقة واطمئنان غالباً، ويتعامل معه ضمن حالته الطبيعية، ووضعه الاعتيادي، مع درجة من التركيز والاهتمام. أما الطالب الضعيف في جديته واجتهاده، أو الذي يعاني من مشاكل في علاقته مع المدرسة والتعليم، فإنه يجد نفسه في سباق مع الزمن للمذاكرة في آخر الوقت، فيدخل قاعة الاختبار وهو غير متأكد من استيعابه للمادة، مما يجعله فريسة سهلة للقلق والاضطراب.

كما أن للظروف الحياتية التي يعيشها الطالب أيام الاختبار دوراً في استقرار حالته النفسية، فالسهر ليلة الاختبار وقلة النوم، وارتباك البرنامج الغذائي، قد يؤثر على قدرة التركيز الذهني، ويساعد على رفع مستوى القلق والتوتر النفسي.

دور العائلة

ينبغي أن تساعد العائلة أبناءها طلاباً وطالبات في تجاوز مرحلة الاختبار بثقة ونجاح، وذلك بالاهتمام المسبق الدائم بوضعهم الدراسي، فليس صحيحاً أن تغفل العائلة عن متابعة الوضع التعليمي لأبنائها، ثم تبالغ في الاهتمام فجأة عند الاختبار.

وللعائلة دور أساس في زرع الثقة في نفس الطالب - الطالبة،

وترشيد حالة القلق لتكون ضمن الوضع الطبيعي الإيجابي، وتوفير الأجواء المساعدة له على المراجعة الكافية لدروسه، وتشجيعه ليكون أكثر ثقة واطمئناناً.

وتخطئ بعض العوائل حينما تبالغ في الضغط على الأولاد فترة الاختبارات، وتواصل تحذيرهم من الرسوب، وتتوعدهم على الإخفاق، فتزيدهم قلقاً واضطراباً، وتسبب لهم أضراراً تطاول أعماق نفوسهم وتكوين شخصياتهم.

إن مستويات الذكاء تختلف من طالب إلى آخر، وليس التفوق وإحراز أرفع الدرجات أمراً متوقعاً من كل طالب، كما أن الرغبة في التعليم متفاوتة أيضاً بين الطلاب فيجب أخذ هذه الأمور بعين الاعتبار. ولا يجوز استخدام أساليب القمع والقسوة ضد الولد إذا كان قاصراً في استيعابه، أو مقصراً في اجتهاده، إلا بمقدار التوعية والتنبيه والتأديب، ضمن الحدود المعقولة، بما لا يتجاهل إنسانيته وحقوقه، ولا يدفعه إلى ردات فعل خاطئة منحرفة، تضر بحياته الشخصية، وارتباطه العائلي.

المدرسة والمعلم

المدرسة هي جهة الاتصال المباشر مع الطالب في الشأن التعليمي، وكما هي معنية بالمستوى العلمي الدراسي، فهي مؤثرة في الجانب التربوي النفسي، فمهمتها تربوية تعليمية، لذلك تطلق كثير من الدول على الوزارة المعنية بالتعليم عنوان وزارة التربية والتعليم.

والجانب التربوي هو أرضية التعليم، وهدف أساس له، واهتمام

المدرسة بالتربية يخدم الإنجاز التعليمي. ومن أجل ذلك يجب أن تسعى المدرسة لإقامة أفضل العلاقات مع طلابها، لينجذبوا إليها نفسياً، ويرتبطوا بها عاطفياً، عبر تعامل المدرسين الأبوي مع الطلاب. فالمعلم بمثابة أب للطالب، أو أخ أكبر له، وكذلك المعلمة عليها أن تشعر بالأمومة لطالباتها، والصداقة لهن، وأحوج ما يكون الطلاب إلى رعاية معلميهم هو في وقت الاختبارات.

إن هدف الاختبارات هو التأكد من استيعاب الطالب للمادة العلمية التي درسها، واهتمامه بمراجعتها، فالأسئلة التي توضع للاختبار تكون لخدمة هذا الهدف. ولا ينبغي أن يتبارى المعلمون، ويزايدوا على بعضهم بعضاً، في التشديد وتصعيب الأسئلة، صياغتها كألغاز وأحاجي، أو بطريقة تعجيزية، أو إلجاء الطلاب إلى الانهماك في حفظ النصوص والمعلومات، مع أن المطلوب في العملية التعليمية هو الفهم والاستيعاب بالدرجة الأولى.

وفي الاستعداد للاختبارات، يكون لتوجيهات المعلم وإرشاداته دور كبير في صنع الحالة النفسية للطلاب، فهو الذي يشجعهم على الاهتمام الإيجابي، وينمي فيهم روح الثقة، وأجواء الاطمئنان، وينزع عنهم هالة الرعب والقلق.

وخطأ ما يقوم به بعض المدرسين، من التهويل والتهديد لطلابهم قرب الاختبارات، وهم يقصدون بذلك دفعهم أكثر للاهتمام، لكن الأسلوب الخاطئ غالباً ما يعطي نتيجة خاطئة.

وفي قاعة الاختبار يجب أن تتجلى رعاية المعلم وحنوه على الطالب، فهو في لحظة حساسة، يحتاج فيها إلى العون والدعم، الذي

يوفر له الاطمئنان والاستقرار، ويشيع في نفسه روح الثقة، فيصبح أكثر ارتياحاً وتركيزاً. والعون الذي نقصده من المعلم هو الخلق الطيب، والتعامل الهادئ، والتشجيع ورفع المعنويات.

إن بعض المعلمين يدخل على الطلاب في قاعة الاختبار كضابط عسكري، أو كمحقق يواجه متهمين، وذلك بحجة تطبيق القانون والتعليمات، فيتعامل بقسوة وشدة، ويسيء الظن في أقل حركة من الطالب، وينشر أجواء الرعب والخوف، وكل ذلك مضر بمصلحة الطلاب، ومخالف لأساليب التربية الصحيحة، والتعليم السليم.

فتطبيق القانون والتعليمات أمر مطلوب ولكن بروح طيبة، وأخلاق سامية، وكلما توفرت للطالب في قاعة الاختبار أجواء الراحة والاطمئنان، كان أداؤه أفضل، وإنجازه أحسن. لذلك توصي الدراسات التربوية التعليمية بأن لا ترتبط طريقة الاختبارات وإجراءاتها ونظمها بأساليب تبعث على الرهبة والخوف.

ونشير هنا إلى حاجة الطالبات بشكل خاص إلى حسن الرعاية وقت الاختبار، فهنّ أكثر عرضة لقلق الاختبار من الذكور، كما استنتجت دراسات عديدة، ومشاعرهن أرقّ وأرهف، لذلك تنشر الصحف كل عام، عن حالات من الإغماء والإعياء تقع في صفوف الطالبات، أثناء الاختبارات، ويبدو أن إمكانية القسوة والشدة في التعامل مع الطالبات أكثر منها مع الطلاب، مما يغري بعض المعلمات بممارسة ذلك الأسلوب، وهو ظلم وانحراف عن أساليب التعليم والتربية السليمة.

نسأل الله تعالى لطلابنا وطالباتنا التوفيق للجد والاجتهاد، وأن

يبعد عنهم القلق والاضطراب، ويمنحهم الثقة والاطمئنان، ليؤدوا اختباراتهم بنجاح وتفوق، إنه سميع مجيب.

أحاديث

تنمية العلاقات الاجتماعية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ

العلاقات وحركة المجتمع
ثقافة التسامح والتقارب
المفاهيم الدينية الاجتماعية
مؤسسات للتنمية

ملحوظ أن مستوى العلاقات الاجتماعية قد سجل تراجعاً وانخفاضاً عما كان عليه قبل زمن ليس ببعيد في مجتمعاتنا.

فقد كان الناس أقرب إلى بعضهم، وأكثر اهتماماً ببعضهم بعضا، حيث بساطة الحياة، وتداخل المصالح، ومحدودية الاهتمامات، والأجواء الدينية الدافعة إلى التواصل والتراحم.

أما الآن فقد أوجبت ظروف الحياة نوعاً من التباعد، حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، في سكناهم ومواقع أعمالهم، واستقلّ كل فرد بمصالحه وترتيب أمور حياته.

كما تعددت الاهتمامات، وزادت الانشغالات، فمتطلبات الحياة كثيرة، وجهات الاستقطاب والاجتذاب متعددة، من إغراءات مصلحية، ووسائل إعلامية، ومجالات ترفيه.

ثم إن الأجواء الدينية والأعراف والتقاليد، التي كانت تشدّ الناس إلى بعضهم بعضا، وتشعرهم بالمسؤولية والالتزام المتبادل في علاقاتهم الاجتماعية، قد تقلصت وتضاءل تأثيرها، بسبب هيمنة النوازع المصلحية، والاهتمامات الذاتية، حتى أصبحنا نواجه ظواهر غريبة، من الجفاء والقطيعة حتى بين الأقارب والأرحام، وتُتناقل

بعض القصص المثيرة عن تنكّر أبناء لآبائهم وأمهاتهم، يودعونهم دور رعاية المسنين، أو يتركونهم في المستشفيات، ولا يقومون حتى بزيارتهم أو تفقّد أوضاعهم!!

قبل فترة نشرت جريدة (الوطن) الخبر التالي:

أمضت امرأة مسنة في الرياض عيد الأضحى المبارك وحيدة ودون زيارة، ليمر عليها العيد الثاني عشر وحيدة وبعيدة عن أسرتها. . وكانت السيدة (ن . ف) وعمرها ٧٠ عاماً قد دخلت المستشفى عام ١٩٩٦م بسبب جلطة في الرأس وضغط وسكر، وظلت في العناية المركزة منذ ذلك الحين، مع أن حالتها لا تستدعي سوى الرعاية المنزلية، لكن عدم مراجعة ابنها وأسرتها حال دون خروجها، وقد أصيبت من جراء مكوثها الطويل في المستشفى بداء المستشفات جرثومة (كـْ) وأنها تحتاج إلى التقليب كل ساعتين، حتى لا يسبب لها السرير والنوم على الظهر تقرحات في الجسم، وعلم أن ابنها الذي يعمل موظفاً في إحدى الإدارات الحكومية وكذلك أسرتها لم يراجعوها أو يزوروها منذ دخولها المستشفى، ولا حتى الأعياد. . وتشهد دور الرعاية الاجتماعية حالات مشابهة من إهمال الأسرة والأهل لمسنين فقدوا الأمل في أبنائهم وأسرهم[1].

وفي تقرير لجريدة (اليوم) حول هذا الموضوع يذكر مراسلها عن طبيب في أحد مستشفيات الأحساء أن مريضاً مسناً يرقد في المستشفى لسنوات طويلة، ولا يزوره أحد، أو حتى يسأل عنه، وذات مرة فوجئنا بمعاملة إدارية، يطلب فيها أحد أبناء المريض ولاية على

(١) الوطن.: جريدة يومية سعودية، العدد ٥١٤ بتاريخ ٣، ١٢، ١٤٢٢هـ.

والـده، ليتصـرف في بعـض أملاكـه !![١]

ونشـرت مجلـة (الشـرق) تحقيقـاً عـن المجمـع الصحـي التابـع لجمعيـة سـيهات للخدمـات الاجتماعيـة، تحـت عنـوان: (فـي مجمـع النسـيان) تحدثـت فيـه عن حـالات عديـدة لمرضـى ومسـنين ومعوقين، تمـزق نفوسـهم الحسـرات علـى لقاء أحـد من أهاليهـم وأقاربهـم، فأحد نـزلاء قسـم النفسـية بالمجمـع مضى عليـه ١٨ عاماً لم يشـاهد فيهـا أحداً مـن أهلـه، وامـرأة مسـنة توفيـت بالحسـرة لعـدم زيـارة أهلهـا لهـا، بعـد رميهـا مـن قبلهـم فـي المجمـع، وحتـى بعـد وفاتهـا لـم يأتـوا لاسـتلام جثتهـا إلا بعـد ثلاثـة أيـام !!، وتكثـر مثـل هذه الحالات في قسـم النسـاء بالمجمـع[٢].

وفـي نفـس السـياق هناك حـالات مرعبـة من إهمـال بعـض العوائل لأبنائهـا ومن حـدوث وتصاعـد في جرائـم العنـف العائلي.

أمـا العـداوات والنزاعات وحـالات القطيعة بين الإخـوة والأقارب، فضـلاً عـن الآخريـن، فهي في زيـادة مطـردة، وأغلبها لأسـباب ومبررات بسـيطة غيـر مهمة. إن مثـل هـذه الظواهر، مؤشـرات خطيرة علـى تراجع مسـتوى العلاقـات، وانخفـاض درجة الحـسّ الإنسـاني فـي مجتمعاتنا. كمـا أن العلاقـات بيـن التيـارات والتجمعـات والعناصـر الفاعلـة فـي المجتمـع، ليسـت علـى مـا يـرام، بـل تكتنفهـا غالباً حـالات مـن التباعد والخصام.

(١) اليوم: جريدة يومية، الدمام، العدد ٨٦٤١ بتاريخ ٣، ١٠، ١٤١٧هـ.
(٢) الشرق: مجلة أسبوعية، الدمام، العدد ١٠٢٤.

العلاقات وحركة المجتمع

إن مستوى العلاقات داخل أي مجتمع من المجتمعات ليس مسألة كمالية جانبية، بل هي عنصر أساس في تقرير وضع المجتمع، وتحديد مكانته وحركة مساره. فإذا كانت شبكة العلاقات الاجتماعية سليمة صحيحة، كان المجتمع مهيأً للتقدم والانطلاق. وعندما تسوء حالة العلاقات داخل المجتمع، فستنعكس على مجمل أوضاعه تخلفاً وانحطاطاً.

لذلك فإن أي حركة نهوض لا يمكنها أن تغفل شأن العلاقات الاجتماعية، فهي أرضية الانطلاق، ومحفِّز الإنتاجية والتقدم.

وحينما انبثقت دعوة الإسلام في أرض الجزيرة العربية، فإنها ركّزت على إعادة صياغة العلاقات داخل المجتمع العربي، لانتشاله من حالة الصراعات القبلية، والنزاعات المصلحية، ونمط العلاقات الجاهلية المتخلفة.

وفي حديث القرآن الكريم عن عملية التحول الحضاري الإسلامي في المجتمع العربي، يتناول التغيير في شكل العلاقات الاجتماعية، كأهم إنجاز حققته الدعوة، وكان مقدمة لنجاة العرب وخلاصهم من الجاهلية والتخلف، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[1].

فالآية الكريمة تذكّر المسلمين بأهم نعمة أسبغها الله عليهم،

(١) آل عمران آية ١٠٣.

وهي تغيير نمط علاقاتهم، من حالة التنافر والعداء، إلى مستوى الأُلفة والأخوة، فتمكنوا بذلك من تجاوز واقع السقوط والانحطاط، وأصبحوا أمة ذات رسالة وحضارة.

ويتكرر الحديث في الآية الكريمة عن تلك النعمة مرتين: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . . فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. كما ينسب الله تعالى إلى نفسه إنجاز مهمة التأليف بين قلوبهم ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ لتعظيم هذه المهمة، ولأن برامج الوحي الإلهي وتوجيهاته، هي التي رفعتهم ونقلتهم إلى هذا المستوى المتقدم من الارتباط، والعلاقات الإيجابية.

وكانت المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، نقطة انطلاق للمجتمع الإسلامي الجديد في المدينة المنورة بعد الهجرة، فقد جاء المهاجرون المسلمون من مكة إلى المدينة كضيوف غرباء، تخلوا عن عشائرهم وأهاليهم وأموالهم، وهاجروا في سبيل الله لخدمة الدين الحنيف، فاستقبلهم الأنصار أهل المدينة بحفاوة وترحيب، انطلاقاً من هدي الإيمان، وحب الرسول ﷺ، ولتوثيق عرى الارتباط والتماسك في هذا المجتمع الجديد، أعلن الرسول ﷺ مبدأ الأخوة الإيمانية، ثم وضع صيغة عملية تتمثل في المؤاخاة بين كل واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار.

قال ابن إسحاق: «وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وأمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير

ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وعم رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ أخوين. . . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير، أخوين. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبان بن مالك أخوين. . . »[١].

وروى البخاري عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أُطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلُّوه على سوق بني قينقاع.. [٢].

وحينما نقرأ الثورة الفرنسية، كطليعة للتغيير في أوروبا، نجد أن مسألة العلاقات داخل المجتمع، كانت في الصميم من اهتماماتها، ومن أولويات برامجها، ويتجلى ذلك في وثيقة حقوق الإنسان، التي أقرتها الجمعية الوطنية الفرنسية، أثناء الثورة الفرنسية، في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م.

ومجتمعاتنا اليوم، وهي تتطلع للنهوض والتقدم، في حاجة ماسّة للاهتمام بإصلاح شبكة علاقاتها الاجتماعية، بعدما أصابها الكثير من العوارض، مع تطورات الحياة المعاصرة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٢ ص١١٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٤م.

(٢) البخاري: محمد بن إسماعيل،صحيح البخاري حديث رقم ٣٧٨٠، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

إن سلامة العلاقات الداخلية، تنعكس إيجاباً على مختلف جوانب حياة المجتمع، فحركة المعرفة والفكر، تتقدم في ظل أجواء الحرية والتسامح، وأخلاقيات الحوار، واحترام الرأي.

والنشاط الاقتصادي يترعرع وينمو على أرضية التعاون وتظافر القوى والقدرات.

ومكانة المجتمع تتعزز في أنظار الآخرين حينما يكون أكثر تماسكاً وانسجاماً.

والحالة النفسية لأبناء المجتمع، تكون أبعد عن الأزمات والعقد والأمراض، حين تصفو العلاقات، وتتقارب النفوس.

وهكذا تكون سلامة العلاقات هي الطريق إلى مجتمع أفضل.

ومن هنا تبرز أهمية السعي، وبذل الجهد، من أجل تنمية العلاقات الاجتماعية.

ثقافة التسامح والتقارب

في أجواء التخلف والركود الاجتماعي، تسود بعض الأفكار والثقافات السلبية، التي تخلق عزوفاً عند الناس عن بعضهم البعض، وتقيم بينهم الحواجز والسدود، وتعبّئ كل طرف ضد الآخر.

ومن أجلى مصاديق تلك الأفكار: النظريات العنصرية، التي تزعم تفوق عنصر من البشر على غيره، فتزرع عند أبنائه الشعور بالرفعة والتعالي، وتدفعهم نحو الهيمنة والسيطرة على الآخرين، أو انتقاصهم وازدرائهم، مما ينتج وبشكل طبيعي رد فعل رافض عند الطرف الآخر. فيعيش الطرفان حالة عداء ونزاع لا تنتج إلا المآسي والدمار.

ومن قبيلها ثقافة التعصب القومي، التي تستبطن الغض من شأن سائر القوميات، أو التنكر لشيء من حقوقهم وأدوارهم.

وكذلك ثقافة التعصب الديني والمذهبي، التي تدفع أصحابها نحو فرض توجهاتهم ووصايتهم على الآخرين، أو ممارسة العدوان تجاههم، وتجاهل حق الحرية والاختيار الذي منحه الله تعالى لبني البشر، في متبنياتهم الدينية والفكرية، قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وهكذا كل أنواع العصبيات من قبلية وحزبية وغيرها.

إن من حق كل إنسان أن يعتز بانتمائه وهويته، ومقتضى ذلك أن يعترف للآخرين بنفس الحق، مع الاحترام المتبادل للحقوق وعدم العدوان.

وما أحوج مجتمعاتنا إلى ثقافة التأكيد على حقوق الإنسان، والتي تحتل مساحة واسعة من الفكر الإسلامي، والتعاليم الدينية، بيد أن خضوع مجتمعاتنا لحالات من الاستبداد الديني والسياسي والاجتماعي، أضعفت حضور هذا الجانب الهام من ثقافتنا الإسلامية، إلى حد التغييب والإلغاء، حتى أصبح يُنظر إلى موضوع حقوق الإنسان، وكأنه طرح دخيل جاءنا من الغرب، ومن مفردات الغزو الثقافي.

من ناحية أخرى فإن استغراق الإنسان المعاصر في مشاكل الحياة ومتطلباتها وإغراءاتها، يجعله أقل ميلاً واهتماماً بالاقتراب من الآخرين والتواصل معهم. فلا بد من ثقافة تلفت الإنسان إلى عضويته في المجتمع، ومسؤوليته تجاهه، وأن تواصله الاجتماعي

مظهـر لإنسـانيته، ونافـع لـه فـي دنيـاه وآخرتـه.

المفاهيم الدينية الاجتماعية

كل متأمـل لمفاهيـم الديـن وتشـريعاته، يـدرك موقعيـة الجانـب الاجتماعـي وأولويتـه، فعلاقة الإنسـان مع أبناء جنسـه ومجتمعه، ليسـت مسـألة هامشـية جانبية، بـل هي أصل أسـاس في أهـداف الديـن وغاياته، ولـو اسـتقرأنا آيـات القـرآن الكريـم، لوجدنا القسـط الأكبـر منهـا متعلقاً بهـذا الجانب.

وفـي آيـات عديدة مـن القرآن الكريـم، يأتي الأمر بحسـن العلاقة مع الآخريـن رديفاً للأمـر بعبادة الله تعالى. يقـول تعالى: ﴿وَاعْبُـدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْـرِكُوا بِـهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـانًا وَبِذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبَـى وَالْجَـارِ الْجُنُـبِ وَالصَّاحِـبِ بِالْجَنْـبِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ وَمَـا مَلَكَـتْ أَيْمَانُكُـمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَـنْ كَانَ مُخْتَـالاً فَخُورًا﴾.[١]

ويقـول تعالـى: ﴿وَقَضَـى رَبُّـكَ أَلاَّ تَعْبُـدُوا إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَـانًا﴾[٢].

ويقـول تعالـى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُـدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِـنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَـدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُـوا النَّاسَ أَشْـيَاءَهُمْ﴾[٣].

وفـي النصـوص والأحاديـث، نجـد عـدداً هائـلاً منهـا يربـط بيـن الإيمـان والعلاقـة الإيجابيـة مـع الآخريـن.

---

(١) سورة النساء آية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٣) سورة الأعراف آية ٨٥.

كما روي عنه ﷺ أنه قال: «المؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم».[١]

وعنه ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس».[٢]

وعنه ﷺ: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».[٣]

ونجد في المفاهيم والتعاليم الدينية مفردات كثيرة ترتبط بالجانب الاجتماعي، كصلة الرحم، والبر بالوالدين، وحسن الجوار، وإصلاح ذات البين، وقضاء الحوائج، وحسن الأخلاق، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وعيادة المريض. . .

إن هذه المفاهيم والتعاليم بحاجة إلى إثارة وتفعيل أكثر في واقع الحياة الاجتماعية، وإلى تقديم برامج عملية لتجسيدها وممارستها بصيغ جديدة ومناسبة.

مؤسسات للتنمية

مصطلح التنمية أصبح محوراً في جميع العلوم الإنسانية وتطبيقاتها فهناك تنمية اقتصادية وتنمية ثقافية وتنمية سياسية. . ويقصد بالتنمية وجود خطط تشق طريقها للتنفيذ من أجل تحقيق تطور وتقدم في ذلك المجال.

والعلاقات الاجتماعية بما لها من أهمية كبيرة، وما يعترضها

---

(١) الهندي: علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال، حديث رقم ٧٤٨، الطبعة الخامسة ١٩٨٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم ٦٧٩.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم ٧٣٨.

من عوائق وعقبات، ويعتريها من تصدعات، تستحق أن تخصص لها إمكانيات وجهود، ضمن مؤسسات ترصد حال العلاقات في المجتمع، وتشخص أوضاعها وتطوراتها، وتضع الخطط والبرامج لتنميتها وتطورها.

ففي المجتمعات المتقدمة تقوم مؤسسات تعنى بالدراسات والأبحاث الاجتماعية، وتتابع الظواهر المستجدة عبر لغة الأرقام والبيانات، وتصدر تقاريرها وتوصياتها، التي يهتم بها المعنيون بالشأن الاجتماعي.

بينما لا زلنا نعتمد في تقويمنا للأوضاع الاجتماعية على الملاحظات العابرة، والتقديرات العامة، التي تتأثر بالنظرات الشخصية، والأجواء المحيطة. ولعل ذلك هو سبب ما نسمعه من تضخيم لبعض القضايا، وإهمال للبعض الآخر، كما أن التوجيه الديني والثقافي عندنا لا يتوفر على دراسات ومعلومات ينطلق منها في تحديد الأولويات، ومعالجة المسائل. فيبقى ضمن دائرة الجهود الفردية، والطروحات العمومية.

إن الرصد العلمي للأوضاع الاجتماعية، مهم جداً، لتقدير حجم كل ظاهرة أو مشكلة، ولمعرفة مؤشرات حركة المجتمع، ودلالاتها السلبية والإيجابية.

فكيف هي حال العلاقات الأسرية في ظل متغيرات الحياة؟

وما هو مستوى العلاقة بين الفئات والجماعات المتمايزة في انتماءاتها الفكرية أو السياسية؟

وما هو مدى انفتاح المجتمع على المجتمعات المحيطة به؟

وما هي درجة الاهتمام بالشرائح الضعيفة من المجتمع كالفقراء والأيتام والمعوقين؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات وأمثالها، هي من مهام مراكز المعلومات والبحوث والدراسات، التي لا يستغني عنها مجتمع معاصر.

وبعدها يأتي دور مراكز التوعية والتوجيه الثقافي التي تضع البرامج الفكرية والإعلامية حسبما تقتضيه خطط التنمية للعلاقات الاجتماعية.

وأخيراً لا بد من جهود عملية يقوم بها الخيّرون المصلحون لمعالجة أي خلل في العلاقة بين مختلف أطراف المجتمع.

أحاديث

الحـــوار والإقناع..
مشاهد من السيرة النبوية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤٢٣هـ

الاتهام بالجنون
يستأذن في الزنا
الحوار مع الداخل
عطاياه من غنائم حنين
حوار مع الأنصار
المنهج السليم

إنما يؤمن الإنسان بفكرة إذا اقتنع بها، أو توفّر في نفسه انشداد إليها، أما الفرض والإكراه، فأثره معدوم في مجال تثبيت الأفكار والقناعات، وغاية ما ينتجه التظاهر بالاقتناع والقبول، مع استقرار حالة الرفض والممانعة الداخلية، كما يقول تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1].

وكذلك لا يندفع الإنسان إلى عمل أو حركة، إلا إذا امتلك الرغبة في ذلك، ورأى فيه مصلحة وكسباً لذاته، معنوياً أو مادياً.

ومن يسعى لنشر فكرته في أوساط الآخرين، ويهمه استجابتهم لدعوته، عليه أن يبحث عن منافذ التأثير على نفوسهم، وطرق الوصول إلى عقولهم، ليضمن اقتناعهم وقبولهم بفكرته ودعوته.

ولأن الله سبحانه وتعالى يريد من عباده إيماناً صادقاً، فقد ترك لهم حرية الاختيار، ومنحهم العقل والإرادة، وجعل وظيفة أنبيائه التذكير والتبليغ، ولم يسمح لهم بممارسة أي لون من ألوان الفرض والإكراه.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦.

أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[٣].

لقد زوّد الله تعالى أنبياءه بأعلى قدرة وكفاءة ممكنة، ليقوموا بدور تبليغ الرسالة، عن طريق إثارة العقول، وجذب النفوس، ليكون إيمان الناس بها عن قناعة ورضى واطمئنان.

فأنبياء الله تعالى يمتازون بالقدرة على طرح دعوتهم الإلهية، ببيان واضح، يخاطب العقل، ويوافق الفطرة، ويحرّك النوازع الخيّرة في النفس. وهو البلاغ المبين.

كما يتحلّون بسعة الصدر، ورحابة الأخلاق، وصدق المحبة للناس، فيصبرون على الأذى، ولا ينفعلون أمام الإساءات، ويتحملون جهل الجاهلين، وتصرفات المعاندين. وتلك صفات مساعدة على النجاح في الدعوة.

ونبينا محمد ﷺ هو في القمة من هذه الخصائص والصفات، فهو أفضل الأنبياء، وسيد المرسلين، قام بأعباء الدعوة إلى الله تعالى في مجتمع غارق في الوثنية والشرك، خاضع للعصبيات القبلية، نشأ أبناؤه على الاعتزاز بالذات والقبيلة، مما جعلهم صعبي المراس، يستعصون على الإخضاع والانقياد.

لكن جهود النبي ﷺ، وكفاءته العظيمة، نجحت في استقطابهم

(١) سورة يونس آية ٩٩.
(٢) سورة الغاشية آية ٢١،٢٢.
(٣) سورة النحل آية٣٥.

للدعـوة الإلهيـة، وخلقـت منهـم أمـة إسـلامية رائـدة، تحمل رسـالة الله إلـى شـعوب الأرض.

فكيف تحقق ذلك؟

لـم تكـن لرسـول اللـه ﷺ عنـد بعثتـه قـوة عسـكرية قبليـة، تفـرض دعوتـه علـى قبائـل العـرب، بـل كان فـي موقـع ضعـف واضـح، ويكفي أن قريشـاً فرضـت عليـه وعلـى أسـرته الحصـار والمقاطعـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة ثـلاث سـنين. . ولـم تكـن له ثـروة يسـتميل بهـا الزعامات والعشـائر، بـل كان يتيمـاً فقيـراً أسـعفته أموال زوجتـه خديجة في تسـيير أمـور حياته،لكنـه نجـح فـي اسـتمالة النفـوس بعظيـم أخلاقه، واسـتطاع كسـب العقـول بفصاحـة بيانـه، وقـوة حجتـه، وحسـن منطقه.

سـلك رسـول اللـه ﷺ طريـق البـلاغ المبيـن، وأسـلوب الحـوار الهـادئ، ونهـج الإقنـاع الصـادق. ومـن يقـرأ سـيرته الكريمـة، ويتأمـل تخاطبـه وتعاملـه مـع النـاس، في طـرح دعوتـه ورسـالته، يندهـش لتلك القـدرة الفائقـة، والأدب الرفيـع، وكمـا وصفه اللـه تعالى بقولـه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

ونلتقـط مـن سـيرته العطرة بعـض الصور والمشـاهد، عـن حواراته، ومنهجـه في إقنـاع الآخرين برسـالته ومواقفه الشـرعية، لتكون نبراسـاً لنا في طريـق الدعوة إلـى اللـه، والتعامل مـع الآخرين.

الاتهام بالجنون

كان مـن التهـم التي أثارها المشـركون على رسـول اللـه ﷺ، لينفروا النـاس عنـه، أن رمـوه بالجنـون، وأنـه أصابـه مسّ مـن الجن، فمـا يدعيه

من الرسالة والنبوة هو نتيجة اختلال عقلي ونفسي. يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وجاء الحارث بن كلدة الثقفي، وهو طبيب مشهور يعالج الأمراض الجسمية والنفسية، إلى رسول الله ﷺ، قائلاً: يا محمد جئت أداويك من جنونك، فقد داويت مجانين كثيرة فشفوا على يدي!!

إنه موقف مثير مزعج، أن يُواجه الإنسان بالاتهام في عقله، وفي استوائه النفسي، لكن الرسول ﷺ، لم يسيطر عليه الانفعال، ولم يجابه الموقف بالشدة والرفض، بل أدار مع الحارث بن كلدة حواراً هادئاً صريحاً، حيث قال له: أنت تفعل أفعال المجانين وتنسبني إلى الجنون؟

والملاحظ هنا أن الرسول ﷺ لم يبادله الاتهام بالجنون، فلم يقل له إنك أنت مجنون، بل قال: تفعل أفعال المجانين.

قال الحارث: وماذا فعلته من أفعال المجانين؟

قال ﷺ: نسبتك إياي إلى الجنون من غير امتحان منك، ولا تجربة، ولا نظر في صدقي أو كذبي!!

قال الحارث: أو ليس قد عرفت كذبك وجنونك بدعواك النبوة التي لا تقدر لها؟

قال ﷺ: وقولك لا تقدر لها فعل المجانين، لأنك لم تقل: لم قلت كذا؟ ولا طالبتني بحجة فعجزت عنها.

قال الحارث: صدقت أنا أمتحن أمرك بآية أطالبك بها. وطلب

(١) سورة القلم آية ٥١،٥٢.

مـن الرسـول ﷺ معجـزة تـدل علـى صـدق نبوتـه، فأجـاب الرسـول ﷺ طلبـه، فأسـلم فـوراً علـى يد رسـول اللـه ﷺ[١].

يستأذن في الزنا

الزنـا عمل قبيح حرّمته كل الشـرائع السـماوية، واعتبره الإسـلام من أسـوأ الفواحـش، قـال تعالـى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَـى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَـةً وَسَـاءَ سَـبِيلاً﴾ وقـرر الإسـلام عقوبـة رادعة لمـن يثبت عليـه اقترافـه، وهذا من أوائل التشـريعات الإسلامية.

لكـن السـيرة النبويـة تحدثنا أن غلاماً شـاباً جـاء إلى رسـول الله ﷺ وهـو جالـس وسـط جماعـة من أصحابـه، فقـال: يا رسـول الله إئـذن لي فـي الزنا!

فاسـتنكر الحاضـرون منـه هـذا الطلـب الشـاذ، وصاحوا بـه: مه. أي اسـكت ودع مثل هـذا الكلام السـيئ.

فلـم يـرض رسـول اللـه ﷺ بمجابهتهـم لـه، فالشـاب يعيـش ضغطاً غريزيـاً داخليـاً، وهـو غيـر ملتفـت إلـى كل مـا يترتـب علـى الزنـا مـن مسـاوئ وأضـرار، فـلا بـد من توجيهـه برفـق، لإقناعـه بالابتعـاد عن هذا العمـل الحرام.

تقـول الروايـة: إنـه ﷺ دنا منه وأقبـل عليه يحـاوره بهـدوء، وقال له: أتحب الزنـا لأمك؟

أجاب الغلام: لا

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج١٧ ص٣١٦، الطبعة الثالثة المصححة ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لأختك؟

قال: لا

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. أتحبه لابنتك؟

قال: لا

قال ﷺ: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك. ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدر الغلام الشاب، ودعا له قائلاً: اللهم كفّر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه.

يقول الغلام: فقمت وما على وجه الأرض عمل أبغض وأكره إلى نفسي من الزنا[1].

الحوار مع الداخل

موقعه الديني والسياسي كنبي قائد، يخوّل له اتخاذ ما يراه مناسباً من القرارات، وخاصة في ساحة المعركة العسكرية، التي يمارس فيها القائد عادة صلاحياته الكاملة.

حيث يفترض أن يتعامل المسلمون مع رسول الله ﷺ باعتباره يستوحي أوامره ومواقفه من الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ! إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[2]، ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3].

(١) الطبراني: المعجم الكبير ج٨ ص١٨٣، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
(٢) سورة النجم آية ٣-٤.
(٣) سورة الحشر آية ٧.

لكـن الرسـول ﷺ لـم يعتبـر هـذه الموقعيـة مبـرراً لتجاهـل وتجاوز آراء صحابتـه المحيطيـن بـه، فقد أمـره الله تعالى بالتشـاور معهـم، يقول تعالـى: ﴿وَشَـاوِرْهُمْ فِـي الأَمْـرِ﴾[1]، وكان مـن أكثـر النـاس مشـاورة لأصحابـه مـع وضـوح القضايا أمامـه، وعدم حاجتـه إلـى رأي الآخرين، لكنـه يريـد إرسـاء هـذه المنهجيـة، وتثبيـت القناعـة والاطمئنـان بمواقفه فـي النفوس.

روى سـعيد بـن منصـور وابن المنـذر عن الحسـن في الآيـة الكريمة ﴿وَشَـاوِرْهُمْ فِـي الأَمْـرِ﴾، قـال: قـد علم اللـه أن ما بـه إليهم مـن حاجة، ولكـن أراد ليسـتن به مـن بعده.

وروى ابـن جريـر وابـن خيثمـة عـن قتـادة قـال: أمر اللـه تعالـى نبيه ﷺ أن يشـاور أصحابـه ــ رضي اللـه تعالى عنهـم- في الأمور، وهـو يأتيه الوحـي مـن السـماء، لأنـه أطيـب لأنفـس القـوم، وأن القـوم إذا شـاور بعضهـم بعضـاً، وأرادوا بذلك وجـه الله تعالـى عزم عليهم على أرشـده.

وروى ابـن أبـي حاتـم والخرائطـي عن أبـي هريرة قال: مـا رأيت من النـاس أحـداً أكثر مشـورة لأصحابه من رسـول الله ﷺ[2].

وإذا حصـل اعتـراض مـن بعض أصحابـه على قـرار من القـرارات، أو موقـف مـن المواقـف، لـم يكـن ﷺ يشـهر أمامهـم سـلاح الإلـزام بالخضـوع لأمـره، كمـا هـو مقتضـى إيمانهـم بـه، ولا كان يتهـم نواياهم تجاهـه، بـل كان ينفتـح عليهم، ويصغـي لاعتراضاتهـم، ويتقبـل عتابهم، ويحاورهـم بـكل محبـة وشـفافية، حتـى يتضح لهـم الصـواب، وتطمئن

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٢) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٩٨.

نفوسهم بما فعله ﷺ.

عطاياه من غنائم حنين

وأمامنا كنموذج لنهج النبوة، ما حصل في أعقاب غزوة حنين، حول عطايا رسول الله ﷺ من الغنائم، لزعماء قريش حديثي الإسلام، وعتاب الأنصار على ذلك، وكيف تعامل رسول الله ﷺ مع ذلك الموقف؟

بعد فتح مكة في شهر رمضان سنة ٨ هـ، حشدت قبائل (هوازن) عشرين ألف مقاتل للزحف على مكة، ومواجهة الإسلام والمسلمين، وهوازن من أعظم القبائل وأكثرها خطراً في الجزيرة العربية، بعد قريش، وقد أقلقها هزيمة قريش أمام المسلمين، ورأت نفسها في موقع التهديد والخطر، لذلك بادر زعيمها مالك بن عوف لإعلان الحرب على المسلمين، وعبأ جيشه، وألزم كل واحد منهم أن يُخرج معه أهله وماله، ليكون الجنود أكثر حماساً في المواجهة، وعلى أثر ذلك تحرك الرسول ﷺ بجيشه من مكة، لمواجهة هوازن، وحدثت المعركة في وادي حنين، في شهر شوال سنة ٨هـ، وكان عدد جيش المسلمين ١٢ ألف مقاتل، وأصيب الجيش الإسلامي بنكسة في بداية المعركة، بسبب كمائن جيش هوازن، لكن ثبات رسول الله ﷺ والثلة التي صمدت معه، أعادت المبادرة بيد المسلمين، وانتصر الجيش الإسلامي بعد شدة وعناء، وتحصّل على غنائم كثيرة، لأن مقاتلي هوازن دخلوا المعركة بكل أموالهم وممتلكاتهم، وذكر المؤرخون من أرقام الغنائم ٢٤٠٠٠ بعيراً، و٤٠٠٠٠ شاة، وكمية كبيرة من الفضة.

وقسم رسول الله ﷺ الغنائم بين المقاتلين لكل واحد من المشاة

سـهم واحـد، هـو أربعـة مـن الإبـل، أو أربعـون من الغنـم، ولـكل واحد مـن الفرسـان ثلاثة أسـهم، هي اثنا عشـر من الإبـل، أو مئة وعشـرون من الغنم.

وحسـب التشـريع الإسـلامي فإن خمس الغنيمة يكـون تحت صرف رسـول الله ﷺ، فكان مقـدار الخمس ٤٨٠٠ بعيراً، و٨٠٠٠ شـاة.

هنـا رأى رسـول اللـه ﷺ أن يجـزل العطـاء لبعـض زعمـاء قريـش الذيـن التحقـوا بالجيش الإسـلامي بعد فتح مكـة، جذباً لقلوبهـم، وإزالة لآثـار مـا شـعروا به مـن هزيمـة بفتـح مكة.

فأعطـى أبا سـفيان بن حـرب ١٠٠ من الإبـل و٤٠ أوقية مـن الفضة، ومثـل ذلـك لولـده يزيد بن أبـي سـفيان، ولولـده معاوية، وأعطـى حكيم بـن حـزام ١٠٠ مـن الإبـل، ومثـل ذلك للنضيـر بن الحـارث، وأسـيد بن حارثـة، والحـارث بن هشـام، وصفـوان بن أميـة، وغيرهم.

ويذكـر المؤرخـون أن أبـا سـفيان بـن حـرب، كان أول مـن سـأل رسـول اللـه ﷺ منحه مـن الغنائم، فقـد دخل على رسـول اللـه ﷺ، وبين يديـه الفضـة، فقـال: يـا رسـول اللـه، أصبحت أكثـر قريشـاً مالاً، فتبسـم رسـول اللـه ، وقـال أبـو سـفيان: أعطنـي مـن هـذا المال يـا رسـول الله. قـال: يـا بـلال، زن لـه أربعيـن أوقيـة وأعطـوه مئة مـن الإبل.

قال أبو سفيان: ابني يزيد أعطه.

قال ﷺ: زنوا ليزيد أربعين أوقية، وأعطوه مئة من الإبل.

قال أبو سفيان: ابني معاوية يا رسول الله.

قال ﷺ: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل.

قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي، ولقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرا.

وحدث الواقدي قال: قال الحكيم بن حزام: سألت رسول الله ﷺ بحنين مئة من الإبل، فأعطانيها، ثم سألته مئة أخرى فأعطانيها، ثم سألته مئة ثالثة فأعطانيها.

ويذكر أصحاب السير والمغازي أن الرسول ﷺ أعطى أولاً العباس بن مرداس السلمي سيد بني سليم، أربعاً من الإبل فقط، فعاتب الرسول ﷺ بشعر، فلما بلغ الرسول ﷺ عتابه، لم يغضب، ولم يحاسبه على ما فاه به من عتاب، بل قال: اقطعوا لسانه عني، أعطوه مئة من الإبل.

هذا العطاء السخي من الرسول لزعماء قريش، الذين لم يمض على حربهم له ومناوأتهم للإسلام، إلا شهر من الزمن، أثار كثيراً من التحسس في نفوس الأنصار من الأوس والخزرج، والذين استقبلوا الرسول ﷺ حينما هاجر إليهم في المدينة، وبايعوه منذ العقبة الأولى، على الطاعة والحماية، وبذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الدعوة، وهم الآن يرون أن نصيب كل واحد منهم من الغنيمة كمقاتلين، في حدود أربعة إلى اثني عشر من الإبل، بينما ينال رجالات قريش هذا العطاء الوافر!!

فظهرت في أوساطهم مقولات فيها عتاب وتساؤل، تجاه ما فعله رسول الله ﷺ، حتى قال بعضهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، أما حين القتال فنحن أصحابه، وأما حين قسم الغنائم فقومه وعشيرته، إن كان هذا من الله صبرنا، وإن كان هذا من رسول الله استعتبناه.

وقـال آخـرون: يغفـر اللـه لرسـول اللـه ﷺ يعطـي قريشـاً ويتركنـا وسـيوفنا تقطـر مـن دمائهـم.

وعلّـق بعضهـم بقولـه: واللـه إن هذا لهـو العجـب إن سـيوفنا لتقطر مـن دمائهـم، والغنائم تقسـم فيهم.

وقـال بعـض آخـر: إذا كانـت شـديدة فنحن ندعـى، ويعطـي الغنيمة غيرنا.

فدخل سـعد بن عبـادة، سـيد الخزرج، على رسـول اللـه ﷺ، وأبلغه مـا يجـد الأنصـار فـي نفوسـهم، بسـبب مـا أعطـى مـن غنائـم لسـادات قريـش، وزعمـاء القبائـل الأخرى. فقال سـعد: إن هذا الحـي من الأنصار قـد وجدوا عليـك في أنفسـهم، لما صنعت فـي هذا الفيء الـذي أصبت، قسـمت في قومـك، وأعطيـت عطايا عظامـاً في قبائـل العـرب، ولم يكن في هـذا الحي مـن الأنصار شـيء؟

قال رسول الله ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد؟

فقـال سـعد: مـا أنـا إلا كواحد مـن قومـي، وإنـا لنحـب أن نعلم من أيـن هذا؟

حوار مع الأنصار

تجـاه هـذا الموقـف لـم يسـتخدم رسـول اللـه ﷺ منطـق الفـرض، باعتبـاره مـارس صلاحياتـه المشـروعة، كنبي يجـب قبول أمـره، وكقائد يجـب أن يطـاع، وهو إنما تصـرف في الحصة التي وكلهـا الله إليه، خمس الغنيمـة. وبذلـك من حقـه هو ﷺ أن يعاتـب المعترضيـن، ويوبخّهم على تشـكيكهم في قراراتـه، ويدعوهم إلـى التوبة والاسـتغفار.

لكنه ﷺ التزم نهجه النبوي القائم على أساس الحوار والإقناع، لإيضاح الموقف أمام الأنصار المعترضين، وتبيين المبررات الكفيلة بإقناعهم، وإرضاء نفوسهم.

لقد طلب ﷺ من سعد بن عبادة أن يجمع له الأنصار وحدهم، دون أن يحضر أحد من المهاجرين، فاجتمعوا في خيمة كبيرة، فدخل عليهم ﷺ، وألقى كلمة قال فيها: يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟! وعالة فأغناكم الله؟! وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!

قالوا: بلى. الله ورسوله أمنُّ وأفضل.

قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟

قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله، ولرسول الله المنُّ والفضل؟

قال: والله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك.

وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار لشيء من الدنيا تألّفت به قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟

إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار،

ولـو سـلك النـاس شـعباً، وسـلكت الأنصـار شـعباً، لسـلكت شـعب الأنصـار، الأنصـار شـعار والنـاس دثـار.

اللهـم ارحـم الأنصـار، وأبنـاء الأنصـار، وأبنـاء أبنـاء الأنصـار، فبكـى القـوم حتـى اخضلّت لحاهـم، وقالـوا: رضينا يا رسـول اللـه حظاً وقسـماً[١].

هكـذا عالـج رسـول اللـه ﷺ الموقـف، بالتخاطـب معهـم، وشـرح مبـررات قـراره، وبالاعتـراف لهـم بالفضـل والمكانـة، وإلفاتهـم إلـى المكسـب السياسـي والمعنـوي الكبيـر لتثبيـت المدينـة عاصمـة للكيـان الإسـلامي، حيـث لـم يرجـع الرسـول ﷺ إلـى مكة بعـد فتحهـا ليتخذها مقـراً لـه، رغـم أنهـا بلـده، ورغـم حنينـه إليهـا، ووجـود الكعبـة فيها.

المنهج السليم

ومـن يقـرأ سـيرة المصطفـى ﷺ يـرى أن الحـوار كان منهجـه فـي الدعـوة إلـى اللـه تعالـى، اسـتجابة لقولـه تعالـى: ﴿ادْعُ إِلَـى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُـمْ بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ﴾[٢].

ودراسـة هـذا المنهـج مـن خـلال السـيرة النبويـة، تبـرز جانبـاً مـن عظمـة شـخصية رسـول اللـه ﷺ، وتعطينـا أروع الـدروس فيمـا يجـب أن نلتـزم بـه مـن أسـلوب الدعـوة إلـى الله، فبعـض الدعـاة يسـيئون إلى الدعـوة، بفظاظتهـم وقسـوة خطابهـم، وهـم ينفّـرون النـاس مـن الدين، بـدل أن يسـتقطبوهم إليـه.

---

(١) باشميل: محمد أحمد، موسوعة الغزوات الكبرى ج٩ حنين ص١٧٠، ١٨١، الطبعة الثامنة ١٩٨٥م، المكتبة السلفية، القاهرة.

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

وفي هذه الأيام وحيث نواجه حملة إعلامية ثقافية على المستوى العالمي، لتشويه سمعة الإسلام، واتهامه بالعنف والإرهاب، فإننا بحاجة إلى عرض مفاهيم الدين وحقائقه، من خلال سيرة رسول الله ﷺ، والتذكير بالمعالم المشرقة من حضارة الإسلام.

أحاديث

نحو استثمار أفضل للعطلة الصيفية
(٢/١)

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٣هـ

وقت الفراغ
الاهتمام بوقت الفراغ
رؤية دينية
تنوع المهام والأبعاد
مشروعية الترويح

تتفق كل أنظمة التعليم في جميع دول العالم، على منح طلابها إجازة سنوية خلال فترة الصيف، تقارب ثلاثة أشهر يطلق عليها (عطلة الصيف)

وإقرار نظام العطلة الصيفية جاء محصلة ونتيجة لتطور تجارب المجتمع البشري، في مجال علم التربية والاجتماع.

فالدراسة الأكاديمية المنتظمة، تستلزم بذل جهد ذهني ونفسي من الطالب، وتقيّد حريته وحركته ببرنامجها اليومي الرتيب، مما يجعله في حاجة إلى فترة من الراحة، بالتوقف عن التزاماته الدراسية، وشعوره بالحرية والانطلاق.

محطة التوقف هذه أثناء العطلة الصيفية تؤدي عدة وظائف لصالح العملية التعليمية.

فهي أولاً: تعطي الطالب فرصة لتجديد نشاطه الذهني والنفسي، حتى لا يستنزفه العناء، ولا يسيطر عليه الإرهاق والملل، فيستأنف بعدها عامه الدراسي الجديد برغبة وشوق.

ثانياً: تشكل العطلة الصيفية فاصلة بين المراحل والبرامج التعليمية، تنبه الطالب إلى حركة مسيرته الدراسية، وتجاوزه لأشواطها، ومستوى

خطواتـه في طريقها، وتهيئه للاسـتعداد لـكل مرحلة جديدة.

ثالثـاً: تمنحـه المجـال لاسـتكمال بعض نواقصـه، ومعالجـة ثغرات تحصيلـه، ليواكـب مسـيرة المنهـج الدراسـي، ولا يتخلـف عـن مسـتوى زملائـه وأقرانه.

رابعـاً: تتيـح الفرصـة لتنميـة شـخصيته الإنسـانية، فـي أبعادهـا المختلفـة، فهو إنسـان ذو مشـاعر وأحاسـيس، وله مواهـب وقدرات، فلا بـد له مـن أفق مفتـوح أمامه، لإشـباع مختلـف حاجاته، وممارسـة رغباته المتعددة.

لـكل هـذه الأغـراض وأمثالهـا اتفقـت أنظمـة التعليـم علـى إقـرار العطلـة الصيفيـة، ومن نفـس المنطلق، اعتمـدت أنظمة العمـل في جميع الـدول، حـق الإجـازة السـنوية لـكل عامل.

صحيـح أن العمـل ذهنيـاً كان كالدراسـة، أو عضلياً كسـائر مجالات الإنتـاج، هـو القيمـة الأسـاس في الحيـاة، وهـو يعنـي الفاعلية والنشـاط المباشـر، لتوفيـر المتطلبـات، وتحقيـق الطموحـات، لكـن وقـت العطلة والفـراغ، هـو الآخـر لا يخـرج عن هـذا الإطار، حيـث يقصد منـه تحديد رغبـة العمـل، وتنميـة دوافعـه، وتوفيـر مسـتوى مـن الارتيـاح والرضـا النفسي.

وقت الفراغ

وهـو الوقـت الـذي يتحـرر فيـه الإنسـان مـن التزامـات العمـل وواجباتـه، أو التزامات الدراسـة ووظائفها بالنسـبة للطالـب، وهناك عدد كبيـر مـن التعريفـات والتصنيفـات، وأسـاليب القيـاس لوقـت الفـراغ،

تناولتها الدراسات المختصة.

ويمثل موضوع (وقت الفراغ) ميداناً لبحوث مكثفة من قبل علماء الاجتماع، ورغم حداثة الاهتمام بهذا الموضوع علمياً، إلا أنه سرعان ما جذب اهتمام العلماء، واستقطب جهودهم، فأصبح منافساً لكثير من فروع علم الاجتماع، مع أسبقيتها عليه.

وذلك لما لهذا الموضوع من آثار تمتد لتشمل مختلف جوانب حياة الإنسان، التربوية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية. مما جعل الاهتمام بوقت الفراغ ليس مسألة جانبية أو هامشية، بل جزءاً أساسياً من الاهتمام بشخصية الإنسان، وبالنظم الاجتماعية القائمة في الحياة المعاصرة.

وقد تبلورت ظاهرة وقت الفراغ لدى الإنسان المعاصر، في أعقاب الثورة الصناعية في مجتمعاتها، بعد أن كان العامل في عصور الإقطاع مسخّراً، لا يتمتع بشيء من حقوقه الإنسانية، فضلاً عن حق الإجازة والعطلة السنوية. وفي معظم المجتمعات البدائية والزراعية، يضطر الإنسان للاستمرار في الكدح والعمل طوال السنة، لتوفير احتياجات حياته، والتي تكاد تخلو من الفراغ بالشكل السائد اليوم.

وكشفت دراسات علماء الانثروبولوجيا، لأساليب الحياة اليومية، للمجتمعات البسيطة والتقليدية، أنه لم يكن يوجد في هذه المجتمعات خط فاصل تماماً، بين العمل والفراغ، ذلك أن العمل يستنفذ طاقاتهم، وتختلط أنشطته بأنشطة الترويح والتسلية، حيث كانوا يقومون ببعض العادات والتقاليد الترويحية أثناء العمل، كالرقص أو الغناء أو المزاح

أو العمل التعاوني، و بعض هذه العادات والتقاليد كان ذا طابع ديني[١].

لكن باحثين من علماء الاجتماع، يذهبون إلى عراقة ظاهرة وقت الفراغ، في كل الحضارات، عبر تاريخ البشر، لكنها كأي ظاهرة إنسانية أخرى تعرضت للتغيّر والتطور، حتى أصبحت الآن أكثر تقنيناً وانتظاماً، بفعل تطور الحياة، وتجارب الزمن.

ونجد في كتابات أرسطو وأفلاطون، وسائر فلاسفة اليونان، مؤشراً على وجود ظاهرة وقت الفراغ في تلك المجتمعات، حيث لم تخل تلك الكتابات من تناول هذه الظاهرة، والحديث عنها بدقة وعمق، باعتبارها فرصة للتربية، وتنمية النفس أو الروح.

على أن بعض علماء الاجتماع، يرون أن ظاهرة وقت الفراغ آنذاك، كانت محصورة في إطار الطبقة الممتازة، صاحبة المكانة الرفيعة في المجتمع الإغريقي، ولم تكن حالة عامة لدى سائر الطبقات.

أما في العصر الحديث فيتمتع كل عامل أو طالب بوجود وقت فراغ، نظراً للأنظمة السائدة في العالم، القائمة على تحديد ساعات الدراسة والعمل، وإقرار نظام الإجازات والعطل، ونظراً لتقدم مستوى المعيشة والحياة، مما جعل وقت الفراغ جزءاً من نظام حياة الناس غالباً.

الاهتمام بوقت الفراغ

في وقت مبكر اهتم فلاسفة اليونان بوقت الفراغ، وأكدوا على

---

(١) محمد: الدكتور محمد علي، وقت الفراغ في المجتمع الحديث ص٤٨ دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م.

ضـرورة توظيفـه روحيـاً، حيث ركز أرسـطو علـى أهمية اسـتغلال الفراغ فـي الموسـيقى والتأمل، انطلاقـاً من رؤيته لدور الأنشـطة الموسـيقية في تنميـة العقل وملكـة التفكير، ولمحورية التأمل في بناء شـخصية الإنسـان وتحقيق إنسـانيته.

أمـا فـي العصـر الحديـث فـإن الاهتمـام بوقـت الفـراغ أحـرز تقدماً كبيـراً، وشـغل مسـاحة واسـعة، علـى الصعيـد المعرفـي والثقافـي. فمنذ العشـرينيات والثلاثينيـات للقـرن العشـرين، ظهـرت كتابات ودراسـات كثيـرة، فـي أوروبـا وأمريـكا، عـن وقـت الفراغ.

وفـي عـام ١٩٢٤م نظـم مكتـب العمـل الدولـي أول مؤتمـر عالمي عـن وقـت فـراغ العامـل، شـارك فيـه أكثر مـن ٣٠٠ عضـو يمثلـون نحو ثمانيـة عشـر دولة.

وفـي أوروبـا حقـق علـم اجتمـاع الفـراغ تقدمـاً كبيـراً، إذ عمـل (جـورج فريدمـان) بوجـه خـاص، علـى تنميـة الاهتمـام بدراسـة دور الفـراغ فـي إعـادة وضـع الإنسـان، وتكييفـه مـع الحضـارة التـي تسـيطر عليهـا التكنولوجيـا.

وفي إنجلترا كان للدراسـة التي أجراهـا كل من (روانتري) و(لافيرز) بعنـوان (حيـاة الإنجليـز والفراغ) أثرهـا في توجيـه الاهتمام نحـو تحرير عـدد من المقـالات السوسـيولجية، والبحوث المتخصصـة. كما بدأ (جو فـردي مازدييـه) فـي هولنـدا بحوثه عـام ١٩٥٣م لعـل أهمها أطلـق عليه (نحـو حضارة الفـراغ) وكذلك دراسـته بعنوان (الفـراغ الحضري)[١].

(١) المصدر السابق ص٤٢، ٤٤.

رؤية دينية

يمكننا أن نستخلص من النصوص والتعاليم الدينية، رؤية عميقة شاملة للدين، حول موضوع وقت الفراغ، وتعالج هذه الرؤية قضية الفراغ من ثلاث زوايا:

الأولى: تنمية حسّ المسؤولية تجاه الزمن، والحرص على الوقت، باعتبار محدودية عمر الإنسان، وأهمية طموحاته وتطلعاته، وعظيم الطاقات والقدرات التي يختزنها، مما ينبغي أن يحفزه على استغلال كل لحظة من وجوده، بأفضل ما يمكن.

إن ما يعيشه الإنسان من عمر في هذه الحياة يبدو قصيراً، قياساً إلى عمر الزمن، وإلى آمال الإنسان، ورغبته في الخلود، وهذا ما تعبّر عنه آيات عديدة في القرآن الكريم، تحكي عما يدور في نفس الإنسان تجاه الحياة بعد مغادرتها. يقول تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ﴾[2].

ويحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام: أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عمرا، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

إن ما يخسره الإنسان من ماله وسائر ممتلكاته ومكاسبه يمكن تعويضه، والتوفّر على بدائله، لكن الوقت هو الشيء الذي لا يعوّض

(١) سورة المؤمنون آية ١١٣.
(٢) سورة يونس آية ٤٥.

ما فات منه، ولا يمكن تداركه، فكل لحظة تمضي لا تعود، وكل يوم ينقضي لا يرجع. فهو رصيد محدود، ورأس مال نادر، بل هو رأس المال الحقيقي للإنسان، فلا بد من الحفاظ عليه، والاستفادة منه بأعلى حد ممكن.

وفي الحقيقة فإن الوقت هو الحياة يقول الإمام علي عليه السلام: «إنما أنت عدد أيام، فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك» ويقول عليه السلام: «ما نقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك». وقال الشاعر:

كل يوم يمر يأخذ بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي

وقال شاعر آخر:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العمر

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك»[1].

وتنبيهاً للإنسان على أهمية الزمن يقسم الله تعالى في القرآن الكريم بالعديد من الفواصل والمحطات الزمنية، كما في الآيات التالية:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[2].

﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[3].

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٤ ص٧٦، الطبعة الثالثة المصححة ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سورة الليل آية ١،٢.

(٣) سورة الفجر آية ١،٢.

﴿وَالضُّحَى وَاللَّيل إذَا سَجَى﴾[١].

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٢].

هذه النصوص والتعاليم تربي الإنسان على احترام الوقت والاهتمام باستغلاله، وأن يتصرف فيه بمسؤولية وتقدير، ليستطيع تحقيق أكبر قدر من الإنجازات والمكاسب.

فهو مسؤول أمام الله تعالى عن تعامله مع أوقات حياته، ورد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه. . . » رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

وكما يهتم الإنسان باحترام وقته واستثماره، عليه أن يحترم أوقات الآخرين، فلا يكون سبباً في تضييعها وإهدارها بعدم الالتزام في المواعيد، والزيارة في الأوقات غير المناسبة لهم، وإطالة اللقاء والحديث دون فائدة أو غرض. إن احترام الوقت هو أحد أهم مقاييس التقدم للأفراد والمجتمعات.

تنوع المهام والأبعاد

هذه هي الزاوية الثانية من الرؤية الدينية لوقت الفراغ، فالإنسان كائن مميّز، لشخصيته أبعاد مختلفة، فهو مادة وروح، نفس وجسد، وهو مواطن في عالمين: الدنيا والآخرة، له مصالحه الفردية وارتباطاته الاجتماعية، يتمتع بقدرات ذهنية عقلية وقوى عضلية بدنية. .

---

(١) سورة الضحى آية ١ ، ٢.

(٢) سورة العصر آية ١ ، ٢.

هـذه الأبعـاد المختلفـة لشـخصيته تجعلـه متنـوع الأدوار والمهـام، بسـبب تنـوع قدراتـه وطاقاتـه، وإذا مـا حصـر الإنسـان نفسـه ضمـن بعد واحـد، فإنـه يئـد ويكبـت سـائر الجوانـب والأبعاد.

كمـا أن اسـتغراق الإنسـان لوقتـه فـي عمـل واحـد، قـد ينتـج عنـه الملـل والسـأم، لذلـك تنصـح التعاليـم الدينيـة بـأن يقسّـم الإنسـان وقته علـى وظائفـه ومهامـه المختلفـة، لتنمية شـخصيته فـي مختلـف الأبعاد، وتلافيـاً للتعـب والملـل. فيكون وقـت الفراغ مـن عمل، فرصـة للانتقال إلـى عمـل مـن نـوع آخر.

وحتـى في العبـادة المسـتحبة، لا ينصح الديـن بالاسـتغراق فيها إلى حـد فقـدان الرغبـة والنشـاط، ورد فـي صحيحـي البخـاري ومسـلم عن عائشـة عنـه ﷺ أنـه قال: «يـا أيها النـاس عليكم مـن الأعمال مـا تطيقون، فـإن اللـه لا يَمَلّ حتـى تَمَّلـوا، وإن أحب الأعمال إلـى الله مـا دُووم عليه وإن قـل»[1] وفـي حديث آخر عـن أنس عنـه ﷺ: «ليصلّ أحدكم نشـاطه، فإذا كسـل أو فَتَـرَ قعد»[2].

ومما رواه النبـي ﷺ عـن صحـف إبراهيـم عليه السلام: «ينبغـي للعاقـل أن يكـون لـه أربـع سـاعات: سـاعة يناجـي فيها ربـه، وسـاعة يحاسـب فيها نفسـه، وسـاعة يتفكر فـي صنع اللـه عزوجل، وسـاعة يخلو فيهـا لحاجته مـن المطعـم والمشـرب» رواه ابـن حبـان فـي صحيحـه والحاكـم وقال:

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم ٧٨٢، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار المغني، الرياض.
(٢) المصدر السابق حديث رقم ٧٨٤.

صحيح الإسناد كما في الترغيب[١].

وروي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات»[٢].

من خلال هذه الرؤية تصبح العطل والإجازات من الدراسة والعمل، فرصة لتنمية أبعاد أخرى في شخصية الإنسان، وللقيام بأدوار ومهام في ميادين وحقول ثانية.

إن الله تعالى يخاطب نبيه محمداً صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[٣] إي إذا فرغت من مهمة ودور، فانتصب لمهمة أخرى، ودور آخر.

إن لكل جهة في حياة الإنسان حقوقاً ومستلزمات، فلا يصح أن يستهلك جهده في جهة واحدة على حساب بقية الجهات، روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن لبدنك عليك حقا، وإن لاهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا».

مشروعية الترويح

أما الزاوية الثالثة فهي ما تشير إليه النصوص والتعاليم الدينية، من مشروعية الترويح عن النفس، وممارسة بعض البرامج الترفيهية.

---

(١) القرضاوي: الدكتور يوسف، الوقت في حياة المسلم ص١٩ الطبعة الخامسة ١٩٩١م مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) بن شعبة الحراني: محمد بن الحسن، تحف العقول ص٣٠٢.

(٣) سورة الشرح آية ٧-٨.

تجاه وقت الفراغ وطريقة التعامل معه، نجد أمامنا ثلاثة اتجاهات:

١. يتمثل الأول في النظرة الجادة للوقت، ورفض التفريط بأي ساعة من ساعاته خارج إطار العمل، وتحمل الالتزامات والمسؤوليات. ولعلنا نجد في حماس اليابانيين للعمل، وعدم رغبتهم للتعطيل، والاستفادة من الإجازات، نموذجاً لهذا الاتجاه، حتى أن نسبة من الوفيات لديهم تحصل بسبب إرهاق العمل، ذكر (ميشيل البير) في كتابه (الرسمالية ضد الرأسمالية): أن ١٠٪ من الذكور البالغين الذين يموتون في اليابان كل عام، يقتلون أنفسهم بكثرة العمل، و يحصل اليابانيون على أسبوع واحد إجازة في السنة، واقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من ٤٤ ساعة إلى ٤٢ ساعة أسبوعيا، ولكن الأكثرية من الشعب تخالف هذا الاقتراح.

٢. أما الاتجاه الثاني فعلى العكس من ذلك، حيث ينظر إلى الفراغ والتحلل من واجبات العمل، كهدف وطموح، ويتعاطى مع الالتزامات العملية، كحالة اضطرارية قسرية، يبحث عن أي فرصة للتهرب منها. والتقارير التي تتحدث عن ضعف مستوى الإنتاجية لدى شعوب الدول النامية، مؤشر على شياع هذا الاتجاه فيها.

إن بعض العمال والموظفين يختلق المبررات لأخذ الإجازة للتغيب عن العمل، ويأتي متأخراً عن وقت الدوام، ويخرج قبل انتهائه، وأثناء وقت العمل، يصرف وقتاً كثيراً في قضاياه الشخصية،

من شرب الشاي، أو محادثة الزملاء، أو التكلم تليفونياً، وما أشبه ذلك من الظواهر المؤسفة الشائعة، والتي بسببها يتدنى الإنتاج، ويتأخر إنجاز الأعمال.

٣. والاتجاه الثالث يتبنى نظرة تكاملية تعتبر الفراغ وجهاً آخر لعملة العمل، فهما جانبان متفاعلان يُثري كل منهما الآخر.

ففي وقت الفراغ، يمارس الإنسان بعض برامج الترويح والترفيه عن النفس، بهدف تجديد النشاط، وإراحة الأعصاب، وتنفيس ضغوط العمل وصعوباته.

ونجد في التعاليم الدينية إقراراً لمشروعية الترويح والترفيه عن النفس. فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت».

وعن الإمام علي عليه السلام: «إن للقلوب شهوة وإقبالا وإدبارا، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها». وفي كلمة أخرى يقول عليه السلام: «إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم».

والقرآن الكريم يوجهنا إلى التأمل في الطبيعة، والاستمتاع بجمالها، والتفكر في عظمة الخالق المبدع. .

كما وردت نصوص دينية كثيرة في التشجيع على الأسفار والرحلات، وتجيز الفكاهة والمزاح المناسب، وتحث على الرياضة، من سباحة و ركوب خيل، وسباق وغير ذلك.

لقد أصبح واضحاً في المجتمعات الحديثة تأثير وقت الفراغ في مستوى العمل، فإزداد الاهتمام ضمن العمل بساعات الترفيه وفترات

الراحة والإجازات، من أجل أن يتمتع العامل بوقت فراغه، بصورة تنعكس إيجابياً على أدائه للعمل.

إن برامج الترويح عن النفس مصدر حيوية ونشاط، ودافعيه للإنجاز، وهو ما أشار إليه حديث الإمام موسى الكاظم عليه السلام بقوله: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات»[1].

فساعة الترويح عن النفس، تجدد نشاط الإنسان وقدرته على أداء مهامه واواجباته، في الأبعاد المختلفة.

(١) النمازي الشاهرودي: علي، مستدرك سفينة البحار، ج٥ ص٢٩٧، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٩هـ.

أحاديث

نحو استثمار أفضل للعطلة الصيفية (٢/٢)

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ

التوجهات السيئة
كثرة النوم
هدر الأوقات
التلقي السلبي
الفراغ والانحراف

يتعامل كثيرون مع أيام العطلة الصيفية وسائر إجازات العمل والدراسة، وكأنها مدة إضافية من الزمن، ليست من حساب أعمارهم، ولا تشكل جزءاً من رصيد حياتهم، لذلك يهدرون أوقاتهم خلالها، ولا يخططون للاستفادة منها، فتتصرم أيامها دون أن يحققوا لأنفسهم إنجازاً يُذكر.

إن عدم التفكير والتخطيط لاستثمار وقت الفراغ في العطلة والإجازة، قد يحوّلها من مبعث راحة وتجديد نشاط، إلى مصدر كآبة وملل، ومن فرصة تنمية وبناء للذات، إلى أرضية سوء تُنبت المفاسد والأشواك.

قد يشعر الإنسان بالارتياح، في اليوم الأول والثاني من أيام الإجازة، لتحرره من التزامات العمل أو الدراسة، لكنه بعد ذلك سيعاني من ضغط الفراغ، إن لم يكن له برنامج بديل، أو اهتمامات تشغل نفسه ووقته، فحين لا يجد الإنسان ما يهتم به، يصيبه إحساس بالضياع واللاقيمة، كما قد تتسلل إلى نفسه اهتمامات سيئة، لملء فراغه النفسي والعملي.

يتحدث شاب جامعي عن نظرته لحالة الفراغ قائلاً: «وقت الفراغ

في نظري، هو الوقت الذي لا أفعل فيه أي شيء، أي أنني أكون في هذا الوقت غير مشغول بممارسة أي نشاط سواء كان نشاطاً ذهنياً أم عملياً. . وهذا الوقت هو أكثر الأوقات سبباً في الإحساس بالملل، بل إنه ممل جداً بالنسبة لي، ولا أستطيع احتماله أكثر من ربع ساعة، والسبب في ذلك أن هذا الوقت يعطي للعقل فرصة في أن يفكر في أشياء كثيرة، تجعل الإنسان يصاب بحالة اكتئاب نفسي، لأنه في الغالب تكون هذه الأشياء جزءاً من مخزون المشاكل التي تواجه الإنسان يومياً، ولذلك فأحسن تعبير يطلق على وقت الفراغ هو الوقت القاتل»[1].

التوجهات السيئة

غالباً ما يكون الفراغ أرضية للانحراف، ودافعاً للتوجهات السيئة، حيث لا يشعر الإنسان بوجوده وقيمته، إلا إذا كان له تفاعل ما مع قضايا الحياة من حوله، فإن لم يتوفر له ما يمنحه هذا الشعور إيجابياً، فسيعاني حالة فراغ نفسي، تتولد منها هواجس وتصورات غير منضبطة، كما قد تتحرك لديه بعض النوازع والرغبات غير السليمة، والتي هي تحت السيطرة في الأوضاع العادية السوية.

وأخطر ما يكون الفراغ في مرحلة الشباب، حيث يمتلك الشاب قوة فائضة، تبحث عن قنوات للتصريف، وحماساً كبيراً، يدفع نحو الفاعلية والنشاط. فإذا كانت أمامه برامج وأدوار، وخيارات مناسبة، تشغل اهتمامه، وتنمي شخصيته، وتفعّل قدراته بالاتجاه الصحيح،

(١) محمد: الدكتور محمد علي، وقت الفراغ في المجتمع الحديث ص٢٤٤ دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م.

فإن ذلك سيكون لصالحه وصالح المجتمع.

أما في حالة الفراغ فإن الشاب يكون فريسة لمشاعر الملل والإحباط، ولقمة سائغة لتيارات الفساد والانحراف، وهذا ما تعاني منه كثير من المجتمعات المعاصرة.

وكما اشتهر على الألسن قول الشاعر ـ أبو العتاهية:

إن الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقال شاعر آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شُغلاً وأسباب البلاء من الفراغ

وينقل عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنه قال لعامله: «إن هذه الأيدي لا بد أن تشغل فاشغلها بطاعة الله قبل أن تشغلك بمعصيته»[١].

وروى البيهقي عن عبد الله بن الزبير قال: أشر شيء في العالم البطالة[٢].

ومن أخطر السلبيات التي تنتج عن الفراغ، حالة الملل والسأم وهي مؤذية للنفس، مربكة لشخصية الإنسان، وهناك مقولة متداولة هي: «أن تشعر بالملل هو أن تقبل الموت»، والملل قد يدفع الإنسان إلى تصرفات عبثية ضارة، من أجل التخلص من الملل والخروج من عبء وطأته.

---

(١) السدحان: عبدالله بن ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، ص٤٥، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، مكتبة العبيكاان، الرياض.

(٢) القرضاوي: الدكتور يوسف، الوقت في حياة المسلم، ص٢٧، الطبعة الخامسة ١٩٩١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

إن عدم التخطيط لاستثمار وقت الفراغ، وخاصة في العطلة الصيفية والإجازات، وعدم الاهتمام بتوفير البرامج المناسبة من قبل الفرد والمجتمع، هو الذي ينتج العديد من الظواهر السلبية، التي تعاني منها مجتمعاتنا، ونلحظها في حياة الكثيرين في أوقات فراغهم، ومن أبرزها الظواهر التالية:

كثرة النوم

يجد البعض في العطلة والإجازة فرصة جيدة لزيادة ساعات نومه، والتي قد تصل إلى عشر ساعات أو أكثر. بينما يكون معدل نومه أيام الدراسة والعمل في حدود ست ساعات أو سبع ساعات في أقصى حد.

لا شك أن النوم حالة طبيعية، وضرورة بيولوجية للإنسان، كما لسائر الكائنات الحيّة، وأنه يخدم وظائف أساسية، مهمتها استعادة الإنسان لنشاطه، وللمقومات التي يعتمد عليها هذا النشاط، وإعادة التوازن الذي اختل أثناء ساعات اليقظة.

ومن الواضح أن النائم يفقد إدراكه بما يحيط به، ويتوقف إحساسه بالحياة، وتفاعله معها. حيث تتضاءل جميع أنشطته، وترتخي عضلاته، وتتباطأ ضربات القلب، وينخفض معدل التنفس.

فالنوم في مظهره يشكل شبه خروج مؤقت للإنسان عن معادلة الحياة. وإذا كان الإنسان ينام ثماني ساعات، في كل أربع وعشرين ساعة، فمعنى ذلك أن ثلث عمره يكون خارج دائرة الإحساس والتفاعل مع الحياة، ومن يحب الحياة، ويتبنى فيها أهدافاً وتطلعات،

عليه أن يحرص على كسب أي ساعة ولحظة منها، والنوم فيما يزيد منه على الحاجة والضرورة، بمثابة هدر وتضييع لجزء من العمر.

لقد افترض الكثيرون: بأن الحاجة اليومية للنوم، هي ثلث ساعات اليوم الواحد، أو ما معدله ٨ ساعات، في كل ٢٤ ساعة، واعتبر البعض: أن الإخلال بهذا المعدل، يلحق الأذى بصاحبه، لكن بحوث العلماء، والتجارب الميدانية والاختبارية، أظهرت: أن معظم الناس ينامون لمعدل زمني يقع بين ٥ إلى ٦ ساعات في اليوم الواحد، بينما ينام البعض لمدة أقل من ذلك، حدها الأدنى ٤ ساعات، وأن التفاوت في معدل النوم بين الناس يتأثر بعوامل شخصية تتعلق بالفرد نفسه .

وقد لوحظ بأن أولئك الذين يعيشون حياة نشطة وخلاقة ومجدية، وخالية من الهم، فإن حاجتهم للنوم، هي أقل من حاجة أقرانهم، ممن لا يظهرون مثل هذه الصفات.

ويقرر باحثون أخصائيون: بأن الحد الأدنى للحاجة إلى النوم في الفرد النامي، ذكراً أو أنثى، يقع ما بين ٤ إلى ٥ ساعات في اليوم، وقد يكون فيما يزيد على هذا الحد إضافة لا حاجة هامة لها، وبأن بإمكان الفرد أن يستغني عنها[١].

وتحديد مدة النوم وزمنه، يخضع لما يعوّد الفرد عليه نفسه، ضمن الظروف والحالة الطبيعية، فإذا برمج وضعه على مدة معينة للنوم، فسينتظم عليها، وقد ينزعج للإخلال بها.

---

(١) كمال: الدكتور علي، أبواب العقل الموصدة، باب النوم وباب الأحلام ص١١٨ الطبعة الأولى ١٩٨٩م، دار الجيل، بيروت ـ الدار العربية، عمّان.

ويتضح من دراسات علمية عديدة، للمقارنة بين سمات وصفات فئة الأفراد طويلي النوم، وفئة الأفراد قصيري النوم: أن قصيري النوم هم أكثر نشاطاً وفعالية، وأكثر طموحاً، واتخاذاً للقرار، وأكثر رضى عن أنفسهم وحياتهم، وأكثر اجتماعية، وهم قليلي التشكي بشأن دراستهم وظروف حياتهم، وهم يتصفون بالانفتاح، وقلة القلق، ويشغلون أنفسهم بصورة دائمية بفعالية أو أخرى، وقلما يعانون من مشاكل نفسية، ويتضح من هذه الخصائص أن قصر النوم يتوافق عادة مع مقومات أفضل في الشخصية، ومع حياة نفسية واجتماعية وإنتاجية أفضل. ولهذا أن يدلل بأن النوم وإلى حد ما، هو أقل ضرورة أو فائدة لصاحبه مما كان يظن[١].

إنه ينبغي التعامل مع النوم ضمن حالة الحاجة والضرورة، وليس كهواية يستمتع بها الإنسان فيستكثر منها.

وما نراه عند البعض، من زيادة وقت نومهم أيام العطلة والإجازة، يعتبر ظاهرة سلبية، تحرم الإنسان من الاستفادة المناسبة من وقت فراغه.

ونجد في النصوص والتعاليم الدينية ما يؤكد أهمية التقليل من النوم، ويلفت نظر الإنسان إلى سلبيات الإكثار منه.

جاء في الحديث عن رسل الله ﷺ: «إياكم وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»[٢] ومعنى الحديث واضح

---

(١) المصدر السابق ص١٥٧.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٣ ص١٨٠، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

لأن كثرة النوم ستكون على حساب العمل الصالح والذي هو غنى الإنسان وثروته في الدنيا والآخرة.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن الله يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ»[١].

وعنه عليه السلام في حديث آخر: «كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا»[٢].

هدر الأوقات

لضعف الإحساس بالمسؤولية تجاه الزمن، وللتصور الخاطئ عن وظيفة وقت الفراغ، فإن البعض يهدرون أوقاتهم خلال العطلة الصيفية والإجازات بشكل مؤسف، ويتحدثون بكل صراحة عن قتل وقت الفراغ. إما عبر جلسات فارغة، تستمر ساعات طويلة، دون فائدة أو قيمة، أو بالتسكع على أرصفة الشوارع والطرقات.

إن لقاء الأصدقاء والجلوس معهم أمر جيد، شريطة أن يكون ضمن الحدود الطبيعية، وأن يستثمر في تعميق أواصر المودة، والاستفادة الفكرية والعملية، بمناقشة موضوع مفيد، أو تنمية موهبة وكفاءة.

لكن جلسات قتل الوقت تأخذ منحى آخر، إذ تطول ساعات دون مبرر، ولا يتخللها إلا كلام تافه، قد يكون سبباً للمشاكل والآثام.

التلقي السلبي

أصبحت وسائل الإعلام المتقدمة، وتكنولوجيا الاتصالات

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

المتطورة، كقنوات البث الفضائي، وشبكة الإنترنت، تستهلك جزءاً كبيراً من وقت الإنسان المعاصر. وهي تفتح أفقاً معرفياً واسعاً أمام الإنسان، وتقدم له خدمات عالية، آخذة في الاتساع.

وفي أيام إجازات الدراسة والعمل يتضاعف الإقبال على هذه الوسائل، حيث يقضي أمامها الكثيرون ساعات طويلة كل يوم.

وتتمثل سلبية التعاطي مع وسائل الإعلام والاتصالات في جانبين:

الأول: استهلاك الوقت دون حدود، وعلى حساب سائر المهام والأبعاد من شخصية الإنسان والتزاماته، حتى أشار تقرير نشر قبل عشر سنوات، إلى أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة (١٥) ألف ساعة، بينما لا يكون أمضى في فصول الدراسة أكثر من (١٠٨٠٠) ساعة على أقصى تقدير، أي في حالة كونه مواظباً على الدراسة، محدود الغياب. ومعدل حضور بعض الطلاب في الجامعة (٦٠٠) ساعة سنوياً، بينما متوسط جلوسه عند التلفزيون (١٠٠٠) ساعة سنوياً[١].

وقد سبب الانجذاب غير المقنن إلى وسائل الإعلام والاتصالات، انخفاضاً في الأداء التعليمي، عند شريحة واسعة من الطلاب والطالبات. . كما سبب تدنياً في

(١) العمر: الدكتور ناصر بن سليمان، البث المباشر حقائق وأرقام ص١٤ دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

مستوى العلاقات العائلية، واهتمام الزوجين ببعضهما، واهتمامهما بالأبناء. ويحصل كثيراً أن تهمل الأم أطفالها، من أجل متابعة أحد الأفلام أو المسلسلات.

أما قراءة الكتب، وبرنامج التثقيف الذاتي، فقد أصبح في خبر كان، عند أكثر أبناء هذا الجيل، المستقطب إعلامياً ومعلوماتياً.

الثاني: سوء الاختيار وسلبية التلقي، فهناك أكثر من ٥٠٠ قناة عالمية تبث مختلف البرامج ليل نهار، وهناك ملايين المواقع على شبكة الإنترنت، تعرض كل شيء دون حدود أو قيود، فإذا لم تكن للإنسان قيم وضوابط في اختياره لما يشاهد ويتابع، فإنه سيكون فريسة سهلة، ولقمة سائغة، للتوجهات الفاسدة، التي تحرّض الغرائز والشهوات، وتشجّع على العنف والإجرام، وتروّج لأنماط سلوكية مخالفة للمحيط الاجتماعي، وهي في مجملها أدوات للعولمة الثقافية، التي تريد إلغاء الهويات الحضارية لمختلف الشعوب والأمم، لتذويبها في بوتقة الحضارة الغربية المادية.

إن الإنسان ليحرص على صحة جسمه فلا يتناول طعاماً ملوثاً، فكذلك عليه أن يحرص على صحة فكره وسلوكه، فلا يتلقى المشاهد والتوجهات السلبية الضارة. يقول الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما

يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»[١].

وإذ يتمتع الإنسان بنعمة السمع والبصر من الله سبحانه وتعالى، فإنه يتحمل المسؤولية تجاه طريقة استخدامهما يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾.

الفراغ والانحراف

إن من أسوأ الظواهر التي تنتج عن فراغ العطلة الصيفية، إذا لم تستثمر بالبرامج الصالحة، هي ظاهرة التصرفات الشاذة، والسلوكيات المنحرفة، في وسط الجيل الناشئ.

ذلك أن الشعور بالفراغ يدفع لتقبل أي اهتمام، وعادة ما يصحب التوجهات الخاطئة إغواء وإغراء، ولقلة النضج والخبرة عند الشباب والمراهقين، يكون انزلاقهم سهلاً.

وتؤكد الأبحاث والتقارير، دور مشاهدة الأفلام والبرامج السيئة، في الاندفاع نحو الانحرافات الجنسية، وأعمال العنف، لدى المراهقين والمراهقات، كما أن استخدام شبكة الإنترنت، كثيراً ما يكون وسيلة إغواء يستجيب لها الشباب، وخاصة في فترة الفراغ، فيدخلون عبرها على مواقع إباحية، ويرتبطون بعلاقات ضارة.

ويذكر عبد الرحمن مصيقر في دراسته عن الشباب والمخدرات في دول الخليج العربي: أن دراسات أجريت في بعض الدول العربية

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج١ ص٢١٨، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

عن متعاطي المخدرات تبين أن أغلبهم كانوا يشغلون بها وقت فراغهم[١].

ونقل باحث آخر، نتائج بعض الدراسات التي أجريت حول علاقة وقت الفراغ بالانحراف، وتوصلت إلى ما يلي:

أن أغلبية الأفعال الانحرافية يرتكبها الفرد أثناء وقت الفراغ.

أن نسبة كبيرة من الانحرافات ترتكب بقصد الاستمتاع بوقت الفراغ[٢].

إن حالة الهدوء والاستقرار في كثير من الأحياء السكنية، تتعرض للاهتزاز والاضطراب، عند أول يوم من أيام العطلة الصيفية، حيث يمارس عدد من الشباب هواية (التفحيط) بسياراتهم، والقيام بحركات بهلوانية حتى وسط الأحياء السكنية، ويمتطي بعضهم دراجات نارية ذات صوت مرتفع مزعج، وينتشر بعض الشباب في الطرقات والأماكن العامة، ليقوموا بتصرفات شاذة، منافية للأدب والاحترام.

وتحسب العوائل ألف حساب للسيطرة على أبنائها عند تعطيل الدراسة، كما تستعد الأجهزة الأمنية للتعامل مع ارتفاع معدّل الحوادث والجرائم والمشاكل السلوكية، خلال العطل والإجازات.

وليس مبالغة أن نقول: إن العطلة الصيفية تخرّج كل عام أفواجاً من الملتحقين بتيارات الفساد والانحراف ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من الفراغ تكون الصبوة» أي الممارسات الصبيانية. وعنه عليه السلام:

---

(١) مصيقر: عبد الرحمن، الشباب والمخدرات في دول الخليج العربية ص٦٦ شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت.

(٢) السدحان: عبد الله بن ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب ص٢٢.

«إن يكـن الشـغل مجهـدة فالفراغ مفسـدة».

إن ذلـك يؤكـد مسـؤولية الجميـع فـي الاهتمـام بالتخطيـط السـليم لوقـت الفـراغ، والعمـل علـى احتـواء واسـتيعاب الطـلاب والطالبـات خلال العطلة الصيفية، لمسـاعدتهم على اسـتثمارها بما يخدم مسـتقبلهم ومصلحـة الوطن.

لقـد كان أرسـطو علـى حق، وبعيـد النظر حيـن رأى أن أهـم أهداف التربيـة، هـو تعليـم النـاس كيـف يسـتطيعون تمضيـة أوقـات فراغهـم، واسـتغلالها بصـورة إيجابيـة ومفيـدة.

أحاديث

الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ رجب ١٤٢٣هـ

التمييز.. مخاطر وأضرار
بين الماضي والحاضر
الإسلام شريعة المساواة
نهج المساواة
المساواة في العطاء
حقوق غير المسلمين
مع المخالفين في الرأي

عانت البشرية كثيراً ولا تزال من سياسات التفرقة والتمييز بين الناس، على أساس عرقي عنصري، أو ديني طائفي، أو اقتصادي طبقي .

حيث تعتقد فئة مهيمنة بأفضليتها على الآخرين، وتستأثر عليهم بالامتيازات، وتعاملهم باعتبارهم بشراً أو مواطنين من درجة أدنى.

وتعبر كلمة تمييز عن عملية حرمان فرد أو جماعة ما من التساوي في الفرص والحقوق والواجبات.

من الناحية العلمية لم تثبت صحة أي من النظريات العنصرية، التي تدعي رقي بعض السلالات والأعراق البشرية، وتخلف البعض الآخر، فجوهر الإنسانية واحد في كل الأعراق والسلالات، والاستعدادات والقدرات متشابهة، بيد أن للبيئة والمحيط دوراً في تنمية المواهب وإبراز القدرات، فقد تتراكم ظروف تاريخية واجتماعية مثبطّة لعوامل النهوض والتقدم عند بعض الأمم والشعوب، بينما تنقدح شرارة الانطلاق عند أمم أخرى، لعوامل وأسباب موضوعية، تناقشها أبحاث فلسفة التاريخ والحضارة.

ولعلّ في نبوغ كفاءات متميزة، وعبقريات رائدة، من مختلف

الأعـراق والمجتمعـات، مـا يكفي دليـلاً على سـقوط دعـاوى النظريات العنصرية.

كمـا يشـهد تاريخ البشـرية، بتـوارث وتعاقـب التقدم الحضـاري بين أمـم الأرض، فليـس هنـاك عـرق أو سـلالة تحتكـر مسـيرة الحضـارة في التاريخ.

«وقد تعـرض العلماء لقضية العنصرية ولما سـمي بالتفوق العنصري أو العرقـي، وأشـبعوها درسـاً وتحليـلاً، وتبيـن لهـم تهافـت الادعـاءات القائلـة بوجـود فروقات عرقيـة جوهرية بين البشـر. وتوضيحـاً لذلك فقد اجتمـع لفيـف من العلمـاء والمختصيـن في علـوم الوراثة وعلـم الأحياء العـام (البيولوجيـا) وعلم النفـس الاجتماعي، وعلـم الانتربولوجيا (علم الإنسـان)، وأصـدروا من مقر اليونسـكو في باريـس، بياناً عاماً يشـرحون فيه بطـلان النظريـات العنصرية»[١].

كمـا أن الانتمـاء الدينـي لا يصلـح مبـرراً لسياسـة التفرقـة والتمييز، فمـا مـن دين صحيـح يشـجّع أتباعـه علـى الاسـتئثار والجور، فقـد بعث اللـه تعالـى أنبيـاءه وأنـزل شـرائعه، لبسـط العـدل والخيـر بيـن النـاس، يقـول تعالـى: ﴿لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُـمْ الْكِتَـابَ وَالْمِيـزَانَ لِيَقُـومَ النَّاسُ بِالْقِسْـطِ﴾[٢] ويقول تعالـى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُـرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَـانِ وَإِيتَـاءِ ذِي الْقُرْبَـى وَيَنْهَـى عَـنْ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَـرِ﴾[٣].

وأي فئـة تمـارس التمييز بين النـاس، وتدعو أتباعهـا لتجاهل حقوق

(١) الكيالي: عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ج٤ ص٢٥٠ الطبعة الأولى، ١٩٨٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(٢) سورة الحديد آية ٢٥.

(٣) سورة النحل آية ٩٠.

الآخرين باسم الدين، لابد وأن تكون مخطئة في فهم الدين، أو قاصدة إساءة استغلاله.

بهذا يتضح خطأ ما تستند إليه سياسات التمييز من مبررات نظرية.

وعلى الصعيد الأخلاقي، فإن التمييز بين الناس في ما يجب أن يتساووا فيه، يعتبر انتهاكاً لحقوق الإنسان، واعتداءً على كرامته، وجوراً وظلماً لمن تمارس تجاههم هذه السياسة.

فقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الأولى على ما يلي:

يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

وتقول المادة الثانية:

لكل إنسان حق التمتع بكل الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي السياسي، أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة، أو الميلاد، أو أي وضع آخر.

التمييز.. مخاطر وأضرار

أما على مستوى النتائج العملية، فإن سياسات التمييز تؤدي إلى أضرار بالغة، وأخطار جسيمة، من أبرزها ما يلي:

أولاً: إضعاف الوحدة الاجتماعية، فلا يتحقق التماسك أبداً بين فئات مجتمع يتعالى بعضها على البعض الآخر، ويستأثر عليه

بالامتيازات والمكاسب. و ما يظهر من حالة وحدة واتحاد، لا يعدو أن يكون حالة فوقية سطحية مصطنعة، لا تلبث أن تخبو وتتوارى عند أي امتحان حقيقي.

ثانياً: تهديد الأمن والاستقرار، فالمتضررون من التمييز تنمو في نفوسهم وأوساطهم ردات فعل تدفعهم للانتقام، وللدفاع عن كرامتهم، ولردّ العدوان على حقوقهم، وقد تنشأ في هذا الوسط عناصر متطرفة خارج إطار السيطرة والانضباط. مما يدخل المجتمع في معادلة الفعل وردّ الفعل، ويسبب حالة القلق والاضطراب.

ثالثاً: الاستغلال الخارجي، فلكل أمة ومجتمع أعداء ومنافسون خارجيون، يهمّهم استغلال الأوضاع الداخلية، والتسلل من الثغرات ونقاط الضعف، ووجود فئة من المجتمع تشعر بالغبن وانتقاص الحقوق، يتيح للأعداء الخارجيين أفضل الفرص، وخاصة في هذا العصر الذي تستغل فيه القوى الكبرى شعارات حقوق الإنسان، ودعاوى الدفاع عن الأقليات.

رابعاً: وأد الطاقات وتهميش الكفاءات، وضعف الاستفادة من قدرات أبناء المجتمع، مادام المقياس هو الانتماء العرقي أو الديني أو الطبقي، وليس الكفاءة والإخلاص.

بين الماضي والحاضر

كانت شريعة روما تقسم الناس إلى أحرار وغير أحرار، وهؤلاء الأحرار كانوا أيضاً طبقتين: الأحرار الأصلاء وهم الرومانيون، وغير الأصلاء وهم (اللاتين) أما غير الأحرار فكانوا أربعة أنواع: الأرقاء،

والمعتقون، وأنصاف الأحرار، والأقنان التابعون للأرض. وكان الأحرار الأصلاء وحدهم المتمتعين بالحقوق السياسية، في معظم الفترات التي مر بها تاريخ روما، أما غيرهم فكانوا محرومين منها.

وكان المجتمع الإيراني في عهد الساسانيين مؤسساً على اعتبار النسب والحِرَف، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر، ولا تصل بينها صلة، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير، وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه، ولا يستشرف لما فوقه، ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها .

وقبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة قرون ازدهرت في الهند الحضارة البرهمية، التي وضعت قانوناً يعرف بـ (منوشاستر) يقسم أهل البلاد إلى أربع طبقات، هي: (البراهمة) وهم الكهنة ورجال الدين،وطبقة (شتري) وهم رجال الحرب، وطبقة (ويش) وهم رجال الزراعة والتجارة، وطبقة (شودر) وهم رجال الخدمة للطبقات الثلاث.

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة. وكانت الطبقة الرابعة (شودر) تمثل المنبوذين الذين لا يتمتعون بأية قيمة أو حقوق. وفي عام ١٩٤٨م بدأت الحكومة الهندية مقاومة هذا التقسيم الطبقي، ومع أنه حدث بعض التقدم، إلا أن آثار ورواسب هذه الحالة لا تزال قائمة في كثير من أنحاء الهند.

وعانى الزنوج السود في الولايات المتحدة الأمريكية تمييزاً عنصرياً واسع النطاق، فترة ما قبل القرن التاسع عشر، ومنذ بداية القرن

التاسع عشر، أصبح هناك قوانين في مختلف الولايات الأمريكية، لإقرار حالة الفصل والعزل العنصري بين البيض والسود، بأن يستخدم كل منهما مرافق عامة منفصلة، فقد فرضت ولاية (أوكلاهوما) - مثلاً - على السود والبيض استخدام أكشاك هاتف منفصلة، كما خصصت ولاية (أركنساس) موائد منفصلة للمقامرة، بينما استخدمت كثير من المحاكم أناجيل منفصلة للحلف عند الشهادة، كما تبنت بعض الولايات الجنوبية قوانين جردّت السود من حقوقهم الانتخابية.

واستمرت حالة التمييز والفصل العنصري طوال القرن التاسع عشر تقريباً، ثم بدأت في التراجع والانهيار التدريجي في العقد الثاني من القرن العشرين، وفي عام ١٩٦٩م ألزمت المحكمة الأمريكية العليا المدارس العامة، في المناطق المختلفة، الكف فوراً عن سياسة الفصل الاجتماعي.

وحتى خلال الثمانينيات تعرض السود للفصل الاجتماعي في مجال الإسكان، ورغم صدور الكثير من القوانين التي تمنع التمييز والفصل العنصري في أمريكا، إلا أن الحالة تتجاوز القوانين في العديد من الموارد والمواقف، حيث لا يزال السود يعيشون في مستوى أقل تقدماً من البيض، على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي.

وفي أوربا كان التمييز الديني موجوداً لعدة قرون، من القرن الخامس إلى القرن السادس عشر الميلادي، وموجهاً بصفة أساسية ضد اليهود الأوربيين، حيث كان عليهم في كثير من البلاد، عدا الأندلس، حينما كانت في ظل الحضارة الإسلامية، كان عليهم أن يعيشوا داخل أحياء الأقليات اليهودية المعروفة باسم (الجيتو). كما

كانت القوانين تحظر عليهم امتلاك الأراضي، والانضمام إلى النقابات الحرفية، أو ممارسة الطب أو القانون،مما أدى إلى تعذر حصولهم على العمل، إلا في تلك الأعمال التي يتجنبها النصارى.

وانتهجت حكومة البيض في جنوب أفريقيا أسوأ ألوان سياسات التمييز العنصري في هذا العصر، حيث احتكرت السلطة السياسية الأقلية البيضاء، المنحدرة من أصول أوروبية، من أحفاد المستوطنين الهولنديين الأوائل، الذين يعرفون باسم الأفريكانيين، وهم يشكلون نسبة ١٤٪ من السكان، ومارسوا تجاه الأغلبية السوداء من السكان الأصليين، سياسة الفصل والتمييز العنصري (الأبارتيد)، والتي أعلنها الحزب القومي عند مجيئه إلى الحكم عام ١٩٤٨م، وقد حددت للسود مساحات خاصة لحياتهم لا تتجاوز ١٣٪ من مجموع مساحة البلاد، وكان عليهم إبراز هويات شخصية للدخول إلى الأحياء التي يقطنها البيض، وكانت مدارس الدولة معزولة عزلاً عنصرياً كاملاً، كما لم يكن ممكنا لغير البيض الالتحاق بالوظائف المتقدمة المخصصة للبيض، واستمرت هذه السياسة حتى عام ١٩٩١م، حيث ألغيت بفضل صمود ونضال الشعب، والتضامن الدولي معه.

وبقيت إسرائيل قلعة شاهقة للممارسات العنصرية الظالمة، محصنة ومحمية بدعم أمريكي شامل، تطرد وتهجر أبناء فلسطين وأهلها الشرعيين، وتستورد اليهود الغرباء من مختلف بقاع الأرض، ليستوطنوا أراضي الفلسطينيين، ويسومونهم الجور والظلم.

وهناك في عديد من بلدان العالم حالات من التمييز بين الناس معلنة أو غير معلنة، تتم بمختلف الأشكال والعناوين.

الإسلام شريعة المساواة

قبل أربعة عشر قرناً، وحينما كانت شعوب الأرض ترزح تحت وطأة سياسات التمييز، بعناوينه المختلفة، جاء الإسلام ليدّشن عصراً إنسانياً جديداً، ينعم فيه الإنسان بالمساواة، التي تضمن له كرامته وحقوقه الإنسانية

لقد نص القرآن الكريم على وحدة الأصل الإنساني، وأن التنوع العرقي والقومي والديني والقبلي، هو ضمن هذا الإطار الواحد المشترك، وهو تنوع شاءته الحكمة الإلهية، لإثراء حياة البشرية، وتكامل مسيرتها. يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

إنه نداء موجه إلى الناس كافة، وكلمة (الناس) مصطلح يُعبّر به عن اسم الجنس الإنساني، وهو مصطلح لا يقبل التجزئة والثنائية، كمصطلح أمة الذي يعني جماعة من الناس، وجمعه أمم، وكذلك شعب وجمعه شعوب، وكذلك مجتمع وجمعه مجتمعات. أما الناس فهو يشمل جميع البشر، وبذلك فلا مجال لتجزئته إلا على سبيل الإضافة، ولا صيغة للجمع فيه.

وأكد الرسول محمد ﷺ مبدأ المساواة في أكثر من حديث وموقف كقوله ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط»[٢].

وقال ﷺ في خطبته بحجة الوداع: «أما بعد أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد،ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) السرخسي: شمس الدين، المبسوط، ج٥ ص٢٣، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ.

لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر،ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلّغت ؟ قالوا: بّلغ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: فليبلغ الشاهد الغائب، فربَّ مبلغ أوعى من سامع »[١].

ويرى الدكتور طه حسين: «أن الإسلام إنما جاء قبل كل شيء بقضيتين اثنتين: أولاهما التوحيد، وثانيتهما المساواة بين الناس. وكان أغيظ ما أغاظ قريشاً من النبي ودعوته، أنه كان يدعوها إلى هذه المساواة، ولم يكن يفرّق بين السيد والمسود، ولا بين الحر والعبد، ولا بين القوي والضعيف، ولا بين الغني والفقير، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعاً سواء كأسنان المشط، لا يمتاز بعضهم عن بعض، ولا يستعلي بعضهم على بعض»[٢].

نهج المساواة

تشكل سيرة الإمام علي عليه السلام في الحكم، على قصر عمرها الزمني، أروع أنموذج تطبيقي لشرعة المساواة في الإسلام، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد تسنم الإمام علي عليه السلام عرش الخلافة والحكم بمبايعة جماهيرية شاملة، بعد فترة من الفتن والاضطرابات أدت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقد ظهرت في المجتمع الإسلامي حالات وأوضاع جديدة، بسبب اتساع رقعة الفتح الإسلامي، ودخول مجتمعات أخرى إلى إطار الدولة الإسلامية، وتعاظم ثروات بيت

(١) الصالحي الشامي: محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٨ ص٤٨٢ الطبعة الأولى، ١٩٩٣م دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢) حسين: الدكتور طه، الفتنة الكبرى، ج١ ص١٠.

المال، والسياسات التي أتبعت في توزيع الموارد المالية، وبروز طموحات سياسية ومصلحية جامحة.

لقد أعلن الإمام علي عليه السلام منذ اليوم الأول لخلافته، التزامه بنهج المساواة بين أبناء الأمة، ومواطني الدولة الإسلامية، وأكد على ذلك بسياساته العملية، ومواقفه وتصريحاته العديدة. ككتابه لمالك الأشتر، حينما ولاه مصر، ذات التنوع الديني، لبقاء قسم من أهلها على المسيحية، ومن فقرات ذلك الكتاب قوله عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[1].

المساواة في العطاء

موارد بيت المال من الزكاة والخراج والغنائم، كانت تصرف على مصالح الدولة الإسلامية، ويقسّم الباقي على أبناء الأمة، وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد الخليفة الأول أبي بكر، ومقطع من عهد الخليفة الثاني عمر، كان العطاء يوزع بالتساوي بين المسلمين، وفي سنة عشرين للهجرة ابتكر الخليفة عمر تنظيمات جديدة لإدارة بيت المال، وارتأى أن يكون هناك نسق تفاضلي في العطاء، إبرازاً للسوابق التاريخية الجهادية.

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد:

لما أجمع عمر بن الخطاب على تدوين الديوان، وذلك في

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم ٥٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

المحرم سنة عشرين، بدأ ببني هاشم في الدعوة، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله ﷺ... وفرض عمر لأهل الديوان ففضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض، وكان أبو بكر الصدّيق قد سوّى بين الناس في القسم، فقيل لعمر في ذلك، فقال: لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه..فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة، حليفهم ومولاهم معهم على السواء، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة، وممن شهد أحداً، أربعة آلاف درهم لكل رجل منهم، وفرض لأبناء البدريين ألفين ألفين إلا حسناً وحسيناً، فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ... وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم، وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين، وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح... ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً، فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل، وفرض للمحررين معهم، وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ألفين، إلى ألف، إلى تسعمائة، إلى خمسمائة، إلى ثلاثمائة، لم ينقص أحداً من ثلاثمائة[1].

هذه السياسة أنتجت فيما بعد آثاراً سلبية لاحظها الخليفة عمر، وعزم على التراجع عنها، لكن الأجل لم يمهله، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: والله لئن بقيت إلى

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣ ص٢٩٧،٢٩٦، دار صادر ، بيروت ١٩٥٧م.

هـذا العـام المقبـل، لألحقـن آخـر النـاس بأولهـم، ولأجعلنهـم رجـلاً واحـداً. وفـي نقـل آخـر: لئـن بقيـت إلـى الحـول لألحقـن أسـفل الناس بأعلاهـم[1].

واسـتمرت سياسـة التمييـز فـي العطـاء بعد ذلـك طيلة عهـد الخليفة عثمـان، وزاد مـن حدة آثارها السـلبية، تصرفـات بعض حواشـي الخليفة وأقربائـه، ممـا عمّـق الحالـة الطبقيـة، وكـرّس واقـع التمييـز بيـن الناس، وأوجـد نقمـة وسـخطاً فـي العديد من الأوسـاط.

لذلـك اهتـم الإمـام علـي بمعالجـة هذه المشـكلة منـذ اليـوم الأول لخلافتـه، وجعلهـا علـى رأس أولوياتـه.

فاتخـذ قـراره الصارم بإلغاء سياسـة التمييـز في العطاء، وسـاوى بين النـاس، دون أي تفضيل أو تمييز.

بالطبـع لابـد أن يُغضـب ذلـك القـوى والجهـات المسـتفيدة مـن السياسـة السـابقة، لكنـه واجـه ذلـك بحـزم وبسـالة، موطنـاً نفسـه علـى تحمّـل المضاعفـات الخطيرة، التي قد تنال من اسـتقرار حكمه وسـلطته. لاعتقـاده بأن المسـاواة مبـدأ لا يمكن المسـاومة عليـه، ولا التنـازل عنه، ولـو كان ثمـن ذلـك اهتـزاز عـرش السـلطة، لأن السـلطة لديـه لـم تكـن هدفـاً وغايـة، بـل وسـيلة لتحقيـق المبـادئ والأهداف الإسـلامية.

وشـنّ الإمـام حملـة توعويـة تثقيفيـة فـي أوسـاط جماهيـر الأمـة لإيضـاح نهجـه وسياسـته.

روى ابـن أبي الحديد في شـرحه لنهـج البلاغة عن شـيخه أبي جعفر

(١) المصدر السابق: ص٣٠٢.

الإسكافي، أن علياً صعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة، وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة.. فكان من خطبته:

«ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون، ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النيّر غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدَّق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار».

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين، هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضّل أحداً على أحد[1].

وفي الردّ على دعوى استحقاق التمايز بسابقة الإسلام والجهاد، قال عليه السلام في إحدى خطبه:

---

(١) ابن أبي الحديد: عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ج٧ ص٣٧ الطبعة الأولى، ١٩٨٧م دار الجيل ، بيروت.

«يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.. فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أَثَرة، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا، وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتولَّ كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه»[١].

وكان مما أسخط طلحة والزبير انتهاج علي لهذا النهج، وإلغاؤه امتيازهما في العطاء، وقد صارحاه بذلك، فأجابهما بحزم: «وأمّا قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا، سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضلهم رسول الله ﷺ في القسم، ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا»[٢].

وولى الإمام علي بيت مال المدينة عمار بن ياسر وأبا الهيثم بن التّيهان، فكتب: العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من كان في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء[٣].

وجاء رهط من شيعة علي وأنصاره، مشفقين على حكم علي من معارضة مراكز القوى، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أخرجت

(١) المصدر السابق ص٤٠.
(٢) المصدر السابق ص٤١.
(٣) الريشهري: محمد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٤ ص١٩٤، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الحديث، قم.

هـذه الأمـوال ففرقتها في هـؤلاء الرؤسـاء والأشـراف، وفضلتهـم علينا، حتـى إذا اسـتوثقت الأمـور، عـدت إلـى أفضـل ما عـوّدك الله من القسـم بالسـوّية، والعـدل فـي الرعية!!

فقـال عليه السلام: أتأمروننـي ـ ويحكـم – أن أطلـب النصر بالظلـم والجور، فيمـن وُلّيـت عليـه مـن أهـل الإسـلام؟! لا واللـه لا يكـون ذلك ما سـمر السـمير، ومـا رأيـت فـي السـماء نجمـاً، واللـه لـو كانـت أموالهـم مالي لسـاويت بينهـم، فكيـف وإنمـا هـي أموالهم[1].

وجاءتـه امرأتـان فأعطاهمـا علـى حـد سـواء، فلمـا ولّتـا، سـفرت إحداهمـا وقالـت: يـا أميـر المؤمنيـن فضلنـي اللـه بمـا فضّلـك اللـه بـه وشـرّفك! قـال: وبمـا فضلنـي اللـه وشـرّفني؟ قالـت: برسـول اللـه صلى الله عليه وآله. قـال: صدقـت. وما أنت؟ قالـت: أنا امرأة مـن العرب وهذه مـن الموالي. قـال: فتنـاول شـيئاً مـن الأرض، ثم قال: قـد قرأت مـا بين اللوحيـن، فما رأيـت لولـد إسـماعيل علـى ولد إسـحاق فضـلاً ولا جنـاح بعوضـة[2].

حقوق غير المسلمين

واهتـم الإمـام علي بحفـظ حقوق كل مواطـن في دولته، مسـلماً كان أو غيـر مسـلم، فـإن غير المسـلم شـريك في الإنسـانية والوطـن، كما قال عليه السلام: «إمـا أخ لـك فـي الديـن أو نظير لك فـي الخلق».

لذلـك نجـد الإمـام علياً يتألـم لانتهـاك حرمة المـرأة غير المسـلمة، كمـا يتألـم للمـرأة المسـلمة، ويعتبـر وقـوع شـيء مـن ذلـك فـي بـلاد المسـلمين، دون مقاومـة أو ردع، يسـلب الحيـاة قيمتهـا، ويكفـي مبـرراً

(١) المصدر السابق ص١٩٥.
(٢) المصدر السابق ص١٩٦.

لاختيار الموت أسفاً واعتراضا، يقول ﷺ منددا بإحدى غارات جيوش معاوية:

«ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أُريق لهم دم، فلو أن امرءاً مسلماً، مات من بعد هذا أسفا، ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديراً»[١].

وذات مرة رأى الإمام علي شيخاً كبيراً فاقد البصر، وهو يستجدي الناس، فهاله المنظر، والتفت قائلاً: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال ﷺ: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال[٢].

وكتب في رسالة إلى عماله على الخراج، مؤكداً حرمة أموال وحقوق كل المواطنين مسلمين وغير مسلمين، يقول ﷺ: «ولا تمسُّن مال أحد من الناس؛ مصل ولا معاهد» [٣].

ونجد ذروة الاحترام والمساواة أمام القانون، ما نقله ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) عن الشعبي قال: وجد علي درعاً له عند نصراني، فأقبل به إلى شريح (القاضي) قائلاً: هذه درعي! فقال النصراني: ما هي إلا درعي، ولم يكذب أمير المؤمنين، فقال شريح

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٧، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، حديث رقم ١٩٩٩٦، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣م.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم ٥١، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

لعلي: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضحك، فأخذ النصراني الدرع، ومشى يسيراً، ثم عاد، وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، ثم أسلم، واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً[١].

مع المخالفين في الرأي

وحينما انشق قسم من الناس عن الإمام علي، بعد قضية التحكيم في صفين، وأعلنوا معارضتهم للإمام، ومخالفتهم لرأيه، بل رموه بالكفر، وهم الذين عرفوا بالخوارج، إلا أنه رفض المساس بحقوقهم المدنية، وممارسة أي تمييز ضدهم، لمجرد مخالفتهم في الرأي السياسي أو الديني، ما لم يقدموا على الإخلال بالأمن باستخدام السلاح والعنف.

والرائع في الأمر أن الإمام علياً يبادر للإعلان لهم عن حقوقهم أمام الملأ، جاء في دعائم الإسلام وتاريخ ابن خلدون أنه: خطب علي بالكوفة، فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال: كلمة حق يراد بها باطل. لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به[٢].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢ ص٤٤٣، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٩٨٩م.

(٢) الريشهري: محمد، موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٦ ص٣٤٢، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الحديث، قم.

وبعد واقعة النهروان سمع بعض أصحاب الإمام شخصاً يقال له أبا العيزار الطائي وهو يجهر برأي الخوارج، فجاءوا به للإمام علي، قائلين: إن هذا يرى رأي الخوارج، ونقلوا حديثه، فقال عليه السلام: ما أصنع به ؟ قالوا: تقتله.

قال الإمام: أقتل من لا يخرج علي؟!

قالوا: تحبسه.

قال: وليست له جناية، أحبسه عليها خلو سبيل الرجل[1].

ما أحوج الأمة الإسلامية وهي تعيش في بعض مجتمعاتها مآس فقدان المساواة، وفتن الخلافات القومية والطائفية، أن تقرأ سيرة الإمام علي عليه السلام، لتعرف سمو تعاليم الإسلام، وبراءته مما يمارس باسمه من ظلم وجور.

وما أحوجنا إلى قراءة علي في المساواة والعدل، وإبراز هذا النهج إعلامياً وثقافياً على المستوى العالمي، في مواجهة حملات التشويه، التي تستهدف الإسلام والمسلمين، وخاصة منذ الحادي عشر من سبتمبر، لإذكاء معركة الصدام الحضاري، بين الحضارة الغربية والإسلام، كما يخطط لها اللوبي الصهيوني واليمين المسيحي المتطرف، لتتمكن إسرائيل في ظل هذه المعركة المفتعلة، من مواصلة احتلالها لفلسطين وقمع انتفاضة شعبها الناهض، وتحقيق أطماعها العدوانية التوسعية.

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤ ص٣٦٦، دار الكتب العلمية ، بيروت.

أحاديث

التعصب والعصبية

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ رجب ١٤٢٣هـ

نهج التعميم والتنميط
نقد الذات
معنى التعصب
تعريف التعصب
انقسام التعصب
التعصب والعصبية في النصوص الدينية

أطلقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا حملة إعلامية شعواء على الإسلام والمسلمين، وكأن هناك جهات ودوائر كانت تنتظر مثل هذا الحدث في تصعيد موجة العداء ضد الأمة الإسلامية، وهو أمر متوقع من المؤسسات الصهيونية، والتي أقلقها استمرار وتصاعد الانتفاضة الفلسطينية، وتعاظم تأثيرها على الرأي العام العالمي، وكذلك تيارات اليمين المسيحي في أمريكا، والتي لوحظ اقترابها وتناغمها وتأثرها بالادعاءات الصهيونية، وخاصة فيما يرتبط بقيامة المسيح المترتبة على إشادة هيكل سليمان المزعوم.

ولعل العنصر الأهم في المعادلة هو ما تطمح إليه السياسة الأمريكية الحالية من بسط هيمنتها ونفوذها على العالم، كقوة عظمى وحيدة منفردة، تجد في الشرق الإسلامي أفضل ساحة لتفعيل هذا الطموح عملياً.

وتركز هذه الحملة الإعلامية على بعض المفردات، التي تريد من خلالها تركيز انطباع وصورة سيئة قاتمة، عن الإسلام والمسلمين، ومن أبرزها مفردة الإرهاب، ومفردة التعصب. حيث صدرت تصريحات عديدة من زعماء سياسيين، وكتابات متنوعة من مفكرين وأدباء غربيين، وأعمال فنية وإعلامية، تتهم الإسلام بتشجيع

الاتجاهات التعصبية، وتصف المسلمين بالتطرف والتعصب.

فقد تم طباعة ونشر عشرين كتاباً هذا العام في أمريكا، واثنان من هذه الكتب من ضمن قائمة الكتب الأكثر مبيعاً وهما: (الجهاد الأمريكي: الإرهابيون الذين يعيشون بيننا) للكاتب (ستيفن ايميرسون) و (الإسلام المتطرف يصل أمريكا) للكاتب (دانيال بايبس).

نهج التعميم والتنميط

ليس من الموضوعية، ولا يتفق مع المنهجية العلمية، استخدام أسلوب التعميم والتنميط، في الحديث عن أمة تمثل ربع سكان الكرة الأرضية تقريباً، فإذا كانت هناك اتجاهات تعصبية في أوساط المسلمين، فإنه لا تخلو أمة من الأمم من مثل ذلك، بنسب متفاوتة، وذلك لا يبرر إتهام الأمة كلها، ولا كل مدارسها الفكرية، وكتلها الاجتماعية.

وأبسط اطلاع على ثقافة الإسلام، وعلى تاريخ حضارته المشرق، يظهر بوضوح جانب المرونة والانفتاح وحرية الفكر والرأي، ومسلكية العدل والإنصاف، في رؤية الإسلام، وفي حياة مجتمعاته التي استوعبت مختلف الأديان والثقافات والمذاهب.

مما يثبت للباحث المنصف، في تاريخ الحضارة الإسلامية، أن التسامح والانفتاح هو الأصل، وأن ما يخالف ذلك يشكل نتوءاً وانحرافاً عن تعاليم الإسلام الصريحة، وعن سيرة المسلمين الواعين.

نقد الذات

من ناحية أخرى، لا يحق لنا أن نكابر، ونتستر على الاتجاهات

التعصبية الخاطئة، التي تعشش في أوساط الأمة، إنه يمكن الاستفادة من برامج الأعداء في تشويه سمعتنا، للالتفات إلى نقاط الضعف التي نعاني منها، والثغرات التي ينفذ إلينا الوهن من خلالها، لنتجه إلى معالجتها، والتخلص من أعبائها.

إن التزكية المطلقة للذات، وتجاهل نقد الآخرين، مهما كانت أغراضهم منه، تحرمنا من التقدم والتطور، وتفوّت علينا فرص الإصلاح والتغيير.

إن التعصب داء وبيل، ومرض فتاك خطير، يمنع الفكر من اكتشاف الحقائق، ويفقد الإنسان القدرة على التعايش والانسجام مع الآخرين، إنه يجعل الإنسان مستمتعاً بجهله، محروماً من استثمار قدرات عقله، رافضاً التكامل والتعاطي مع أنداده، من أبناء جنسه ومجتمعه.

فإذا ما رأينا الأعداء يتهموننا بهذه الصفة السيئة، فلا يصح أن نقف عند حدود إدانة الاتهام ورفضه، بل علينا إلى جانب ذلك المزيد من مراجعة الذات ونقدها، والقيام بعملية مسح فكري اجتماعي، لاكتشاف ما قد تعانيه الأمة وثقافاتها من حالات إصابة بهذا المرض الخطير: التعصب. ومن ثم السعي لمعالجتها والانتصار عليها.

إن نمو اتجاهات تعصبية في الأمة يكشف عن خلل فكري، وعن مشكل اجتماعي، لابد وأن يتداركه قادة الأمة المخلصون، ومفكروها الواعون، قبل أن يستشري المرض أكثر في أوصال الأمة، وتزداد أخطاره ومضاعفاته، وحتى لا تبقى مظاهر هذه الاتجاهات مستمسكات بيد أعداء الأمة، يستغلونها لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

معنى التعصب

تحدثت كتب اللغة العربية بإسهاب وتفصيل عن مأخذ لفظة تعصب، واشتقاقها، واستخداماتها.

قال الصاحب بن عبّاد في كتاب (المحيط في اللغة):

عَصَبَ الأُفُقُ: يَبِسَ واحمَّر.

والمعصوب - في لغة هُذيل-: الجائع كادت أمعاؤه تيبس.

وعَصَبَ الرِّيق بالفم: يَبِسَ.

الأمر العصيب والعصوصب: أي الشديد.

والعِصابة: ما يُشدُّ به الرأس من الصداع، وما يشد به غير الرأس فهو العِصاب، فرقاً بينهما.

وحرب عصوب: شديدة[1].

ومما ذكره ابن منظور في (لسان العرب):

العَصَب: عصب الإنسان والدابة. والأعصاب: أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها.

ولحم عصيب: صلب شديد كثير العصب.

والعِصاب والعِصابة: ما عصب به. وعَصَبَ رأسه، وعصبه تعصيباً: شدّه. واسم ما شُدَّ به العصابة. وتعصَّب: أي شد العصابة.

وعَصَبَ الناقة: شدَّ فخذيها.

---

(١) الصاحب: إسماعيل بن عبّاد، المحيط في اللغة ج١ ص٣٤٢، ٣٤٤، عالم الكتب، بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

والمعصوب: الجائع الذي كادت أمعاؤه تيبس جوعاً.

وعَصَبَة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه.

والعصبة والعصابة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين.

والتعصب: من العصبية. أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين.

وفي الحديث: العصبُّي من يعين قومه على الظلم.

والعصَبَة: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يُعَصِّبونه، ويعتصب بهم: أي يحيطون به، ويشتدُّ بهم. وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به. والعمائم يقال لها العصائب.

والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة.

واعصوصب اليومُ والشرُّ: اشتد وتجمّع. وفي القرآن: ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾

وعصب الريق بفيه: جفّ ويبس عليه[1].

نلمح فيما سبق من كلام اللغويين عدة عناصر في جذر مفردة التعصب واشتقاقاتها واستخداماتها، منها:

١. الشدّ (شدّ العصابة) والشدة (عصيب: شديد) واليبس والجفاف (عصب الأفق: يبس. وعصب الريق بالفم: يبس) والصلابة (لحم عصيب: صلب شديد كثير العصب).

٢. الإحاطة: فكل شيء استدار بشيء فقد عصب به (والعمائم

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٤ ص٧٩٣، ٧٩٠، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت ١٩٨٨م.

يقال لها العصائب) وأقارب الرجل عصبته لأحاطتهم به.

٣. الارتباط الثابت: فالعصبة: الأقارب.

٤. الاستقواء والمحاماة والمدافعة: (فالعصبية والتعصب المحاماة والمدافعة). و (أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم).

هذه الملامح في المعنى اللغوي، نرى انعكاساتها واضحة في الاستخدام الاصطلاحي لكلمة التعصب، حيث تطلق على الأشخاص الذين يتصفون بالشدة والقسوة، في أحكامهم وتصرفاتهم مع الآخرين، والذين تأسرهم وتحيط بهم فكرة معينة لا يتجاوزونها، ويرتبطون بها دون أي احتمال للانفكاك عنها، ويعيشون حالة الاستنفار المطلق، للمدافعة والمحاماة عن فكرتهم وموقفهم، خطأً أو صواباً.

تعريف التعصب

ظهر مفهوم التعصب كمشكلة في علم النفس الاجتماعي، في العشرينيات من القرن العشرين، وفي حين تدرج تيار البحوث ببطء خلال الثلاثينيات، وبداية الأربعينيات، فلم يشهد تاريخ البحث في هذا الموضوع تصاعداً فجائياً في إعداد البحوث حوله إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

ويرى الدكتور (جون دكت) أستاذ علم النفس في جامعة كيب تاون: أنه قد يكون الانتشار الواسع للتعصب أحد الأسباب المفسرة لماذا لم يظهر الاهتمام تاريخياً بالتعصب، سوى في العصر الحديث، كظاهرة تستحق الدراسة العلمية؟ ففيما مضى كان الناس بما فيهم

المهتمـون بالعلـوم الإنسـانية، يميلـون للنظر إلـى التعصـب والتمييز بين النـاس، باعتبـاره أمـراً طبيعيـاً وعادياً في الأسـاس.[١]

وقـد عالـج علمـاء الأخـلاق المسـلمون فـي بحوثهـم، موضـوع التعصـب والعصبيـة، علـى ضـوء النصـوص الدينيـة، ولكنهـم لـم يبذلوا جهـداً كبيـراً فـي وضع تعريـف علمي محـدد لمفهومـه، بل تناولـوه غالباً مـن خـلال مظاهـره وأعراضه السـلوكية.

أمـا الباحثـون فـي علـم النفـس الاجتماعي، فقـد تعـددت وتنوعت تعريفاتهـم كثيـراً لمفهـوم التعصـب، لأنـه بنـاء معقـد، ويشـمل تعريفـه مشـكلات متنوعـة، فظهـر نتيجـة لذلـك عـدد كبيـر مـن التعريفـات المتباينـة. حتـى افترض (ميلنـر) أنه «توجـد تعريفات للتعصـب بعدد كل مـن اسـتخدم هـذا الاصطـلاح».[٢]

يـرى (اولبـورت) أن أكثـر تعريفات التعصـب إيجازاً هـو: «التفكير السـيئ عـن الآخريـن دون وجود دلائـل كافية».[٣]

وجـاء فـي القامـوس الإنكليـزي الجديـد في تعريـف التعصـب أنه: «مشـاعر التفضيـل أو عدم التفضيل تجاه شـخص أو شـيء ما دون سـابقة للخبـرة، أو لا تقـوم على أسـاس الخبـرات الفعلية».[٤]

وعرفـه الدكتـور حسـن حنفـي بقولـه: «التعصـب هـو الانحيـاز

(١) دكت: الدكتور جون، علم النفس الاجتماعي والتعصب، ترجمة الدكتور عبد الحميد صفوت ص٨٢، ٨٣، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.

(٣) عبد الله: الدكتور معتز سيد، الاتجاهات التعصبية ص٤٩، عالم المعرفة ١٣٧، الكويت ١٩٨٩م.

(٤) المصدر السابق ص٩٠.

التحزبي إلى شيء من الأشياء فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص، إما مع أو ضد، والتعصب للشيء هو مساندته ومؤازرته، والدفاع عنه، والتعصب ضد الشيء هو مقاومته».

وقال بعض علماء النفس: «التعصب يعبر عن نوع من الانحياز والدفاع عن مسألة تحت تأثير العواطف، بدون الاستفادة من الفكر والعقل».

انقسام التعصب

انطلاقاً من المعنى اللغوي، وعلى أساس بعض التعريفات العامة للتعصب، بأنه مطلق الانحياز لشيء ما، والدفاع عنه، فقد فرّق العلماء المسلمون القدامى بين نوعين من التعصب، تبعاً لنصوص دينية، نوع مذموم من التعصب، وآخر محمود مطلوب.

والنوع الأول: وهو الانحياز لشيء والدفاع عنه دون مبرر معقول، وهو ما يتبادر إلى الذهن غالباً عند إطلاق كلمة التعصب، أما النوع الثاني: فهو الانحياز لشيء والدفاع عنه انطلاقاً من معطيات موضوعية واقعية.

يقول الإمام علي بن أبي طالب في خطبة له: «فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور. . . فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبرّ، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل»[1].

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ١٩٢، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

حيث يدعو الإمام للانحياز إلى القيم الفاضلة، والتمسك بها، والدفاع عنها، فهذا الانحياز تعصب مطلوب.

وفي هذا السياق سئل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن العصبية؟ فقال: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم»[1] فليس كل انحياز خطأ، بل الانحياز للخطأ هو الخطأ.

ولتوضيح مصاديق انقسام التعصب يقول الشيخ المجلسي:

التعصب المذموم في الأخبار هو: أن يحمي قومه أو عشيرته أو أصحابه في الظلم والباطل، أو يلج في مذهب باطل، أو ملة باطلة، لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته، ولا يكون طالباً للحق، بل ينصر ما لا يعلم أنه حق أو باطل، للغلبة على الخصوم، أو لإظهار تدرّبه في العلوم، أو اختار مذهباً ثم ظهر له خطأُه فلا يرجع عنه، لئلا ينسب إلى الجهل أو الضلال. فهذه كلها عصبية باطلة مهلكة، توجب خلع ربقة الإيمان. . . وأما التعصب في دين الحق والرسوخ فيه، والحماية عنه، وكذا في المسائل اليقينية، والأعمال الدينية، أو حماية أهله أو عشيرته، بدفع الظلم عنهم، فليس من الحميّة والعصبية المذمومة، بل بعضها واجب.[2]

وتأكيداً لهذا التمييز بين نوعي التعصب، اختار الشيخ الحر

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج٢ ص٣٠٨ باب العصبية، حديث٧، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م.

(٢) المجلسي: الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٠ ص٢٨٣، ٢٨٤، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

العاملي في موسوعته الحديثية (وسائل الشيعة) للباب الذي جمع فيه الأحاديث حول التعصب، اختار العنوان التالي: باب تحريم التعصب على غير الحق[١]. للإيحاء بمشروعية التعصب للحق.

التعصب والعصبية في النصوص الدينية

لم ترد في القرآن الكريم كلمة التعصب والعصبية، لكنه يمكن ملاحظة الحديث عن التعصب والعصبية كمفهوم في آيات من القرآن الكريم، بمصطلحات رديفة، كقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.[٢]

والحميّة: الأنفة أي الاستنكاف من أمر لأنه يراه غضاضة عليه، وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له[٣]. ويقال لحالة الغضب أو النخوة أو التعصب المقرون بالغضب حميّة أيضاً.[٤]

لقد أصرت قريش على منع رسول الله ﷺ والمسلمين من الدخول إلى مكة لأداء شعائر العمرة، وزيارة البيت الحرام، في السنة السادسة للهجرة، وقد أحرموا وساقوا معهم الهدي، ومنطلق إصرار قريش، هو التعصب بجهل، حميَّة جاهلية.

كما يمكن استشفاف مفهوم التعصب من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٥ ص٣٧٠، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣م.

(٢) سورة الفتح آية٢٦.

(٣) أبن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير ج٢٦ ص١٦٣، مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٠م.

(٤) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل ج١٦ ص٤٤٢، مؤسسة البعثة، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٢م.

قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾[١]. فمن أخطر صفات النفاق والانحراف أنه أمام الدعوة إلى القيم الصالحة يتمسك بموقفه الخاطئ، تعصباً ولجاجاً، حتى لا يبدو وكأنه انهزم وتراجع عن رأيه وموقفه السابق، إنه تظاهر بالقوة والعزة، وفي الواقع سقوط في أوحال الإثم والشقاء.

وفي السنة النبوية الشريفة جاءت أحاديث عديدة، تحذّر من الابتلاء بمرض العصبية والتعصب الفتاك، روى جبير بن مطعم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[٢].

ولتقرير أن العصبية المذمومة هي الانحياز للخطأ، ورد عن بنت وائلة بن الاسقع، عن أبيها: قال: قلت: يا رسول الله ما العصبية؟ فقال ﷺ: «العصبية أن تعين قومك على الظلم»[٣].

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعصَّب أو تُعصّبَ له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه»[٤].

وعنه أيضاً عن رسول الله ﷺ: «من كان في قلبه حبَّة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[٥].

وعن محمد بن مسلم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من تعصب

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٦.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٧٦٥٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم ٧٦٦٤.

(٤) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج٢ ص ٣٠٨، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م.

(٥) المصدر السابق.

عصبه اللـه بعصابة من نـار»[١].

ويعتبـر الإمـام علـي بـن أبـي طالـب عليه السلام أن إبليـس هـو مؤسـس الاتجاهـات التعصبيـة، يقول عليه السلام: «إبليـس إعترضته الحميّـة، فافتخر على آدم بخلقـه، وتعصّـب عليـه لأصلـه، فعدو الله إمـام المتعصبين، وسـلف المسـتكبرين، الـذي وضع أسـاس العصبيـة»[٢].

(١) المصدر السابق.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ١٩٢، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

أحاديث

تأملات في مولد الحسين عليه السلام

كلمة الجمعة بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٣هـ

ظاهرة فريدة
نماذج من النصوص
وقفة تأمل
من علم الغيب
أهمية الشخص والحدث
مستقبل الأبناء

من المشاكل الملحوظة في التعامل مع التراث ضمن دائرة النصوص الدينية والأحداث التاريخية، مشكلة التعامل الانتقائي، بالتركيز على بعض النصوص والأحداث وإبرازها بشكل مضخّم، مع تجاهل نصوص وأحداث أخرى والمرور عليها مرور الكرام، وذلك تبعاً للهوى والميول المذهبية أو السياسية، من غير تحكيم للضوابط العلمية والموضوعية.

فقد تجد عند هذه الطائفة أو تلك اهتماماً كبيراً بنص من النصوص أو حدث من الأحداث، لا يتميز عن كثير من أشباهه ونظائره، إلا في خدمته لتوجه من توجهات تلك الطائفة، بينما يُغض الطرف ويهمل نص أو حدث آخر، تتوفر فيه العديد من المقومات الذاتية، التي تستوجب التركيز والاهتمام.

إن الموضوعية تقتضي أن تكون درجة الاهتمام بأي نص أو حدث، تابعة لمقاييس وضوابط علمية، تأخذ بعين الاعتبار مستوى الصحة والوثاقة في النقل، وموقعية ذلك الأثر المنقول في منظومة الفكر والتشريع الديني، وضمن سياق الوقائع التاريخية.

وفي قصة مولد الإمام الحسين بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله

وريحانته، نجد ظاهرة فريدة من نوعها، لم تأخذ حقها من الاهتمام والتركيز في أوساط غالبية المسلمين المهتمين بقضايا النصوص والتاريخ.

ظاهرة فريدة

تشير نصوص عديدة إلى ظاهرة فريدة من نوعها، رافقت ولادة الإمام الحسين عليه السلام، ونشأته في أحضان جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وهي استحضار النبي صلى الله عليه وآله لحادثة مقتل الحسين عليه السلام وشهادته، وإعلانه التأثر والتألم لذلك.

ففي استقبال أي مولود، عادة ما تسود العائلة أجواء الفرح والسرور، وتغمرهم حالة الأمل والتفاؤل بمستقبل الوليد الجديد، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وآله كان ينتظر في لهفة وشوق، ما وعده الله تعالى من نسل مبارك وذرية طيبة تكون امتدادا لوجوده الرسالي، حيث كان عتاة قريش يعيّرونه بأنه أبتر منقطع الذرية والنسل، حتى أنزل الله تعالى عليه سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ! فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ! إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ!﴾ فإن أحد تفاسير الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله هو الذرية والنسل. قال الفخر الرازي: (والقول الثالث: الكوثر أولاده صلى الله عليه وآله قالوا لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه صلى الله عليه وآله بعدم الأولاد)[1].

ومقتضى ذلك أن يظهر الرسول صلى الله عليه وآله بشره وسروره بولادة سبطه الحسين عليه السلام، أما ما تتحدث به الروايات الواردة من إبداء الرسول لحزنه على ما سيصيب ولده الحسين في موارد عديدة، وأمام

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج٣٢ ص١٢٤ الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أشخاص متعددين، فهو ظاهرة فريدة من نوعها، لم يحدث مثله من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وهي تستحق الدراسة والتأمل.

نماذج من النصوص

تحدثت روايات عديدة عن هذه الظاهرة الفريدة، ونقلتها مختلف مصادر الحديث المعتبرة عند المسلمين سنة وشيعة، وأكد المحققون في علم الحديث صحة سندها، وفيما يلي بعض النماذج منها:

١. في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، حديث رقم ٤٨١٨ بسنده عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، إني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: (ما هو)، قالت: إنه شديد، قال: (ما هو)، قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رأيت خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك) فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع، قالت: فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك؟ قال: (أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا فقلت: هذا! فقال: (نعم) وأتاني بتربة من تربته حمراء. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.[١]

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٩٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. أورد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الحديث السابق في سلسلة أحاديثه الصحيحة تحت رقم ٨٢١ وعلق عليه بقوله: له شواهد عديدة تشهد لصحته، منها ما عند أحمد بن حنبل (٦/ ٢٩٤) حدثنا وكيع قال: حدثني عبدالله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة، أن النبي ﷺ قال لإحداهما: «لقد دخل علىّ البيت مَلَك لم يدخل علي قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا: حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء».

قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقال الهيثمي (٩/ ١٨٧) (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)[١].

٣. أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم ٦٤٨، بسنده عن عبد الله نُجي، عن أبيه، أنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات، قلت وماذا؟ قال عليه السلام: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أُشِمَّكَ من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.[٢]

---

(١) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ ص ٤٨٥ الطبعة الرابعة.

(٢) بن حنبل: الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١ ص٢٦٤، الطبعة الأولى ١٩٩٨م عالم الكتب.

وهناك عدد وفير من الروايات في مختلف كتب الحديث، والتاريخ تنقل مثل هذا المشهد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه يتحدث عما سيجري على سبطه الحسين، ويبدي حزنه وتألمه لما سيقع عليه بعد أكثر من نصف قرن، حيث كانت ولادة الحسين عليه السلام في السنة الرابعة للهجرة أو الثالثة، وشهادته مطلع سنة إحدى وستين، حتى أصبحت القضية مشهورة معروفة في أوساط البيت النبوي، ومن حوله من الأصحاب، كما أورد الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف.[١]

إن أكثر أمهات المؤمنين لاحظن هذا المشهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك عدد من الأصحاب، يقول الشوكاني في (درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة) بعد أن نقل بعض الأحاديث في الموضوع: (وأخرج نحو هذه الأحاديث (الطبراني) من حديث أم سلمة، وابن سعد من حديث عائشة، و (الطبراني) في (الكبير) من حديث زينب بنت جحش و (أحمد) و (أبو يعلى)، و (ابن سعد)، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث علي، و(الطبراني) في (الكبير) أيضاً من حديث أبي أمامة، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث أنس، و(الطبراني) في (الكبير) أيضاً من حديث أم سلمة وأبي سعد، و(الطبراني) في (الكبير) من حديث عائشة، و(ابن عساكر) من حديث زينب أم المؤمنين، و(ابن عساكر) من حديث أم الفضل بنت الحارث، زوج العباس[٢].

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ٤٨٢٦ ج٣ ص١٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الشوكاني: محمد بن علي، درّ السحابة ص٢٩٥. الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق. ١٩٩٠م.

وقفة تأمل

اعتقادنا كمسلمين في رسول الله ﷺ أن أعماله وأقواله، لا يصدر شيء منها اعتباطاً وعبثاً، ولا يكون منطلقاً من عاطفة وانفعال، فإذا ما وجدنا في كتب التاريخ، ومصادر الحديث، تخبرنا بأسانيد صحيحة لا يرقى إليها الشك ومن طرق متعددة، لا تنحصر في دائرة مذهب معين، بل هي مروية في مصادر الشيعة والسنة. . وكلها تحكي لنا عن حدث مميز، صدر عن رسول الله ﷺ، تجاه الإمام الحسين عليه السلام ولم يتكرر منه ﷺ مثله مع أي شخص آخر، وأن هذه الممارسة النبوية الخاصة قد تكررت في مواقف عديدة، وأمام أشخاص مختلفين، مما يدل على قصد الإعلان والإعلام عنها، تُرى ألاّ يعني ذلك أن هناك استهدافاً معيناً وراء هذه الظاهرة العجيبة؟ لماذا يتحدث رسول الله ﷺ عن مقتل سبطه الحسين بعد خمسين عاماً وهو ـ الحسين ـ في الأيام الأولى لولادته؟ ولماذا يبدي الرسول ﷺ تألمه وحزنه لحدث سيحصل بعد أكثر من نصف قرن؟ ثم لماذا هذا الاهتمام من قبل الله تعالى بإخبار نبيه ﷺ بذلك، وتحديد الأرض التي سيجري فيها الحدث، وإعطائه قبضة من ترابها؟

إنه لا يصح المرور على هذه الظاهرة مرور الكرام، ولا ينبغي تجاهلها عند من يقدّس سنة رسول الله ﷺ، ويعتقد حُجَّية أقواله وأفعاله، بل لا بد من البحث عن مدلولات هذه القضية، والتأمل في أبعادها ومعانيها.

من علم الغيب

لم يكن حديث رسول الله ﷺ لوناً من التحليل السياسي

لتحولات اجتماعية منتظرة، ولا كان على سبيل التوقع والتخمين لحدث قد يحصل، بل كان إخباراً جازماً عن مقتل شخص معين، في مكان معين، مع إسناد الخبر إلى الله سبحانه تعالى.

إنه يدخل ضمن دائرة علم الغيب الذي اختص به الباري جلّ وعلا، يقول تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[١] ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[٢] ويقول تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٣].

ولكنه تعالى يُطلع أنبياءه وأولياءه على ما يشاء من الغيب، وذلك ما تؤكده آيات عديدة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[٤] ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٥]ويقول تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٦].

وثابت عند جميع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن مغيبات كثيرة، وأنبأ عن حوادث قادمة، منها ما وقع في حياته كما أخبر صلى الله عليه وآله، ومنها ما وقع بعد وفاته طبق ما أفاد صلى الله عليه وآله.

وحادثة استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، هي من أعلام النبوة، ومن مصاديق المغيبات التي أخبر صلى الله عليه وآله عن وقوعها، فوقعت كما أخبر.

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.
(٢) سورة يونس آية ٢٠.
(٣) سورة النمل آية ٦٥.
(٤) سورة الجن آية٢٦، ٢٧.
(٥) سورة يوسف آية ١٠٢.
(٦) سورة آل عمران آية ١٧٩.

بالطبع هناك فرق واضح بين علمه تعالى بالغيب، وعلم الأنبياء والأولياء بالغيب، فعلمه تعالى ذاتي مستقل وشامل وواسع، أما علم الأنبياء والأولياء بالغيب فهو تعليم منه تعالى، غير نابع من قدرتهم الذاتية، وهو بحدود ما يشاء الله تعالى إطلاعهم عليه.

أهمية الشخص والحدث

يتضح بكل جلاء من خلال الروايات والنصوص الواردة عن إخباره ﷺ بمقتل سبطه الحسين عليه السلام، الموقعية الخاصة للإمام الحسين عند جده رسول الله ﷺ، وعند الله تعالى، والاهتمام الكبير بحادثة قتل الحسين عليه السلام، إن الروايات تشير إلى اهتمام إلهي بإبلاغ رسول الله ﷺ موضوع مقتل الحسين عليه السلام، عبر ملائكة عظام، وبإحضار تربة من أرض مصرع الحسين كربلاء، يراها رسول الله ﷺ ويشمها.

ففي بعض النصوص كما في المستدرك على الصحيحين عنه ﷺ: «أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء»[1].

وفي نص آخر أورده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عنه ﷺ: «دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا ـ حسين ـ مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء»[2].

كما أورد بن حنبل في مسنده عن أنس بن مالك: أن مَلَك المطر

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ٤٨١٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) بن حنبل: الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٢٧٠٥٩.

استأذن ربه أن يأتي النبي ﷺ فأذن له، فقال لأم سلمة: املكي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل، فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أم سلمة، فصرتها في خمارها.[1]

هذا عن الاهتمام الإلهي بإبلاغ الرسول ﷺ، كذلك يتبين من مجموع الروايات الواردة حول الموضوع، اهتمام رسول الله ﷺ بإخبار الآخرين بذلك، مع إظهاره ﷺ للحزن والتألم، مما يدل على عمق محبته ﷺ للحسين، وشدة وقوع مصيبة الحسين على قلبه.

وإذا كانت هذه الحادثة بهذا المستوى من الأهمية عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ، من قبل وقوعها، ألا تستحق أن يهتم بها المسلمون بعد وقوعها؟

إنه لا يصح النظر إلى حادثة كربلاء على أنها صراع سياسي على الحكم والسلطة، ولا معركة شخصية بين الحسين ويزيد، ولا مجرد خلاف نشب بين أطراف من السلف لا شأن للأجيال اللاحقة به

إنه لو كان كذلك، لما حظي الأمر بهذا الاهتمام من قبل الوحي، ولا استدعى هذا التفاعل الكبير من قبل الرسول ﷺ.

فالمسألة أعمق من أن ينظر إليها بهذه الطريقة السطحية الساذجة، إنها ترتبط بحفظ مكانة رسول الله ﷺ في الأمة، وبموقعية أهل بيته

(١) المصدر السابق، حديث رقم ١٣٥٧٣.

الذين يشكلون امتداده الرسالي، والذين طالما أوصى الأمة بحبهم وأداء حقوقهم، كقوله ﷺ الذي أورده مسلم في صحيحه: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

كما ترتبط المسألة بموقف الأمة تجاه الظلم والانحراف الذي بلغ أوجه وذروته بمأساة أهل البيت في كربلاء. ومن هذا المنطلق اهتم أهل البيت بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وأوصوا أتباعهم بذلك، تأسياً باهتمام رسول الله ﷺ.

مستقبل الأبناء

يمكننا أن نلمح من خلال هذا الموضوع الاهتمام بمستقبل الأبناء، حيث لم ينشغل رسول الله ﷺ بأفراح لحظات ولادة الحسين عليه السلام، وسروره بنشأته ونموه، عن استشفاف مستقبله ومصيره، ومن ذلك نستنبط فائدة تربوية هامة هي ضرورة التفكير في مستقبل الأبناء، والتخطيط لأدوارهم في الحياة.

إن المجتمعات المتقدمة، والدول المتحضرة، ترسم سياستها المستقبلية في التعليم والصحة والعمران وسائر المجالات، على أساس نسبة النمو السكاني، فإذا كانت نسبة النمو مثلاً ٢٪ أو أقل أو أكثر، فإن ذلك يعني التخطيط لإعداد مدارس تستوعب هذه الزيادة بعد سنوات، وكذلك تهيئة التعليم الجامعي، والخدمات الصحية، وفرص العمل، وحتى تخطيط الشوارع والمدن.

---

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم ٢٤٠٨، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار المغني، الرياض.

وكذلك فإن العوائل المتحضرة المهتمة بمستقبل أبنائها، تضع الخطط والبرامج لضمان نجاح الأبناء وتقدمهم، منذ الأيام الأولى لولادتهم وقدومهم للحياة، وهناك الآن في بعض البلدان برنامج لدى بعض البنوك وشركات التأمين، لخدمة مستقبل الأبناء، وضمان توفير ما يحتاجونه من تعليم متقدم، بأن يدفع الإنسان لشركة التأمين مبلغاً محدوداً يقتطع من دخله شهرياً، لتتحمل شركة التأمين فيما بعد نفقات تعليم الولد.

إن هذا النوع من التفكير والتخطيط ضروري جداً لمجتمعاتنا، والتي تبدو وكأنها فوجئت بأعداد كبيرة من الأبناء، لا تتوفر مدارس ولا جامعات ولا فرص عمل كافية لاستيعابهم.

كما أن بعض العوائل تبدد إمكانياتها الحاضرة على مسائل الترفيه والكماليات، والسفرات السياحية، دون أن تدّخر شيئاً من الإمكانيات، من أجل بناء مستقبل أبنائها، ثم تجد نفسها في وضع العاجز عن مساعدة الأولاد لشق طريق تقدمهم في الحياة.

إن التفكير المستقبلي يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من اهتمامات الإنسان الواعي، وخاصة مع تعقيدات الحياة الحاضرة، وزيادة متطلباتها، وإن القرآن الكريم ليأمرنا بالتفكير في مستقبل أبنائنا في الآخرة وما بعد الدنيا، فضلاً عن التفكير في شؤون دنياهم. وفي الحقيقة فإن نجاة أبنائنا في الآخرة يعتمد على صلاحهم في الدنيا، يقول تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

(١) سورة التحريم آية ٦.

كما يلفت القرآن الكريم النظر إلى ضرورة المشاركة في صنع واقع اجتماعي يضمن حماية مستقبل الأبناء، حتى لو فقدوا آباءهم، عن طريق التزام سنن الخير، ورعاية حقوق الأيتام والفقراء في المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا. وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[1].

ومع تشجيع الدين للإنسان على البذل والإنفاق في الطاعات وأمور الخير، لكن هناك روايات تشير إلى أولوية التفكير في مستقبل الأبناء، وأنه لا ينبغي للإنسان أن ينفق أمواله على الطاعات في حياته، ثم يترك أبناءه في حاجة وفقر.

عن أبي بصير، أنه سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: الرجل أيسعه أن يجعل ماله لقرابته؟ فقال: هو ماله يصنع به ما يشاء إلى أن يأتيه الموت، إن لصاحب المال أن يعمل بماله ما شاء ما دام حيّاً، إن شاء وهبه، وإن شاء تصدّق به، وإن شاء تركه إلى أن يأتيه الموت، فإن أوصى به فليس له إلا الثلث. إلاّ أن الفضل في أن لا يضيّع من يعوله، ولا يضر بورثته. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لرجل من الأنصار أعتق مماليك له لم يكن له غيرهم، فعابه النبي صلى الله عليه وآله وقال: ترك صبية صغاراً يتكففّون الناس[2].

(١) سورة النساء آية ٨، ٩.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج٧ ص٨، ٩، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م.

أحاديث

ليلة النصف من شعبان

كلمة الجمعة بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٣هـ

النصف من شعبان
الجذور الدينية
أحاديث وروايات
تحويل القبلة
ولادة الإمام المهدي
برامج الاحتفاء

تـؤدي المناسـبات الاجتماعيـة العامـة دوراً ايجابيـاً كبيـراً فـي حيـاة المجتمعـات، ونقصـد بهـا تلـك المناسـبات التي يتوافـق أبنـاء المجتمع علـى إحيائهـا والاحتفال بهـا، ضمـن برامج عامة، يشـترك فيهـا الجميع، بأحاسـيس ومشـاعر موحـدة الاتجاه.

ومن أبرز ما تحققه هذه المناسبات في الحياة الاجتماعية ما يلي:

أولاً: تأكيـد هويـة المجتمـع، فهـي غالبـاً مـا تكـون منبثقة مـن معنى دينـي، يؤمـن بـه المجتمـع، أو تخليـداً لحـدث وتحـوّل فـي تاريخـه، أو تقديسـاً لرمـز مـن رمـوزه، أو تحكـي عـن تفاعـل المجتمـع مـع بيئتـه واهتماماتـه.

ثانياً: خدمـة تماسـك المجتمـع عبـر التمحـور حـول توجهـات واحـدة، والاشـتراك فـي مشـاعر موحـدة، ومـا تفرضـه برامج الاحتفـاء بالمناسـبة مـن تعـاون وتفاعـل عـام.

ثالثاً: تجديـد حيويـة المجتمـع، ببعـث حالـة مـن الحركـة والنشـاط الاجتماعـي، وبإضفـاء جـو مـن الأمـل والبهجة فـي النفوس، وكذلـك بـروز المواهـب والطاقـات مـن خـلال إبداعاتهـا وإنجازاتهـا فـي الاحتفـاء بالمناسـبة.

من هنا لا تكاد تخلو حياة مجتمع بشري من وجود هذه المناسبات، مع تفاوت في منطلقاتها، وبرامج إحيائها.

فهناك مثلاً عيد أول مايو، الذي تحتفي به مجتمعات غربية كثيرة، ويتحول إلى مناسبة اجتماعية عامة، وهو أول أيام الربيع بعد انتهاء الشتاء، ومنذ العصور الوسطى كان الأوربيون يحتفلون بهذه المناسبة، ويجمعون الأزهار لتزيين بيوتهم وكنائسهم، ويغنون أغاني الربيع، ويتبادلون الهدايا، ويقيمون سارية مايو يرقصون حولها، ممسكين بأطراف أشرطة قماشية تتدلى منها، ويظلون يلفونها حول سارية مايو حتى يتم كساؤها بمزيج من الألوان الزاهية.

وفي فرنسا يأخذ هذا العيد بعداً دينياً، إذ يعتبر الفرنسيون شهر مايو شهراً مقدساً عند مريم العذراء. فكانوا يتوجون صغار الفتيات ملكات في الكنائس ليخرجن بعد ذلك في موكب تشريفاً لمريم العذراء.

ويحتفل الأطفال في كثير من المدن والضواحي الأمريكية بعودة الربيع بالرقص والغناء، وتقام هذه الاحتفالات في الحدائق والمدارس، وغالباً ما يقومون بجمع الأزهار ووضعها في سلال يصنعونها من الورق بأيديهم، ثم يعلقونها على مقابض أبواب بيوت أصدقائهم وجيرانهم صبيحة أول مايو.

وأخيراً أصبح أول مايو عيداً للعمال، وإجازة رسمية لهم في أغلب دول العالم، وهناك عيد رأس السنة الميلادية، الذي تحتفل به الشعوب الغربية والمسيحية بشكل عام، وتعكس وسائل الإعلام برامجه الرسمية والشعبية المختلفة في البلدان. وتشمل العادات

الحديثة في رأس السنة لدى الغربيين وبعض الشعوب الأخرى زيارة الأصدقاء والأقارب، وتبادل الهدايا، وحضور الشعائر الدينية.

وفي بلجيكا يكتب الأطفال رسائل لوالديهم على ورق مزخرف، ويقومون بقراءتها لعائلاتهم. وفي اليابان يشغل عدد كبير من الناس أنفسهم بالعبادة في عيد رأس السنة، ويحتفل الناس بالعيد في العديد من المنازل اليابانية عن طريق التنظيف الطقسي للمنازل، وإقامة الولائم، وتبادل الهدايا والزيارات، وقد يعلق حبل مقدس فوق مدخل المنزل لإبعاد الأرواح الشريرة.

ويذهب عدد كبير من الناس إلى حفلات رأس السنة، وعند منتصف الليل تقرع الأجراس، وتطلق الصفارات والألعاب النارية، ويصيح الجميع (كل عام وأنتم بخير)[1].

النصف من شعبان

وفي المجتمعات الإسلامية هناك مناسبات اجتماعية دينية يحتفي بها المسلمون جميعاً بمختلف مذاهبهم، وفي جميع بلدانهم، هي عيدا الفطر والأضحى، وهناك مناسبات يحتفي بها بعض المسلمين، إما لثبوت شرعية الاحتفاء بها في مذهبهم، وإما لارتباطها بشأن وطني، أو إرث اجتماعي.

ومن تلك المناسبات البارزة التي تحتفي بها مجتمعات إسلامية كثيرة، هي ليلة النصف من شعبان، وللاحتفاء بهذه الليلة نوعان من البرامج: برامج تعبدية، كالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، وبرامج

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٦ ص٧٢٣، ٧٢٥ الطبعة الثانية ١٩٩٩م، الرياض.

اجتماعية كالاحتفالات العامة، وتزيين المنازل والأماكن، وخروج الأطفال مجاميع وزرافات، ينشدون أراجيز خاصة بالمناسبة، ويستقبلهم أرباب المنازل بتوزيع الحلويات والهدايا عليهم.

ويطلق على عادة خروج الأطفال ليلة النصف من شعبان ومثلها ليلة النصف من رمضان، وتوزيع الهدايا عليهم مصطلح (كريكعان)، في بعض مناطق الخليج وفي الأمارات العربية يسمونه (حق الليلة)، وفي سلطنة عمان تسمى (القرنقشوه) أو (الطلبة)، وتسمى أيضاً (طاب طاب)، وفي البحرين تسمى (كرنكعوه)، وفي الساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية تسمى (الناصفة) و(كريكشون) و (حل وعاد)، وفي الكويت تسمى (كريكعان)[1].

ويسجل الإمام الشيخ محمود شلتوت (شيخ سابق للجامع الأزهر) صورة عن الاحتفاء الديني بليلة النصف من شعبان في كتابه (من توجهات الإسلام) بالشكل التالي:

«جرت عادة المسلمين في عهودهم الأخيرة أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالاً دينياً، نرى مظهره في المساجد وفي البيوت. ففي المساجد يجتمعون عقب صلاة المغرب، ويصلون صلاة خاصة تعرف باسم صلاة النصف من شعبان، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة معينة هي سورة (يس)، ثم يبتهلون كذلك بدعاء يعرف بدعاء (ليلة النصف)، ويكررون ذلك ثلاث مرات، أولاها بنية طول العمر، والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الغنى. أما في البيوت فهم

(١) الدرورة: علي إبراهيم، حق الليلة، مقال، مجلة تراث، عدد ٣٦ نوفمبر ٢٠٠١م، ص٧٨ شهرية تصدر عن نادي تراث الأمارات.

يهتمـون اهتمامـاً خاصـاً بتهيئـة طعـام يجتمـع عليـه جميـع أفراد الأسـرة بعد صـلاة العشـاء»[١].

ويـرى الشـيخ شـلتوت أن هـذه البرامـج العباديـة لم تثبـت نصوص شـرعية بحقهـا، ولكنـه لا يرى مانعـاً من الاحتفـاء بها احتفـالاً قومياً على حـد تعبيـره، يقول مـا نصه:

«وإذا كان للنـاس أن يحتفلـوا بليلـة النصـف مـن شـعبان، فلهـم أن يحتفلـوا بهـا احتفـالاً قوميـاً تاريخيـاً علـى مـا ذهـب إليـه كثيـر مـن المؤرخيـن مـن أنهـا الليلة التـي وجه المسـلمون فيهـا من بيـت المقدس إلـى الكعبـة»[٢].

الجذور الدينية

يبـدو أن الاحتفـاء بليلـة النصـف مـن شـعبان لـم يحدث مـن فراغ، وليـس مجـرد عـادة اجتماعيـة، وموروث شـعبي، بـل إن له جـذوراً دينية يمكـن تلمسـها عبـر النقـاط التالية:

أولاً: الروايـات والأقـوال الواردة عن أئمة السـلف حـول فضل هذه الليلـة، ومكانتهـا عند الله سـبحانه وتعالى.

وقـد أشـار أغلب المفسـرين عنـد تفسـير قولـه تعالـى: ﴿إِنَّـا أَنزَلْنَاهُ فِـي لَيْلَـةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّـا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْـرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيـمٍ﴾[٣] إلى وجود رأي بـأن تلـك الليلـة المباركـة التـي أنـزل فيهـا القـرآن، وفيها يفـرق كل

(١) شلتوت: محمود، من توجيهات الإسلام ص ٤٦٩ الطبعة السادسة ١٩٧٩م، دار الشروق، القاهرة، بيروت.
(٢) المصدر السابق ص ٤٧٣.
(٣) سورة الدخان آية ٢، ٣.

أمر حكيم، هي ليلة النصف من شعبان. والراجح أن المقصود بتلك الليلة هي ليلة القدر، لكن وجود هذا الرأي ينبئ عن ما ارتكز في الأذهان من فضل هذه الليلة، وفي سياق هذا الرأي تحدث أكثر من عالم ومفسر عن ما ينقل ويروى عن مكانة هذه الليلة.

قال الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) في تفسيره: (والليلة المباركة: ليلة القدر. وقيل: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة الرحمة. . وقيل في تسميتها: ليلة البراءة، والصك: إن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة، كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة. وقيل: هي مختصة بخمس خصال: تفريق كل أمر حكيم، وفضيلة العبادة فيها: قال رسول الله ﷺ: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشر يدفعون عنه مكايد الشيطان». ونزول الرحمة: قال ﷺ: «إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب» وحصول المغفرة: قال ﷺ: «إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة، وذلك إنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته، فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين، ثم سأل الخامس عشر فأعطي الجميع، إلا من شرد عن الله شراد البعير. ومن عادة الله في هذه الليلة: أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة. والقول الأكثر: أن المراد بالليلة المباركة

ليلة القـدر»[١].

وذكـر نحو ذلك وزيادة السـيد الآلوسـي البغدادي في تفسـيره (روح المعانـي)، وكذلـك الفخـر الـرازي فـي (التفسـير الكبيـر)، وأبـو حفص عمـر بن علي الدمشـقي الحنبلي في تفسـيره (اللباب في علـوم الكتاب). كمـا أشـار إلى هـذا الرأي الشـوكاني في تفسـيره (فتـح القديـر)، وكذلك الطبـري فـي تفسـيره، والبغـوي فـي تفسـيره (معالـم التنزيـل). وغيرهـم كثيـر مـن المؤلفين.

أحاديث وروايات

ثانيـاً: الأحاديـث المروية عن رسـول اللـه ﷺ في فضـل ليلة النصف مـن شـعبان، وفضل العبـادة فيهـا، وإن كان كثير مـن علماء السـنة يتحفّظ علـى صحة أسـانيد كثير منهـا، إلا أن هناك من يأخذ بعـض تلك الروايات بعيـن الاعتبـار، كما أن مصـادر الحديث عند الشـيعة قـد أوردت نصوصاً وروايـات عـن أئمـة أهل البيـت عليهم السلام، في فضـل ليلـة النصف من شـعبان، وفضـل الأعمـال الصالحة فيها.

وكنماذج نذكر بعض الأحاديث الواردة في مختلف المصادر:

أفـرد ابـن ماجـة القزويني في سـننه بابـاً تحت عنـوان: (بـاب ما جاء فـي ليلـة النصـف مـن شـعبان) جـاء فيـه مسـنداً إلى علـي بن أبـي طالب قـال: قال رسـول اللـه ﷺ: إذا كانت ليلـة النصف من شـعبان فقوموا ليلها وصومـوا نهارهـا، فإن اللـه ينزل فيها لغروب الشـمس إلى السـماء الدنيا، فيقـول: ألا مـن مسـتغفر لـي فأغفـر لـه، ألا مسـترزق فأرزقـه، ألا مبتلـى

(١) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر بن محمد، تفسير الكشاف ج٤ ص٢٦٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

فأعافيه، ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر.

وبسنده عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرجت أطلبه، فإذا هو بالبقيع رافع رأسه إلى السماء، فقال يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: قلت وما بي ذلك، ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال: إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب .

وبسنده عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.[١]

بالطبع لا بد من تأويل نزول الله تعالى بنزول رحمته ولطفه لتنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه.

وقد أورد بن حنبل في مسنده حديث عائشة المذكور.[٢]

وجاء في كنز العمال عن عائشة: عنه ﷺ: «إن الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه»[٣].

وفيه عن أبي ثعلبة الخشني: عنه ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع

(١) السندي: أبو الحسن الحنفي، شرح سنن ابن ماجة القزويني ج١ ص٤٢١، دار الجيل، بيروت.
(٢) بن حنبل: احمد، مسند الإمام احمد بن حنبل، حديث رقم٢٦٥٤٦، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، عالم الكتب، بيروت.
(٣) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٧٤٥٠، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أهـل الحقـد بحقدهـم حتى يدعـوه»[1].

وقريـب منـه حديـث رقـم ٧٤٦١ ورقم ٧٤٦٢ عـن أبي بكـر، وآخر رقـم ٧٤٦٣ عـن أبي موسـى، ورقـم ٧٤٦٤ عـن معاذ، ورقـم ٧٤٦٥ عن ابـن عمرو.

ومما جـاء فـي كنـز العمال حـول ليلـة النصف مـن شـعبان، حديث رقـم ٣٤٧١٣، عـن عائشـة وابـن عبـاس عنـه ﷺ: «إن اللـه تعالـى يلحظ إلـى الكعبـة فـي كل عام لحظـة، وذلك في ليلـة النصف من شـعبان، فعند ذلـك تِحنُّ إليهـا قلـوب المؤمنين».

وذكـر فـي بـاب فضـل الأزمنـة، حـول تعبـد رسـول اللـه ﷺ ليلـة النصـف مـن شـعبان عـدة أحاديـث ضمـن الأرقـام التاليـة: ٣٨٢٩٠/ ٣٨٢٩١/ ٣٨٢٩٣.

وهنـاك عـدة أحاديث فـي مختلـف المصـادر، وإذا كان هنـاك نقاش عنـد علمـاء أهـل السـنة حـول مـدى صحـة وقـوة هـذه الأحاديـث، فإن ورودهـا مـن طـرق مختلفـة، وفـي مصادر عديـدة، أوجـدت اهتماماً في النفـوس بهـذه الليلـة الكريمة.

أمـا فـي مصـادر الشـيعة، فهناك عـدد كبير مـن الروايات الـواردة عن أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام حـول فضل ليلـة النصـف من شـعبان، واسـتحباب التعبّـد فيها.

منهـا مـا نقلـه الوسـائل بسـنده عـن بن فضـال قـال: سـألت علي بن موسـى الرضـا عليه السلام عـن ليلـة النصـف مـن شـعبان ؟ فقـال: هي ليلـة يعتق

(١) المصدر السابق، حديث رقم ٧٤٥١.

الله فيها الرقاب من النار، ويغفر فيها الذنوب الكبار، قلت فهل فيها صلاة زيادة على صلاة سائر الليالي؟ فقال: ليس فيها شيء موّظف، ولكن إن أحببت أن تتطوع فيها بشيء فعليك بصلاة جعفر بن أبي طالب، وأكثر فيها من ذكر الله والاستغفار والدعاء، فإن أبي عليه السلام كان يقول: الدعاء فيها مستجاب. قلت: إن الناس يقولون: إنها ليلة الصكاك ؟ قال: تلك ليلة القدر في شهر رمضان[١].

وبسنده عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: سئل الباقر عليه السلام: عن فضل ليلة النصف من شعبان؟ فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله، ويغفر لهم بمنّه، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها، فإنها ليلة آلى الله على نفسه أن لا يرد سائلاً له فيها ما لم يسأل معصية.[٢]

وعن زيد بن علي قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يجمعنا جميعاً ليلة النصف من شعبان، ثم يجزئ الليل أجزاء ثلاثة، فيصلي بنا جزءاً، ثم يدعو فنؤمن على دعائه، ثم يستغفر الله ونستغفره، ونسأله الجنة حتى ينفجر الفجر[٣].

تحويل القبلة

ثالثاً: ذكر عدد من المؤرخين ورواة السيرة النبوية أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة كان في الخامس عشر من شعبان، في السنة الثانية للهجرة، ويوافق نوفمبر ٦٢٣م. وهناك قول أن ذلك

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، حديث ١٠٠٨٩، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣م.
(٢) » المصدر السابق، حديث رقم ١٠١٨٣.
(٣) » المصدر السابق، حديث رقم ١٠١٩٢.

منتصف شهر رجب، قال الجمهور الأعظم، إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة[١] وبه قال ابن حبيب وذكره النووي في (الروضة)[٢].

ولا شك أن تحويل القبلة كان حدثاً هاماً في الدعوة الإسلامية، ووقوعه في هذا اليوم يعزز مكانة هذا اليوم، ويجعله حريّاً بالاحتفاء والتكريم، كما تحدث الشيخ محمود شلتوت فيما نقلنا عنه سابقاً.

ولادة الإمام المهدي

رابعاً: مما اتفق عليه المسلمون أن رسول الله ﷺ بشّر أمته بخروج رجل من ولده من نسل فاطمة الزهراء، آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، هو الإمام المهدي المنتظر.

وقد أخرج الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة عدة أحاديث عن خروج الإمام المهدي وعنونها بعنوان: (خروج المهدي حقيقة عند العلماء) ومن الأحاديث التي أوردها قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدوناً، ثم يخرج رجل من عترتي، أومن أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» أخرجه أحمد (٣/ ٣٦) وابن حبان (١٨٨٠) والحاكم (٤/ ٥٥٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠١) وقال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وأشار إلى تصحيحه أبو نعيم[٣].

---

(١) رضا: محمد، محمد ﷺ ص١٤٦. دار الفكر، بيروت ١٩٧٥م.

(٢) الصاغرجي: أسعد محمد، سيدنا محمد رسول الله الأسوة الحسنة ج١ ص٢٦١. الطبعة الأولى ١٩٩٧م دار الكلم الطيب، بيروت.

(٣) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة.ج٤ ص٣٩ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

وأفرد أبو داوود فصلاً في سننه بعنوان (كتاب المهدي) ذكر فيه أحد عشر حديثاً منها حديث سعيد بن المسيّب عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» [١].

وقد اتفق علماء الشيعة على أن الإمام المهدي الموعود ولد ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ، الموافق سنة ٨٦٨م. وأبوه الإمام الحسن بن علي العسكري، وأمه نرجس، وكانت ولادته في مدينة (سر من رأي) في العراق.

ولا شك أن ولادة هذا الإمام العظيم، الذي أعدّه الله لدور عظيم، حدث يستحق الاحتفاء والاهتمام، وهو ما يدفع جمهور الشيعة ويبعثهم للاحتفال بهذه الليلة المباركة.

برامج الاحتفاء

هناك ثلاثة ألوان من برامج الاحتفاء بليلة النصف من شعبان، تتكامل فيما بينها لاستثمار هذه الليلة المباركة فيما ينفع المجتمع ويفيده:

الأول: هو البرامج العبادية، التي توجه الإنسان للإقبال على ربه، واستشعار العبودية له، ولتجديد عهود الطاعة والالتزام بأوامره، وطلب المغفرة والخير منه تعالى.

وذلك عبر الصلاة، والمناجاة والدعاء، وتلاوة القرآن الكريم، وتجديد الولاء لنبي الإسلام وأهله الكرام، بزيارتهم والصلاة والتسليم

(١) السجستاني: سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، حديث رقم ٤٢٨٤، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار الجنان، بيروت.

عليهم .

وقد ذكرت كتب الشيعة المختصة بالأدعية والأذكار، مجموعة من الأعمال الصالحة والمستحبة، لإحياء هذه الليلة المباركة بالعبادة والتهجد.

الثاني: برامج التوعية والإرشاد، حيث تقام الاحتفالات ومجالس الخطابات والمحاضرات، لتبيين هدي الإسلام، والحديث عن قضية الإمام المهدي عليه السلام، وبشارة الرسول صلى الله عليه وآله بخروجه، وعرض قصة ولادته وسيرته، ومعالجة قضايا الدين والمجتمع.

الثالث: العادات والتقاليد الاجتماعية في إحياء هذه المناسبة بالتواصل، وتبادل التبريكات والتهاني، وزيارة الأقرباء والأرحام، وتقديم الهدايا للأطفال الذين يجوبون الأحياء، ويقصدون المنازل، مما يخلق أجواء البهجة والسرور في سماء المجتمع، ويغرس في نفوس الأبناء حب دينهم ومجتمعهم، ويربيهم على الارتباط والانشداد بتاريخهم وتراثهم.

ولا بد هنا من التنبيه والتحذير مما قد تقوم به بعض العناصر غير المنضبطة من الشباب، من ممارسات طائشة منحرفة،في مثل هذه المناسبات الاجتماعية، كما لوحظ في السنوات الأخيرة، من التعرض للنساء والفتيات، أو الاعتداء على بعض الممتلكات، أو التفحيط بالسيارات، وقيادة الدراجات النارية بسرعة كبيرة وبأصوات مزعجة. . وما أشبه من التصرفات الخاطئة الضارة، التي تسبب الإضرار بالفرد والمجتمع، وتعكّر صفو الاحتفاء بهذه الليلة المباركة، وتعطي صورة مشوهة عن المجتمع وتقاليده.

إن على العوائل تنبيه أبنائها إلى الابتعاد عن مثل هذه التصرفات، ومراعاة الآداب العامة، وأن تلتزم الفتيات بالحجاب الشرعي، والحفاظ على العفة والاحتشام، وإلاّ فلا يجوز خروجهن بحجة الاحتفاء بهذه المناسبة، لأن رعاية أحكام الدين، وصيانة العرض هو الأهم.

وعلى المعلمين في المدارس إرشاد طلابهم في اليوم السابق للمناسبة، ليتحلّوا بالأخلاق والآداب الفاضلة، ولا يستجيبون لدعوات أقران السوء والعناصر الطائشة.

ولا بد من خلق جو عام في أوساط المجتمع، وخاصة الشباب ضد مثل هذه التصرفات، لأن التفرج عليها والسكوت عنها يجعلها مرشحة للاستمرار والاتساع.

كما أن وجود المبادرات الطيبة باستقطاب الشباب ضمن أكبر قدر ممكن من البرامج الجذّابة والشيقة للاحتفاء بالمناسبة، هو البديل الأفضل.

أحاديث

الفكريين الموضوعية والانحياز

كلمة الجمعة بتاريخ ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ

منهجية التفكير
منهجية خاطئة
الجانب المصلحي
رغبة التوافق الاجتماعي
التقديس والانبهار
احترام العقل

مـن مصلحـة الإنسـان أن يـرى الأشـياء علـى حقيقتهـا، وبحجمهـا الواقعـي، ليتعامـل معهـا بشـكل صحيـح. فمـن يقـود السـيارة ـ مثـلاً ـ يحـرص علـى أن يركز نظـره، ويتجنب ما يعرقل الرؤية أو يشوشـها، ليرى إشـارات المـرور، ومنعطفـات الطريـق، والمسـافة بينـه وبيـن السـيارات الأخـرى، فلا تختلـط عليه الألـوان، ولا تلتبس عليه المسـافات الفاصلة، ليتمكـن مـن القيادة السـليمة.

أمـا إذا كان يعانـي مـن خلـل فـي النظـر، أو تسـاهل فـي التركيـز والانتبـاه، فـرأى القريـب بعيـداً، أو البعيـد قريبـاً، أو لـم ينتبـه لمنعطف أو ارتفـاع فـي الطريـق، فـإن ذلـك يعرضـه للسـوء والخطـر.

كذلـك فـي عالـم الآراء والأفـكار، فـإن مصلحـة الإنسـان تقتضـي حرصـه علـى تمييـز الأفـكار، ومعرفـة الصـواب فيها مـن الخطـأ، ليأخذ منهـا الموقف السـليم.

لذلـك يحتاج إلـى تركيز الفكر، والحـذر من المؤثرات التي تشـوش الرؤيـة أو تنحـرف بهـا، حتـى يتسـنى لـه إدراك الحقائـق، والوصـول إلى مواقـع الصواب.

إن مـن أهم شـرائط التفكير السـليم، التـزام الموضوعية فـي البحث،

دون ميل وانحياز، ليرى الإنسان الحق حقاً فيتبعه، والباطل باطلاً فيجتنبه .

أما إذا ابتلي الإنسان بداء التعصب الفكري، فإنه يفوِّت على نفسه فرصة الإدراك الصحيح، والرؤية السليمة.

إن لداء التعصب الخطير مظاهراً وأعراضاً على مستوى الفكر، كما له انعكاسات على ساحة النفس، وميدان السلوك. ولعل من أبرز تجليات حالة التعصب الفكري، السمات التالية:

- الارتباط العاطفي بالفكرة.
- الانغلاق على الفكرة.
- رفض المراجعة والحوار.

منهجية التفكير

النقطة الأساس في التعامل مع الأفكار والآراء، اعتماد منهجية سليمة في التفكير، بأن يفسح الإنسان المجال لعقله، لكي يمعن النظر في كل فكرة بموضوعية وتجرد، دون تأثير أو تشويش من العوامل العاطفية الذاتية، أو الضغوط الخارجية.

إن التزام المنهجية السليمة في التفكير قيمة عليا، وهدف مقصود، بغض النظر عما يوصل إليه من نتائج صائبة في الرأي، فحتى لو أدى اجتهاد الإنسان الفكري إلى نتيجة خاطئة، لسبب أو آخر، فإنه لا يؤاخذ بخطئه عقلاً وشرعاً، ما دام قد بذل جهده، ضمن منهجية سليمة، بينما لو أدرك نتيجة صائبة باعتماد منهجية خاطئة، فإنه يستحق اللوم والمؤاخذة. وفي مجال العلوم الشرعية، اتفق علماء الإسلام

على أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، وإنما استحق الأجر مع خطئه لما بذل من جهد ضمن منهجية صحيحة للاستنباط. أما لو سلك منهجية غير سليمة، كالاعتماد على طريق السحر والشعوذة، أو أطياف النوم، لأخذ الرأي الشرعي، فإنه محاسب على انتهاج هذا المسلك الخاطئ، ولو وصل عبره إلى ما يطابق رأي الشرع.

إن سلامة منهجية التفكير تعني تحرر العقل في بحثه ونظره من المؤثرات العاطفية، بأن يعطي الإنسان لعقله حرية العمل والحركة، ولا يقيده برغباته وانشداداته العاطفية والمصلحية، ليقوم العقل بدوره خير قيام، وليؤدي وظيفته على أحسن وجه، ويستطيع الإنسان بعد ذلك أن يعتمد على حكم عقله، وأن يثق بحصيلة فكره. فكما تثق برؤيتك البصرية السليمة، يمكنك الثقة بحكم عقلك المتحرر، لأن الله تعالى وهبك العقل للتفكير، كما منحك العين للإبصار.

لذلك تؤكد النصوص الدينية على مرجعية العقل، وعلى الثقة بدوره.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إنما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له»[1]. وعنه ﷺ: «استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا»[2].

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٤ ص١٥٨، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج٦ ص٤٠٤، الطبعة الاولى١٤٠٥هـ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم.

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «العقل رسول الحق»[١]. وعنه عليه السلام: «العقل يهدي وينجي»[٢]. وعنه عليه السلام: «لا يغش العقل من استنصحه»[٣].

لكن مشكلة الكثيرين من الناس هو التنكر لعقولهم وتجميدها، وتبني أفكاراً وآراء دون عرضها على العقل، ودون إعطائه الفرصة لفحصها ودراستها، وقد يقحم البعض من الناس عواطفهم وميولهم في ساحة عمل العقل، فيربكون حركته، ويشلّون فاعليته.

إن تركيبة العقل وآلية عمله تقتضي التماس الدليل والبرهان، لأي فكرة أو رأي، فإذا توفر الدليل الصادق والبرهان الصحيح، بارك العقل تلك الفكرة وزكاها، أما إذا انعدم الدليل، أو كانت الحجة واهية، فضح العقل زيف تلك الفكرة وأنكرها.

لذلك يؤكد القرآن الكريم على محورية الدليل والبرهان في اتخاذ موقف من أي قضية أو رأي.

ففي أربعة موارد من آيات القرآن تكرر قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[٥].

وكما قال الشاعر:

---

(١) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكم القصار ٢٨١، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٤) سورة البقرة آية ١١١. وسورة النمل آية ٦٤.

(٥) سورة الأنعام آية ١٤٨.

نحـــن أتبـــاع الدليـــل حيثمـــا مـــال نميـــل

وقال شاعر آخر:

مـــن ادعـــى شـــيئاً بـــلا شـــاهد لا بـــد أن تبطـــل دعـــواه

منهجية خاطئة

ولكـن لماذا يتجـاوز بعض النـاس عقولهم، فيتمسـكون بأفـكار غير مدروسـة، لا تسـتند إلى دليل وبرهـان صحيح؟

هنـاك أسـباب عديـدة جذرهـا الانحيـاز العاطفـي، علـى حسـاب الموضوعيـة العقليـة:

١. فتقديـر الإنسـان لأسـلافه، وحبـه لعائلتـه، يجعلـه راغباً فـي وراثة أفكارهـم، وقبـول متبنياتهـم، مـن غيـر أن يشـعر بالحاجـة إلـى مراجعتهـا، وإعـادة النظـر فيهـا، علـى ضـوء العقـل، بل قـد يهرب مـن المراجعـة والدراسـة، خشـية أن تقـوده إلـى مخالفة السـلف، وهـو مـا لا يريـده، ولا يمتلـك الجـرأة عليـه.

إن اكتشـافه لأخطـاء منهـج آبائـه وأسـلافه، يعني في نظـره انتقاصهم والحـط مـن مكانتهم وشـأنهم. وهذا مـا لا يتقبله ولا يرضـاه. هكذا يضع الإنسـان نفسـه أمـام خيـار إتبـاع الآبـاء والأسـلاف، والتعصـب لأرائهم وتوجهاتهـم، ورفض مـا يخالفهـا من الحـق والصواب.

لقـد كانـت رسـالات الأنبيـاء، دعـوة صارخـة لمجتمعاتهـم، باسـتنهاض عقولهـم، والخـلاص مـن هيمنـة أفـكار الآبـاء والأسـلاف، والتـي كان الالتـزام بهـا، والتعصب لهـا، مانعاً مـن قبول الهـدي الإلهي، وإتبـاع منهـج العقـل السـليم.

يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾(١).

لقد نشأوا وتربوا على طريقة ومذهب آبائهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ والأمة هنا الطريقة والمذهب. فقرروا إتباع نهج آبائهم، وتقليدهم والإقتداء بهم، دون دراسة وبحث، ولا دليل وبرهان، وحينما يخاطبهم الرسول بلباقة وأدب: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾؟ وذلك بهدف دفعهم للتقويم والموازنة بين نهج الآباء ورسالة الحق، إنه لا يقول لهم: إن آباءكم ضالون منحرفون، مراعاة لمشاعرهم، بل يقول لهم: أعطوا لعقولكم الفرصة للمقارنة والبحث، فإن ثبت لكم أن نهج الآباء أفضل وأصوب، فلا لوم عليكم في إتباعه، أما إذا أتضح لكم أن ما أطرحه عليكم أهدى وأحق، فهل ترضون لأنفسكم مخالفة ما أقرت عقولكم أفضليته؟

لكن المؤسف أن جوابهم هو رفض التفكير والمراجعة، وأخذ موقف تعصبي: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾. وفي آية أخرى ينقل عنهم القرآن الكريم شعورهم بالاكتفاء بنهج أسلافهم، وادعائهم عدم الحاجة إلى غيره، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الزخرف آية ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٤.

هـذا هو منطـق كل المتعصبين بأنهـم يمتلكون الحقيقـة الكاملة، وأن أي فكـرة أخـرى لا تضيـف لهم جديـداً، لذلـك لا يجـدون داع لمراجعة أفكارهـم، أو دراسـة أي رأي مخالف.

الجانب المصلحي

٢. وقـد تصبـح بعـض الأفـكار والآراء مصـدراً لكسـب ومصلحـة ماديـة، مـن مـال أو جـاه أو منصب، فيتشـبث بهـا المنتفـع منها، لا لثبـوت صحتهـا وأحقيتهـا عنـده، بـل لمـا تجلبـه من مصلحـة، ثم ومـن ذات المنطلـق يتحمـس للدفـاع عنهـا والترويـج لهـا.

وفـي بعـض الأحيـان يكـون الجانـب المصلحـي فـي فكـرة مـا هـو التبريـر لواقـع أو حالـة يعيشـها الفـرد، ويرغـب فـي اسـتمرارها، فينشـأ إنسـجام بيـن رغبـة الفـرد وتلـك الفكـرة التبريريـة.

٣. وقـد يتبنـى الإنسـان فكـرة مـا ضمن ظـرف مـن الظـروف، وعلى أسـاس مبـررات معينـة، ثم يتبيـن أنها فكـرة خاطئة، إمـا لأنها خطأ مـن الأسـاس، أو لأن تطـورات حصلت ألغت مبرراتهـا، أو لظهور مـا هـو أفضـل منها، كمـا هـو الحـال فـي النظريـات العلميـة التي تتراكـم وتتطـور مع تقـدم العلم، فتنسـخ مـا قبلها، أو تكـون أكمل منها .

لكـن البعـض مـن النـاس يصعـب عليـه التخلـي عـن فكرة آمـن بها ردحـاً مـن الزمن، لأنـه يعدها جـزءاً من شـخصيته وتاريخه، فـكأن تركها إدانـة لتاريخـه وماضيـه، ولأنـه قد ألفهـا، وبرمـج تفكيـره ومعادلاته على أساسـها، فيسـتثقل تجاوزهـا والتخلـي عنهـا. لذلـك يتمسـك بهـا ويصر

عليهـا، ويتعصـب للدفـاع عنها.

رغبة التوافق الاجتماعي

٤. ومـن أسـباب فقـدان الموضوعية، فـي التعامـل مع الأفـكار، رغبة المحافظـة على التوافـق الاجتماعي، فـإذا كانت البيئـة الاجتماعية المحيطـة بالإنسـان، ذات اتجـاه فكـري معيـن، فـإن الفـرد يتهيب مخالفـة مجتمعـه، ويخشـى العزلـة عنـه، وتشـتد هـذه الهيبـة والخشـية عندمـا تسـود المجتمـع أجـواء ضاغطـة، تقمـع أي رأي مخالـف، ممـا يخلـق عزوفـاً عند الفـرد، مـن التفكير خـارج ما هو سـائد ومألـوف، واستسـلاماً لحالة العقـل الجمعي، حسـب نظرية (جوسـتاف لوبون) التـي تنصهر فـي بوتقتها عقول الأفـراد، وتفقد ثقتهـا بذاتهـا، وقدرتهـا على الاسـتقلال فـي الـرأي والموقف.

ولعـل فـي الآية الكريمـة قوله تعالى: ﴿قُـلْ إِنَّمَـا أَعِظُكُمْ بِوَاحِـدَةٍ أَنْ تَقُومُـوا لِلَّـهِ مَثْنَى وَفُـرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّـرُوا مَـا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[1]، إشـارة إلـى هـذه الحالـة، فـإن كثيـراً مـن أبنـاء قريـش، كانـوا يرفضـون الانفتاح علـى دعـوة الإسـلام، خضوعـاً للجـو السـائد المضـاد، الـذي صنعـه زعماؤهـم تجاه الرسـول ﷺ، واتهامه بأبشـع الأوصـاف كالجنون،لذلك كان الرسـول ﷺ يدعـو أفرادهم للاسـتقلال بالرأي، والتفكيـر خارج هذا الجـو الجمعـي المضـاد﴿أَنْ تَقُومُـوا لِلَّـهِ مَثْنَـى وَفُـرَادَى ثُـمَّ تَتَفَكَّـرُوا مَـا بِصَاحِبِكُـمْ مِـنْ جِنَّةٍ﴾.

كمـا أن آيـات عديـدة فـي القـرآن الكريـم تنبه الإنسـان وتحـذره من

(١) سورة سبأ آية ٤٦.

الخضوع للتيار العام، على حساب الحق، بأن يجمّد عقله، ويعطل فكره، وينساق مع الحالة السائدة.

إن أحد أسباب الهوي في نار جهنم هو هذه المنهجية الخاطئة، حيث أجاب الساقطون فيها على سؤال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[١] بإجابات منها: ﴿كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٢]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤]، تأتي هذه الآيات وأمثالها في سياق تصليب إرادة الفرد للبحث عن الحق، وامتلاك الجرأة على اتباعه، في مقابل ضغوط البيئة والمحيط الاجتماعي.

التقديس والانبهار

٥. من الطبيعي أن تحظى بعض الشخصيات المتميزة بموقعية كبيرة في نفس الإنسان، وأن يمنحها الكثير من ثقته وولائه، لما يلحظه من إخلاصها الديني، أو إنجازها العلمي، أو دورها الاجتماعي، لكن ذلك لا يصح أن يتحول إلى تبعية عمياء، وتقديس مطلق، وانبهار يفقد الإنسان ثقته بعقله، ويسلبه القدرة على النظر والتفكير.

إن أي شخصية بشرية مهما عظمت ـ عدا المعصومين الذين منحهم الله مقام العصمة ـ لا تمتلك الكمال المطلق، فهي معرضة

(١) سورة المدثر آية ٤٢.
(٢) سورة المدثر آية ٤٥.
(٣) سورة المؤمنون آية ٧٠.
(٤) سورة الأنعام آية ١١٦.

للخطأ، بقصد أو بغير قصد، وقد تتبنى فكرة أو موقفاً ضمن ظرف معين، أو مبررات خاصة، لكن ذلك يتحول في نظر الأتباع المنبهرين إلى صواب مطلق، وحق دائم.

ولن يجدي الإنسان يوم القيامة اعتذاره باتباع الزعامات، إن لم يكن ذلك وفق الضوابط الصحيحة. لذلك يتحدث القرآن عن هذا الموقف الخاطئ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾[1].

وحينما جاء الحارث بن حوط مضطرباً حول موقف أصحاب الجمل، وطرح على الإمام علي عليه السلام سؤاله الصارخ قائلاً: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ إنهم شخصيات عظيمة مقدسة في نظره، فكيف يمكن اتهامهم بالخطأ؟ أجابه الإمام علي عليه السلام بمنطق الإسلام والعقل: «يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت. إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه»[2].

أما موضوع تقليد الفقهاء المجتهدين فذلك في حدود الأحكام الشرعية الفقهية، باعتبار خبرتهم وتخصصهم، والعقل يرشد الإنسان إلى الأخذ برأي الخبراء في مجالات خبرتهم، مع اشتراط عدالة الفقيه. قال السيد اليزدي في العروة الوثقى: «محل التقليد ومورده هو الأحكام الفرعية العملية، فلا يجري في أصول الدين، ولا في مسائل أصول الفقه، ولا في مبادئ الاستنباط من النحو والصرف ونحوهما،

(١) سورة الأحزاب آية ٦٧.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٦٢، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ولافي الموضوعات المستنبطة العرفية أو اللغوية، ولا في الموضوعات الصرفة»[١].

احترام العقل

إن احترام العقل يستوجب عدم التدخل العاطفي في ميدان عمله، وعدم إرباك حركته الفكرية بالميول والانفعالات، وإذا كانت العواطف والأحاسيس تسعى لفرض هيمنتها على شخصية الإنسان، فإن عليه اليقظة والحذر حتى لا تتغلب عواطفه على عقله فتقوده إلى الخطأ والانحراف.

إن الموضوعية والتجرد في التفكير مهمة صعبة شاقة، لما للعواطف والأهواء من دور ضاغط، وتأثير عميق، لكن المطلوب من الإنسان الواعي، التسلح بالإرادة الكافية، للانتصار لعقله. ومن مهام الدين الأساسية رفع معنويات الإنسان، وتصليب إرادته، في مقابل الأهواء والعواطف. حتى يتعامل مع أي فكرة أو موقف بموضوعية وتجرد، دون انحياز مسبق.

ويسمي بعض المفكرين الغربيين الهوى بـ(التحيز) ويعرفون التحيزات بأنها: «طرائق في التفكير تقررها سلفاً قوى ودوافع انفعالية شديدة كالتي يكون مصدرها منافعنا الذاتية الخاصة، وارتباطاتنا الاجتماعية»[٢].

ويقول جوزيف جاسترو : «إن الهوى هو الحكم على شيء مقدماً،

(١) اليزدي: السيد محمد كاظم، العروة الوثقى، الاجتهاد والتقليد، مسألة ٦٧.
(٢) الأميري: الدكتور أحمد البراء، لكي لا نقع، مقالة في مجلة المعرفة عدد ٤٢ ص١٠٤، تصدر عن وزارة المعارف السعودية رمضان ١٤١٩هـ.

وفـي أثنـاء عملية الاسـتدلال يجعلنـا نتجاهل بعـض الوقائـع، ونبالغ في تقديـر بعضهـا الآخر ميـلاً منا نحو نتيجـة معينة فـي ذهننا منـذ البداية»[١].

(١) المصدر السابق.

أحاديث

القرآن المهجور

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ شعبان ١٤٢٣هـ

اتخذوا القرآن مهجورا
مضامين القرآن ومناهجه
برنامج حياة
النظر في كتاب الكون
أنظمة العلاقات الاجتماعية

لعل هذا العصر هو من أزهى عصور الاهتمام بالقرآن الكريم، إذ تنوعت مظاهر هذا الاهتمام، واتسعت رقعتها، وتكثفت فاعليتها، فهناك إحدى عشرة إذاعة مختصة ببث تلاوة القرآن، والبرامج المرتبطة به، في كل من السعودية، إيران، مصر، المغرب، اليمن، الأردن، السودان، عمان، الإمارات، الكويت، البحرين.

وأصبحت نسخ المصحف الشريف متوفرة بمختلف اللغات، وبكميات كبيرة، فهناك مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وهو من أكبر المجمعات الطباعية في العالم، يقوم على مساحة قدرها ٢٠٠,٠٠٠م٢ ، ويعمل فيه نحو ألفي شخص، وينتج سنوياً ما متوسطه عشرة ملايين نسخة، وقد بلغ مجموع ما تم توزيعه من المصحف المطبوع من قبل المجمع أكثر من ١٤٢ مليون نسخة إلى الآن في ٣٩ لغة.

وفي هذا العصر برز قرّاء مبدعون تمكنوا من الأخذ بمجامع القلوب، برقة أصواتهم، وحسن تلاوتهم، كما ظهر الألوف بل عشرات الألوف من المهتمين بحفظ كامل القرآن الكريم، حيث تقام لهم المسابقات في مختلف البلدان الإسلامية.

وهناك آلاف المدارس والمراكز لتعليم القرآن وتحفيظه، وقد انبثقت أخيراً (الهيئة العامة لتحفيظ القرآن) التابعة لرابطة العالم الإسلامي، ولديها برنامج واسع لتحفيظ القرآن يتكفل عدداً من الحلقات والمدارس القرآنية في أكثر من أربعين دولة، عدد طلابها يتجاوز مئة ألف طالب وطالبة، أتم نحو خمسة عشر ألف منهم حفظ القرآن الكريم كاملاً.

إلى جانب مؤسسات ومراكز عديدة تهتم بمجالات مختلفة من شؤون القرآن الكريم، ولا شك أن هذه المظاهر من الاهتمام بكتاب الله العزيز تثلج صدر الإنسان المسلم، وتزيده فخراً واعتزازاً.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل تتأدى بهذه الأنشطة والمظاهر ـ على أهميتها ـ وظيفة المسلمين ومسؤوليتهم تجاه القرآن؟ وهل يخرجون بها من دائرة شكوى رسول الله ﷺ إلى ربه عن هجر الناس للقرآن؟

اتخذوا القرآن مهجورا

أخبر القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ تقدم شاكياً إلى ربه عن هجر الناس للقرآن، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[1]. والهجر هو الترك والإعراض، والتعبير بقوله ﴿اتَّخَذُوا﴾ يعني أن الإعراض عن القرآن أصبح منهجية وطريقة معتمدة لديهم.

إن تعامل الإنسان مع أي رسالة تصله يتأثر بموقعية مرسلها في

(١) سورة الفرقان آية ٣٠.

نفسه، فإذا كان المرسل مهماً لديه، وعزيزاً عليه، تنال عنده أكبر مستوى من الاهتمام، أما إذا كان المرسل عادياً وغير مهم في نظره، فنصيب رسالته سيكون الإهمال والإعراض.

وكمسلمين فإننا نعتقد أن القرآن الكريم رسالة من الله إلينا وإلى الناس أجمعين، فكيف يصح لنا إهمال هذه الرسالة التي تفضل علينا بإرسالها خالقنا ورازقنا، ومن بيده حياتنا وموتنا؟

والرسالة (القرآن) لا تتضمن أي طلبات لخدمة الرب جلَّ وعلا، فهو الغني عن العالمين، وإنما هي نهج نور وهداية، تضيء للإنسان درب حياته، وترشده إلى خيره وسعادته: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]

فما هو مبرر الإعراض إذاً عن رسالة عظيمة من مصدر عظيم؟!

مضامين القرآن ومناهجه

إن للقرآن الكريم جانبين: جانب الشكل ويتمثل في ألفاظ وكلمات آياته المجموعة بين دفتي المصحف الشريف. وجانب المضمون ويتمثل في القيم والمناهج والتشريعات التي تحملها آيات القرآن الكريم.

وإذا كانت العناية بصورة القرآن الخارجية ككلمات وألفاظ أمراً مطلوباً، من حيث القراءة والحفظ والتلاوة والتفسير والنشر، إلا أنه لا يصح الاكتفاء بذلك عن مرحلة الاستجابة لمضامين القرآن، بالتزام القيم التي يبشّر بها، وتفعيل المناهج التي يدعو إليها، وتطبيق

(١) سورة الإسراء آية ١٠.

التشريعات الإلهية التي يطرحها.

بل إن قيمة القراءة والحفظ لآيات القرآن إنما تأتي من قصد الاهتداء بها، وتجسيد معانيها في واقع الحياة. وإذا تجردت تلاوة القرآن وحفظه من جانب الالتزام العملي التطبيقي، فإنها تستلزم سخط الله تعالى وغضبه، وهذا ما تصرح به آيات القرآن، ونصوص الأحاديث والروايات.

إن القرآن يوجه توبيخاً عنيفاً للذين يتلون آياته، لكنهم غير ملتزمين بقيم الخير والبر، يقول تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[1].

ويذم القرآن الكريم أتباع الديانات السابقة الذين يتراشقون فيما بينهم بالاتهامات، ولا يتخلقون بالتعاليم الأخلاقية التي يقرؤونها في كتبهم المقدسة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[2].

إن القرآن الكريم يحمل للبشرية أفضل مشروع للتقدم والسعادة، والأمة التي تتبنى هذا القرآن وتحمله، يجب أن تقدم بواقعها العملي المجسّد لمفاهيم القرآن، نموذجاً مثالياً يستقطب سائر الأمم، ويجتذبها نحو منهج القرآن. لكن المؤسف حقاً هو المسافة الكبيرة الفاصلة بين واقع الأمة وهدي القرآن العظيم، فهي تعيش حياة التخلف والشقاء في الكثير من الجوانب، دون أن تستفيد من نور القرآن، وأشعته الهادية، مما يجعلها شبيهة بما حكاه القرآن الكريم عن اليهود، الذين

(١) سورة البقرة آية ٤٤.
(٢) سورة البقرة آية ١١٣.

أنـزل اللـه تعالى عليهم التـوراة، لكنهم لـم يتحملوا مسـؤوليتهم تجاهها. يقـول تعالى: ﴿مَثَـلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّـوْرَاةَ ثُمَّ لَـمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَـلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْـفَارًا﴾[١].

ومـا عسـى أن يسـتفيد الحمـار من حملـه لأسـفار العلـم والمعرفة، وهـو لا يمتلـك قابليـة الفهـم، ولا إمكانيـة الاسـتفادة؟! كذلـك هو حال الأمـة التي تحمـل أفضـل الكتب الإلهيـة، والرسـالات السـماوية، لكنها لا تتوفـر لديهـا إرادة الالتـزام والتطبيق.

ويتحـدث القـرآن عمـن تتلـى عليه آيـات القـرآن، لكنه لا يسـتجيب لهـا، ولا يكيّـف حياتـه وفـق هديهـا، بـل يسـتمر علـى منهجـه الخاطئ، وطريقـه المنحـرف، كأن صـوت السـماء لم يبلـغ سـمعه، أو كأن في أذنه صممـاً يمنعـه مـن السـماع، يقـول تعالـى: ﴿وَإِذَا تُتْلَـى عَلَيْـهِ آيَاتُنَـا وَلَّـى مُسْـتَكْبِرًا كَأَنْ لَـمْ يَسْـمَعْهَا كَأَنَّ فِـي أُذُنَيْـهِ وَقْـرًا فَبَشِّـرْهُ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

وفـي آيـة أخرى يقول تعالى: ﴿يَسْـمَعُ آيَـاتِ اللَّـهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُـمَّ يُصِرُّ مُسْـتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْـمَعْهَا فَبَشِّـرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣]، صحيح أن هذه الآيات وردت فـي سـياق الحديـث عـن الكافريـن الذيـن رفضوا قبول الإسـلام، لكنهـا تتحـدث عـن موقف سـيئ فـي التعامل مـع آيـات الذكـر الحكيم، بتجاهلهـا والإصـرار علـى مخالفتهـا، والمتسـم بهـذه الصفـة يسـتحق عـذاب اللـه الأليم، وإن كان يصنّف نفسـه ضمـن المسـلمين والمؤمنين.

أمـا الأحاديـث والروايـات التـي تحـذر مـن إهمـال تطبيـق القـرآن،

(١) سورة الجمعة آية ٥.
(٢) سورة لقمان آية ٧.
(٣) سورة الجاثية آية ٨.

والاكتفاء بمظاهر الاهتمام به، فهي كثيرة جداً نذكر منها بعض النماذج:

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[١]. قال عليه السلام: يرتلون آياته، ويتفّهمون معانيه، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخشون عذابه، ويتمثَّلون قصصه، ويعتبرون أمثاله، ويأتون أوامره، ويجتنبون نواهيه، وما هو والله بحفظ آياته وسرد حروفه، وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه، واضاعوا حدوده، وإنما هو تدبر آياته يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٢].

إن قوله عليه السلام: (حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده) كلمة عميقة، تضع حداً فاصلاً بين مجرد الاهتمام بمظاهر القرآن، وبين الالتزام بقيمه ومناهجه.

وأورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ عن ابن عباس وعن عبد الله بن مسعود قالا: حق اتباعه.[٣]

وعن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ليس القرآن بالتلاوة، ولا العلم بالرواية، ولكن القرآن بالهداية، والعلم بالدراية».[٤]

وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله: «اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست

---

(١) سورة البقرة آية ١٢١.

(٢) الطباطبائي: السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١ ص٢٦٢، الطبعة الأولى ١٩٩١م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٣) بن كثير الدمشقي: أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٦٣

(٤) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٢٤٦٢، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تقرأه».[١]

وكم هو مرعب هذا الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كم من قارئ القرآن والقرآن يلعنه»[٢] لكنه يقرر حقيقة واضحة، فمن يقرأ قوله تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٣]، وهو يمارس الظلم، ومن يقرأ قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٤]، وهو يتعمد الكذب، فذلك وأمثاله مصداق للحديث الشريف.

برنامج حياة

ليس القرآن مجرد نص أدبي يستمتع الإنسان بقراءته، ولا هو مجرد معلم تراثي، يحنّ الإنسان للاطلاع عليه، وليس مجموعة من الأوراد والأذكار الروحية يتبرك الإنسان بتلاوتها، إنه فوق ذلك كله رسالة هداية وبرنامج حياة، إنه دستور عمل، ومشروع بناء وإصلاح.

وعلى المسلم أن يتعامل مع كل آية قرآنية باعتبارها دعوة عمل، وقرار تكليف، فيصيغ حياته، ويكيّف واقعه على ضوء هدي القرآن وتوجيهاته.

والاهتمام المطلوب من قبل الأمة بالقرآن الكريم هو تحكيمه في شؤون الحياة، والاستجابة لدعوته، وتطبيق مناهجه وتشريعاته في مختلف المجالات، أما إذا أعرضت الأمة عن مناهج القرآن، وغابت قيمه عن أجواء حياتها، واستبدلت أحكامه بقوانين أخرى، فإن ذلك

(١) المصدر السابق، حديث رقم ٢٧٧٦.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٨٩ ص١٨٥، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٣) سورة هود آية ١٨.

(٤) سورة آل عمران آية ٦١.

هـو مصـداق اتخـاذ القـرآن مهجـوراً، ولا يشـفع للأمـة حينئـذٍ أمـام الله تعالـى اهتمامهـا الشـكلي الظاهـري بالقرآن.

كمـا لا تسـتفيد الأمة مـن عطاء القـرآن الحقيقي، إذا لم تـأخذ بهديه عمليـاً، ولـم تجعل آياته في مـورد التنفيـذ والتطبيق.

ولـو تأملنـا واقـع الأمة اليـوم، ودرسـناه على ضـوء القيـم والمعايير التـي تنـادي بهـا آيـات القـرآن الكريـم، لوجدنـا عمـق الهـوة الفاصلـة، والبـون الشاسـع، بيـن واقـع الأمـة المعـاش ومبـادئ القـرآن العظيمة.

النظر في كتاب الكون

ومـن أوائـل المفارقـات التي تصـدم المتأمـل بين واقع الأمـة ودعوة القـرآن، التعامـل مـع الكـون والطبيعـة، حيـث تركـز أكثـر آيـات القـرآن الكريـم علـى الدعوة إلـى النظر في كتـاب الكون، واستكشـاف أسـراره، ومعرفـة السـنن والقوانيـن التـي تحكـم حركته.

إن عـدداً كبيـراً مـن سـور القـرآن الكريـم تحمـل أسـماء لظواهـر طبيعيـة، ولموجـودات كونية، وفي ذلك إشـارة واضحـة للاهتمام بقضايا الطبيعـة والكون.

حيـث نجـد من أسـماء سـور القـرآن مثـلاً: البقـرة، الأنعـام، الرعد، النحـل، الكهـف، النـور، النمـل، العنكبـوت، الدخـان، الطـور، النجـم، القمـر، الحديد، الجن، الإنسـان، التكويـر، الانفطار، الانشـقاق، البروج، الفجـر، الشـمس، الليـل، الضحى، التيـن، العلـق، العصر، الفيـل، الفلق، الناس.

ونجـد فـي القـرآن الكريـم آيات كثيـرة تأمر الإنسـان بالنظـر والتأمل

في أمور الطبيعة والكون، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٤].

هذا التوجيه المكثف في القرآن الكريم نحو الطبيعة والكون يستهدف تركيز الإيمان بتوحيد الخالق وعظمته أولاً، وانطلاق الإنسان نحو عمارة الأرض، واستثمار خيرات الكون ثانياً.

فالإنسان خليفة الله في الكون، ومطلوب منه عمارة الأرض، وكل ما في الحياة من قوى وإمكانات مهيأة لاستفادة الإنسان وخدمته، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٥].

هذه دعوة القرآن، فأين واقع المسلمين منها؟ وما مدى توجههم لعلوم الطبيعة والكون؟ وما مستوى إنجازاتهم العلمية والعملية؟

أليس مؤلماً أن أمم الأرض تتسابق نحو المعرفة والعلم، وتحقق المزيد من الاكتشافات والاختراعات، وتنجز الكثير من التقدم العلمي والتكنولوجي، بينما تراوح أمة القرآن مكانها على هامش حركة

(١) عبس آية ٢٤ـ٢٧
(٢) الطارق آية ٥ـ٧
(٣) يونس آية ١٠١
(٤) الغاشية آية ١٧ـ٢٠
(٥) الجاثية آية ١٣

الحضـارة والعلم؟

هـذه الأمـة التي يبـدأ قرآنهـا بالدعوة إلـى المعرفـة: ﴿اقْـرَأْ﴾ وتركز أكثـر آياتـه علـى النظر فـي كتاب الكـون، كيف تعيـش في أوحـال الجهل والتخلـف، وتصنّـف ضمن قائمـة الدول الناميـة، والعالـم الثالث؟!

إن الإحصائيـات والأرقام التـي تتحدث عن مسـتوى البحث العلمي فـي العالم العربي والإسـلامي قياسـاً إلى واقـع العلم والتقـدم لدى الأمم الأخرى لتكشـف عـن تخلف عميق.

تشـير بعـض الإحصـاءات إلـى أن القـوى البشـرية التـي تعمـل فـي البحـث العلمـي فـي الوطـن العربـي، لا تزيـد عـن ثمانيـة آلاف باحـث عربـي، فـي حيـن أن هنـاك أربعمائـة ألـف باحث فـي الولايـات المتحدة الأمريكيـة، وأربعـون ألـف باحـث فـي إسـرائيل!!

وأن البحـث العلمـي لا يظفـر فـي ميزانيـات الجامعـات العربيـة إلا بنسـبة ١٪ بينمـا تخصـص الجامعـات الأمريكيـة ٤٠٪ مـن ميزانياتهـا لتعزيـز وتوسـيع نطـاق البحـث العلمـي.

وأن نصيـب البحـث العلمي مـن إجمالي الناتـج القومـي العربي هو ربـع واحد فـي المئة فحسـب، مقابل ٣-٤٪ فـي الدول المتقدمـة صناعياً وتقنياً.[١]

وقـد أظهرت إحصـاءات اليونسـكو لعـام ١٩٩٣م أن نصيـب جميع الـدول الإسـلامية بملايينهـا الألـف مـن البحـث العلمـي المنشـور لا يتجـاوز ١٪ فـي جميـع فـروع العلـم!![٢]

(١) الركابي: زين العابدين، مجلة اليمامة عدد ١٦٠٤ ص١١.

(٢) المبارك: الدكتور راشد، فلسفة الكراهية ص٩٥ الطبعة الأولى ٢٠٠١م .دار صادر. بيروت.

لقد انشغل المسلمون بالتغني بأمجاد الماضي، وبالسجالات والخلافات المذهبية، وبالاهتمامات القشرية، غير مكترثين بنداءات القرآن الصارخة، ودعواته المكثفة، نحو التوجه لعلوم الطبيعة والحياة، مع أنهم يسمعون تلك الآيات من إذاعات القرآن، ومن المقرئين المجيدين، وفي مختلف المجالس والمناسبات، أليس هذا مصداقاً لهجر القرآن على صعيد العمل والتطبيق؟

أنظمة العلاقات الاجتماعية

تنظيم العلاقات بين الناس على أساس العدل والإحسان، هو من أهم أهداف نزول القرآن وجميع الرسالات السماوية، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

لذلك ركزت آيات القرآن الكريم على هذا الجانب، وأكدت على مبادئ أساسية، يجب أن يلتزم بها الإنسان في علاقاته مع أخيه الإنسان، كأفراد ومجتمعات، وهي مبادئ تنطلق من الإقرار بوحدة النوع البشري، وتساوي أفراده كبشر في القيمة والاعتبار، وتمتعهم بالكرامة الإنسانية، واحترام حرية الإنسان، وحفظ حقوقه المعنوية والمادية.

إن سلامة العلاقات بين أفراد المجتمع، وبين شرائحه وقواه المختلفة، ثم بين المجتمع وسائر المجتمعات، ضمن الأسرة الإنسانية، يشكل هدفاً أساساً، ومقصداً رئيساً لآيات القرآن وشرائع الدين.

(١) سورة الحديد آية ٢٥.

من هنا تناولت نسبة كبيرة من الآيات القرآنية قضايا العلاقات الاجتماعية، كمنهج عام وكتشريعات جزئية.

لقد أكد القرآن الكريم على مبدأ التعارف والاحترام المتبادل بين الأمم والحضارات البشرية، فالعلاقة بينها ليست علاقة صراع وصدام، بل علاقة تعارف وتعايش وحوار، يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ووجه القرآن أتباعه إلى انتهاج سياسة العدل والإحسان تجاه المجتمعات الأخرى، المختلفة دينياً، ما دامت مسالمة غير معادية، يقول تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١]. ونهى عن الإساءة إلى الآخرين، وتجريح مشاعرهم، حتى على مستوى الحديث والكلام، وفي غمرة النقاش الديني معهم، يقول تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٣]، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[٤].

وفي داخل المجتمع الإسلامي حذر من الخصومة والنزاع : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٥]، وأمر بالتعاون والتكافل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.[٦].

ومنع القرآن من الاستبداد ودعا إلى الشورى ومشاركة الناس في

(١) سورة الممتحنة آية ٨.
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦.
(٣) سورة البقرةآية ٨٣.
(٤) سورة الأعرافآية ٨٥.
(٥) سورة الأنفال آية ٤٦.
(٦) سورة المائدة آية ٢.

بحث شؤونهم وقضاياهم. يقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١]، ونهى القرآن الكريم عن اتهام الناس في أديانهم: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٢].

وحذر القرآن في آيات عديدة من التجاوز على أي حق مادي أو معنوي: ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣].

ويفترض في الأمة التي تحتضن القرآن أن تعيش أفضل استقرار اجتماعي، بالالتزام بمبادئ العدل والحرية واحترام الكرامة وحفظ الحقوق. لكن نظرة فاحصة لأوضاع الأمة تكشف ما تعانيه الكثير من مجتمعاتها من فقدان الاستقرار الاجتماعي، بينما في المقابل تنعم المجتمعات الأخرى بنوع من الاستقرار، نتيجة لقبول التعددية، واحترام الرأي الآخر، والمشاركة في الأمور العامة.

إن القرآن الكريم يهتف بوحدة الأمة، وتتلى آيات الدعوة إلى الوحدة على مسامع المسلمين ليلاً ونهاراً، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٦]، وأمثالها من الآيات الكريمة.

فلماذا تعيش الأمة في الكثير من بلدانها حالات التفرقة

(١) سورة الشورى الشورى ٣٨.
(٢) سورة النساء آية ٩٤.
(٣) سورة المائدة آية ٧٨.
(٤) سورة المؤمنون آية ٥٢.
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٣.
(٦) سورة الأنفال آية ٤٦.

والاضطراب الداخلي؟ بينما يتعايش الأوربيون بلغاتهم المختلفة، وقومياتهم المتعددة، ومذاهبهم المتباينة، ومصالحهم السياسية والاقتصادية المتنافسة، وهم الآن يوثقون عرى وحدتهم عبر إطار الاتحاد الأوربي، الذي يتكامل يوماً بعد آخر، وسيضم قريباً حوالي أربعة وعشرين دولة أوربية.

إن الواقع السيئ الذي تعيشه الأمة في مجال اضطراب علاقاتها الداخلية، ناتج عن تجاهلها وإهمالها للمبادئ العظيمة التي أرساها القرآن في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وذلك مصداق واضح من مصاديق اتخاذ القرآن مهجوراً.

إن شهر رمضان المبارك هو شهر القرآن الذي أنزله الله فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[1]، فيجب أن نستفيد من أجواء هذا الشهر المبارك لتصحيح علاقتنا بالقرآن الكريم، بالإقبال على تلاوته، وحفظ آياته، والتدبر في مضامينه، والعزم على تطبيق مناهجه وتشريعاته.

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.

أحاديث

الانفتاح على الرأي الآخر

كلمة الجمعة بتاريخ ٩ شوال ١٤٢٣هـ

القرآن: دعوة إلى الانفتاح
رفض الانغلاق
الرأي والرأي الآخر
الرأي الآخر الإسلامي

حيـن تذهـب إلى السـوق لشـراء سـلعة تحتاجهـا، كسـيارة أو جهاز حاسـب آلـي، أو أي شـيء آخـر، ولا تجد في السـوق إلا نوعـاً واحداً من تلـك السـلعة، فإنك ستشـتريه سـداً للحاجة، وقـد لا تجد داعيـاً لتفحص ميزاتـه والتدقيـق فـي خصائصه، فأنت سـتقتنيه على أي حـال، لأنه الخيار الوحيـد أمامك.

أمـا إذا رأيت أمامك أنواعاً مختلفة من السـلعة التي تريدها، فسـتبذل جهـداً لفحـص ميـزات كل نـوع، ومـدى امتيازاتـه، ثـم تختـار الأفضـل والأنسـب لـك من بيـن الأنـواع المعروضـة عليك.

إن الفـارق بيـن الحالتيـن واضـح، ففـي الأولـى أنـت لا تضمـن الحصـول علـى الأفضـل، وقـد لا تهتـم لمعرفة خصائـص ما تختـار. أما فـي الحالـة الثانية فإن تعـدد الخيـارات يمنحك فرصة البحـث والمقارنة، ويجعلـك أكثـر فهمـاً لمـا تختار.

وهكـذا الأمـر لـو كنـت تبحث عـن مشـروع اقتصـادي للاسـتثمار، أو برنامـج سـياحي لمنطقـة معينـة، أو علاجاً لمشـكلة صحية، فـإن تعدد الخيـارات فـي كل مجـال يوّفـر لـك أفضـل الفـرص، وأعلـى درجـة من المصلحة.

هـذه المعادلـة الواضحـة فـي القضايـا الماديـة، تنطبـق أيضـاً علـى الصعيـد الفكـري والمعرفـي، فـإذا كنـت مهتمـاً بقضية فكريـة، ووجدت نفسـك أمـام رأي واحـد فـي معالجتهـا، فقد تعتنـق ذلك الـرأي دون كثير مـن التأمـل والتفكير، أمـا إذا تعددت أمامـك الآراء والأفكار، فسـيدفعك ذلـك للدراسـة والمقارنـة فيمـا بينهـا، والبحـث عـن الـرأي الأفضـل والفكـرة الأصـح. وبذلك تكـون أكثـر إدراكاً ووعياً بالرأي الـذي تعتنقه.

فالنظـر فـي الآراء المختلفـة يتيح فرصـة البحث عن الـرأي الأفضل، ويوفـرّ درجـة أعلى في فهـم ومعرفة الـرأي المختار.

القرآن: دعوة إلى الانفتاح

لذلـك يدعـو القـرآن الكريـم الإنسـان إلـى التفكيـر فيمـا يتبنـى من أراء ومعتقـدات، فـلا يجعل نفسـه أمـام اتجاه واحـد إجبـاري، ولا ينغلق علـى موروثاتـه مـن آبائـه وأسـلافه، دون دراسـة وتمحيـص، ولا يرفض الانفتـاح علـى أي فكـرة ومحاكمتها على ضـوء العقل، لقبولهـا إن كانت أصـح وأفضل.

إن اللـه تعالـى يبشـر عبـاده المنفتحيـن فكريـاً، والذيـن يدرسـون مختلـف الآراء، ليتبنـوا أفضلها وأحسـنها، بـأن منهجية الانفتـاح هي التي سـتقودهم إلـى الهدايـة، وتمكنهـم مـن اسـتثمار عقولهـم، واسـتخدامها بالشـكل الصحيـح.

يقـول تعالـى: ﴿. . . فَبَشِّـرْ عِبَـادِ ! الَّذِيـنَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَـنَهُ أُوْلَئِـكَ الَّذِينَ هَدَاهُـمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِـكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَـابِ﴾[1]. . إنهم

(١) سورة الزمر آية ١٨.

يستمعون القول، أي يقصدون الإصغاء إليه باهتمام، وليس يسمعون بشكل عفوي عابر، واستخدام القرآن الكريم للفظ يستمعون يلفت إلى ذلك.

والقول جنس يشمل كل قول، والمقصود به الكلام الذي يعبّر عن فكرة ورأي.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«الآيتان المذكورتان اللتان وردتا بمثابة شعار إسلامي، بينتا حرية الفكر عند المسلمين، وحرية الاختيار في مختلف الأمور. ففي البداية تقول ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ثم تعّرج على تعريف أولئك العباد المقربين بأنهم أولئك الذين لا يستمعون لقول هذا أو ذاك ما لم يعرفوا خصائص وميزات المتكلم، والذين ينتخبون أفضل الكلام من خلال قوة العقل والإدراك، إذ لا تعصب ولا لجاجة في أعمالهم، ولا تحديد وجمود في فكرهم وتفكيرهم، إنهم يبحثون عن الحقيقة وهم متعطشون لها، فأينما وجدوها استقبلوها بصدور رحبة، ليشربوا من نبعها الصافي من دون أي حرج حتى يرتووا.

الكثير من المذاهب الوضعية تنصح أتباعها بعدم مطالعة ومناقشة مواضيع وآراء بقية المذاهب، إذ أنهم يخافون من أن تكون حجة الآخرين أقوى من حجتهم الضعيفة، وهذا ما يسبب فقدان الأتباع الذين قد يلتحق بعضهم بالمذاهب الأخرى الأفضل.

إلا أن الإسلام ـ كما شاهدنا في الآيات المذكورة أعلاه ـ ينتهج سياسة الأبواب المفتوحة في هذا المجال، إذ يعتبر المحققين هم عباد الله الحقيقيين، الذين لا يرهبون سماع آراء الآخرين، ولا يستسلمون

لشيء من دون قيد و شرط، ولا يتقبلون كل وسواس. الإسلام الحنيف يبشر الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه، الذين لا يكتفون بترجيح الجيد على السيئ، وإنما ينتخبون الأحسن ثم الأحسن من كل قول ورأي»[١].

وعلى ضوء الآية الكريمة، وردت أحاديث وروايات، تشجع الإنسان على البحث عن الحقيقة والصواب من أي مصدر كان، وهذا يعني الانفتاح على مختلف المصادر وإن كانت في اتجاه آخر مخالف، بل هو ما تصرح به الأحاديث والنصوص.

فحينما يقول حديث مروي عن رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين» [٢]. فإنه يعني عدم التحفظ على أي مصدر للمعرفة ما دام الإنسان ملتزماً بضوابط التفكير السليم.

وفي نفس السياق يأتي ما روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها فهو أحق بها»[٣].

والضالة هي الشيء الذي يفقده الإنسان فيبحث عنه، ويعلّق الإمام أبو الحسن الحنفي السندي في شرحه لهذا الحديث قائلاً: «أي مطلوبة له بأشد ما يتصور في الطلب، كما يطلب المؤمن ضالته، وليس المطلوب بهذا الكلام الإخبار إذ كم من مؤمن ليس له طلب

(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٥ ص٤٧، ٥٠، الطبعة الأولى ١٩٩٢، مؤسسة البعثة، بيروت.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٢٨٦٩٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) الترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، حديث رقم ٢٨٢٨، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

للحكمة أصلاً، بل المطلوب به الإرشاد كالتعليم، أي اللائق بحال المؤمن أن يكون مطلوبه الكلمة الحكمة»[١].

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها» [٢]. وفي كلمة أخرى قال عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»[٣].

وهناك رواية جميلة مذكورة في عدة مصادر عن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: «خذوا الحق من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقادّ الكلام»[٤]. وقد أوردها السيوطي في الدر المنثور (ج٢ ص٣١٠/ دار المعرفة ـ جدة ١٣٦٥هـ) وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج٤٧ ص٤٤٠ دار الفكر ١٤١٥هـ) والبرقي في المحاسن (ج١ ص٢٢٩/ دار الكتب الإسلامية).

فما دام الإنسان يمتلك عقلاً يميّز به الصواب من الخطأ فلا خوف من الانفتاح الفكري، على مختلف الآراء والأفكار، والمهم هو دراسة الرأي والفكرة، بغض النظر عن مصدرها، وعن الموقف منه.

رفض الانغلاق

إذا انغلق الإنسان على رأيه، وأعرض عن الانفتاح على الآراء

---

(١) السندي: أبوالحسن الحنفي، شرح سنن ابن ماجة ج٢ ص٥٤٢، دار الجيل، بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٤، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٣) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٨٠، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص ٩٦، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

الأخرى، فإنه سيعزل نفسه عن تطورات الفكر والمعرفة، ويحرم نفسه من إدراك حقائق ومعارف مفيدة، وقد يكون رأيه الذي انطوى عليه خاطئاً، فلا يكتشف بطلانه في ظل حالة الانكفاء والانغلاق.

لقد ذم القرآن الكريم منهجية الانغلاق الفكري، من خلال إدانته لرفض المخالفين للأنبياء الاستماع والإصغاء لما يطرحه الأنبياء، لموقفهم المسبق من رسالاتهم.

فهؤلاء قوم نبي الله نوح عليه السلام كانوا يرفضون مجرد السماع إلى دعوته، فإذا جاء لمخاطبة أحد منهم أمسك على أذنه بأصابعه، بل غطى وجهه عنه، حتى لا ينفذ إلى ذهنه شيء من كلامه، أو تتأثر نفسه بملامح شخصيته وإشاراته.

حتى شكاهم نوح إلى ربه كما ينقل القرآن الكريم: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[1].

وكفار قريش كانوا يظهرون أمام رسول الله ﷺ لا مبالاتهم بسماع دعوته، ورفضهم للنظر في شأنها، يقول تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[2]. فهم يعلنون أن عقولهم مغلقة مؤصدة أمام دعوته، وسمعهم ثقيل لا يخترقه صوته، وبينهم وبينه مسافة وحاجز تمنعهم عن التفاعل معه.

بل كانوا في بعض الأحيان يخلقون جواً من الفوضى والضجيج،

(١) سورة نوح آية ٧.
(٢) سورة فصلت آية ٤،٥.

حينما يبدأ الرسول ﷺ في تلاوة شيء من آيات القرآن الكريم، لئلا يسمع أحد تلاوته، ويتأثر بكلامه، وكانوا يطلبون من الناس ألا يصغوا لسماع آيات القرآن، وأن يقابلوها باللغو صياحاً وتصفيراً وتصفيقاً. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1]. قال ابن عباس: كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه، ويقولون لهم: لا تسمعوا له والغوا فيه فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد الشعر والأراجيز وما يحضرهم من الأقوال التي يصخبون بها[2].

وينقل التاريخ كشاهد لمنهجية الانغلاق التي اعتمدها المشركون أمام الدعوة قصة الطفيل بن عمرو الدوسي، والذي حدّث: أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنّه ولا تسمعن منه شيئاً. قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى البيت الحرام كُرسُفاً ـ قطناً ـ فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت

(١) سورة فصلت آية ٢٦.

(٢) ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير ج٢٥ ص٤٦، مؤسسة التاريخ، بيروت ٢٠٠٠م.

منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته؟ قال فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته، دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فو الله ما برحوا يخيفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق[1].

لماذا الانغلاق؟

لماذا يفرض الإنسان حصاراً على عقله؟ ولماذا يرفض الانفتاح على الرأي الآخر؟ إن لذلك مبررات وأسباباً من أبرزها: الجهل والسذاجة، فمن يدرك قيمة المعرفة والعلم، ويتطلع إلى الحقيقة والصواب، يظل باحثاً عن الحق، طامحاً إلى الرأي الأفضل والأكمل. أما الجاهل الساذج فيعيش شعوراً بالاكتفاء ويرى أن ما لديه من رأي يمثل الحقيقة المطلقة، والسقف الأعلى للمعرفة.

وقد يكون الانغلاق منطلقاً من حالة اللامبالاة تجاه القضية التي تتعدد حولها الآراء، وتكون مثاراً لاختلاف الأفكار، فهو لا يجد نفسه

(١) ابن هشام: عبد الملك، السيرة النبوية ج١ ص٤٢٠ الطبعة الأولى ١٩٩٤م، دار احياء التراث العربي، بيروت.

معنياً بتكوين رأي أو اتخاذ موقف، فلماذا يشغل ذهنه بالتفكير والبحث والمقارنة.

ينقلون عن رجل من طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف بالعراق أنه سئل أيام احتدام النقاش حول مسألة المشروطة بمعنى تقييد الحاكم بنظام ودستور، أو المستبدة بمنح الصلاحية الكاملة للحاكم، حيث اختلف الفقهاء المراجع في مواقفهم على أثر تطورات سياسية في إيران، فسئل هذا الطالب: هل أنت مع رأي المشروطة أو رأي المستبدة؟ فأجاب: أنا صاحب عائلة.

ويقصد أنه مشغول بشؤونه الشخصية والعائلية، ولا اهتمام له بهذا الموضوع، حتى يكوّن حوله رأياً، ويتخذ موقفاً.

وقد يكون دافع الانغلاق الكسل عن البحث والتحقيق، لما قد يستلزمه الانفتاح على الرأي الآخر من إعمال الفكر والنظر، وبذل جهد في الدراسة والمقارنة بين الآراء والأفكار.

وفي كثير من الأحيان يكون ضعف الثقة بالذات صارفاً عن التعرف على الرأي الآخر، حيث لا يجد الإنسان نفسه مؤهلاً للاستقلال بتكوين رأي أو اتخاذ موقف، ولا قادراً على التمييز بين الخطأ والصواب، فيترك هذا الدور للمؤهلين مكتفياً بدور التقليد والاتباع.

وإذا كان ذلك صحيحاً في الأمور التخصصية العلمية، فإنه لا يصح فيما عداها، و إلا لتوقف دور العقل، وانحصرت الاستفادة منه في حدود شريحة معينة.

وقد يتهيب الإنسان مواجهة الحقيقة في مجال من المجالات، لما قد يترتب عليه من تغيير في أوضاعه ومواقفه، فيتهرب عن الاطلاع على الرأي الآخر، حين يكون غير واثق تماماً من الرأي الذي يعتنقه، فيحرجه الانفتاح على الرأي الآخر، والذي قد يكشف له خطأ فكرته ورأيه.

كل ما سبق يدخل ضمن عوامل الامتناع الذاتي عن الانفتاح على الرأي الآخر، وهناك عاملان خارجيان يتمثلان في وجود تشويش وإعلام مضاد للرأي الآخر، يخلق عزوفاً عند المتأثرين به عن الاقتراب من ذلك الرأي. والإعلام المضاد سلاح يشهر دائماً في الصراعات والخلافات، وخاصة ذات الطابع الفكري والثقافي، ويُتوقع من الإنسان الواعي أن لا يقع تحت تأثير الدعاية والإعلام بين الأطراف المتنازعة، على حساب مرجعية العقل، والتفكير الموضوعي، فيتيح لنفسه فرصة الدراسة والبحث، ويعطي لعقله مجال الاطلاع المباشر على الآراء المختلف حولها.

والعامل الثاني الخارجي يتمثل في وجود قوة تمارس دور الوصاية والقمع الفكري، فتحد من حرية الفكر، وتمنع نشر ما يخالفها من رأي، وتحظر على الناس الاطلاع على الرأي الآخر، وعادة ما تفشل القوة أخيراً في معركتها ضد الرأي والفكر، حيث لم تستطع قريش بكل جبروتها ونفوذها أن تمنع انتشار هدى الإسلام، ولم يتمكن الأمويون والعباسيون رغم قمعهم وبطشهم إطفاء نور أهل بيت النبوة عليهم السلام، ولم تنجح كنيسة العصور الوسطى بإرهابها ومحاكم تفتيشها في إيقاف مسيرة العلم والتحرر.

وفي عصرنا الحاضر ومع تطور وسائل الاتصالات المعلوماتية، وتعدد قنوات الإعلام، التي تتجاوز السدود والحدود، فإن محاولات قمع الفكر، ومحاصرة الرأي، تصبح جهداً ضائعاً، وسعياً فاشلاً.

الرأي والرأي الآخر

يحدث أحياناً أن يمتلك الإنسان سلعةً أو جهازاً ذا ميزات متقدمة، وخصائص متطورة، لكنه لم يكتشف كل ميزات الجهاز الذي يمتلكه، ولم يبذل جهداً لمعرفة إمكاناته المتطورة، على أساس أنه في يده وتحت تصرفه، ثم يلوح له إعلان برّاق لجهاز آخر، فيندفع لاقتنائه تحت تأثير ذلك الإعلان الجاذب، مع أنه في الحقيقة أقل مستوى وتطوراً من الجهاز الذي يمتلكه، لكنه يجهل خصائصه.

وكان يفترض في هذا الإنسان أن يعرف أولاً قدرات الجهاز الذي لديه ثم يطلع على الجهاز الآخر، وحينئذٍ سوف تقنعه المقارنة بأفضلية ما لديه.

إن ذلك يشبه اندفاع بعض أبناء المجتمع نحو الرأي الآخر قبل أن يتعرفوا جيداً على الرأي الذي بحوزتهم من انتمائهم الديني والاجتماعي، فعلى الصعيد الإسلامي مثلاً، لا يبذل البعض من المنتمين للإسلام جهداً للاطلاع على حقيقة المعارف الإسلامية، مكتفين بالمظاهر والموروثات في محيطهم الاجتماعي عن الدين، فإذا ما لاح لهم رأي آخر، يمتلك جاذبية الطرح، وقوة الدعاية والإعلام، أقبلوا عليه وانشدوا إليه.

إنه نوع خاطئ من الانفتاح يفتقد الموضوعية والإنصاف، ويوقع

الإنسان في احتمالات الخديعة والتضليل.

فالمفروض أولاً أن يتعرف الإنسان على حقيقة الرأي الذي ينتمي إليه، ويدرك أدلته وبراهينه، وأبعاده ومفاهيمه، ثم لينفتح على سائر الآراء والأفكار، ويقوم بدور المقارنة والتقويم.

إن الإسلام يدعو إلى الانفتاح، ويرفض الانغلاق الفكري، والخطوة الأولى في الانفتاح، هي الانفتاح على الذات، بأن يتعرف الإنسان على إمكاناته وثرواته، ثم يتطلع إلى الإمكانات الأخرى، فإذا رأى فيها ما هو أفضل، أو ما يمكن إضافته إلى ما لديه، فسيكون تقويمه حينئذٍ أقرب إلى الصواب.

إذ ليس كل آخر هو أفضل، وليس كل جديد هو أحسن، وينبغي الاعتراف هنا بأن الانفتاح على الرأي الآخر قد يكون باعثاً للإنسان لمراجعة رأيه وتفحصه، وإدراك نقاط قوته وامتيازه، كما حصل ذلك بالفعل لبعض أبناء الإسلام، والذين أثارهم اطلاعهم على بعض الآراء الأخرى، ودفعهم لدراسة رأي الإسلام ورؤيته، فأصبحوا أكثر بصيرة في دينهم، وثقة في عقيدتهم.

إن مجرد الانتماء الاسمي للدين أو المذهب، وممارسة بعض الشعائر والتقاليد لا تكفي لتوفير معرفة حقيقية، تجعل الإنسان قادراً على المقارنة والتقويم.

الرأي الآخر الإسلامي

من الطبيعي أن تتعدد الأفكار والآراء الدينية والسياسية في مجتمعات الأمة الإسلامية، كأي مجتمع بشري، وقد تعددت المذاهب

الدينية والتيارات السياسية، في وقت مبكر من تاريخ الأمة، ويفترض في أمة تتلقى توجيهها من القرآن الكريم، أن تسود أجواءها حرية الفكر، وأن تتوفر بين أبنائها فرص الاطلاع على الرأي الآخر، ضمن الدائرة الإسلامية في الدرجة الأولى.

وقد كان من أخلاق علماء الأمة السابقين، حرصهم على معرفة الرأي الآخر في المسائل المختلف فيها، يتحدث الإمام أبو حنيفة أنه طرح على الإمام جعفر الصادق عليه السلام أربعين مسألة في مجلس أبي جعفر المنصور، كان يجيب على كل واحدة منها بذكر مختلف الآراء حولها، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، وما أخلّ منها بمسألة. ثم قال أبو حنيفة: إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس(١).

بل كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يأمر تلامذته عند إفتائهم للناس بأن لا يتجاهلوا أراء المذاهب الأخرى، عندما يكون السائل أو المستفتي تابعاً لأحدها، فقد قال لتلميذه أبان بن تغلب، وكان يجلس للإفتاء في مسجد المدينة: انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك(٢).

ولتأكيد منهجية الانفتاح على الرأي الآخر في ميدان العلم والمعرفة، اهتم بعض العلماء في التأليف والتصنيف حول مسائل الخلاف عرضاً ومقارنة، وأصبح ذلك لوناً من ألوان المعرفة والبحث في الثقافة الإسلامية، ومن أوائل الكتب المؤلفة على هذا الصعيد

(١) أبو زهرة: محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية ص٦٩٣ دار الفكر العربي، القاهرة.
(٢) الخوئي: السيدأبوالقاسم،معجم رجال الحديث ج١ ص١٤٩ الطبعة الرابعة١٤١٠هـ

كتاب (اختلاف العلماء) لمحمد بن نصر المروزي المتوفى سنة ٢٩٤هـ، وكتاب (اختلاف الفقهاء) لأبي جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ، ومن أوسعها كتاب (الخلاف) للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

وصار من مقاييس قوة العالم ومستوى معرفته مدى إحاطته بمختلف الآراء وأدلة استنباطها.

ينقل عن الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤-١٢٨١هـ) وهو من أساطين علماء الشيعة ومجددي مدرستها العلمية الأصولية المعاصرة، أنه كان في بحوث دروسه غالباً ما يبدأ بطرح الرأي الآخر، بعرض وافٍ، واستلال متين، يفوق قدرة أصحاب الرأي أنفسهم، حتى ليظن تلامذته أنه يتبنى ذلك الرأي ويقره، ثم يبين وجهة نظره المخالفة بعد محاكمة الرأي الآخر، وكشف نقاط ضعف أدلته.

لكن المؤسف انحسار هذه المنهجية في هذا الزمن لدى كثير من الأوساط الدينية، التي ابتليت بداء الانغلاق الفكري، حيث ترفض مجرد الاطلاع على الرأي الآخر ودراسته، وتعمل لمحاصرته ومنع انتشاره. ففي المعاهد الدينية وكليات الشريعة، وفي مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، وكتب الفتاوى، يعرض رأي واحد فقط، وتتجاهل بقية الآراء الإسلامية، وكأنها خارج دائرة الإسلام، بل ويتم تسفيه الرأي الآخر، وتشويهه، والتشكيك في نوايا أصحابه، ورميهم بالكفر أو الشرك أو الابتداع.

فأنتج ذلك جيلاً من أبناء الأمة يجهلون بعضهم بعضا، وتتفشى بينهم الكراهية والتعصب. يقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

تحت عنوان (ضرورة الاطلاع على اختلاف العلماء): ومما يساعد على التسامح وتبادل العذر فيما اختلف فيه: الاطلاع على اختلاف العلماء، ليعرف منه تعدد المذاهب، وتنوع المآخذ والمشارب، وأن لكل منهم وجهته، وأدلته التي يستند إليها، ويعول عليها، وكلهم يغترف من بحر الشريعة، وما أوسعه.

و من أجل ذلك أكدّ علماؤنا فيما أكدوه، وجوب العلم باختلاف الفقهاء، كوجوب العلم بما أجمعوا عليه، فإن اختلافهم رحمة، واتفاقهم حجة.

و في هذا قالوا: من لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم.

من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه!

وآفة كثير من الدخلاء على العلم أنهم لا يعرفون إلا رأياً واحداً، ووجهة واحدة، أخذوا من شيخ واحد، أو انحصروا في مدرسة واحدة، ولم يتيحوا لأنفسهم أن يسمعوا رأياً آخر، أو يناقشوا وجهة نظر مخالفة، أو يجيلوا أنظارهم في أفكار المدارس الأخرى.

ولو وسعوا آفاقهم لعرفوا أن الأمر يتسع لأكثر من رأي، وأن الآراء المتعددة يمكن أن تتعايش، وإن اختلفت وتعارضت. المهم هو الإنصاف وترك التعصب، والاستماع إلى الآخرين، فقد يكونون أصوب قولاً، وأصح فهماً.

وآفة بعض (الحرفيين) ـ ممن أسميهم (الظاهرية الجدد)- أنهم يحسبون أن باستطاعتهم حذف الخلاف في المسائل الشرعية الاجتهادية فرعية أو أصلية، بجمع الناس على ما يرونه حقاً وصواباً،

ورفض ما عداه مما يعتبرونه باطلاً وخطأ.

ونسي هؤلاء أن الإعجاب بالرأي أحد المهلكات، وأن بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، ومن ذلك أن يحقر رأيه[1].

إننا نعيش عصر العلم والانفتاح، وتطور وسائل الاتصالات والإعلام، فهل يصح أن ننغلق تجاه بعضنا بعضا؟ وأن تنعدم وسائل التعارف والاتصال فيما بيننا؟

إن مما يخدم حركة العلم والمعرفة الإسلامية، ويساعد على تقدمها وتطويرها، إقرار حرية الفكر، ورفع الحواجز والعوائق عن انتشار الرأي، كما أن التعارف والانفتاح المتبادل بين المذاهب والاتجاهات الإسلامية، هو الطريق إلى تحقيق وحدة الأمة ورصّ صفوفها أمام الأخطار والتحديات الكبيرة.

(١) القرضاوي: الدكتور يوسف، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص٧١، ٧٤، الطبعة الثانية ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أحاديث

الحوار للمعرفة والسلام

كلمة الجمعة بتاريخ ١٦ شوال ١٤٢٣هـ

مراجعة الرأي
معرفة الرأي الآخر
الحوار للدعوة والإقناع
حركة المعرفة
من أجل السلام
الإسلام والتربية على الحوار

حينما تتعدد الآراء وتتعارض الأقوال حول قضية معينة فلا يمكن أن تكون كلها صحيحة صائبة، نعم يمكن أن تتفاوت درجة الصحة في عدد من الآراء، يحمل كل منها نسبة معينة من الصواب.

وإذا كان الإنسان يستهدف الحقيقة، ويسعى مخلصاً لإدراكها فإن عليه أن يبذل جهداً كافياً لتمحيص الآراء المتعارضة، ودراسة الأقوال المختلفة، معتمداً على عقله الذي حباه الله تعالى قدرة التمييز بين الصحيح والخطأ، بين الحق والباطل، بين الخير والشر.

شريطة أن يعمل العقل بحرية واستقلال، بعيداً عن تداخلات الأهواء، وضغوط المصالح والشهوات.

وهنا لا بد وأن تفتح كل الملفات المتعلقة بالقضية أمام العقل، وأن لا يحجب عنه شيء من المعلومات والآراء الواردة، تماماً كما يحرص القاضي النزيه، على الاطلاع على ملف أي قضية ينظر فيها، بشكل كامل، وأن يسمع شهادات الشهود مباشرة، ويلتقي مع أطراف القضية مورد النزاع، ليحكم فيها بعد ذلك بعلم وثقة.

إن كثيراً من الناس يخونون عقولهم، بمنعها وحجبها عن الاطلاع على الرأي الآخر، ومعرفة أدلته ومبرراته، مع احتمال أن يكون الرأي

الآخر هو الحق، أو فيه نسبة من الحق.

وذلك بسبب وجود بعض الدوافع الشهوانية والمصلحية، التي تشيع الغرور الزائف والثقة الساذجة بما لديه من رأي، أو ما يرغب فيه من موقف، فتصرفه عن البحث والتقصي.

إن القرآن الكريم يحذِّر الإنسان من الاسترسال في ثقته الساذجة، برأيه ونهجه، دون بحث موضوعي، فيصبح في مهاوي الضلال، وهو يتصور نفسه على أفضل عقيدة، وأصح طريق.

إنها أفظع خسارة يلحقها الإنسان بنفسه نتيجة غروره وتقصيره في البحث عن الحقيقة يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً!الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[2].

ومن أهم سبل البحث الموضوعي عن الحق الانفتاح على الرأي الآخر ومحاورته، وللحوار أكثر من قيمة ودور على الصعيد المعرفي.

مراجعة الرأي

فالحوار يدفع للمراجعة وأن يتفحص الإنسان آراءه ومواقفه في معرض حواره مع الآخرين، ومواجهته لتساؤلاتهم ونقدهم، فيتأكد حينئذٍ من صحة رأيه، وثباته أمام الاعتراض، وقد يكتشف بعض الثغرات ونقاط الضعف في وجهة نظره من خلال الحوار، فيسعى لمعالجتها وتجاوزها، ليكون الرأي أكثر قوة وتماسكاً. و قد يتضح له

(١) سورة الكهف آية ١٠٣، ١٠٤.
(٢) سورة فاطر آية ٨.

خطأ رأيه، فيستنهض إرادته وعزمه للتخلي عنه واعتناق الصواب. إن كثيراً من الناس يعيشون الاسترسال مع آرائهم ومواقفهم، في حالة من الجمود والركود، ويتصورونها مسلمات قطعية لا مجال فيها للأخذ والرد، بل ويستغربون من وجود رأي مخالف لها. كما ينقل القرآن الكريم عن المشركين استغرابهم من نفي رسول الله ﷺ لتعدد الآلهة ودعوته لتوحيد الله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1]، والحوار هو الذي يحرك راكد فكر الإنسان ويجدد نشاطه وحركته المعرفية.

معرفة الرأي الآخر

ويتيح الحوار للإنسان فرصة الاطلاع على الرأي الآخر، بشكل مباشر واضح، فعادة ما يصاحب الاختلافات الفكرية، صراعات ونزاعات، تؤدي إلى التعتيم على رأي كل طرف في ساحة الطرف الآخر، وتشويهه، وتحريفه، ونقله مبتوراً مضطرباً.

وحينما يطلع الإنسان على الرأي من منابعه، وينفتح على مصادره، ويناقش أصحابه مباشرة، تكون الرؤية أمامه أوضح وأجلى.

وكم هو مؤسف هذا العجز والقصور الذي تعيشه مجتمعاتنا، حيث تنعدم فيها مبادرات الحوار بين الأطراف المختلفة، فتكون صورة كل طرف غير جلية أمام الطرف الآخر، ويعيش الناس في منطقة واحدة وبلد واحد، قريبين متجاورين بأبدانهم وأجسامهم، لكنهم على صعيد الآراء والتوجهات، يبدون وكأن مسافات شاسعة واسعة تفصل بينهم، وتحول دون تلاقيهم وتحاورهم.

(١) سورة ص آية ٥.

إنهم يتحدثون عن آراء بعضهم البعض، وكأن كل طرف منهم ينتمي إلى عصر آخر، أو قارة أخرى.

وأذكر ـ مثلاً ـ أني التقيت مرة مع أحد المتدينين المثقفين من منطقة السلمية في سوريا، وهي مركز الطائفة الإسماعيلية هناك، فسألته عن آرائهم وتوجهاتهم المعاصرة، فاعتذر بمحدودية معلوماته عنهم، عدا ما قرأه في بعض الكتب من مصادر مناوئة لهم، ومن انطباعات حولهم متوارثة من الآباء والأجداد، حيث لم يجد في نفسه دافعاً للالتقاء بقياداتهم، والاطلاع على آرائهم مباشرة عن طريق البحث والحوار.

وتعبر هذه الحالة عن وضع عام نعيشه في مجتمعاتنا تجاه بعضنا البعض حين تتعدد الاتجاهات الدينية والفكرية والسياسية.

الحوار للدعوة والإقناع

وإذا كان الإنسان مهتماً بتعزيز موقعية الرأي الذي يتبناه، والدعوة له والتبشير به، فإن الحوار مع الآخرين هو أفضل الطرق لكسبهم وإقناعهم، أو على الأقل لتحييدهم، ولإعطائهم صورة واقعية بدل أن تصلهم صورة مشوهة ناقصة من جهات أخرى.

لقد اعتمد الأنبياء منهجية الحوار في عرض رسالتهم على أقوامهم، وفي نقد اتجاهات الكفر والفساد لدى تلك الأقوام، وينقل القرآن عن قوم نوح عليه السلام أنهم ضاقوا ذرعاً بنقاشاته المكثفة لهم وحواراته معهم، يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا

فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾[١].

كان نبي الله نوح عليه السلام يحذرهم الهلاك والشقاء باستمرارهم في طريق الكفر والعناد، وفي قولهم هذا يبدون الاستعداد لتحمل مضاعفات كفرهم، مغلقين أمامه أبواب الحوار والنقاش.

ومرة أخرى هددوه بالتصفية الجسدية بأبشع طريقة وهي الرجم أي قذفه بالحجارة حتى يموت، إذا لم يتوقف عن فتح النقاش معهم. يقول تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمَرْجُومِينَ﴾[٢].

وتتكرر في آيات القرآن الكريم صور ومشاهد كثيرة عن حوارات الأنبياء مع أقوامهم وأممهم، لتؤكد الحوار كمنهج للدعوة وتبليغ الرسالة.

ففي قصص نبي الله إبراهيم عليه السلام في الذكر الحكيم ورد مشهد حواره مع أبيه، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[٣] إلى بضع آيات في السورة الكريمة لتسجيل هذا المشهد الحواري.

وفي موارد أخرى جاءت حواراته مع قومه كما في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ! إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ! قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ! قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ! أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ! قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٤]. بل ذهب إلى

(١) سورة هود آية ٣٢.
(٢) سورة الشعراء آية ١١٦.
(٣) سورة مريم آية ٤٢.
(٤) سورة الشعراء آية ٦٩، ٧٤.

طاغية عصره (نمرود) ليدخل معه حواراً جاداً حول دعوته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[1].

وهكذا يتحدث القرآن عن سائر الأنبياء كموسى وعيسى وشعيب ولوط وصالح وغيرهم عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، في طرحهم لرسالتهم عن طريق الحوار والنقاش.

كما أفرد القرآن الكريم مساحة واسعة للحديث عن جهود النبي محمد ﷺ في تبليغ الرسالة بالتخاطب مع المشركين واليهود والنصارى، ومحاوراتهم والرد على إشكالاتهم وتساؤلاتهم، كما ينقل لنا تاريخ الدعوة الإسلامية كيف كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل، مبيناً دعوته، مدافعاً عن رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة.

حركة المعرفة

يسهم الحوار في تنشيط حركة المعرفة والثقافة في المجتمع، ويدفع الناس للتفكير والبحث والمقارنة، وقد تترشد الاتجاهات المتحاورة من خلال الحوار، ويسعى كل اتجاه لمعالجة نقاط ضعفه، وقد تتكامل الآراء، وتتراكم التجارب المعرفية، عبر التفاعل الحواري، وذلك مكسب لساحة المعرفة والثقافة، ولبلورة الآراء والأفكار وإنضاجها.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨.

من أجل السلام

ويؤدي الحوار وظيفة مهمة على صعيد تحقيق الاستقرار والسلم الاجتماعي، ذلك لأن قسماً كبيراً من المشاكل والأزمات في العلاقات الاجتماعية تنشأ من جهل الناس ببعضهم بعضاً، وتصور كل طرف للآخر على غير حقيقته، وذلك بسبب التباعد والقطيعة، أو لحدوث سوء ظن أو سوء فهم في البين، بتفسير كلام ما، أو عمل ما تفسيراً خاطئاً، أو لوصول معلومات كاذبة لدى جهة عن الأخرى، أو لوجود دور تخريبي بإثارة فتنة في المجتمع، إنه يمكن تعطيل مفعول كل هذه الاحتمالات والمحاولات بتلاقي الأطراف المعنية، وحوارها فيما بينها، لتكتشف حقائق الأمور، وتضعها في نصابها الصحيح، وتحبط خطط السوء والفتنة.

أو ـ على أقل تقدير ـ فإن الحوار يخفف حدة التوتر، ويمتص حالة التشنج والانفعال.

وما نراه من استقرار سياسي واجتماعي في المجتمعات الغربية، ليس لعدم وجود اختلافات بينهم في الرأي والمصلحة، ولا لعدم حدوث مشاكل وأزمات في بلدانهم، بل قد يكون التعدد والتنوع عندهم في الأعراق والديانات والمذاهب والأحزاب أكثر مما عندنا بكثير، وتنافسهم على المصالح والمكاسب كبير، لكنهم ينعمون بوجود مؤسسات ديمقراطية على الصعيد السياسي والاجتماعي، يناقشون في إطارها الأمور، ويعالجون المشاكل، ويحتوون الأزمات، فالحوار بين وجهات النظر المختلفة والأطراف المتنافسة، أصبح جزءاً من نظام حياتهم، في الإدارة السياسية، والعمل الاجتماعي،

والمؤسسات العلمية، وفي وسائل الإعلام.

بينما تفتقر أغلب مجتمعات العالم الثالث إلى أدنى فرص الحوار، لذلك تعاني من حالات الاحتقان، وتعيش أخطار التمزق والاحتراب.

الإسلام والتربية على الحوار

حينما يتلو المسلمون القرآن الكريم، ويقرؤون فيه أن الله تعالى يحاور ملائكته حول خلق البشر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] ويقرؤون أن الله تعالى يحاور إبليس: ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ ! قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢]، ويقرؤون فيه قصص الأنبياء في محاوراتهم لمجتمعاتهم. ويقرؤون فيه أمر الله تعالى بالدعوة إلى الدين عن طريق الحوار: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣].

وحينما يتأمل المسلمون تعاليم دينهم ويجدون فيها الأمر بالتشاور وتبادل وجهات النظر: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٤]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٥]، وأن قضية بسيطة كفطام الطفل عن حليب أمه ينبغي أن يتم

(١) سورة البقرة آية ٣٠.
(٢) سورة ص آية ٧٥، ٧٦.
(٣) سورة النحل آية ١٢٥.
(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩.
(٥) سورة الشورى آية ٣٨.

بالتفاهم بين الوالدين: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[1].

وأن الخلافات العائلية بين الزوجين إذا لم تعالج بينهما يأتي دور أسرتيهما في الحوار من أجل حل النزاع: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[2].

وحينما يتصفح المسلمون سيرة أئمة الدين فيرون منهجهم في ممارسة الحوار مع كل المستويات وفي كافة المجالات، مع الحكام، ومع أتباع الأديان الأخرى، ومع أصحاب المذاهب، ومع تلامذتهم، ومع جمهور الناس وعامتهم..

وقد قام الشيخ أحمد بن علي الطبرسي، من علماء القرن السادس للهجرة، بمبادرة نافعة، إذ جمع عدداً كبيراً من حوارات رسول الله ﷺ والأئمة من آل بيته عليهم السلام في كتاب ضخم تحت عنوان (الاحتجاج) طبع عدة مرات في العراق وإيران ولبنان.

حينما يقرأ المسلمون كل ذلك فإنه يجب أن يدفعهم إلى انتهاج طريق الحوار، وأن يعتمدوه أسلوباً لحياتهم، ونظاماً في علاقاتهم الاجتماعية، لكن السطحية والشكلية في التعاطي مع قيم الإسلام وتعاليمه، جعلت حياة المسلمين في واد آخر، فأصبح الطابع العام لعلاقاتهم الاجتماعية، يتصف بالتنافر والتباعد، واعتماد لغة القوة والقسوة، وسيادة حالة التشنج والخصام.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٣.

(٢) سورة النساء آية ٣٥.

أحاديث

مهارات التفاوض والحوار

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٣ شوال ١٤٢٣هـ

الخيار الصحيح
أزمة الحوار
أخلاقيات الحوار
الهدف النبيل

أصبح التفاوض الاجتماعي والسياسي علماً له أصوله ومناهجه ونظرياته وأساليبه، ومع أنه علم جديد آخذ في التشكيل، إلا أنه يحظى باهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية، لتعلقه بقضايا جوهرية ومهمة لبناء المجتمعات على النحو الأفضل، وتفعيل عملية التواصل داخل المجتمعات وفيما بينها على المستوى العالمي.

فقد تشابكت مصالح بني البشر، وأصبحوا يعيشون في قرية كونية واحدة، مع تنوعاتهم المختلفة، واشتداد حدة التنافس فيما بينهم كأفراد ومجتمعات على المواقع والمكاسب والمصالح.

مما يجعلهم بحاجة أكبر إلى تطوير قدراتهم على التفاهم، والتوفيق بين الإرادات المتنافسة، والتوجهات المختلفة، تجنباً للأزمات، وتفجير الصراعات والنزاعات.

وتنعكس آثار هذا العلم ونتائج بحوثه على ميادين كثيرة من النشاط الإنساني الاجتماعي، حيث يستفيد منه السياسيون في مجال المفاوضات الدبلوماسية، ورجال المال والأعمال في صفقاتهم الاقتصادية، والإداريون لإنجاح مهامهم القيادية، وسائر الحقول والميادين التي تتعدد فيها الإرادات والقوى.

لقد تأسست معاهد في أمريكا وأوربا واليابان وغيرها متخصصة بأبحاث تطوير هذا العلم، وإقامة دورات تدريبية لتنمية مهارات التفاوض وإدارة الحوار.

يتحدث الدكتور حسن محمد وجيه في كتابه (مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي) عن مشروع جامعة هارفارد لدراسة العمليات التفاوضية المختلفة باعتباره من أكبر المشروعات في العالم في هذا الميدان، ويستهدف المشروع تنمية وتطوير طرق ووسائل ومهارات التفاوض والوساطة من أجل معالجة المشاكل القائمة في المجتمع الأمريكي، والمفاوضات السياسية الدولية.

وأعضاء المشروع أساتذة في جامعة هارفارد ومجموعة من الأساتذة المهتمين بالتنظير في التفاوض من معهد الـ **M. I. T**، وجامعة **T. U. F. T.** كما يستضيفون عدداً من الزائرين.

وتنصب جهود القائمين على المشروع على الإسهام في بناء نظريات للتفاوض، وعلى تقديم وتطوير برامج تدريبية للتفاوض في المجالات المختلفة، كإعداد برامج خاصة للمحامين ولرجال الأعمال وللعسكريين وللدبلوماسيين وللصحفيين ولموظفي الحكومة.

وكذلك إعداد دورات خاصة على مستوى طلاب الجامعات ومرحلة الدراسة الثانوية بالولايات المتحدة[1].

إن توفّر هذه المشاريع البحثية والتدريبية في تلك المجتمعات، يعد رافداً مهماً لتكريس ثقافة الحوار عندهم، واعتمادها لغة تخاطب

(١) وجيه: الدكتور حسن محمد، مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي ص٥٠، علم المعرفة، ١٩٠، الكويت ١٩٩٤م.

رئيسية بين الإرادات المختلفة، والآراء والانتماءات المتعددة، والمصالح المتنافسة.

الخيار الصحيح

إن البديل عن الحوار والتفاوض عند الاختلاف والتنافس، هو أحد خيارين: إما هيمنة إرادة معينة وخضوع الآخرين لقوتها، لكن مع شعور بالغبن، وتحفز للانتقام والثأر، مما يجعل العلاقة بين الطرفين قلقة حذرة، تنعدم في ظلها فرص التعاون والبناء، والانسجام الوثيق.

وإما سيادة ثقافة التناحر و التغالب، التي تكرّس انغلاق كل طرف على ذاته، واهتمامه بالتحشيد والتعبئة ضد الآخر، حتى تجد الأطراف نفسها في مأزق حرب ونزاع قد يصعب عليها الخروج منه.

ولا شك أن التفاوض والحوار هو الخيار الصحيح، والبديل الأفضل، لأنه يعني اعتراف الأطراف ببعضها، ورغبتها في الوصول إلى توافق مشترك، يتيح لها فرصة التعارف المباشر، وتحديد نقاط الاتفاق ومواقع الاختلاف.

وإذا كان الحوار هو سمة الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات المتقدمة، فإن حضوره ودوره في مجتمعاتنا لا يزال محدوداً باهتاً.

وقد دفعنا ـ ولا نزال ـ ثمناً باهظاً لغياب الحوار الفاعل عن أجوائنا، يتمثل في الحروب بين الدول والحكومات، وفي الاضطرابات السياسية والأمنية الداخلية، وفي الصراعات القومية، والفتن الطائفية،

والنزاعات الفئوية.

وحتى على المستوى العائلي والأسري فإن كثيراً من حالات التفكك والضياع ناتجة عن أسلوب الهيمنة والقمع، وغياب أسلوب التفاهم والحوار.

أزمة الحوار

لكن أزمة الحوار في مجتمعاتنا لا تتمثل في غيابه فقط، وإنما أيضاً في سوء إدارته غالباً عند من يمارسونه.

وهنا تظهر قيمة البحوث والبرامج المعدة لتنمية مهارات التفاوض والحوار، وتتجلى أهمية أخلاقيات الحوار التي تتحدث عنها النصوص الدينية من آيات وروايات.

إن الإدارة السيئة للحوار قد تنتج مضاعفات عكسية، فتوسع هُوَّة الخلاف، وترفع درجة التشنج، وتزيد حالة التنافر والصراع.

وقد رأينا عبر بعض الفضائيات العربية برامج للحوار السياسي والمذهبي والفكري، بين الاتجاهات المختلفة، في العالم العربي والإسلامي، يفتقر أكثرها ـ مع الأسف ـ لأبسط أخلاقيات الحوار، ومبادئ النقاش العلمي الموضوعي، حيث تتعالى الأصوات، ويقاطع كل طرف كلام الآخر، وتتهم النوايا، ويتبادلون السباب والشتائم، ويتفننون في تعبئة الأتباع وتحريضهم.

والأسوأ من ذلك ما يدور على شبكة الإنترنت مما يندى له الجبين، وخاصة بين المواقع المذهبية الطائفية من السُّنة والشيعة، حيث تطرح المواضيع الخلافية بطريقة صدامية حادة، وبأسلوب

طفولي مبتذل، يكفر فيه كل طرف الآخر، ويفتي بهدر دمه، وإباحة ماله وعرضه.

إن الحوار بهذه الطريقة لا يوصل إلى نتيجة مفيدة، بل يزيد الطين بلة، ويقدم عن الأمة صورة مشوهة للآخرين، تفيد أعداء الإسلام الذين يروجون عن الإسلام أنه يشجع على العنف والإرهاب، ويرفض التعايش واحترام حقوق الإنسان، ويمكنهم عرض هذه المشاهد من الحوارات المتشنجة كدليل على عدم قدرة المسلمين على التعايش فيما بينهم، وسعي كل طرف منهم لإلغاء الآخر وسحقه، فضلاً عن قدرتهم على التعايش مع الآخرين واحترام حقوقهم!!

أخلاقيات الحوار

من الطبيعي أن يحفل تراثنا الإسلامي بالكثير من المفاهيم والتعاليم المرتبطة بأساليب الحوار وطرقه الصحيحة، ذلك أن الإسلام إنما شق طريقه إلى الناس عبر الحوار، حيث لم يكن رسول الله ﷺ يمتلك في مكة عند بداية الدعوة قوة ولا ثروة ولا منصباً، وكانت الأجواء العامة رافضة لدعوته، لكنه استطاع بقوة منطقه، وثبات حجته، وعبر أسلوب الحوار الناجح أن يقنع الآخرين، ويستقطبهم إلى جانب الدين الجديد.

ولم يرتض الإسلام القوة والفرض وسيلة لإدخال الناس في الدين، ذلك أنه ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]. بل اعتمد منهجية الدعوة بالمنطق والحوار الهادئ، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُـمْ بِالَّتِـي هِيَ أَحْسَـنُ﴾[١].

والجـدال بالتي هي أحسـن، يعني النقـاش والحوار بأفضل أسـلوب وينهـى القـرآن الكريـم عن مناظـرة الآخريـن والحـوار معهـم إلاّ بأفضل الطـرق والأسـاليب، يقـول تعالـى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْـلَ الْكِتَـابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ﴾[٢].

مـن يقرأ السـيرة النبوية، ويتأمل مواقف رسـول اللـه ﷺ وتخاطبه مع الآخريـن، مـن مشـركين ويهود ونصـارى، يجد أفضـل النمـاذج التطبيقية لأحسـن أسـاليب التفاوض والحوار.

وعلـى هديـه ﷺ سـار الأئمـة الأطهـار مـن أهـل بيتـه، والصحابـة الأخيـار، فـي نشـر رسـالة الديـن، والدعـوة إلـى مبادئـه وأحكامـه، عـن طريـق الكلمـة الطيبـة، والحـوار السـليم.

ويمكننـا أن نتلمـس بعـض السـمات والمعالـم لأخلاقيـات الحوار فـي تراثنـا الإسـلامي عبـر النقـاط التالية:

الهدف النبيل

لماذا يناظر الإنسان الآخرين؟ ولماذا يحاورهم؟

إذا كان الهـدف هـو البحـث عـن الحقيقـة، أو مسـاعدة الآخريـن لاكتشـافها، فهـو هـدف نبيـل.

وإذا كان الحـوار مـن أجـل الوصـول إلـى فهـم متبـادل، ليعـرف كل طـرف ما لـدى الآخر، فتتبين مـوارد الاتفـاق، ونقاط الاختلاف، تأسيسـاً

(١) سورة النحل آية ١٢٥.
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦.

لعلاقة واضحة، وتعايش مشترك، فهو مقصد محمود.

أما إذا كان التناظر والحوار من أجل إظهار الغلبة، وإفحام الطرف الآخر، وممارسة الجدل للجدل، فتلك غاية سيئة، والحوار حينئذٍ عقيم غير منتج.

ولعل هذا النوع من الجدل، الذي ينطلق من ذات متضخمة، تستهدف الغلبة بأي وسيلة وثمن هو ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[1].

وتطلق النصوص الدينية على هذا النوع من الحوار والجدل مصطلح (المراء)، وتحذّر الأحاديث والروايات من انتهاج مسلك (المراء) بأن يجادل الإنسان من أجل الغلبة لا من أجل غاية صالحة، حتى وإن كان ما يجادل حوله حقاً.

روى الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق، وحتى يدع الكذب في الممازحة، ولو شاء لغلب»[2].

فهو محق، ويستطيع بجداله الانتصار على الطرف الآخر، «ولو شاء لغلب» لكن الغلبة هنا لا هدف لها إلاّ الاستجابة لتضخيم الذات، وتحقيق الأنا، وذلك ما لا يستهدفه مؤمن صادق الإيمان.

وجاء في حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «من ترك المراء وهو محق بنى

(١) سورة غافر آية ٥٦.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، حديث رقم ٩٠٢٤، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

اللـه لـه في وسـط الجنـة»[١]، وعنـه ﷺ: «أورع الناس من تـرك المراء وإن كان محقاً»[٢].

وجـاء رجـل إلـى الإمام الحسـين بن علـي عليه السلام وقال لـه: اِجلس حتّى نتناظـر فـي الديـن؟ فقـال الإمـام الحسـين عليه السلام وقـد عـرف قصـد الرجل: «يـا هـذا أنـا بصيـر بدينـي، مكشـوف علـيّ هـداي، فـإن كنـت جاهـلاً بدينـك، فاذهـب واطلبـه، مـا لـي وللممـاراة؟ وإنّ الشـيطان ليوسـوس للرجـل ويناجيـه ويقـول: ناظـر النـاس فـي الديـن لئـلا يظنّوا بـك العجز والجهـل»[٣].

وفـي كتابـه (إحيـاء علوم الديـن) تحدث أبـو حامد الغزالـي بتفصيل عـن آفـات هـذا اللـون مـن الجـدل والمناظـرة، جـاء فـي مقدمـة حديثه: «اِعلـم وتحقـق أن المناظـرة الموضوعة لقصـد الغلبة والإفحـام، وإظهار الفضـل والشـرف، والتشـدق عنـد النـاس، وقصـد المباهـاة والممـاراة، واسـتمالة وجـوه النـاس، هـي منبع جميـع الأخـلاق المذمومة عنـد الله، المحمـودة عنـد عدو اللـه إبليـس. . .»[٤].

وفـي تصنيفهـا لأنـواع العمليـات التفاوضيـة، مـن منظـور نظريـات المباريـات، تطلـق أدبيـات علـم التفـاوض الاجتماعـي والسياسـي الحديـث، مصطلـح (المبـاراة الصفريـة) علـى مـا يقـرب مـن هـذا النوع مـن الجـدل العقيـم.

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم ٩٠٢٦.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص ١٢٧، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٥.

(٤) الغزالي: أبو حامد، إحياء علوم الدين ج١ ص٦٨، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الهادي، بيروت.

وهي العملية التفاوضية التي تتبنى منطق تعامل مفاده: لا بد أن أجعل الطرف الآخر يخسر كل شيء، وأن أكسب أنا كل شيء، وطبقاً لقواعد هذه المباراة فإن المتحاورين يؤمنون بأن إدارة الصراع الاجتماعي والسياسي لا تحتمل حلولاً وسطاً، أي أن الأمر ينبغي أن يكون إما رفضاً مطلقاً أو قبولاً مطلقاً. . إما قاتل أو مقتول، ويمثل قرار الدخول في مثل هذه النوعية الصفرية من المباريات، النقيض التام لأي محاولة إيجابية لإدارة الحوار التفاوضي اجتماعياً وسياسياً، فمفهوم المنافسة والمسابقة طبقاً لهذه النوعية من المباريات لا يكون عادة من خلال الاستعداد والارتفاع بقدرات ومهارات الأداء التفاعلي، وبذل الجهد المطلوب لتحقيق الهدف بطريقة شرعية وإنسانية، بل إن الفوز عادة ما يتحقق طبقاً لتلك المباريات الصفرية من خلال تدمير وتشويه الآخر[1].

(١) وجيه: الدكتور حسن محمد، مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي ص٢٥.

أحاديث

أخلاقيات الحوار

كلمة الجمعة بتاريخ ٣٠ شوال ١٤٢٣هـ

موضوعية البحث ومنهجيته
الاحترام المتبادل
نقاط الالتقاء
التعددية والرأي الآخر

لماذا تصاب أكثر الحوارات في مجتمعاتنا بالفشل؟ وتصل إلى طريق مسدود؟

ولماذا تنتهي إلى نتائج سلبية غالباً، فتزيد الغموض في موضوع الحوار، وتوسع شقة الخلاف بين المتحاورين؟

في المجتمعات المتقدمة يتحدثون عن فاعلية الحوار لديهم، بحيث تحول إلى منهج حياة، وأسلوب معالجة للمشاكل والخلافات، ووسيلة إثراء للفكر والمعرفة، فلماذا يؤدي الحوار عندنا دوراً عكسياً؟

لقد لاحظ هذه المفارقة أكثر من باحث وكاتب، يقول الأستاذ راشد الغنوشي: «إنه من الملفت للنظر أن يجري الحوار بين غير المسلمين فيتحقق التعاون، ويتوحد الصف، بينما يصبح الحوار بين جماعات المؤمنين أكثر صعوبة، وأقل جدوى، وذلك مظهر من مظاهر التخلف»[1].

ويقول الدكتور يحيى الجمل: «كوننا لا نعرف كيف نتفق أصبح أمراً شائعاً، ولكن المشكلة الحقيقية أننا لا نعرف كيف نختلف»[2].

---

(١) الكلمة، مجلة فكرية فصلية، العدد ٨ ص٣٥ عام ١٩٩٥م.

(٢) الجمل: الدكتور يحيى، تعالوا نختلف، مجلة العربي، العدد ٣٤١، نيسان (أبريل) ١٩٨٧م، الكويت.

إنه لا يمكن الشك في فائدة الحوار وصلاحيته وجدواه لكل المجتمعات الإنسانية، فلا يمكن القول إنه صالح لتلك المجتمعات، لكنه غير صالح لهذه المجتمعات، بل يجب البحث عن العوامل المعوّقة، التي تجهض فاعلية الحوار. ويبدو أن من أهمها ضعف ثقافة الحوار، وغياب المنهجية الصحيحة لإدارته.

إن سلامة المقصد والاستهدافات من عملية الحوار ركن أساسي لتحقيق نجاحه، كما سبق الحديث عن ذلك، وفيما يلي عرض لأهم الأركان الأخرى في أخلاقيات الحوار:

موضوعية البحث ومنهجيته

لا بد أن يتحدد أولاً موضوع البحث الذي يدور حوله الحوار، وحسب تعبير العلماء تحرير محل النزاع، أي تحديد النقطة التي يُختلف فيها بالضبط، ذلك أن كل قضية من القضايا يمكن أن تناقش من لحاظات مختلفة، وزوايا متعددة، فإذا لم يتفق طرفا الحوار على منطقة البحث، فسيتناول كل منهما جانباً غير الذي يتناوله صاحبه، ويتشعب البحث، ويضيع الموضوع، ولا يصلون إلى نتيجة.

وكثيراً ما يحصل في بعض المجالس والملتقيات أن يطرح موضوع للنقاش، ثم ما يلبث أن يُحشر فيه ألف موضوع، كل واحد منها يحتاج إلى بحث خاص به.

فمثلاً حينما يكون البحث حول مفاد حديث مروي عن رسول الله ﷺ، فيجب أن تتحدد نقطة البحث، هل هي النقاش حول سنده وأنه صحيح أم لا؟ أو هي النقاش حول فهم نصه والمعنى المقصود منه؟

أو هي الاختلاف حول مورد تطبيقه وتشخيص موضوعه الخارجي؟

إن عدم التحديد يفقد الحوار منهجيته، وقد يتهم أحد الطرفين الآخر بأنه يرفض الالتزام بالسنة النبوية، والأخذ بأقوال الرسول ﷺ، بينما يكون ذلك خارجاً عن محل البحث والنزاع.

من ناحية أخرى ينبغي أن يسبق الحوار تحديد للمفاهيم والمصطلحات، ليعرف كل طرف ما يقصده الآخر، فمثلاً حينما يستدل محاور على قوله في مسألة دينية بدليل الإجماع، فإنه لا بد أولاً من تعريف مفهوم الإجماع الذي يُحتج به، هل هو إجماع مطلق الأمة، أو خصوص المجتهدين منهم في عصر، أو هو اتفاق أهل المدينة، أو أهل الحرمين، أو هو خصوص مجتهدي المذهب، أو ما كان كاشفاً عن رأي المعصوم؟

ويمثل الاختلاف حول تحديد مفهوم الإرهاب على المستوى العالمي مثالاً واضحاً على ضرورة الاتفاق على المفاهيم، فهل مقاومة الاحتلال إرهاب؟ إن الأمريكيين ولمصلحة إسرائيل يريدون تعميم مفهوم الإرهاب، لسحق إرادة الشعب الفلسطيني وإنكار حقه في مقاومة الاحتلال.

وأخيراً لا بد وأن يحتكم الحوار إلى الأدلة والبراهين، فيقدم كل طرف أدلته الموثقة الواضحة على آرائه وأقواله، والقرآن الكريم يؤكد على مرجعية الدليل والبرهان يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

(١) سورة البقرة آية ١١١.

لَنَا﴾[١].

وعلى المحاور أن يكون موضوعياً فلا يرد دليلاً صحيحاً مكابرة وعناداً، ولا يستخدم المغالطة والمناورة بطرح ما ليس له حجية ودليلية كبرهان ودليل، إن الجدال والنقاش دون امتلاك دليل وبرهان، هو إضاعة وقت وجهد، وإصرار على الجهل والخطأ، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٢].

ويؤكد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على الموضوعية في الحوار، وتقديم الأدلة الصحيحة، وقبولها من الطرف الآخر، فيقول: «أما الجدال بغير التي هي أحسن: أن تجادل مبطلاً، فيورد عليك باطلاً، فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى، ولكن تجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة، لأنك لا تدري كيف المخلص منه»[٣].

ويقول عليه السلام مرة أخرى: «وأما الجدال بغير التي هي أحسن بأن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله، وإنما تدفعه عن باطله، بأن تجحد الحق فهذا هو المحرّم، لأنك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر»[٤].

إنها مسألة دقيقة يشير إليها الإمام عليه السلام، بأن يجد المحاور نفسه

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨.

(٢) سورة الحج آية ٨.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص١٢٥، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٤) المصدر السابق ص١٢٦.

أمـام دليل صحيـح، لكنه ينكره لعـدم قدرته علـى رده ومواجهته، إن ذلك يعتبـر مكابـرة وعنـاداً، حتـى ولـو كان الطرف الآخـر مبطـلاً، أو كان يريد توظيـف الدليـل فـي دعـواه الباطلـة، فـإن الموضوعيـة تقتضـي التسـليم بالدليـل الصحيـح، ثـم الاجتهـاد فـي معالجة الاسـتدلال به.

فمثـلاً لـو استشـهد محـاور بحديث صحيـح، أو واقعـة ثابتـة، لتأييد فكـرة خاطئـة، ولـم أكـن قـادراً علـى تفنيـد اسـتدلاله، فقـد ألجـأ إلـى تكذيـب الحديـث وإنـكار صحتـه، أو نفـي الواقعـة الثابتة، وهـذا خلاف الموضوعيـة.

الاحترام المتبادل

مـن أجـل توفيـر أكبر قـدر مـن التركيـز العقلي فـي موضـوع البحث والحـوار، ولتنميـة روح الإخـلاص للحقيقة لـدى الأطـراف المتحاورة، وتشـجيع حالـة المرونـة للوصول إلى توافـق مفيد، ينبغي أن تسـود أجواء الحـوار درجة عاليـة من التقديـر والاحتـرام المتبادل.

ذلـك أن أجـواء التوتـر النفسـي، والاسـتفزاز العاطفي، التـي تخلقها إسـاءة مـن هـذا الطـرف، ورد فعـل مـواز مـن الطـرف الآخـر، تعرقـل موضوعيـة البحـث، وتعكّر صفـاء الفكر، وقـد تمنع اسـتمرار الحوار، أو تحقيقـه لنتائـج مرضية.

وأساسـاً فـإن الاختـلاف فـي الـرأي لا يبـرر الإسـاءة، كمـا لا يحـق لأحـد أن يفـرض رأيـه علـى الآخـر، وعمليـة الحـوار تمثل سـعياً من كل طـرف لإقنـاع الآخـر برأيـه، وكسـبه إلـى جانبـه، أو تقريبـه أو تحييـده، والإسـاءة تجعـل ذلـك الهـدف أبعـد منالاً.

لذلك يأمر الله تعالى عباده أن يتخاطبوا مع بعضهم بأفضل عبارات التقدير والاحترام، لأن أي كلمة نابية قد تكون شرارة لفتنة وعداوة، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[١]، ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢].

وحتى في مواجهة الطاغية فرعون فإن الله تعالى يأمر نبييه موسى وهارون عليهما السلام، أن يتخاطبا معه خطاباً هادئاً جميلاً. يقول تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ! فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٣].

وعند الحوار مع أصحاب الأديان الأخرى يشترط الباري جل وعلا اختيار أفضل أساليب التخاطب: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤].

إن جرح مشاعر الطرف الآخر بسبه أو شتمه أو اتهامه، أو النيل من مقدساته، يحوّل العملية من حوار وتفاوض، إلى نزاع وتخاصم، حيث يندفع الطرف الآخر للانتقام لنفسه، بذات الأسلوب. لذلك ينهى الله تعالى عن سب أصنام الكفار عند التخاطب معهم، لأن ذلك يدفعهم إلى سب الله تعالى كرد فعل مقابل، يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٣.
(٢) سورة البقرة آية ٨٣.
(٣) سورة طه آية ٤٣ – ٤٤.
(٤) سورة النحل آية ١٢٥.
(٥) سورة الأنعام آية ١٠٨.

حدث مرة أن وجّه أحد الصحابة إهانة لأحد المشركين في محضر رسول الله ﷺ فنهره الرسول ﷺ وأعرض عنه.

قال ابن هشام في السيرة النبوية: إن المسلمين في طريقهم إلى بدر لقوا رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلّم على رسول الله ﷺ، قال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا نعم، فسلّم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؟ قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك: نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله ﷺ: مه ـ أي اسكت ـ أفحشت على الرجل، ثم أعرض عن سلمة[1].

وعلى هدى القرآن وسيرة الرسول ﷺ فإن الإمام علياً حينما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين قال لهم: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر[2].

وقد يحصل أن يسمع الإنسان المؤمن من الآخر كلاماً قاسياً تجاه العقيدة والدين، فيصدم مشاعره الإيمانية، ويستفز غيرته على مقدساته، وقد يندفع لمهاجمة الطرف الآخر بغضب وشدة، وذلك مفيد للتنفيس عن الانفعال والانزعاج الشخصي، لكنه لا يخدم الرسالة والعقيدة، والتي يكفيها قوة المنطق وثبات الحجة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٢ ص٢٢٥، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٠٦، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

حدّث المفضل بن عمر أنه سمع ذات يوم كلاماً إلحادياً من ابن أبي العوجاء في مسجد رسول الله ﷺ، يقول: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه. . . فردّ عليه ابن أبي العوجاء قائلاً: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل كلامك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا، وإنه للحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويستغرق حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا أنا قد قطعناه، أدحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه[1] .

إن الاحترام المتبادل في الحوار يعني إبداء الترحيب بالطرف الآخر، ومخاطبته باحترام، والإصغاء لكلامه، وعدم مقاطعته، وعدم تجريح شخصيته، أو إهانة رموزه ومقدساته.

وقد بلغ من آداب الوحي والنبوة في الحوار أن النبي ﷺ يخاطب الكفار بقوله: ﴿. . . وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ! قُلْ لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

إنه مع ثقته ويقينه بدينه يدعوهم إلى الحوار على أساس تساوي

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٣ ص٥٧٥٨، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) سورة سبأ آية ٢٤- ٢٥.

احتمال الصحة والخطأ بينه وبينهم، وحينما يقول عن جهته: ﴿لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ يقول عنهم: ﴿وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل (عما تجرمون)، إظهاراً للأدب، ومراعاة للاحترام. هذه هي تعاليم الإسلام في التعامل والتخاطب مع المخالفين في الدين والسياسة، وخاصة في إطار الحوار والتفاوض، حتى يجري النقاش والبحث في جو من الاحترام المتبادل.

لكن ما نراه في واقع كثير من الحوارات في مجتمعاتنا، على العكس من ذلك تماماً، حيث تتبارى الأطراف في توجيه أقذع الاتهامات لبعضها، وأبشع الأوصاف، ففي الحوارات الدينية هنالك ابتذال في تكفير الآخر، واتهامه بالشرك والبدعة والفسق، وفي الحوارات السياسية تبادل الاتهامات بالخيانة والعمالة والإفساد والتخريب.

نقاط الالتقاء

ومما يخدم أهداف الحوار، ويساعد على نجاحه، أن يبحث الطرفان عن نقاط الالتقاء بينهما، وموارد الاتفاق، ويبدآن من التأكيد عليها، والانطلاق منها لمناقشة قضايا الاختلاف.

إن ذلك يشكل أرضية للتقارب الفكري والنفسي، ويذّكر الطرفين بوجود قضية مشتركة يمكنهما التفاهم والتعاون من أجلها، وإن اختلفا فيما عداها.

وهذا ما عرضه الرسول ﷺ على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، من التأكيد على الأصول المشتركة للديانات الإلهية،

والتعامل في ظلها بسلام واحترام. يقول تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1].

ويأمر الله تعالى المسلمين بأن يبدأ برنامج حوارهم مع اليهود والنصارى بالتأكيد على المشتركات ونقاط الالتقاء: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو أنه إذا كنا مأمورين كمسلمين بالبحث عن نقاط الالتقاء مع أتباع الديانات الأخرى، فلماذا نرفض استكشاف موارد الالتقاء بيننا كأمة واحدة، وأتباع دين واحد؟ ولماذا يصرّ المذهبيون الطائفيون على اجترار مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، ويجعلون منها مبرراً للفرقة والانقسام، مع أنها محدودة جانبية، ويتجاهلون مساحات الاتفاق الواسعة بين كل المذاهب الإسلامية على أصول الإيمان وأركان الإسلام؟

ولماذا يبدأ الحوار دائماً بين السنة والشيعة ـــ مثلاً ـــ حول ما يختلف فيه الطرفان، دون تناول ما يتفقون عليه، والانطلاق منه كأرضية مشتركة، وإطار جامع؟

التعددية والرأي الآخر

ليس حتماً أن يصل الطرفان المتحاوران إلى رأي واحد، فقد يعجز كل منهما عن إقناع الآخر بوجهة نظره، وقد يفشلان في الالتقاء عند

(١) سورة آل عمران آية ٦٤.
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦.

منتصف الطريق، ويبقى كل منهما متمسكاً برأيه، عن حق أو لشبهة، أو مكابرة وعناداً.

وهنا لا بد من القبول بالتعددية والاعتراف بوجود الرأي الآخر، لأن الدنيا تتسع للجميع، والحياة فيها حق مشترك، وحرية العمل والحركة متاحة لبني البشر.

هكذا أراد الله تعالى أن تكون الحياة الدنيا داراً يتمتع فيها الإنسان بحرية الإرادة والاختيار، حتى يتحمل مسؤولية قراره أمام الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[١]، ويقول تعالى بعد الحديث عن انقسام البشر إلى ماديين شهوانيين، ومؤمنين إلهيين: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢].

وليس من حق أحد في الدنيا أن يصادر حرية الإنسان في الاختيار، حتى الأنبياء لاحق لهم في إجبار الناس على الإيمان، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ! لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٤].

إن النبي يعرض رسالته، ويدعو الناس إليها، ويحاورهم ويجادلهم بالتي هي أحسن، فمن إقتنع واستجاب دخل حظيرة الإيمان، ومن

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩.
(٢) سورة الإسراء آية ٢٠.
(٣) سورة الغاشية آية ٢١-٢٢.
(٤) سورة يونس آية ٩٩.

أبى وامتنع فهو يتحمل مسؤولية رفضه أمام الله تعالى، وليس للنبي به شأن. يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾[1].

ويبقى من لا يؤمن بالدين إنساناً له حقوقه الإنسانية، يتعامل معه بالعدل والإحسان ما لم يمارس العدوان والظلم، يقول تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

أين هذه السماحة التي تبشر بها آيات القرآن الكريم، مما يمارسه بعض المتدينين، من محاولتهم فرض آرائهم على الناس بالقوة والعنف، ورفض وجود الرأي الآخر؟

إننا بحاجة إلى التأمل والتدبر أكثر في مفاهيم ديننا وتعاليمه، لكي نعرفه على حقيقته كما أنزله الله تعالى، وليس كما ورثناه، أو تعودنا على ممارسته، أو ما كيفنّاه حسب أمزجتنا وأنانيتنا الضيقة.

---

(١) سورة الشورى آية ٤٨.

(٢) سورة الممتحنة آية ٨.

أحاديث

عالم الدين بين التواضع وتضخّم الذات

كلمة الجمعة بتاريخ ٧ ذو القعدة ١٤٢٣هـ

تضخّم الذات
أرضية الابتلاء
التربية الروحية الأخلاقية
العلم مسؤولية وتكليف
التواضع ثمرة العلم

عالم الدين كيف ينظر إلى نفسه؟

وكيف يرى الآخرين بالنسبة إلى ذاته؟

إن نظرة الإنسان إلى ذاته تحدد رؤيته إلى الآخرين. وتشكل أساساً وأرضية لنمط تعامله وعلاقته بهم.

ولأهمية العلاقة بين عالم الدين والمجتمع، وتأثير مستواها على الحالة الدينية، ولما يدور في بعض الأوساط من تساؤلات وملاحظات، حول واقع هذه العلاقة، من خلال بعض النماذج والممارسات، فسنعالج هذا الموضوع عبر زاوية مهمة من زواياه، هي النظرة التي يكّونها عالم الدين عن ذاته لجهة موقعيته من الآخرين، وموقعيتهم بالقياس إليه.

تضخّم الذات

حينما يمتلك إنسان نقاط قوة يتفوق بها على من حوله، فقد تصيبه حينئذٍ حالة من الإعجاب بذاته، فيكون تميّزه حاضراً دائماً في ذهنه، ويغفل عما لديه من ثغرات ونواقص، فتنمو وتزداد في شخصيته، كما يتجاهل نقاط قوة الآخرين، فلا يرى لهم قيمة واعتباراً، بل ينظر إليهم دائماً من خلال تفوقه وتميزه.

يذكر (الأبشيهي) في كتابه (المستطرف) بعض النماذج من المصابين بمرض انتفاخ الذات، فينقل عن (جذيمة الأبرش): أنه كان لا ينادم أحداً لتكبره، ويقول: إنما ينادمني الفرقدان، أي الشمس والقمر!! أما (ابن عوانة) فقد قال لغلامه يوماً: اسقني ماءً. فقال الغلام: نعم. فقال ابن عوانة: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا، اصفعوه فصُفع!! ودعا يوماً فلاّحاً فكلمه، فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذاراً لمخاطبته!! وقال المسرور بن هند لرجل: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا مسرور بن هند. قال: ما أعرفك. قال فتعساً ونكساً لمن لم يعرف القمر[1].

وهذا هو مرض انتفاخ الذات وتضخمها، وهو داء خطير، قد يحصل بسبب موقع السلطة والقوة، أو بامتلاك المال والثروة، أو بتحصيل مستوى علمي ومكانة دينية اجتماعية.

لذلك فعالم الدين معرّض لجرثومة هذا المرض، فإذا لم يراقب ذاته، ولم يجتهد لتهذيبها وتثبيت مناعتها، فقد يصبح ضحية لهذا المرض الخطير، والذي تنعكس آثاره وأضراره على سمعة الدين، والحالة الدينية بشكل عام.

ويرى الشيخ أبو حامد الغزالي أن احتمال إصابة العالم بهذا المرض أكثر من غيره يقول في (إحياء علوم الدين): «وما أسرع الكبر إلى العلماء! ولذلك قال ﷺ: «آفة العلم الخيلاء» فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم، يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله، ويستعظم

(١) الأبشيهي: محمد بن أحمد، المستطرف ج١ ص٢٢٣، الطبعة الثانية، المطبعة العصرية ٢٠٠٠م.

نفسه، ويستحقر الناس، وينظر إليهم نظره إلى البهائم، ويستجهلهم، ويتوقع أن يبدؤوه بالسلام، فإن بدأه واحد منهم بالسلام، أو ردّ عليه بِبُشر، أو قام له، أو أجاب له دعوة، رأى ذلك صنيعة عنده، ويداً عليه يلزمه شكرها، واعتقد أنه أكرمهم، وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له، ويخدموه شكراً له على صنيعه، بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم، ويزورونه فلا يزورهم، ويعودونه فلا يعودهم، ويستخدم من خالطه منهم، ويستسخره في حوائجه، فإن قصرّ فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه، وكأن تعليمه العلم صنيعة منه إليهم، ومعروف لديهم، واستحقاق حق عليهم. . .». (١)

أرضية الابتلاء

كيف يبتلى عالم الدين بهذا المرض الخطير؟

وكيف تتسلل جرثومته إلى نفسه؟

إن عالم الدين كسائر البشر، مخلوق في هذه الدنيا للابتلاء والامتحان من قبل الله تعالى، والامتحان الإلهي أساليبه ووسائله متنوعة، فقد يكون عبر إغداق النعم والخيرات، أو الإصابة بالشدائد والأزمات، يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢).

وكما يكون المال أو المنصب، أو الجمال مادة للامتحان، فكذلك تكون نعمة العلم مورداً للامتحان، وعلى أساس طريقة التعامل مع هذه النعمة تتقرر درجة العبد عند الله تعالى.

---

(١) الغزالي: أبوحامد، إحياء علوم الدين ج٣ ص٥٠٦، دار الهادي، بيروت ١٩٩٢م.
(٢) سورة الأنبياء آية ٣٥.

ولكي تتضح صورة ومعالم هذا الامتحان الذي يمر به عالم الدين من هذه الزاوية، نشير إلى النقاط التالية:

أولاً: لا شك أن للعلم قدراً وقيمة تؤهل من يحمله للاعتزاز به، ويتجلى فضل العلم عند صاحبه أكثر حينما يعيش في أوساط الجاهلين، فيراهم محتاجين إلى علمه، ويجد نفسه متميزاً عليهم بمعرفة ما يجهلونه.

وقد يكون هذا من بواعث العجب وانتفاخ الذات عند بعض حملة العلم، وخاصة عند من لا يختلط بأنداده أو المتفوقين عليه من العلماء،فيعيش دائماً الشعور بالتميز في الوسط المحيط به.

أما من يلتقي مع المتقدمين عليه في العلم، أو المقارنين له في الفضل، فقد يساعده ذلك على التوازن في مشاعره وتقويمه لذاته.

ولعل البعض في عزوفه عن التلاقي مع الفضلاء من أبناء صنفه، واقتصاره على مخالطة أتباعه وطلابه ومريديه، إنما يريد العيش دائماً في حالة الشعور بالتميز الذاتي.

ثانياً: هناك نصوص دينية كثيرة تتحدث عن فضل العالم ومكانته، حيث تقرر الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]. تفوق العالم في صيغة سؤال تقريري.

وجاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «فضل العالم على الشهيد درجة»[2]، وعنه ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب

(١) سورة الزمرآية ٩.

(٢) الطبرسي: الفضل بن الحسن، مجمع البيان ج٩ ص٤١٨، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

العلـم»[١]، وعنـه ﷺ: «طالـب العلـم تبسـط لـه الملائكـة أجنحتها رضى بمـا يطلـب» [٢]، وعنـه ﷺ: «فضـل العالـم علـى العابـد كفضـل القمـر ليلـة البـدر علـى سـائر الكواكـب»[٣].

وأحاديـث وروايـات عديـدة كثيرة فـي تبيين فضـل العالـم ومكانته، هـذه النصـوص حينمـا يطلع عليهـا ويقرؤهـا من أوتـي نصيباً مـن العلم، فقـد تحدث له نوعاً مـن الغرور والعجب إذا اعتبر نفسـه مصداقـاً وموردا لانطباقها.

ثالثـاً: مـا يحظـى بـه عالـم الديـن مـن تقديـر واحتـرام فـي أوسـاط جمهـور النـاس، والـذي يتجلى فـي قيامهم لـه إذا دخل عليهـم، وتقديمه فـي الأمـور، وإيثـاره بصـدر المجلـس، وتقبيـل جبينـه أو يـده، كمـا هي العـادة فـي بعـض المجتمعـات، والرجوع إلـى رأيه في مختلف المسـائل والشـؤون، كل ذلـك قـد يعـزز مشـاعر الاعتـزاز بالـذات، والإحسـاس بالتميز.

بالطبـع فـإن احتـرام أهـل العلـم وتقديرهـم، أمـر مطلـوب، يدفـع إليـه العقـل، ويأمـر بـه الشـرع، لأن ذلك مظهـر لاحتـرام الديـن والعلم، ومقدمـة للاسـتجابة لإرشـاد العلمـاء وتعليمهـم. ورد فـي الحديـث عن رسـول اللـه ﷺ: «من اسـتقبل العلمـاء فقـد اسـتقبلني، ومـن زار العلماء فقـد زارنـي، ومـن جالـس العلمـاء فقد جالسـني، ومـن جالسـني فكأنما

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٢٨٧٢٦، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٢) المصدر السابق، حديث رقم ٢٨٧٤٧.
(٣) المصدر السابق، حديث رقم ٢٨٧٩٥.

جالس ربي»[١]، وعنه ﷺ: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله»[٢].

التربية الروحية الأخلاقية

كما قد يكون المال والثروة سبباً للانحراف والطغيان ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ! أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٣]. وقد تكون السلطة دافعاً للظلم والاستبداد، كذلك قد يصبح العلم باعثاً للغرور والتكبر، لذلك ورد عن السلف: «إن للعلم طغياناً كطغيان المال».[٤]

ومن أجل تحقيق التوازن النفسي عند الإنسان، وللسيطرة على جموح مشاعره وأحاسيسه الذاتية، لا بد من التربية الروحية الأخلاقية.

وعالم الدين إذا توفر على رصيد كاف من تزكية النفس، يكون لديه مناعة وحصانة من مرض العجب والغرور، وسائر الأدواء الأخلاقية. لذلك يقدم القرآن الكريم التزكية على التعليم لأهميتها وأولويتها، بقول تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٥].

وتؤكد النصوص الدينية على ضرورة تزكية النفس أولاً، خاصة بالنسبة لعالم الدين، يقول الإمام عليه السلام: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم ٢٨٨٨٣.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم ٢٨٧٦٤.

(٣) سورة العلق آية ٦-٧.

(٤) الغزالي: أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج٣ ص٥٢٧،الطبعة الأولى ١٩٩٢م، دار الهادي، بيروت.

(٥) سورة الجمعة، آية ٢.

تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[١]، ويقول عليه السلام: «كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه». [٢]

إن التربية الروحية تجعل نظرة الإنسان إلى نفسه أكثر واقعية وموضوعية، فكلما تقدم علمياً، أدرك عمق المعرفة، وسعة آفاق العلم، وأدرك أن ما ناله من العلم ليس سوى نزر قليل ومقدار ضئيل، فيسد بذلك منافذ العجب والغرور إلى نفسه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٣].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قال: أنا عالم فهو جاهل»[٤]. وفي وصيته لابنه الحسن عليه السلام يقول الإمام علي عليه السلام: «فإن العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل فعدَّ نفسه بذلك جاهلاً»[٥].

ينقل في سيرة العالم الفيلسوف الفقيه المعروف الملا هادي السبزواري (١٢١٢-١٢٨٩هـ) صاحب المنظومة الفلسفية التي تدرّس في الحوزات العلمية، أنه ذهب إلى كرمان دون أن يعرفه أحد، ليبقى فيها مدة من الزمن فدخل المدرسة العلمية هناك، وطلب من المتوليّ للمدرسة غرفة، ولما لم يكن المتولي يعرفه سأله: هل أنت من

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، حكم ٧٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم،الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٣) سورة الإسراء آية ٨٥.

(٤) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص ١١٠، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٥) المصدر السابق ج ٧٤ ص٢٢١.

العلمـاء؟ فأجابـه: كلاّ. قال المتولـي: إن الغرف مخصوصـة لطلبة العلم، ولكنـك تسـتطيع أن تبقـى فـي غرفة خادم المدرسـة لتسـاعده فـي أعمال الخدمـة، فوافـق علـى ذلـك، وبقي كذلـك حتـى عرفوا شـخصيته[١].

كمـا أن العالـم المحـدّث الكبيـر الشـيخ عبـاس القمـي (١٢٩٤-١٣٥٩هـ) صاحـب المؤلفـات الكثيرة المشـهورة، لما ألـف كتابه (الفوائد الرضويـة فـي تراجـم علمـاء الإمامية) ووصـل إلى اسـمه، كتب مـا يلي: «حيـث أن هـذا الكتـاب الشـريف فـي بيـان أحـوال العلمـاء، لـم أجـد المناسـب أن أترجـم لنفسـي إذ أنـي أحقـر وأقـل مـن أن أضع نفسـي في عدادهـم، ولـذا أصـرف النظـر عـن ترجمتـي مكتفياً بذكـر مؤلفاتـي»[٢]

وكان أحـد الفقهـاء المراجـع يكتـب عنـد توقيعـه: (تـراب أقـدام العلمـاء)، ومتـداول عنـد كثير مـن العلمـاء أن يكتب عند توقيعـه (الأقل) أو (الأحقـر). هكـذا يسـتكثر العالـم المهذب لنفسـه أن يعد نفسـه عالماً، فضـلاً عـن أن يسـيطر عليـه العجـب والغـرور، أو يتباهـى بعلمه.

العلم مسؤولية وتكليف

دراسـة الإنسـان للعلوم الدينية يفتـرض أن تجعله أكثـر إدراكاً لعظمة اللـه تعالـى، وشـعوراً بالالتـزام والمسـؤولية بين يديه سـبحانه، ومـا يناله مـن العلـم يكـون حجـة عليـه أمـام اللـه تعالـى، لذلـك يتصـف العلمـاء بشـدة الخـوف والخشـية من اللـه، يقـول تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَـى اللَّـهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣].

(١) هيئة محمد الأمين، الأخلاق والآداب الإسلامية ص٢٣٥ الطبعة الأولى، الكويت ٢٠٠٠م.
(٢) مختاري: الشيخ رضي، سيما الصالحين ص٢٦٠، دار البلاغة، بيروت١٩٩٢م.
(٣) سورة فاطر، آية ٢٨.

فالعلم الديني مسؤولية وتكليف قبل أن يكون امتيازاً وتشريفاً، وعلى حملة العلم أن يضعوا نصب أعينهم التحذيرات الإلهية الموجهة إليهم، عبر آيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبي ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام، لتكبح جماح النوازع الذاتية في نفوسهم، وليخضعوا أنفسهم دائماً وأبداً للمحاسبة والمراقبة. وليتذكروا أن وضعهم أخطر من سائر الناس، وأن الناس العاديين أخف منهم أعباءً، وأيسر حساباً بين يدي الله تعالى.

هناك عدد من الأحاديث الشريفة تحذّر من توظيف العلم لنيل الشهرة والبروز الاجتماعي، جاء في الحديث عنه ﷺ: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يكاثر به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار». (١)

ويشير عدد من الأحاديث إلى عظيم حساب وعذاب حامل العلم إن لم يكن ملتزماً بمسؤوليته، ورد عنه ﷺ أنه قال: «أتيت ليلة أسرى بي على قوم يقترض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»(٢)، وعنه ﷺ: « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»(٣)، وعنه ﷺ: «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٢٩٠٥٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٢) المصدر السابق، حديث رقم٢٩٠٢٦.
(٣) المصدر السابق، حديث رقم ٢٩٠٩٩.

الأوثان؟! فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم». [١]

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد». [٢]

هذه النصوص وأمثالها تذكر عالم الدين بالمسؤولية والالتزام تجاه علمه، وتصرفه عن العجب والغرور، فلا قيمة للعلم من دون تقوى، ولا فائدة فيه إن لم يصحبه سلوك صحيح.

التواضع ثمرة العلم

تضخّم الذات يوحي لصاحبه أنه أفضل من سائر الناس بما نال من العلم، وأن على الناس أن يظهروا له الاحترام والتقدير، وأن يتشرفوا ويُسعدوا بخدمته، وأن يقبلوا منه كل ما يقول بلا نقاش ولا اعتراض، فهو عالم يمثّل الشرع وينطق باسمه، وهم عوام جهال، وظيفتهم الانقياد والطاعة، وقد يرى نفسه بوابة رضا الله وغفرانه، فمن لا يوافق رأيه،ويخضع لإرادته، مطرود من رحمة الله، وذلك شبيه بما ادعاه رجال الكنيسة في العصور الوسطى من بيع صكوك الغفران على الناس.

إن هذا التصور وهذا السلوك مناقض لجوهر العلم، ومخالف لمضامين الدين وتعاليمه. ذلك أن الله تعالى يمقت التكبر ويكره المتكبرين، يقول تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣]. وعنه

(١) المصدر السابق، حديث رقم ٢٩٠٠٥.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص٢٧، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٣) سورة الزمر آية ٦٠.

ﷺ: «أمقت الناس المتكبر»[١]، ويأمر الله تعالى بالتواضع ويحب المتواضعين، يقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٢]. ويقول الإمام علي عليه السلام: «عليك بالتواضع فإنه من أعظم العبادة». [٣]

والعلم الحقيقي يدفع صاحبه إلى التواضع للناس، وكلما ارتفع مستواه العلمي، انخفضت نفسه تواضعاً ورقة، جاء في الحديث عنه ﷺ: «من طلب العلم لله لم يصب منه باباً إلا ازداد في نفسه ذلاً، وفي الناس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الدين اجتهاداً، وذلك الذي ينتفع بعلمه». [٤]

أما التعالي والتكبر فهو سمة أدعياء العلم، الذين يسخّرونه لإشباع نزواتهم الذاتية، روي عنه ﷺ: «من طلب العلم للدنيا، والمنزلة عند الناس، والحظوة عند السلطان، لم يصب منه باباً إلا ازداد في نفسه عظمة، وعلى الناس استطالة، وبالله اغتراراً، ومن الدين جفاءً، فذلك الذي لا ينتفع بالعلم». [٥]

وهكذا فإن المعرفة الصادقة تربي الإنسان على التواضع، وتنمي في نفسه احترام الآخرين، يقول الإمام علي عليه السلام: «التواضع

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٠ ص٢٣١، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٢ ص١١٩، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٤) المصدر السابق، ج٢ ص٣٤.

(٥) المصدر السابق ج٢ ص٣٥.

ثمرة العلم»[١]، ويقول عليه السلام: «وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم»[٢].

وأخيراً نضرع إلى الله تعالى مع الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: حيث يقول: اللهم صلِّ على محمد وآله ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها. آمين رب العالمين.

(١) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ١٤٧، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

أحاديث

تواضع العظماء

كلمة الجمعة بتاريخ ١٤ذوالقعدة ١٤٢٣هـ

عدم الاهتمام بالتشريفات
احترام الناس وخدمتهم
الاستشارة واحترام الرأي

مـن يشـعر بالتفوق والتميـز على الآخريـن لامتلاكه نقطة قـوة معينة، عليـه ـ مـن أجـل أن لا يدفعـه شـعوره هـذا للتعالـي والعجـب والتكبر ـ، أن يخضـع هـذا الإحسـاس للبحـث والتسـاؤل: هـل هـو بالفعـل مميـز ومتفـوق علـى غيره؟

إن نقـاط القـوة والتقـدم متفاوتـة بيـن النـاس، وقـلّ أن تجتمـع كل عوامـل التفـوق فـي شـخصية واحـدة، فقـد يتفـوق شـخص فـي العلـم، وآخـر فـي القـدرة الإداريـة، وثالـث فـي امتـلاك الثـروة، ورابـع فـي نيل القـوة والسـلطة، وخامـس فـي الجمـال واللياقة الجسـمية، وسـادس في الحسـب والنسـب.. وهكـذا..

وبالتالـي فإن على الإنسـان أن يحسـب حسـاباً لنقاط قـوة الآخرين، ولا يتعالـى علـى أحـد، مـا دام هو لا يحـب أن يتكبر أحـد عليه.

وكمسـلمين فنحـن نعتقـد بـأن القرب مـن الله تعالـى، والنجـاة يوم القيامـة هـو التفـوق الأكبـر، والنجاح الأهـم، وهل يضمن إنسـان لنفسـه ذلـك؟ هـل يجـزم عالـم الدين مثـلاً بأنـه أقـرب إلى اللـه، وأحـق برضاه وجنتـه مـن هـؤلاء العادييـن الذين قـد يشـعر بأفضليتـه عليهم؟

جـاء فـي حديث عن رسـول الله ﷺ: «ربّ أشـعث أغبـر ذي طمرين

لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه».[١]

يقول الإمام علي عليه السلام: «الغنى والفقر بعد العرض على الله».[٢]

إن المعصومين الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده، ورغم أنهم يمتلكون التفوق الشامل، والتميز الكامل على من سواهم، دنياً وآخرة، إلا أنهم يتصفون بأعلى درجات التواضع مع الناس، ليس في قلوبهم ذرة من العجب، ولا تظهر منهم بادرة تكبر أو تعالٍ على أحد.

فنبينا محمد صلى الله عليه وآله وهو سيد الخلق وأكرمهم على الله تعالى، والذي حاز التفوق في جميع المجالات، لو قرأنا سيرته العطرة لوجدناه المثل الأعلى في التواضع والبساطة مع الناس، وعلى هديه سار الأئمة الطاهرون من أهل بيته، والصحابة الأخيار، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ﴾[٣].

إن التواضع سر من أسرار عظمة أولياء الله تعالى، وهو ناتج من التربية الإلهية، حيث يؤدب الله تعالى أنبياءه ويوجههم إلى هذا الخلق العظيم، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]. وفي آية أخرى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]. وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن يهبط إلى الأرض، خفض جناحيه يريد الدنوّ، أو إذا تهيأ

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٥٩٥٣، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٥٢، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٣) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٤) سورة الحجر آية ٨٨.

(٥) سورة الشعراء آية ٢١٥.

لحضن فراخه، فالطيور حينما تريد إظهار حنانها لفراخها تجعلها تحت أجنحتها بعد خفضها.

وممارسة التواضع عند الأنبياء والأولياء عمل عبادي يتقربون به إلى الله تعالى يقول ﷺ: «إن الله يحب المتواضعين ويُبغض المتكبرين»[١]، وقال ﷺ يوماً لبعض أصحابه: «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟ قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال ﷺ: التواضع»[٢]، وقال علي عليه السلام: «عليك بالتواضع فإنه من أعظم العبادة».[٣]

وبالتواضع يجتذب الأنبياء قلوب الناس لدعوتهم الإلهية، حيث يحب الناس من يتواضع لهم، بينما ينفرون ممن يتعالى ويتكبرّ عليهم. يقول الإمام علي عليه السلام: «ثمرة التواضع المحبة وثمرة الكبر المسبّة».[٤]

ويقرر القرآن هذه الحقيقة مؤكداً أن أخلاق رسول الله ﷺ هي التي استقطبت الناس للدين، ولولا رفقه ولينه معهم لما استجابوا لدعوته، يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٥].

---

(١) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٥٧٣٤، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج١٠ ص٥٠١، الطبعة الاولى١٤٠٥هـ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم..

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٢ ص١١٩، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٤) الآمدي التميمي: عبدالواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٥) سورة آل عمران آية ١٥٩.

وإذا كان التواضع مطلوباً من كل أحد فإن عالم الدين هو الأولى والأجدر بممارسة هذا الخلق الكريم، لانفتاحه على تعاليم الإسلام، ولتصديه للدعوة والإرشاد، ولموقعيته الدينية في أنظار الناس، حيث تتشكل النظرة عن الدين عند الكثيرين من خلال شخصيته وسلوكه، وبالتواضع والأخلاق الكريمة، يقدم عن الدين صورة جميلة وانطباعاً حسناً، تجتذب النفوس إلى الدين، أما إذا كان مبتلياً بداء العجب وتضخم الذات، فسيفشل في كسب القلوب، ويقدم نموذجاً مشوهاً للحالة الدينية.

ونقتبس من مدرسة الأخلاق النبوية بعض معالم خلق التواضع، لتكون نبراساً للدعاة إلى الله، والمهتمين بالشأن الديني والاجتماعي.

عدم الاهتمام بالتشريفات

تنشأ في كل مجتمع أعراف وتقاليد لإظهار الاحترام والتقدير للشخصيات البارزة، ولموقعية عالم الدين في المجتمع الإسلامي، فإن الناس يبدون له الكثير من مظاهر الإجلال والتعظيم، فيقومون لاحترامه إذا دخل مجلساً، ويخصونه بصدر المجلس ويبادرونه بالسلام والتحية، ويقبّلون رأسه أو يده، ويقدِّمونه عليهم في مختلف المواقع والمواقف... إلى ما هنالك من مراسيم وتقاليد متنوعة، وقد تتفاوت من مجتمع إلى آخر.

بالطبع فإن احترام عالم الدين وتقديره أمر مطلوب، ومرغب إليه شرعاً، كما تدل على ذلك النصوص الواردة، لكن عالم الدين نفسه ينبغي أن لا يعطي لذلك اعتباراً كبيراً في نفسه، فتصبح تلك التشريفات وكأنها واجب على الناس نحوه، وأنها حق طبيعي له،

وينزعج إذا ما قصّر أحد في أدائها تجاهه، فلو دخل مجلساً ولم يقم له بعض الحاضرين، أو لم يفسحوا له صدر المجلس، أو لم يقدموه أو ما أشبه، فإن ذلك لا يترك أثراً في نفسه. وبعبارة أخرى فإنه لا يبحث عن تلك التشريفات، ولا يهتم بها.

إن القيام عند قدوم المؤمن، وخاصة العالم، أو من كان من سلالة النبي ﷺ، أمر مستحب، فقد ورد عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق عليه السلام): من قام من مجلسه تعظيماً لرجل؟ فقال عليه السلام: مكروه إلا لرجل في الدين.[1]

وقد ورد في السيرة النبوية أنه ﷺ كان يقوم احتراماً لبعض القادمين عليه، إلاّ أنه ﷺ كان يكره قيام الناس له لشدة تواضعه.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[2]، ورد هذا الحديث في سنن أبي داوود وفي وسائل الشيعة ومستدركها وبحار الأنوار.

وعن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا، فقمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضها بعضاً».[3]

وعن زيد الزرّاد في أصله قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق عليه السلام) يقول: إن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم من بعض حجراته إذا قوم من أصحابه مجتمعون، فلما بصروا برسول الله ﷺ قاموا. قال لهم:

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٢ ص٤٦٦، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) السجستاني: أبو داوود، سنن أبي داوود، حديث رقم ٥٢٢٩، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار الجنان، بيروت.

(٣) المصدر السابق ، حديث رقم ٥٢٣٠.

اقعدوا ولا تفعلوا كما يفعل الأعاجم تعظيماً.[١]

وعن أنس بن مالك قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعرفون من كراهيته لذلك.[٢]

وقال أبو الدرداء: كان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم، ويمشي في غمارهم.[٣]

وعن أبي ذر الغفاري قال: رأيت سلمان وبلالاً يُقبلان إلى النبي ﷺ إذ انكب سلمان على قدم رسول الله ﷺ يقبّلها، فزجره النبي ﷺ من ذلك، ثم قال له: يا سلمان لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها أنا عبد من عبيد الله.[٤]

ونقل الشريف الرضي في نهج البلاغة أن الإمام علياً عليه السلام عند مسيره إلى الشام مر بالأنبار فترجّل له دهاقينها (أي زعماء الفلاحين) واشتدوا بين يديه، فقال عليه السلام: ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خُلقٌ منا نعظّم به أمراءنا. فقال: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم! وإنكم لتشقّون على أنفسكم، وتشقون به في آخرتكم.[٥]

وعن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم

---

(١) النمازي: الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ج٨ ص٦٣٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٨هـ.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٩، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٣) المصدر السابق ج٧٠ ص٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ج٧٣ ص٦٣.

(٥) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٧، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

فقال: لكم حاجة؟ فقالوا لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك، فقال لهم: انصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي. قال: وركب مرة أخرى، فمشوا خلفه، فقال: انصرفوا فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى.[١] (أي الحمقى).

وحول الجلوس في صدر المجلس، وردت أحاديث كثيرة تشير إلى أن الرغبة في ذلك تكشف عن درجة من العجب والتعالي، وأن خلق التواضع يقتضي العزوف عن هذا الموقع، فعن رسول الله ﷺ: «إن من التواضع لله الرضا بالدُّون من شرف المجلس».[٢]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «التواضع أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تسلّم على من لاقيت، وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً، ورأس الخير التواضع».[٣]

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل، وأنه ﷺ قال: إذا أتى أحدكم مجلساً فليجلس حيث ما انتهى مجلسه.[٤]

هكذا فإنه يستحب للناس أن يبدوا الاحترام لعالم الدين، لكن عالم الدين ينبغي له أن لا يهتم بهذه المظاهر، ولا يبحث عنها أو

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار النوار ج٤١ ص٥٥، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ٥٧٢٤، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٢ ص١٢٣، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٤) المصدر السابق ج١٦ ص٢٤٠.

يغضب من أجلها.

احترام الناس وخدمتهم

يدرك عالم الدين أكثر من غيره موقعية الناس وكرامتهم في التعاليم الإسلامية، فقد منح الله تعالى التكريم لبني البشر بما هم بشر، وبغض النظر عن الامتيازات الفاضلة الأخرى التي ترفع درجة التكريم لمن توفرت فيه، لكن أصل التكريم محفوظ لجميع الناس، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١].

فالناس العاديون وإن لم يتوفر لهم مستوى من العلم، لكنهم بشر لهم كرامتهم واحترامهم، فلا يصح للعالم أن يستهين بأحد من الناس لأنهم عوام جهّال.

إن الله تعالى يحب خلقه، ويحب من يحترمهم وينفعهم كما ورد في حديث قدسي رواه الإمام الصادق عليه السلام قال: قال الله عز وجل: «الخلق عيالي فأحبهم إلي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم».[٢]

وعنه صلى الله عليه وآله: «لا يزرأن أحدكم بأحد من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله».[٣] وعنه صلى الله عليه وآله: « الخلق عيال الله فأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله».[٤]

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام يحرصون على إظهار

(١) سورة الإسراء آية ٧٠.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي ج٢ ص١٩٩، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م.

(٣) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٢ ص١٤٧، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٤) الهندي: علي المتقي، كنز العمال، حديث رقم ١٦١٧١، الطبعة الخامسة١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أعلى درجات الاحترام والأدب تجاه أفراد الناس، فكان رسول الله ﷺ يلقي التحية والسلام حتى على الأطفال الصغار، ويعود المرضى، ويمشي في تشييع الجنازة، ويتفقد الغائب من أصحابه، ويجيب الدعوة...

وقد ورد أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة فاقضوها لي. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم. فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله. فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.[١]

وكان رسول الله ﷺ يكره أن يستأثر بالراحة عن أصحابه، بل كان يشاركهم العمل والخدمة، كعمله معهم في بناء مسجد المدينة، ورآه أسيد بن حضير يحمل حجراً على بطنه، فقال: يا رسول الله أعطني أحمل عنك. قال ﷺ: لا. اذهب فاحمل غيره.[٢]

وفي الطريق إلى بدر كان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يتعقبون بعيراً واحداً، يركب كل منهم مدة ثم يتركه للآخر، فأراد علي ومرثد أن يتنازلا عن حصتهما في ركوب البعير له، وقالا: نحن نمشي عنك. فقال لهم ﷺ: «ما أنتما بأقوى مني على المشي ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر». وأبى إلا أن تكون حصته في ركوب البعير كواحد منهما.

---

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٢ ص٦٢، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) المصدر السابق، ج١٩ ص١١٢.

وفي حفر الخندق كان ﷺ يضرب بالمعول، ويحمل التراب على ظهره كسائر المسلمين...

وفي سيرة الإمام علي عليه السلام أنه كان يصر على ضيفه أن يصب الماء على يده، وكان يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، وربما حمل عنه ثقله، وربما جلس في دكان صاحبه ميثم التمار يبيع عنه التمر.

ويتحدث الإمام الصادق عليه السلام عن جده الإمام علي بن الحسين عليه السلام فيقول: كان علي بن الحسين لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدّام الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا علي بن الحسين، فوثبوا إليه يقبلونه ويعتذرون إليه، قائلين: ما الذي حملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ﷺ ما لا أستحق، فأخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إليّ.[1]

وهكذا يكون عالم الدين حريصاً على احترام الناس، ساعياً في خدمتهم، متواصلاً معهم، لا يقبل باستخدامهم لأموره الشخصية، ولا يستأثر بالراحة عليهم، بل يشترك معهم في الخدمة والعمل.

أما القول بأن العالم كالكعبة يزار ولا يزور، ويُخدم ولا يَخدم، فذلك ما تخالفه سيرة الرسول ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام، وما تنفيه الأحاديث والنصوص الدينية.

---

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، حديث رقم ١٥١٧٧، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣.

الاستشارة واحترام الرأي

ما يتمتع به عالم الدين من مستوى في المعارف الدينية، مهما كان متقدماً عالياً، لا يغنيه عن آراء ذوي الخبرة والتجربة من الناس، في المجالات المختلفة، فهو يعرف الأحكام الشرعية، لكن تشخيص الموضوعات، وموارد التطبيق، ومعرفة الظروف، وأساليب التحرك والعمل، كل ذلك ينفعه فيه استشارة الآخرين، والاستفادة من آرائهم.

إن الاستبداد بالرأي، واحتكار القرار، في ما يرتبط بالشؤون العامة ومصلحة الناس، وفي القضايا الدينية والاجتماعية، أسلوب خاطئ.

فللناس عقول، ولهم تجارب وخبرات، والاستشارة تعني الاستفادة من قدراتهم، وأيضاً فهي تشركهم في تحمّل المسؤولية، وتجعلهم أكثر ثقة وتفاعلاً.

لذلك يأمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ على عظمته ومكانته أن يشاور من حوله، يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1]. وقد ورد أنه ﷺ كان أكثر الناس استشارة لأصحابه.

واستشار الإمام الصادق عليه السلام مرة أحد أصحابه فقال له: أصلحك الله مثلي يشير على مثلك؟! فأجابه الإمام عليه السلام: نعم، إذا استشير بك.[2]

ويتحدث الإمام علي الرضا عليه السلام عن أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام فيقول: كان عقله لا يوازن به العقول، وربما شاور الأسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟! فقال: إن شاء الله تبارك وتعالى ربما فتح

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار ج٧٢ ص١٠١، الطبعة الثانية مصححة١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

على لسانه.[١]

هذه بعض المعالم من خلق التواضع العظيم، والذي يتحلى به العظماء، نسأل الله تعالى أن يطهر نفوسنا من الكبر والعجب، وأن يزيننا بالتواضع والخشوع إنه ولي التوفيق.

(١) المصدر السابق..

أحاديث

المؤسسات الصحية وخطورة المسؤولية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ ذوالحجة ١٤٢٣هـ

الطب مهنة إنسانية
أمريكا نموذجاً
الإهمال والتقصير
وعي المواطن
المبادئ والقيم

الدقـة والإتقان مطلـوب في أي عمل يقوم به الإنسـان وفي أي حركة يتحركهـا ولكـن كلمـا كان العمـل أكثـر أهمية وخطـورة كان الإتقـان فيه أكثـر إلحاحـاً ولعـل من أهـم الأعمال هـي تلك التـي ترتبط بحيـاة الناس وأرواحهـم مثـل الطبابـة والعمـل في الشـؤون الصحيـة. فـإذا كان الذين يعملـون فـي مختلف الأعمـال يتعاملـون غالباً مع الأشـياء والمـواد، فإن الطبيـب والجهـات الصحيـة تتعامل مـع أرواح النـاس وحياتهـم ولذلك فـإن الإتقـان في مجال العمـل الطبي أكثر ضـرورة وإلحاحـاً لأن أي خطأ وأي تقصيـر أو تسـاهل قـد يسـبب إزهاقـاً لـلأرواح، وقـد يسـبب معاناة دائمـة، وقـد أصبحـت مسـألة الأخطـاء والإهمـال فـي المجـال الطبـي مسـألة مقلقـة علـى المسـتوى العالمـي. وتتفـاوت البلـدان فـي مسـاحة ودرجـة هـذا الإهمـال، وهـذه الأخطاء،فقـد كشـف تقرير أمريكي، سـنة ١٩٩٩م، عـن وفـاة ٩٨ ألـف أمريكي سـنوياً، من دون مبرر، بسـبب خطأ فـي تشـخيص الأمراض، وكتابـة الوصفـات الطبية، أو في أسـلوب تناول الأدوية.

وأوضـح أن الأمريكييـن الذين يموتون بسـبب هذه الأخطـاء الطبية، يفـوق عددهـم أولئـك الذين يموتون بسـبب سـرطان الثـدي، أو حوادث

المـرور، أو مرض فقـدان المناعـة (الإيدز).[١]

وهـذا يحصل فـي أمريكا بالرغـم من تطـور القوانين والوسـائل التي يفتـرض أن تقلـل من هذه الأخطـاء، فكيـف بغيرها من البلـدان الأخرى، ولعـل الميـزة فـي أمريـكا وأمثالهـا وجـود الإحصـاءات والتقاريـر التـي تكشـف هـذه الأمـور، بينمـا يجـري التعتيـم عليهـا فـي بلـدان أخـرى، فالمشـكلة إذن عالميـة.

الطب مهنة إنسانية

يذهـب علـم النفـس الاجتماعي إلـى القول بـأن الذيـن يتعاملون مع الإنسـان، هـم أكثـر ميـلاً للتمسـك بالقيـم الإنسـانية، والتحـرر مـن قيـم السـوق والتجـارة، من غيرهم مـن أصحاب المهـن، التي تتعامل بالسـلع في سـبيل الربـح، قبـل أي اعتبـارات أخرى.

والفطـرة الإنسـانية السـويّة، تدفـع الإنسـان لإنقـاذ حيـاة نظيـره الإنسـان، حينمـا تكون فـي معرض الخطـر، دون الالتفات إلـى أي اعتبار آخر.

فمـن يـرى شـخصاً يوشـك علـى الغـرق، أو مهـدداً بالاحتـراق، أو معرضـاً لأي حادث خطيـر، أو يعاني من ظمأ قاتل، فـإن ضميره ووجدانه لا يسـمح لـه بإهمالـه والتفرج علـى هلاكه.

مـن هـذا المنطلـق، فـإن صاحـب الخبـرة الطبيـة يشـعر بمسـؤولية إنسـانية تجـاه المريـض. وقـد تحـدث الفقهـاء المسـلمون عـن وجـوب قيامـه بمعالجـة المريـض لإنقـاذ حياتـه، أو إنقـاذ أي عضـو منـه مهـدد

(١) جريدة الزمان، يومية تصدر من لندن، العدد ٤٩٦، الجمعة ٣/ ١٢/ ١٩٩٩م،السنة الثانية.

بالتلف. واعتبروا أخذ الأجرة على العلاج أمراً جائزاً.

يقول الإمام الشيرازي: «فلا يجوز للإنسان أن يترك العلاج حتى يموت، أو حتى يعمى، أو حتى تشل يده مثلاً، وكما يحرم على الإنسان ترك نفسه حتى يهلك، أو يعطب طرفه، أو قواه، كذلك يجب على الطبيب أن يداوي الذي يهلك إن لم يعالجه الطبيب، ولكن له أخذ الأجرة، إذ لا دليل على لزوم المجانية، فالجمع بين الحقين يقتضي وجوب العلاج بالأجرة، كما في سائر الصناعات الواجبة عيناً، أو كفاية.

والظاهر وجوب العلاج بالنسبة إلى مثل القوة والطرف، فإذا لم يعالجه قطعت يده، أو عميت عينه، وجب علاجه.

ويدل عليه ما رواه أبان بن تغلب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: كان المسيح عليه السلام يقول: إن التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لا محالة. إلى غيرها من الروايات». [1]

لكن ما تعانيه الإنسانية الآن، في ظل الحضارة المادية الجارفة، هو تحوّل مهنة الطب عند الكثيرين إلى حرفة تجارية بحتة، وإلى سوق حرّة تحكمها قيم السوق والربح كأي نشاط تجاري آخر.

أمريكا نموذجاً

ونشير هنا إلى ما تتحدث عنه بعض التقارير حول أوضاع المؤسسات الصحية في أمريكا، كنموذج لهذه الظاهرة الخطيرة.

---

(١) الشيرازي: السيد محمد الحسيني، الفقه ج٩٠ ص ٧٤، ٧٥، الطبعة الثانية ١٩٨٧، دار العلوم، بيروت.

إن القرارات التي تتعلق بمسائل الحياة والموت، أخذت تنتقل من أيدي الأطباء والقيادات المسؤولة، إلى أيدي الشركات المعنية بالربح فحسب، والبيروقراطيين البعيدين عن معاناة المرضى، فسادت تلك العقلية التي أسماها الدكتور بول ستار بعقلية أو أخلاقية الشركة التجارية **corporate ethos** التي انتشرت انتشاراً واسعاً بين المستشفيات والمؤسسات الطبية في أمريكا، حتى أن محللي مبيعات الأسهم في الصناعة الطبية، أصبحوا يشيرون إلى المرضى على أنهم مصادر الدخل **revenue bodies**. إن مدخول الصناعة الطبية هو ترليون في السنة، تتلقى منها الشركات التي تملك المستشفيات ما يزيد على أربعمائة بليون دولار، ويتلقى الأطباء حوالي مئتي بليون، وتتلقى شركات الأدوية مئة بليون.

تبين من دراسة أجريت عام ١٩٩١م على ٢٧٧ مستشفى أن ٤٠٪ منها رفضت استقبال مرضى نقلتها سيارات الإسعاف بحجة الازدحام.

كما أظهرت الدراسات: أن أغلب المستشفيات لا تجري مراجعة مقبولة، للعمليات التي تقوم بها، لتحكم في ما إذا كانت يجب أن تتم، أو تمّت بالطرق الصحيحة.

وقد استدل بعض الباحثين على عدم أخلاقية نقابة الأطباء من خلال تحالفها مع شركات صناعة السجائر، ومن أوجه هذا التحالف أنها أدلت بشهادات في بعض الحالات، على أن هنالك ضرورة لمزيد من الأبحاث قبل التثبت من أضرار التدخين. وتبين في حالات أخرى، أن نقابة الأطباء الأمريكية، كانت تشتري أسهماً في شركات صنع السجائر.

ثـم أن كثيـراً مـن الأطبـاء يطلبون مزيـداً مـن الفحوصـات ليس فقط للتأكـد من تشـخيصاتهم أو تجنبـاً للتعرض للدعـاوى القانونيـة، بل أيضاً بسـبب ملكيتهـم للمختبرات التي يرسـلون المرضـى إليها.

لقد تبين من دراسة في فلوريدا أن ٤٠٪ من أطباء هذه الولاية يملكون المختبرات التي يحيلون مرضاهم إليها، بل وجدوا أن الأطباء الذين يملكون مختبرات، يطلبون من المرضى إجراء ضعف الفحوصات التي يطلبها الأطباء الذين لا يملكون مختبرات خاصة بهم. وقد تبين من خلال دراسة تمت في ميتشيغان أن ستة آلاف طبيب يملكون أجهزة تصوير أمروا مرضاهم بإجراء اختبارات **M . . I** بمقدار بلغ أربعة أضعاف الاختبارات التي طلبها الذين لا يملكون مثل هذا الجهاز.

وعلـى وجه التحديـد توصـل **Neil Postmenr** في كتابـه **Technopoly** إلـى أن هنـاك ما يبـرر قلـق المرضى مـن التقارير التـي تقـدر أن ٤٠٪ من العمليـات التـي تتم فـي أمريكا غيـر ضرورية.

وهنـاك أخيراً شـركات صنـع الأدوية، وربمـا هي الأسـوأ في مركب الصناعـة الطبيـة التي تجيـد مختلف وسـائل الاحتيال. إن أرباح شـركات صنـع الأدويـة هـي فـي طليعـة الشـركات الخمسـمائة الأكثـر ربحـاً فـي أمريكا.

وقد وجـدت إحـدى دراسـات **Public Citizen Health Research** إن العديـد مـن المواطنيـن المتقدميـن فـي العمـر يحصلـون علـى وصفات طبيـة غيـر ضرورية كليـاً، وإن الكثير من الأطباء يشـعرون أنـه من المتوقع منهـم أن يعطـوا مرضاهـم وصفة طبية لـدى انتهـاء الزيارة، وأن الأسـعار الإجماليـة للأدويـة الجديـدة يزيـد سـعرها من سـتة إلـى ثمانيـة أضعاف

كلفة إعدادها. وقد تبين أن بعض شركات الأدوية تغري بعض الأطباء بوسائل ملتوية بوصف أدويتها دون غيرها مع أنها ليست الأفضل والأقل كلفة. (١)

إذا كان هذا بعض ما يجري للشؤون الصحية في أمريكا، مع توفر مؤسسات الرقابة، ووجود الإعلام، وحالة التنافس التي تدفع كل جهة لإشهار أخطاء الجهة الأخرى، فماذا سيكون الوضع في سائر البلدان؟. نعم يمكن القول أن المجتمعات التي تنخفض فيها درجة الجشع المادي، وتسود فيها أجواء القيم الأخلاقية هي أفضل حالاً وأقل سوءاً.

الإهمال والتقصير

كثيرة هي الحوادث التي تكشف عن حصول أخطاء طبية فظيعة. فكم من الذين فقدوا حياتهم بسبب التقصير والإهمال. نشرت بعض الجرائد خبراً عن مريضة أجريت لها عملية استئصال الزائدة وبقيت الآلام تعاودها، ثم تبين بعد الفحص أنهم نسوا منشفة داخل بطنها. وقد تسبب هذا الخطأ في مشكلة صحية اضطرتهم إلى استئصال جزء من المعدة مما سبب لها عاهة مستديمة. (٢) وذكرت جريدة عكاظ مرة أن شاباً عمره ٢٣ عاماً دخل مستشفى في جدة يشكو من التهاب في اللوزتين وبعد عدة ساعات انتقل من المستشفى إلى المقبرة.(٣) وكان سبب ذلك خطأ طبي أنهى حياته. وتحدثت جريدة اليوم مرة

(١) بركات: حليم، في ظل قيم السوق الحرة هل ينتهي الطب كمهنة إنسانية؟ جريدة الحياة، ص١٥، العدد ١١٦٥٧، الخميس ١٩ يناير ١٩٩٥م، ١٨ شعبان ١٤١٥هـ.

(٢) الحياة، جريدة يومية تصدر من لندن، ٢٨/ ١٢/ ١٤١٨هـ.

(٣) عكاظ، جريدة يومية تصدر من الرياض، ٢٦، ١١، ١٤١٨هـ، ٢٤، ٣، ١٩٩٨م.

عـن مواطـن دخـل المستشـفى لاسـتئصال المـرارة فأصيـب بتلـف فـي الدمـاغ[١]. ويحصـل مثل هـذا بين فترة وأخـرى. وهناك أسـباب للأخطاء الطبيـة منها:-

ضعـف الكفـاءة: فالطبيـب الـذي يتصـدى لبعـض الحـالات قـد لا يتمتـع بالكفـاءة المطلوبـة. وتـزداد هـذه الحالـة عندمـا يلقي المستشـفى بالمسـؤولية علـى شـركة تسـتقدم وتؤمـن الأطبـاء وقـد تختـار أدنـى الأطبـاء أجـرة وراتبـاً، حتـى تتمكن مـن تحقيق الأربـاح بتوفيـر النفقات. والأعجـب من ذلـك أن بعض الأطبـاء الوافديـن يتدربون علـى المرضى فـي بلادنـا. فالطبيـب حديـث التخـرج لا يمانـع من قبـول وظيفـة براتب ضئيـل، تمكنـه مـن كسـب الخبـرة، ثـم ينتقل بعـد ذلك إلـى بلـده أو أي بلـد آخر بشـهادة الخبـرة التي تسـاعده في الحصـول على وظيفـة أفضل. فتدنـي مسـتوى الكفـاءة الطبيـة سـبب رئيـس مـن أسـباب الأخطـاء التي تقـع وتسـبب المشـاكل. روي عن أميـر المؤمنيـن علـي عليه السلام: «يجب على الإمـام أن يحبـس الفسـاق مـن العلمـاء والجهال مـن الأطبـاء. . . »[٢].

ضعـف القـدرة علـى اسـتيعاب أعـداد المرضـى: فلـكل مستشـفى ولـكل طبيـب حـدود وطاقـة فـي الاسـتيعاب. فمثـلاً إذا كان الطبيـب يتمكـن مـن اسـتقبال ٢٠ مريضـاً يوميـاً، ودخـل عليـه ضعف العـدد فإنه لا يتمكـن مـن إنجـاز عملـه بإتقـان. فكلمـا ضعفت القـدرة الاسـتيعابية، وازداد الضغـط علـى المركـز أو علـى الطبيـب، ضعفـت القـدرة علـى

(١) جريدة اليوم، جريدة يومية تصدر من الدمام، العدد ٩٠٣٩، الأحد ١٧ ذوالقعدة ١٤١٨هـ، ١٥ مارس ١٩٩٨م.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص٣٢، الطبعة الثانية، جامعة المدرسين، قم. تهذيب الأحكام، ج٦ ص٣١٩.

الأداء بالكفاءة المطلوبة. وقد تحصل هذه الحالة بسبب التقشف في الميزانية، أو بسبب سوء الإدارة أو لأسباب مختلفة.

ضعف التجهيزات: فكلما كان المستشفى مجهزاً ومزوداً بالمعدات اللازمة والمختبرات تكون القدرة العلاجية أفضل. وعلى العكس فإذا كانت المعدات قديمة، أو معطلة، أو لا تكفي لاستيعاب الأعداد التي يستقبلها المستشفى، تضعف تبعاً لذلك الكفاءة، وتزداد الأخطاء. وقد يحدث أحياناً أن مصاباً في مستشفى ينقل إلى مستشفى آخر لأخذ صورة أو إجراء فحص لعدم توفر الأجهزة الكافية في المستشفى الأول، مع ما يحيط بعملية النقل من مخاطر واحتمالات وقد يزداد الضغط على جهاز طبي واحد في منطقة واسعة، وقد يسبب طول الانتظار وفاة هذا المصاب.

إهمال الطبيب: فقد يقصّر الطبيب في القيام بواجبه على الشكل المطلوب، إما لضعف شعوره بالمسؤولية، أو لأنه يريد الانتقام من وضعه الذي لا يرتضيه. حين ينتابه الشعور بالغبن والهضم فينعكس شعوره على عمله. ويلاحظ أحياناً أن بعض الأطباء لا يبذلون جهداً في تشخيص المرض، وقد تصبح الحالة روتينية لدرجة أن تكون الوصفة الطبية مجهزة لكل من يشكو من مرض معين، دون بذل جهد في التحقق، وسؤال المريض عن تفاصيل مرضه. ويتحمل الطبيب مسؤولية كبيرة أمام الله. وهذه مسألة شرعية، فقد يكون الطبيب قاتلاً إذا أدى إهماله وتقصيره إلى وفاة المريض. فحينما يتساهل وعلى أثر هذا التساهل يموت هذا الإنسان، فهو المسؤول عن دمه أمام الله سبحانه وتعالى. ومن الناحية الشرعية الطبيب ضامن وخاصة حينما

يفـرط، وعليـه الديـة[1] إضافـة إلـى المسـؤولية أمام اللـه تعالى.

وعي المواطن

ينبغـي أن يتوفـر الإنسـان على مسـتوى مـن الثقافة الصحيـة. فوجود مسـتوى ثقافـي صحـي عنـد الإنسـان، يمكنه مـن معرفـة التعامل السـليم مـع الطبيـب والمستشـفى، وتعاطـي الأدويـة. وتوجـد لأجل ذلـك كتب وبرامـج ومصـادر وفيرة من المعلومـات، وعلى الإنسـان أن يتمتع بدرجة مـن المسـتوى الصحـي ليدفـع الأذى عـن نفسـه وعـن أقربائـه وعـن من معـه. هنـاك مـن يُسـلِّم نفسـه ويفـوّض أمـره أو أمر قريبـه إلـى الطبيب أو المستشـفى، دون أن تكـون لديـه أي خبـرة أو أوليـات حول المسـألة.

الثقافـة الصحيـة مهمـة جـداً ولا عـذر للإنسـان الآن إذا قصـر فيهـا، فالكتـب متوفـرة وهناك مجـلات متخصصة في الطـب والصحة. وخاصة إذا كان الإنسـان مبتلـى بمرض معين، أو مسـؤول عمن هـو مبتلى بمرض كالسـكري أو أمـراض القلـب أو مـا أشـبه، يجـب عليـه أن يصـرف جزءاً مـن وقتـه لتحصيـل ثقافـة صحيـة فـي هـذا المجـال. فعليـه أن يعـرف ما هـو المـرض والأمور التي تسـبب مضاعفته، و وسـائل الوقايـة منه، كيف ينبغـي التعامـل معه.

فالثقافـة الصحيـة تنفـع فـي الوصـول إلـى نتائـج أفضـل. ويذكـر أن الأطبـاء اليابانييـن يشـعرون بالتذمـر كثيـراً مـن مرضاهـم، لأن بعـض المرضـى يتحدثـون مع الطبيـب عن قضايـا علمية تتعلـق بمرضهم، قد لا يكـون الطبيـب مسـتحضراً لها. وقد يحتـج على الطبيب بدراسـة أو بحث

(١) حسن النجفي: محمد، جواهر الكلام، ج٤٣ ص٤٤، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، مؤسسة المرتضى العالمية، بيروت.

اطلع عليه سابقاً. ويتساءل الأطباء هناك هل نحن في عيادة أم في كلية طب؟! وفي مقابل هذه الحالة نرى مجتمعنا الذي اعتاد الناس فيه على تسليم أنفسهم أو مرضاهم إلى الطبيب، دونما ثقافة، أو إلمام بأساسيات المرض المشتكى منه. إن الثقافة الصحية للمريض تكون عوناً للطبيب أيضاً. ووقاية عن حدوث بعض الأخطاء.

كما ينبغي الرقابة والاهتمام من قبل المواطنين. فما دام الطبيب معرضاً للخطأ أو التقصير ينبغي على المريض أو من هو مسؤول عنه أن يكون واعياً ومنتبهاً. فلا يصح أن نأخذ الأمور على أنها مسلمات، سواءً مع الطبيب أو مع الممرض أو الممرضة. ففي بعض الأحيان تأتي المشاكل من جهاز التمريض. حين يكون بعض أفراده غير أكفاء، أو غير مخلصين في عملهم.

من هنا تأتي ضرورة الرقابة على أداء المستشفيات. فمن واجب المواطنين إذا رأوا ضعفاً أو خللاً، أو تقصيراً في أداء بعض المؤسسات الصحية، أن لا يسكتوا عن ذلك بل يدلون بآرائهم، ويقدمون شكاواهم إلى الجهة المعنية في المستشفى أو الوزارة. فهناك إدارة للشؤون الصحية، وهناك وزير مسؤول، وعلى الناس مخاطبة المسئولين. فالدولة تتحدث عن اهتمامها بهذا الموضوع فعلى المواطن أن يهتم ويوصل الخبر للدولة، وللجهات المسؤولة. والسكوت عن هذه الأخطاء يؤدي إلى تفاقمها واستمرارها. لأن المؤسسات من ثروة الوطن، وهي موضع اهتمام الدولة والحكومة وقد لا تكون الحكومة قادرة على ضبط كل الأمور بشكل مباشر. وهنا يأتي دور المواطن في إصلاح الخلل. و المجتمعات في مثل هذا الأمر تختلف فمنها من

يمسك بزمام المبادرة، ومحاولة الإصلاح، وترميم الخلل، ومنها من يغلب عليه الخمول والكسل أو التشاؤم ويكتفي بإعلان تذمره في المجالس دون اتخاذ أي إجراء مفيد، وهذا خطأ كبير ندفع ثمنه من صحتنا ومن صحة أبنائنا و أعزتنا.

المبادئ والقيم

إن سيادة المبادئ الدينية والأخلاقية في المجتمع، هي التي تجعل كل فرد من أفراده، مهتماً بالمصلحة العامة، حريصاً على حقوق الآخرين، بينما النزعة المادية الذاتية المستحكمة، هي سبب رئيس للتعديات والمفاسد.

وتحتاج المؤسسات الصحية والعاملون فيها، إلى تذكير دائم بالقيم الدينية، والمبادئ الأخلاقية، لتكون نصب أعين العاملين. والتوجيه الديني في المجتمع يجب أن يذّكر صاحب أي وظيفة أو دور بمسؤوليته تجاه الله، وتجاه مجتمعه ووطنه، وأن مراعاة هذه المسؤولية هو من صلب الالتزام الديني.

فالتدين ليس مجرد شعائر وطقوس، بل هو قبل ذلك التزام سلوكي بالواجبات الاجتماعية.

أحاديث

عاشوراء: برنامج رسالي

بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٣هـ

عطاء كبير
من أجل استثمار أفضل
تكثيف البرامج وتركيزها
التنسيق بين البرامج
خطاب الوحدة والتقارب
رعاية الأمن والنظام

أصبحت العشرة الأولى من شهر محرم الحرام، في مطلع كل عام هجري، تشكل أهم موسم ديني ثقافي لدى المجتمعات الإنسانية، فهو موسم تشمل رقعته كل المنتمين إلى مذهب أهل البيت ﷺ، والذين يزيد عددهم على أربع مئة مليون إنسان، يتواجدون في مختلف بقاع العالم وأرجائه.

حيث لا يمكن لأي مجموعة منهم مهما قل عددها أن تهمل هذه المناسبة، أو تتخلى عن إحيائها، بالمقدار الذي تسمح به إمكانياتها وظروفها. وقد يتحملون المخاطر، ويواجهون الصعوبات، في إقامة بعض شعائر هذا الموسم، كما هو الحال الحاضر في العراق، لكنهم لا يتراجعون عن هذا البرنامج، الذي أصبح مظهراً وسياجاً لهويتهم الدينية المذهبية.

ودافع الشيعة إلى ذلك هو تأكيد ولائهم ومحبتهم لآل البيت ﷺ، الذين أمر الله تعالى بمودتهم، واعتبرها أجراً ومكافأة لرسول الله ﷺ، في مقابل تحمله لأعباء الدعوة والرسالة. يقول تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

(١) سورة الشورى آية ٢٣.

أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما».[١]

ويعتبر الشيعة هذه البرامج مصاديق لتعظيم شعائر الله، حيث دعا الله سبحانه إلى تعظيم شعائره، يقول تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٢]. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي: «والمراد بالشعائر أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، ومنها الهدايا والقربان للبيت»[٣]، وأهل البيت عليهم السلام من أعلام الدين الظاهرة، فهم من شعائر الله التي ينبغي تعظيمها.

كما ينطلق الشيعة في اهتمامهم بإحياء مناسبة عاشوراء، من تعاليم أئمتهم (أهل البيت) عليهم السلام، حيث وردت عنهم روايات تأمر بذلك وتشجع عليه. ونظراً لما أدركه الشيعة عبر تاريخهم الماضي والحاضر، من نتائج وثمار طيبة لهذه البرامج، فإنهم يتمسكون بها، ويواظبون عليها، ويسعون لتطويرها لتواكب متغيرات الحياة، ومستجدات العصر.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣،٣٩، وابن كثير في التفسير ٣،٩٨، وذكره القرطبي في التفسير ١٦،٢٢، والسيوطي في الدر المنثور ٦،٧، والهيثمي في المجمع ٧،١٠٣ و٩،١٦٨ وأخرجه بنحوه أحمد ١،٢٢٩، والحاكم ٢،٤٤٤.

(٢) سورة الحج الآية ٣٢.

(٣) السعدي: عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٨١، دار الذخائر، مؤسسة الريان.

عطاء كبير

أصبحت المواسم الثقافية ظاهرة عند مختلف الدول والمجتمعات، لكنها في الغالب تتم عبر جهات رسمية حكومية، أو من قبل نخبة محدودة، أما موسم عاشوراء في المجتمعات الشيعية، فهو برنامج أهلي تطوعي، يشارك فيه كل أبناء المجتمع، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، ومن مختلف الطبقات والشرائح، ولمدة عشرة أيام، ليلاً ونهاراً، وعبر أشكال متنوعة من البرامج، مما ينتج حركة وتفاعلاً اجتماعياً شاملاً، يجدد حيوية المجتمع، ويؤكد تلاحمه وتماسكه، وينمي فيه روح التعاون والمشاركة الجماعية.

ومن أبرز برامج هذا الموسم: الخطب والمحاضرات التثقيفية التوعوية، التي تذكر الناس بتعاليم الدين، وتشرح لهم مبادئه وأحكامه، وتتحدث لهم عن سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وعما قدموه من تضحيات لخدمة الدين وإصلاح الأمة، وما تحملوه من مآس وآلام في سبيل الله، إنها خطب ومحاضرات كثيرة مكثفة، خلال هذا الموسم، تتنوع محتوياتها، وتتفاوت مستوياتها، حسب قدرة الخطيب وكفاءته، وقد تصل في بعض المناطق إلى عشرات الخطب يومياً، وتقدر إحصائية تقريبية عدد المجالس الخطابية في محافظة القطيف بما يقارب (٤٠٠) مجلس يومياً، ومثلها أو أكثر في محافظة الأحساء.

هذه الخطابات والمحاضرات تشكل دورة تربوية تثقيفية مكثفة، يمكنها أن تساعد في تحصين الناشئة من المفاسد والانحرافات، وفي توعية الجمهور بواجباته الدينية، ومسؤولياته الاجتماعية.

ولعل من أهم أهداف هذا الموسم المتميز، تأكيد الولاء

والانشداد للنبي ﷺ ولأهل بيته الكرام عليهم السلام، من أجل الإقتداء بهم، والتمسك بهديهم، والسير على مناهجهم.

من أجل استثمار أفضل

كما في أي برنامج ديني، لا بد من استحضار الغايات والمقاصد، ومراعاة الآداب والضوابط، ليحقق البرنامج أهدافه في حياة الفرد والمجتمع، وإلا تحوّل إلى مجرد عادة طقوسية، وتقليد متعارف.

فمنافع شعائر الحج، وأهداف فريضة الصلاة، وغايات واجب الصوم، وسائر التكاليف والمندوبات الشرعية، لا تحصل إلاّ بالوعي بها، والإلتفات إليها، والحفاظ على معطياتها ومكاسبها.

كذلك فإن برامج موسم عاشوراء قد تصبح مجرد طقوس وعادات يقوم بها الناس، دون أن تترك أثراً في حياتهم، أو تؤدي خدمة لمصالحهم المادية والمعنوية. ما لم يتوجه المجتمع، وخاصة القائمون على هذه البرامج، والفئات الواعية، إلى ضرورة توظيف هذه الشعائر واستثمارها بالاتجاه الصحيح. وأخذ الظروف الحساسة التي تمر بها الأمة والمنطقة بعين الاعتبار.

ومن أجل استثمار أفضل يمكن التذكير بالأمور التالية:

تكثيف البرامج وتركيزها

ميزة موسم عاشوراء أن برامجه تتم بجهود أهلية تطوعية، لا تحتكرها جهة، ولا يختص بها أحد معين، لذلك ينبغي أن يطالب كل فرد واعٍ من أبناء المجتمع نفسه بدور ومشاركة، فليس هناك متفرج، ولا تصح اللامبالاة، بل على الجميع بذل ما يتمكنون من الجهود

والطاقات، من أجل إحياء هذه الشعائر، بأفضل وجه، وخير طريق.

إن أصحاب الرأي ينبغي أن يعتصروا أفكارهم لتقديم آرائهم المفيدة، ومقترحاتهم النافعة، لأصحاب المجالس، ولخطباء المنابر، ولمواكب العزاء، ولسائر الفعاليات الاجتماعية.

إنه ليس مقبولاً من أصحاب الرأي اجترار النقد والملاحظة في داخل أنفسهم، أو بين أصحابهم، بل عليهم أن يجهروا بآرائهم وأفكارهم، ويوصلونها إلى الجهات الفاعلة، وإلى أكبر شريحة مؤثرة في المناسبة.

والعلماء الفضلاء غير الخطباء، يتوقع منهم أن لا يبخلوا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم، لمن يرتقون أعواد المنابر، ولمن يديرون المجالس والمواكب، لتكون توجيهاتهم خير داعم ومشجع لهذه الجهود والبرامج، التي تشكل وجه المجتمع وصورته أمام الآخرين.

ومن يتمكن من البذل المالي، عليه أن يشارك في تعظيم هذه الشعائر، بما ينفع المجتمع ويخدم الدين.

وكل الطاقات والقدرات مطلوب منها المشاركة والإسهام، كالكفاءات الفنية من مسرحيين وفنانين تشكيليين، وكذلك أصحاب القدرات الأدبية والثقافية من كتاب وروائيين وشعراء.

إن في مجتمعنا طاقات نفخر بها في هذه المجالات، لكن مشاركاتها الإبداعية في برامج هذا الموسم محدودة وغير ظاهرة.

إن العروض المسرحية، والمعارض الفنية، والأعمال الأدبية، تستطيع أن تثري المناسبة جيداً بعطائها الوفير.

ولا ننسى الدور الذي يمكن أن تلعبه المواقع على الشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت) في الإعلام للموسم، والمشاركة في صنع أجواء رسالية حضارية تساعد في النهوض بالأمة والمجتمع، من خلال هذه المناسبة العظيمة.

التنسيق بين البرامج

إذا كانت هذه البرامج تنبثق من منطلقات دينية، ويراد بها التقرب إلى الله تعالى، وتحصيل ثوابه ورضاه، فذلك يعني توفر روحية التعاون والتنسيق بين القائمين بها، فكلها تخدم هدفاً واحداً.

وينبغي من خلالها أن ننمي قدرات العمل الجمعي، والتعاون على تنظيم الأمور، فالمجتمع المتحضر هو الذي يمتلك هذه الروحية، بينما في الأوضاع المتخلفة تسود الفوضى والتعارض والنزاعات.

كما أن هذه المناسبة تشكل مرآة تعكس مستوى المجتمع وأخلاقياته أمام الآخرين، فعلى المجتمع أن يبدو فيها بأجمل صورة ممكنة.

إن التنسيق بين الخطباء فيما بينهم لتناول المواضيع الأكثر أهمية وضرورة، يجعل خطاباتهم أعلى مستوى، وأقدر على التأثير.

وتعاون أصحاب المجالس في ترتيب الأوقات، وخاصة بين المجالس المتقاربة، هو في صالح جمهور المستمعين، وكذلك لجهة خفض أصوات مكبرات الصوت حتى لا تتداخل وتسبب التشويش والإزعاج.

وبين مواكب العزاء إذا تعددت في المنطقة الواحدة، ينبغي أن لا

يتحـول التعدد إلـى حالة مـن التنافـر والتضاد.

وحتـى موضـوع الإطعـام وتوزيع الطعـام لا بد من التنسـيق، حتى لا تصـل إلـى بعض البيـوت كمية كبيـرة لا يُسـتفاد منهـا، بينمـا لا يصل إلى بيـوت أخـرى شـيء. إن الأولوية يجب أن تكـون للعوائـل الفقيرة، وذلك بالترتيـب مـع الجمعيـات الخيريـة، لأخـذ قائمة بعناويـن تلـك العوائل، والحـرص علـى إيصال الطعـام لها.

خطاب الوحدة والتقارب

تزامنـاً مع مـا يطرحـه الأمريكيون من تهديـدات بتغييـر الأوضاع في الشـرق الأوسـط، بحجـة إسـقاط النظـام العراقـي، الـذي رعـوه وحموه فـي المرحلـة السـابقة، وهـم الآن يحشـدون قواتهـم العسـكرية الضخمة حـول المنطقة، ويطلقـون العنان للصهاينـة المعتدين لمواصلـة جرائمهم الفظيعـة ضـد الشـعب الفلسـطيني المضطهـد، تزامنـاً مـع ذلـك هنـاك تصعيـد في الخطـاب الطائفي، لإشـغال أبنـاء المنطقة بالجـدال المذهبي العقيـم بيـن السـنة والشـيعة، المثير للاضغـان والأحقـاد، عبر نشـر كتب عدائيـة، وعبـر بعـض المواقـع الطائفية علـى الإنترنت، وكذلك مـا أثارته بعـض الفضائيـات مـن حوار هـو أقـرب إلـى المهاترات.

إن هـذه الإثـارات الطائفيـة لا تخـدم إلا مصلحـة الأعـداء، وتمـزق شـمل الأمـة، فـي وقـت تشـتد فيـه الحاجـة إلـى الوحـدة والتماسـك، لمواجهـة الأخطـار المحدقـة.

ومـا نؤكد عليه هو ضـرورة عدم الانـزلاق إلى هذا المسـتنقع القذر، وعـدم الوقوع في فـخ التصعيـد الطائفي، فتتحـول خطاباتنـا وكأنها ردود

أفعـال، وصدى لتلك التوجهـات المغرضة.

إن تبييـن مفاهيـم التشـيع، وحقيقـة مذهـب أهـل البيـت ﷺ، أمـر ضـروري ومطلـوب، وهـو مـن صميم أهـداف المنبـر الحسـيني، ليعرف المجتمـع معالم دينـه، ولتوضيح صـورة المذهب وأتباعه أمـام الآخرين، لكـن ذلك يجـب أن يكون بالطـرح الإيجابـي الموضوعـي، دون تعبئة أو تحريـض علـى الآخريـن، وليـس علـى شـكل ردود جدلية.

كمـا ينبغـي التأكيد علـى مبدأ الوحـدة الإسـلامية، وأهميـة التقارب والانفتاح بين أتبـاع المذاهب، وأخلاقيات العيش المشـترك، ومقتضيات المصلحـة الوطنية.

إن فـي المجتمـع قضايـا عديـدة تسـتحق البحـث والمعالجـة، ومن أبرزهـا الاهتمام بالناشـئة والشـباب، والذين يواجهون تحديـات خطيرة، وتتهددهـم تيارات الانحراف والفسـاد، ويحتاجون إلـى الرعاية والتوجيه من قبـل العائلة والمدرسـة والجهـات الدينيـة والاجتماعية.

كمـا أن مـن الضـروري تشـجيع المجتمع علـى التعـاون والتجاوب مـع المؤسسـات الاجتماعيـة، كالجمعيات الخيريـة، والأنديـة الرياضية، واللجـان المختلفـة التـي تعمل لخدمـة قضايـا المجتمع.

وفـي هذا السـياق لا بد مـن الترحيب بمن يأتون من خـارج المجتمع ليطلعـوا علـى برامجنا، وليحضـروا مجالسـنا، وليسـمعوا خطاباتنا، فكل ذلـك يحصـل في الهـواء الطلـق، ليتعرفـوا على إخوانهم بشـكل مباشـر، بعيـداً عن الدعايـات المغرضة، والاتهامـات الباطلة.

رعاية الأمن والنظام

تجب الإشارة إلى ضرورة رعاية الأمن والنظام، والحفاظ على الهدوء والاستقرار، وخاصة مع ما تمر به المنطقة من ظروف حساسة خطيرة، تستوجب اليقظة والحذر لتفويت الفرصة على أي مغرض أو عابث. وينبغي التنسيق والتعاون مع الجهات المكلفة من قبل الحكومة لتنظيم المرور، والحفاظ على الأمن والنظام، ليمارس الناس شعائرهم بهدوء وانسياب.

وبالنسبة لأبنائنا الأعزاء طلاب المدارس، نؤكد عليهم المواظبة على دراستهم، فلا يصح الغياب عن الدراسة من بداية أيام المحرم، إنهم بذلك يحرمون أنفسهم من الاستفادة التعليمية، والتي هم في أمس الحاجة إليها، ليرتقوا بمستواهم الدراسي.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لإحياء هذه المناسبة على أفضل وجه، وأن يدفع عن بلادنا المكاره والأخطار، وأن ينفع المجتمع والوطن بخيرات وبركات هذا الموسم العظيم، والسلام على أبي عبد الله الحسين يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا.

أحاديث

التدين بين المظهر والجوهر

كلمة الجمعة بتاريخ ٥ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ

(سقطت من أحاديث المجلد الأول وأثبتناها هنا استدراكاً)

إصلاح الإنسان بالقانون
العلم هل يضبط الانسان؟
دور الوازع الديني
عند الشهوة
وفي موقع القوة

للديـن أبعـاد مختلفـة تسـتوعب جوانـب الإنسـان والحيـاة، وقـد يهتـم بعـض المتدينيـن بناحيـة معينـة مـن الديـن ويعتبرونهـا الجانـب الأهـم فيـه، وأنهـا تشـكل عمقـه وجوهـره، فمثـلاً يركـز البعـض علـى الجانـب العقـدي، ويولون قضاياه ومسـائله الأهمية القصـوى، باعتبار أن العقيـدة هي الأصـل والأسـاس. بينما يوجه آخـرون عنايتهم نحو شـعائر الديـن وعباداتـه، كالصـلاة والصيـام والحـج والـزكاة، لمـا ورد فيهـا من النصـوص آيـات وأحاديـث. ويؤكـد بعـض علـى محوريـة تطبيـق أنظمة الإسـلام وقوانينـه فـي إدارة المجتمـع، لأن أسـلمة الحياة العامة، تجسّـد حاكميـة الديـن ونفـوذه. وكل تلـك الأبعاد مهمة وأساسـية، غيـر أن هناك بعـداً آخـر يحق لنـا أن نعتبـره عمق الديـن، وجوهـر التدين، وهـو الحالة التـي يسـتهدف الديـن خلقهـا وإيجادهـا في نفس الإنسـان، وهـي الوازع الدينـي، أو ملكـة التقـوى حسـب منطـق القـرآن والنصـوص الدينية.

ومـا العقيـدة إلا أرضية لإنتاج هـذه الحالة، فإذا لـم تحصل أصبحت العقيـدة مجـرد معلومـات مختزنـة فـي ذهـن الإنسـان، غيـر فاعلـة ولا مؤثـرة فـي حياتـه، وتلك هي مشـكلة بعـض الكافرين، الذيـن لا تنقصهم العقيـدة كمعلومـات وحقائـق، لكنهـم لا يذعنون لهـا في حياتهـم لغياب هـذا الـوازع من نفوسـهم. لـذا فإن القـرآن الكريم يقـول عنهم: ﴿قُـلْ مَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[١] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٢] فأن تعلم وتعترف بالله تعالى لا يكفي، وإنما المطلوب أن يثمر ذلك حالة التقوى في نفسك.

وعبادات الإسلام ليست مقصودة بذاتها لذاتها، وإنما هي حسبما يبدو من نصوص الدين، برامج ووسائل لتمكين حالة التقوى في نفس الإنسان، فعن الصلاة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٣] فهي تهدف إلى خلق هذا الوازع الذي يردع عن الانحراف، وإذا لم يتحقق هذا الهدف فلا قيمة لتلك الصلاة، كما روي عن الرسول ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا»[٤] والصوم حكمة تشريعه الوصول إلى درجة التقوى، يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥] .

والحج ما المقصود بمناسكه وشعائره؟ وهل لله تعالى غرض فيها؟ إنه عز وجل في الحديث عن الأضحية في الحج يشير إلى أن ما يريده منها هو زرع ملكة التقوى عند الإنسان، يقول تعالى: ﴿لَنْ

(١) سورة يونس الآية٣١.
(٢) سورة المؤمنون الآية٨٧.
(٣) سورة العنكبوت الآية٤٧.
(٤) الهندي : علي المتقي، كنز العمال ج٧ ص٥٢٥ رقم٢٠٠٨٣، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٥) سورة البقرة الآية ١٨٣.

يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[١].

وحتى الأنظمة والقوانين العامة غرضها تعزيز هذا الوازع الديني في النفوس، كما يقول تعالى حول تشريع نظام القصاص والعقوبات: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]. إذا فالتقوى هي الجوهر والغاية والحصيلة من كل جوانب الدين: عقيدة وعبادة ونظاما. ورائع جداً ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: «التقوى منتهى رضى الله من عباده وحاجته من خلقه»[٣].

إصلاح الإنسان بالقانون

في نفس الإنسان مجموعة كبيرة من الدوافع المتعددة والمتناقضة وكما يقول الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل): «الإنسان أكثر تعقيداً في نزعاته ورغباته من أي حيوان آخر، وتنشأ الصعوبات التي يواجهها من هذا التعقيد، فهو ليس اجتماعياً تماماً مثل النمل والنحل، ولا هو انفرادي تماماً مثل الأسود والنمور، إنه حيوان شبه اجتماعي، وبعض رغباته ونزعاته اجتماعي، وبعضها انفرادي»[٤]، فهو مخلوق مادي روحي، خلقه الله تعالى من قبضة من تراب ونفخة من روح، وللتراب انشداداته وميوله، كما للروح طموحاتها وتطلعاتها، مما يجعله ميدان تجاذب بين الاتجاهين، وعلى حد قول بعض الفلاسفة: إنه مواطن

(١) سورة الحج الآية ٣٧.
(٢) سورة البقرة الآية١٧٩.
(٣) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج١٠ص٦٢٠، الطبعة الاولى١٤٠٥هـ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم.
(٤) القرضاوي: الدكتور يوسف، الإيمان والحياة ص١٧٠ الطبعة السادسة عشر١٩٩٣م مؤسسة الرسالة، بيروت.

في عالمين، وتعتري الإنسان حالات متفاوتة من الرضا والغضب، والفرح والحزن، والإقبال والإدبار، والعلم والجهل. ومع هذه التجاذبات والانشدادات المتضاده، يحتاج الإنسان إلى قوة تمكنه من التحكم السليم في رغباته وميوله، وتوجهها لصالح نفسه ومجتمعه، ولا توجد قوة تتمكن من القيام بهذا الدور، أفضل من قوة الدين، وما نصطلح عليه بالوازع الديني، فهو قوة تدفع الإنسان للخير وتمنعه عن الانحراف والشر.

وقوة القانون ليست قادرة على ذلك، لأن القانون طوع واضعه، ويمكن التحايل والالتفاف عليه، ولأنه يتعامل مع ظاهر الإنسان وخارجه، ولا ينفذ إلى عمقه وباطنه، كما يستطيع الإنسان أن يفلت من عقوبة مخالفته للقانون، فضلاً عن أن القانون قد يعاقب المسيء لكنه لا يكافئ المحسن.

إن قوانين المرور ـ مثلا ـ تعاقب من يقطع الإشارة الحمراء لو ضبطته الشرطة، ولكن من يعاقبه لو لم يره أحد، أما الدين فإنه كما يعاقب هذا فإنه يكافئ ذاك، وهو يزرع في قلب كل امرئ رقيباً على نفسه «اعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك».[1] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيه﴾[2] وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديداً.[3]

---

(١) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج٦ ص١٥، الطبعة الاولى١٤٠٥هـ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم.

(٢) سورة يونس الآية٦١.

(٣) الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة ج٦ ص١٥، الطبعة الاولى١٤٠٥هـ، مكتب الاعلام الاسلامي، قم.

العلم هل يضبط الانسان؟

وقد يرى البعض أن تقدم وعي الإنسان، وتطوره العلمي، كفيل بضبط سلوكه وتصرفاته، لكن ما يقوله الواقع شيء آخر، فعلى المستوى العام، تطورت وسائل العنف وأساليب التخريب والفساد، وانتشرت الأسلحة الفتاكة وأسلحة الدمار الشامل، ووظف العلم لدى الدول الكبرى لمزيد من السيطرة والهيمنة على الشعوب.

إن أشعة الليزر والتي كانت نعمة للبشرية، لمزاياها في عالم الطب والجراحة، وقطع الماس والمعادن الصلبة والكمبيوتر المتفوق، وإجراء القياسات الدقيقة والاتصالات، بدأت الآن تتحول إلى لعنة فالمزايا ذاتها التي تتصف بها، والتي من شأنها مثلاً معالجة أمراض العين وعيوبها، صارت تستغل لإتلاف هذه العين وحرمانها من نعمة النظر عن طريق تركيز الأشعة عليها، وبالتالي حرق الشبكية من دون أن تشعر الضحية بذلك إلا في وقت متأخر جداً، عن طريق إنتاج بنادق الليزر الصغيرة، أو تلك المركبة على البنادق العادية، تبث شعاعاً غير منظور إلى هدف بعيد، وحرق شبكية العين تماماً في أقل من جزئين من الثانية، ورغم محاولة المؤسسات العلمية الخروج بإجراء واق لهذا الخطر الداهم، على شكل نظارات خاصة يضعها الجنود على أعينهم لكن تبين انه عن طريق تغيير طول الموجات الضوئية أمكن التغلب على خط الدفاع الأخير هذا. (١)

وعلى المستوى الفردي يمكننا التحدث عن مشكلة التدخين، حيث إن أضراره ومساوئه واضحة ثابتة علمياً، وحيث ألزمت شركات

(١) الشرق الاوسط: جريدة يومية تصدر من لندن ٢٠ ابريل١٩٩٥م.

التدخين أن تكتب على كل علبة منتجة منه تحذيراً يقول: التدخين مضر بصحتك فاجتنبه، لكن هذا العلم والوعي لم يؤثر على انتشار التدخين وتسويقه.

ويشير تقرير عن وزارة التموين والتجارة الداخلية في مصر إلى أن الإنفاق على التدخين من قبل الفرد في القاهرة يفوق الإنفاق على التعليم والترفيه والثقافة والرياضة[١]. وشركة واحدة تعمل في صناعة السجائر هي (فيليب موريس) تحقق موارد تبلغ ٣٠ بليون دولار سنوياً، كما أن العالم يستهلك سنوياً ستة آلاف بليون سيجارة.

وعندنا في المملكة العربية السعودية تحدث تقرير لوكالة الأنباء السعودية عن تضاعف استهلاك سكان السعودية من التبغ ومصنوعاته لأكثر من مرة في العام١٩٩٥م عن العام السابق له، حيث بلغ الاستيراد ٢٢ ألف طن بقيمة ٨٤٤ مليون ريال، بينما في السنة السابقة بلغ ٩ آلاف طن، وتحتل المملكة المركز الرابع بين اكبر ١٥ دولة مستوردة للسجائر ويقدر إجمالي ما تستورده بنحو ٤٧ مليون سيجارة يومياً. [٢]

بينما يقول تقرير منظمة الصحة العالمية إن التبغ قاتل غادر مخاتل يقضي سنوياً على ثلاثة ملايين شخص. لا يخر ضحايا التدخين صرعى بعد السيجارة الأولى، ولا يحدث وباء مفاجئ بسبب التبغ بمجرد أن يبدأ الناس التدخين، إلا أن الأثر التراكمي والنتيجة المتأخرة يظهران بعد حوالي ما بين ٣٠ و٤٠ عاما من البدء في التدخين وتبلغ الوفيات بين المدخنين ثلاثة أضعافها بين غير المدخنين في كل الأعمار ابتداء

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من لندن ٢٢يونيو١٩٩٥م.
(٢) المسلمون: جريدة أسبوعية، لندن ٢مايو ١٩٩٧م.

مـن مرحلـة البلوغ والشـباب. هـذا يعنى أن الشـخص الـذي يدخن طوال عمـره يواجـه خطـر الوفاة مـن جـراء التدخين بمعـدل يماثل خطـر الوفاة بكل أسـباب المـوت الأخرى.

وتقـدر المنظمـة العالميـة أن عـدد المدخنيـن فـي العالم يربـو حالياً علـى بليـون ومئـة مليـون إنسـان. وإذا اسـتمرت اتجاهـات الاسـتهلاك الحاليـة علـى نفـس المنـوال فإن أكثـر مـن ٥٠٠ مليون شـخص ممن هم اليـوم علـى قيـد الحيـاة سـيقتلهم التبـغ. سـيموت نصف هـؤلاء وهم في سـن الكهولـة، أي أن كل واحـد منهـم يخسـر فـي المتوسـط مـا بيـن ٢٠ و٢٥ عامـا مـن عمـره المتوقـع. أما العـدد الإجمالـي للأشـخاص الذين يتوقـع أن يموتـوا بسـبب التبـغ ممـن هـم الآن علـى قيـد الحيـاة فسـيزيد علـى ١٠ أضعـاف مجمـوع مـن لاقـوا حتفهـم بسـبب الحـرب العالميـة الثانية[1].

فتحذيـرات منظمـة الصحـة العالميـة المسـتمرة، ونصائـح الأطبـاء، ووقائـع الإصابـات التـي يلحظها الناس بسـبب التدخيـن، كل ذلك العلم والوعـي، يعجـز عـن مقاومـة الرغبـة فـي التدخيـن أو التعـود عليـه عنـد المدخنين.

دور الوازع الديني

أمـا التديـن الصـادق فإنـه يوجـد فـي نفـس الإنسـان وازعـاً دينيـاً، يجعلـه مندفعـاً للخيـر، ممتنعـاً عـن الشـر، متجـاوزاً ضغـط الرغبـات والأهـواء والشـهوات.

---

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من لندن، ٢٨ اغسطس١٩٩٦م.

لقد كان شرب الخمر عادة سائدة في الجاهلية، حيث كانوا يشربون الخمر في إسراف، ويعتبرونها من المفاخر التي يتسابقون في مجالسها ويتكاثرون، ويديرون عليها فخرهم ومدحهم في الشعر، ولكن لما نزلت آيات تحريم الخمر، سنة ثلاث للهجرة، لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة: «ألا أيها القوم إن الخمر قد حرمت» فمن كان في يده كأس حطمها، ومن كان في فمه جرعة مجّها، وشقت زقاق الخمر، وكسرت قنانيه. . وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر!![١]

وروى البخاري عن انس بن مالك قال: إني لقائم اسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حُرّمت الخمر. قالوا: اهرق هذه القلال (جمع قلة وهي الجرة) يا أنس. قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل[٢].

هكذا يكون الوازع الديني حاكماً على تصرفات الإنسان وسلوكه، رغم سلطان العادة، وقوة الرغبة، وكمثال حديث نشير إلى قصة تحريم التبغ والتنباك في إيران سنة١٣١٢هـ حينما أعطى شاه إيران ناصر الدين القاجاري، امتياز شراء التبغ وتصنيعه لشركة إنكليزية، على حساب استقلال البلاد ومصلحة اقتصادها، فأصدر المرجع الديني آنذاك الميرزا محمد حسن الشيرازي فتوى بتحريم التبغ والتنباك بيعاً وشراءً واستعمالاً، فالتزم بفتواه جميع أفراد الشعب الإيراني وكان عددهم يزيد على العشرين مليوناً، وكسرت كل نارجلية

(١) قطب: سيد، في ظلال القرآن، ج٥ ص٩٧، الطبعة الخامسة عشر١٩٨٨م، دار الشروق.
(٢) البخاري: محمد ابن إسماعيل، صحيح البخاري ج٦ ص١٠٤ كتاب التفسير حديث رقم١٣٩ المكتبة الثقافية، بيروت.

وكل آلة تستعمل للتدخين، حتى أن نساء قصر الشاه كسروا كل نارجيلة في القصر، فلما طلب الشاه أن يؤتى له بنارجيلة على العادة، اخبروه أنَّه لم يبق في القصر ولا نارجيلة واحدة لأن المرجع الديني قد حرم ذلك!! مما اضطره إلى فسخ امتياز الشركة الإنكليزية.[١]

ونلحظ كيف أن المتدينين يمتنعون في نهار شهر رمضان عن رغباتهم وعاداتهم في الطعام والشراب وسائر المفطرات التزاماً بالأمر الديني.

عند الشهوة

ومن أبرز الموارد التي يجب أن يتجلى فيها الوازع الديني، حينما تلح على الإنسان شهوة جامحة باتجاه الحرام كشهوة الجنس أو المال أو المنصب، فذلك هو محك التدين، ومعيار التقوى، هل يخضع لضغط الشهوة ويرتكب الحرام؟ أم يلجمها ويكبح جماحها خشية من الله؟

والقرآن الكريم يذكر لنا تفاصيل ما حدث لنبي الله يوسف، يوم كان عبداً خادماً في منزل امرأة عزيز مصر، وكان شاباً في ريعان الشباب، مكتمل الرجولة، رائع الفتوة، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال، وتهيئ له كل الأجواء المساعدة، لكن الوازع الديني اليقظ في نفسه يمنعه من الاستجابة، وإن عرضه امتناعه للسجن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[٢].

(١) الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة ج٥ ص٣٠٦ دار التعارف للمطبوعات، بيروت١٩٨٦م.
(٢) سورة يوسف الآية٣٣.

وفي موقع القوة

والمورد الآخر: إذا كان الإنسان في موقع قوة تجاه آخرين، فان ذلك قد يسوّغ له ويحفزه لاستخدام قوته بغير حق معهم، وهنا يحتاج إلى التقوى والوازع الديني، ليتعامل مع الخاضعين لسلطته باحترام وإنصاف، فالرجل في عائلته، والرئيس مع مرؤوسيه، والحاكم مع رعيته، كلهم معرضون لهذا المنزلق، ما لم يكن الله تعالى نصب أعينهم، وما لم يكن الوازع الديني حاضراً في نفوسهم.

لذلك يوصي الإمام علي عليه السلام مالك الاشتر حينما ولاه مصر قائلاً: «واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً».[1] وفي عهد عمر بن عبد العزيز كتب إليه واليه على البصرة: إن أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله، ولست أرجو استخراجه منهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين في أن يأذن لي بشيء من ذلك فعلت. . فكتب إليه: العجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر كأني لك جُنّة من عذاب الله، وكأن رضاي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل، فانظر من قامت عليه البينة، أو أقرَّ فخذه بما أقر، وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم[2] . وكتب إليه وال آخر: إني قدمت الموصل فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونهبا، فإن أذنت لي آخذ الناس بالظنة، وأضربهم على التهمة، فعلت، ولن

---

(١) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب رقم٥٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) سيد الأهل: عبد العزيز، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص١٤٨ دار العلم للملايين، بيروت.

يصلحهم غير ذلك. فكتب إليه: خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله![١]

وقبل ذلك خاطب الإمام علي عليه السلام أهل الكوفة بقوله: «وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي»[٢].

هذا هو عمق التدّين، وجوهر الدين وحقيقته، أما إذا فقد الوازع الديني أو ضعف، فإن مجرد الإيمان بالمعتقدات، أو أداء العبادات كمظهر، لا يعني تديناً حقيقياً ولا يجدي أمام الله سبحانه وتعالى، فإنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾[٣]، ولفظة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر في اللغة العربية.

(١) المصدر السابق ص١٧٠.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم٦٩، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٣) سورة المائدة الآية٢٧.

أحاديث

كتابات

تقديم كتاب مناهل الأدباء وحديقة الخطباء

تقديم كتاب أم البنين ﷺ رسالة للمرأة المسلمة

تقديم كتاب النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية

تكريم الإنسان

تعزية بوفاة سماحة العلامة الشيخ عبد المجيد أبو المكارم

تقديم كتاب مناهل الأدباء وحديقة الخطباء[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

نهض المنبر الحسيني في مجتمعاتنا ولا يزال بدور هام كبير، على صعيد تركيز الحالة الإيمانية الدينية، وتكريسها في نفوس أبناء المجتمع، وتوثيق الولاء والارتباط بالدين، ومناراته الهادية من أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وكان المنبر الحسيني هو المصدر الأساس للتوجيه والإرشاد الديني والأخلاقي، فمن عطائه يأخذ المؤمنون معالم دينهم، من معتقدات وأحكام وآداب.

كما كان منبعاً للثقافة العامة، حيث يسمع الناس من على أعواده أحداث التاريخ، وسير العظماء، وطرائف الحكمة، ونوادر الشعر والأدب. وخاصة بالنسبة لأجيال مجتمعاتنا السابقة، والتي كانت تفتقد قدرات وأدوات التثقيف الذاتي، لانتشار الأمية وغياب وسائل المعرفة.

---

(١) آل إدريس: السيد محمد السيد علوي، مناهل الأدباء وحديقة الخطباء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان.

إلى جانب ذلك كان المنبر الحسيني محوراً لاجتماع الناس والتفافهم، وتأكيد ترابطهم وتماسكهم الاجتماعي، حيث يحتشدون في المناسبات الدينية، كأيام عاشوراء، وذكريات وفيات الأئمة عليهم السلام ومواليدهم، من مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية، حول منبر الحسين عليه السلام، ويصغون إلى ما يلقيه الخطيب.

وحتى في أتراحهم وأفراحهم يكون المنبر الحسيني محوراً لاجتماع الناس وتلاقيهم، حيث تقام مجالس العزاء والفاتحة على المتوفى، ومجالس المواليد والمدائح للمتزوج واحتفالات الأفراح.

من هنا أصبح لخطيب المنبر الحسيني دور اجتماعي مميز، وموقعية دينية محترمة، لارتباطه الواسع بأفراد المجتمع وعوائله وشرائحه، ولتأثيره الفكري والعاطفي على النفوس، ولما يمثله من حالة رمزية على المستوى الديني والاجتماعي. بالطبع تتفاوت موقعية الخطيب وتأثيره تبعاً لتفاوت مستويات الخطباء، في معارفهم وإتقانهم لفنون الخطابة، وامتلاك الخصال الشخصية، وأخلاقيات التعامل السلوكي.

ومع تطور أوضاع المجتمع، وتقدم مستوى المعرفة والوعي، والانفتاح على وسائل الإعلام والتثقيف والمعلومات، فإن دور الخطيب والمنبر الحسيني، أصبح أكثر خطورة، وأكثر صعوبة إنه يواجه الآن تحدٍ كبيراً، في المحافظة على موقعيته وتأثيره، فجمهور المستمعين لم يعد حشداً من الأميين البسطاء، بل أصبحت أكثريته متعلمة، من بينها نخبة مثقفة واعية، وهي تتوقع من خطيب اليوم طرحاً علمياً موضوعياً، وليس مجرد إثارات عاطفية، كما تتطلع إلى

الجديـد والتجديـد، فلا تقبل من الخطيـب اجترار موضوعاتـه وتكرارها.

وجمهـور المسـتمعين اليـوم في أذهانهم تسـاؤلات فكريـة وثقافية، حـول معـارف الديـن وأحكامـه، بسـبب الاحتـكاك بالثقافـات الأخرى، وتطـورات قضايـا الحياة.

وبانفتاحهـم علـى آفـاق العلـم والمعرفـة، عبـر وسـائل الاتصـال المتقدمـة، كقنـوات البـث الفضائـي، وشـبكة الإنترنـت العالميـة، فإنهم يقارنـون بين مسـتوى طـرح الخطيب وما يطلعـون عليه في تلـك الآفاق.

وأصبـح المجتمـع يواجه مشـاكل وتحديـات عديدة، علـى مختلف الأصعـدة الحياتية والمعرفية والسـلوكية، والمتوقع مـن المنبر والخطيب الإسـهام في معالجة هـذه المشـاكل، ومواجهة التحديـات القائمة.

وذلـك يتطلـب من الخطيـب وعياً شـاملاً، وثقافـة واسـعة، ومتابعة للتطـورات، والتزاماً بالمسـؤولية الدينيـة والاجتماعية.

لقـد نهـض الجيل السـابق من خطبـاء المنبـر بمسـؤولياتهم، وقاموا بأدوارهـم، حسـب الإمكانـات والقـدرات المتاحة لهم، ووفق المسـتوى الفكـري والاجتماعـي الـذي كانـوا يعايشـونه، فحفظـوا للمجتمـع هويته الدينيـة، وحافظـوا على أجـواء الخير والصـلاح، جزاهم اللـه خير الجزاء علـى جهودهـم ودورهم الولائـي الكبير.

والأمانـة الآن بيـد الجيـل الجديـد مـن الخطبـاء فـي ظـرف صعب، وأوضـاع معقـدة، وأمـام تحديات خطيرة، تجعـل مجتمعاتنـا على مفترق طـرق، بيـن تمسـكها بقيمهـا الدينيـة، وأصالتهـا المبدئيـة، أو الضيـاع في متاهـات الانحـراف ونزعـات التوجهات الماديـة، والسـقوط الأخلاقي،

وتدهـور الأمـن الاجتماعي.

***

ومـن الخطبـاء الـرواد الذيـن كرسـوا حياتهـم ووجودهم فـي خدمة المنبر الحسـيني، وتوجيـه المجتمع وإصلاحـه، الخطيب الفاضل السـيد محمـد بن السـيد علي بـن السـيد علـوي آل إدريس حفظـه الله.

فقـد ولـد سـنة ١٣٤٢هـ فـي مدينة صفوى إحـدى مـدن القطيف من المنطقة الشـرقية فـي المملكة العربية السـعودية.

وسـلك طريـق الخطابـة في وقت مبكر مـن حياته، وهو في العاشـرة مـن عمـره، حيـث تتلمـذ على يـد خاله الخطيب السـيد هاشـم بن السـيد طاهـر آل المير (توفي سـنة ١٣٩٧هـ).

درس قواعـد اللغـة العربية على يد الخطيب السـيد هاشـم بن شـرف آل المير (١٣٢٧ـ١٣٨٧هـ). وهاجـر إلـى النجـف الأشـرف لدراسـة العلـوم الإسـلامية سـنة ١٣٨٢هـ إلـى سـنة ١٣٨٩هـ حيث تتلمـذ على يد نخبـة من الفضلاء كالشـيخ علـي المرهون والشـيخ محمد تقـي المعتوق والشـيخ حبيـب الظالمـي والشـيخ حبيـب الطريفـي والشـيخ محمـد آل عطية الأحسـائي.

عرفتـه مجالـس القطيـف والأحسـاء، بمختلـف مدنهمـا وقراهمـا، خطيبـاً واعظـاً، يمتـاز برقة الصـوت، وإثـارة عواطف الولاء لأهـل البيت ﷺ، كمـا تتسـم مواضيـع خطابتـه بالحيوية والتنويع، التي تشـدّ المسـتمع وتهيئـه للتأثـر بالموعظة والإرشـاد.

فهـو حينمـا يطـرح موضوعـاً أخلاقيـاً ـ مثـلاً ـ يثريـه بالقصـص

التاريخية، ويزينه بالنصوص الدينية، ويستشهد له بطرائف الحكم والأمثال، ويستعين بمقتطفات من أقوال العلماء والأدباء، وذلك ناتج عن اهتمامه بالمطالعة الدائمة، والتحضير الجيّد لموضوعاته.

ويضم هذا الكتاب (مناهل الأدباء وحديقة الخطباء) الذي بين يدي القارئ الكريم، مجموعة من الخطابات والمجالس، التي كتبها خطيبنا الفاضل السيد أبو ياسين، كتحضيرات لإلقاءاته، ضمن سنوات ممارسته الخطابية الطويلة، التي امتدت سبعين عاماً حتى الآن، حيث بدأ الخطابة سنة ١٣٥٢هـ، ولا يزال يعتلي أعواد المنابر رغم تقدم سنه، وابتلائه ببعض الأمراض، لكن جمهور المؤمنين لا يسمح له بالتقاعد عن هذه الخدمة الدينية الجليلة، أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية.

وإلى جانب دوره الخطابي، يملأ السيد أبو ياسين فراغاً كبيراً في بلده صفوى، بالتصدي لقضايا الناس الدينية والاجتماعية، فهو إمام جماعة يواظب على إقامتها، وهو مأذون شرعي من قبل محكمة الأوقاف والمواريث في القطيف، لإجراء عقود الزواج، وهو وكيل مجاز من المرجعية الدينية، (سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني)، لاستلام الحقوق الشرعية، وصرف قسط منها في مواردها المقررة، وهو وجه اجتماعي بارز، يُقصد في إصلاح ذات البين، ومشاكل المجتمع، وقضايا البلاد.

ولديه موهبة أدبية وظفها في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم، وفي خدمة المجتمع، والإشادة بأعلام الدين، لكن أكثر شعره باللغة الدارجة، وقد طبع جزءاً من ديوانه تحت عنوان (الذخيرة المحمدية)

فـي النجـف الأشـرف قبـل ثلاثيـن عاماً.

وإذ أقـدم لهـذا الكتـاب اسـتجابة لطلـب مؤلفـه الكريـم، لأرجـو أن يسـتفيد منـه إخوانـي وزملائـي الخطبـاء والواعظـون، فـي الاهتمـام بتحضيـر موضوعـات خطاباتهـم، وإثرائهـا بالمعلومـات المختلفـة المتنوعـة، وإعطائهـا سـمة الحيوية والجاذبيـة، لتحقق أهدافها فـي التأثير علـى النفـوس والقلـوب.

شـكر الله سـعي سـيدنا المؤلـف، وأجزل لـه الثواب، ومتعـه بالعمر المديـد، وكمـال الصحة والعافيـة، ووفق اللـه جيلنا الجديد مـن الخطباء لتحمـل مسـؤولياتهم الخطيـرة فـي هـذا العصـر، وللارتقـاء بالمنبـر الحسـيني إلـى مسـتوى التحديـات المعاصرة.

والحمد لله رب العالمين

حسن بن موسى الصفار

٩ / ٥ / ١٤٢٣هـ.

تقديم كتاب أم البنين عليها السلام رسالة للمرأة المسلمة[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين

تواجه العائلة في المجتمعات المعاصرة تحديات كبيرة من قبل الحضارة المادية الزاحفة، فهي آخر حصن وقلعة للمبادئ والقيم الإنسانية، بعدما حطمت النزعات المادية والتوجهات الأنانية المصلحية، كل حصون المبادئ والمثل، من النظام السياسي، إلى النظام الاجتماعي العام، إلى وسائل الإعلام، وبرامج التعليم، ومؤسسات الاقتصاد.. حيث أصبحت كل هذه الميادين ساحة للكسب المصلحي والتنافس المادي، وخدمة الذات والأنا على حساب المبادئ والقيم، ودون أي اعتبار لها أو مبالاة بها. مما صيّر الحياة غابة وحوش، وميدان صراع،لا مكان فيها للعواطف والمشاعر، ولا رعاية فيها للقيم والمبادئ.

وبقيت العائلة كحصن أخير لأنها بطبيعتها تنبثق من حالة فطرية وجدانية، وتقوم على أساس إنساني، وتعتمد لغة العواطف والمشاعر،

---

(١) المهتدي البحراني: عبد العظيم، أم البنين عليها السلام رسالة إلى المرأة المسلمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، مؤسسة عاشوراء.

ومعادلة البذل والعطاء والتضحية في مقابل الأنانية والمصلحية.

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يودع قلوب الأمهات والآباء العطف والحنان على أبنائهم، بحيث يؤثرونهم على أنفسهم، ويضحّون بوجودهم من أجلهم، ويسخرون كل إمكاناتهم لخدمتهم وإسعادهم.

وفي المقابل يكون الأبناء ملتصقين بالوالدين وخاصة في فترة طفولتهم والتي تمتد لسنوات، متأثرين بهما، تابعين لهما، وضمن أجواء الحنان والعطف والانشداد والانجذاب، ينشأ الإنسان ويتربّى وتنمو عواطفه ومشاعره، فيستقبل الحياة كإنسان سويّ، مشبَّع العواطف، مرهف الأحاسيس، يعرف قيمة التضحية والعطاء، ويقدّر جهود الإحسان والبذل.

هكذا شاءت الحكمة الإلهية أن ينشأ الإنسان ويتربّى، ضمن أجواء العائلة والأسرة، والتي لا يحتاج إليها لتنميته جسمياً ومادياً فقط، بل لإعداده نفسياً وروحياً كذلك.

ومن هنا تأتي أهمية الأسرة فهي أرضية بناء إنسانية الإنسان، ومركز تنمية مشاعره وعواطفه، ومدرسة تربيته على القيم والمثل.

والحضارة المادية التي تعمل على (تشيّي) الإنسان، وتحويله إلى شيء من الأشياء، تحكمه معادلة المصالح والمكاسب، ويدور في طاحونة الأنانية والذاتية، غايته اللذّة، وهدفه إشباع الشهوة، وتحقيق المصلحة العاجلة، أما القيم والمثل والمبادئ والأخلاق، فهي في معادلة الحضارة المادية أساطير وخرافات وأوهام.

ولإنجاز هذا الهدف الخطير تزحف الحضارة المادية على كل

منابع القيم والأخلاق لتجفيف روافدها، وتحطيم قنواتها، وقد وصلت حشودها الغازية إلى آخر الحصون، هو حصن العائلة الإنساني، لتدكّ كيانه العريق.

وترى الآن في المجتمعات الغربية عزوفاً واضحاً تتسع رقعته يوماً بعد آخر عن الرغبة في الزواج، وتكوين العائلة، وتحمّل مسؤولية الأسرة، ولماذا يتحمل الإنسان المادي الغارق في أنانيته، اللاهث خلف شهواته، أعباء تكوين العائلة وإدارتها ورعايتها؟ إنّ ذلك يستلزم منه العطاء من ذاته، والتنكّر لأنانيته، والتضحية برغباته من أجل زوجته وأبنائه، وهو ليس مستعداً لذلك.

ونسمع الإحصاءات والتقارير عن شيوع العلاقات الجنسية خارج الإطار العائلي، وعن الأرقام القياسية لإنتشار حالات الطلاق وانهيار العلاقات الزوجية.

لقد اهتزّت العلاقات الأسرية العائلية تحت وطأت ضغوط الحضارة المادية، وأنماط السلوك المادي الأناني.

وما عاد كل من الزوج والزوجة مستعداً للتنازل عن شيء من رغباته لصالح العلاقة مع الآخر واستقرار الكيان العائلي، فالمصلحة الذاتية، والنزعة الأنانية، مستحكمة غالبة، والتحريض الخارجي إعلامياً وثقافياً ومعلوماتياً في تصاعد مستمر، يدفع كلا من الزوجين إلى التخلّص من التقيّد بالآخر، والركض خلف المصالح واللذات والشهوات.

أما الأبناء فقد أصبحوا عبئاً ثقيلاً يبحث الوالدان عن فرص التخلّص منه عبر مؤسسات الحضانة والرعاية، أو بتلهيتهم بالإنشداد

إلـى الأفـلام التلفزيونيـة والألعـاب الكمبيوتريـة، أو أي شـيء آخر، يريح الوالديـن مـن أعبائهـم. مـع الاتجاه إلـى تقليـل النسـل وتحديـده، تجنّباً لمسـؤولية التربيـة والرعاية.

هكـذا تعيـش الأسـرة والكيـان العائلـي تحدّيـاً مصيريـاً خطيـراً أمام زحـف الحضـارة الغربية.

وفـي ظـل العولمـة فـإن مجتمعاتنـا الإسـلامية تواجـه ذات الخطر، وتقابـل ذات التحـدي علـى صعيـد البنـاء الاجتماعـي ومسـتقبل العائلة.

ولمواجهـة هـذا الاجتيـاح الزاحف نحتـاج إلى إعلان حالـة طوارئ لتحصيـن مجتمعاتنـا، وللحفاظ علـى النظام العائلي الأسـري، والذي هو الخيـار المتوفـر لحماية القيـم والمبادئ ونقلهـا إلى أجيالنـا القادمة.

وذلـك يسـتدعي خططاً شـاملة تتضمن محـاور عديدة مـن أبرزها ما يلي :

١. تيسير مشروع الزواج وبناء الأسرة والتشجيع على ذلك.

٢. مساعدة ودعم الحالة الأسرية في مواجهة الضغوط الاقتصادية.

٣. إنشـاء المؤسسـات لمعالجـة المشـاكل التـي تطـرأ علـى الكيـان الأسـري.

٤. بـث الوعـي والثقافـة الإنسـانية والاجتماعيـة لمواجهـة الثقافـة الماديـة ونمـط السـلوك الغربـي.

وفـي تراثنـا الدينـي والمعرفـي رصيـد ثقافـي كبيـر يمكننـا تفعيلـه والاسـتفادة منـه فـي هـذا المجـال علـى مسـتوى الأحـكام والقوانيـن

الشرعية، وعلى مستوى الآداب والسنن والأخلاق، وعلى مستوى الفكر والطروحات الثقافية.

وكنموذج من المخزون الديني المعرفي الذي ينبغي بعثه وإثارته على هذا الصعيد، هو سير الأولياء الصالحين في بُعد حياتهم العائلية، وتعاملهم الأسري.

وهو ما نستلهمه من القرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والأولياء حين يستعرض جوانب من حياتهم العائلية الأسرية.

ضمن هذا السياق قرأتُ هذه الصفحات الجميلة الرائعة التي خطّتها أنامل أخينا وصديقنا الفاضل المجاهد سماحة الشيخ عبدالعظيم المهتدي (حفظه الله).

حيث قدّم سيرة إحدى النماذج الرسالية العظيمة، سيّدتنا أم البنين ﷺ التي حباها الله تعالى الكثير من الفضل والكرامة باقترانها بأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وبإنجابها لأربعة أقمار مشرقة، في طليعتها أبوالفضل العباس بن علي قمر بني هاشم ﷺ.

إنّ هذه السيرة العطرة لأم البنين ﷺ تقدّم نموذجاً لحياة عائلية أسرية صالحة، بهدف التأسي والإقتداء، وبعْث هذا النموذج وبثّه ونشره على أوسع نطاق يعتبر مفردة هامة في برنامج التوعية والتثقيف بأهمية الحياة الأسرية، وأساليب نجاحها.

وليس هذا الطرح والعطاء غريباً على سماحة الشيخ المهتدي (حفظه الله) فقد نذر نفسه، ووظّف جهده، من حداثة سنّه لخدمة

الديـن والمجتمـع.

ومـن توفيـق اللـه تعالـى لـه أن منحـه قلمـاً سـيّالاً أنتـج بـه العديـد مـن المؤلفـات والكتـب التي تسـتهدف إصـلاح المجتمـع، وتوعيـة أبناء الأمـة، ونشـر معـارف الديـن، أسـأل اللـه تعالـى لـه المزيـد مـن التوفيق والتقـدم، وأن يكثّـر فـي رجال العلـم والدين أمثالـه، وأن ينفـع بكتابه هذا وسـائر كتاباتـه القيّمـة، ويجعلهـا فـي سـجّل أعمالـه وحسـناته، إنـه وليّ الصالحيـن. والحمـد للـه رب العالميـن

حسن بن موسى الصفار

٢٤ / ٥/ ١٤٢٣هـ.

تقديم كتاب النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

واضح جداً تأثير الصاحب والصديق على نفس الإنسان وسلوكه ومكانته الاجتماعية، حيث يكتسب الإنسان غالباً من صفات صاحبه وصديقه وتنتقل إليه بعض أفكاره وعاداته، إما لاقتناعه بتلك السمات التي يأخذها من صاحبه، أو بفعل تطبعه وتكيفه النفسي من خلال المعاشرة.

وصورة الإنسان في أنظار الآخرين ومكانته عندهم تتأثر أيضاً بنوعية من حوله من الأقران والأصحاب.

لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وفي حديث آخر عنه ﷺ: «اختبروا الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل من يعجبه نحوه» وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «جالس العلماء يزدد علمك، جالس الحلماء تزدد حلماً».

---

(١) النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية، الدكتور عصام عباس، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دمشق.

وإذا كان أثر مصاحبة الصالحين وهم على قيد الحياة واضحاً، فهل لصحبتهم بعد مغادرتهم الدنيا وموتهم أثر. . . ؟

نعم. . . وأكبر الأثر؛ فمن صحب ولياً من الأولياء المفارقين للحياة اكتسب من صحبته الخير الكثير.

إن كل واحد منا يتمنّى لو كان معاصراً لأحد من أهل البيت عليهم السلام أو لأحد من الأولياء من أبنائهم وتلامذتهم ليحظى بمصاحبتهم ومجالستهم. ولكنّ الفرصة لا تزال سانحة، والمجال موجود. فالأولياء لا تنقطع حياتهم بالموت بل هم أحياء خالدون عند ربهم يرزقون ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فحياتهم المعنوية مستمرة، وبركات وجودهم دائمة، وآثار فضلهم باقية.

إن مصاحبة الأولياء بعد وفاتهم تكون بالعيش في أجواء سيرتهم وتاريخ حياتهم. ولذلك تأثير وانعكاس كبير على نفسية الإنسان وسلوكه.

كما إن مجاورة مراقد الأولياء تعتبر من أرقى سبل وألوان مصاحبتهم فالعيش بالقرب من حرم وضريح أحد الأئمة والمعصومين أو أبنائهم الطيبين يتيح للمجاور فرصة التتلمذ على يد صاحب المرقد، والانتهال من منهله العذب، والاغتراف من خيراته وبركاته.

إن جوار المرقد المقدس يجعل صاحب المرقد نصب العين، وملء النفس، ومرأى القلب، ولا يخفى أثر ذلك ودوره في صياغة الوجدان وتوجيه السلوك.

وتشاء حكمة الله تعالى جريان الكرامات وظهور البركات عند المراقد المقدسة؛ حيث يلتجئ المحتاجون، ويتوسل إلى الله تعالى بأوليائه المضطرون، وذلك على مشهد ومرأى من المجاورين، مما يؤكد في نفوسهم الثقة بالله، والانشداد إلى أوليائه.

من ناحية أخرى؛ فإن المراقد المقدسة تجتذب المؤمنين وتستقطب الخيِّرين من كل بقاع الأرض، فيأتون لزيارتها أو مجاورتها، مما يوفّر فرص التلاقي والتعارف والتواصل مع شبكة واسعة من المؤمنين الأخيار والصالحين الأبرار على امتداد رقعة الأرض.

ولا شك إن وجود الروح المقدسة والجسد الطاهر لصاحب المقام له إشعاع من البركة، وطيف من الرحمة بفضل الله تعالى وكرمه يغمر قلوب ونفوس مجاوريه، ويهيّئ لهم أسباب الخير في حياتهم.

تلك هي بعض عطاءات الجوار لمراقد الأولياء.

وقد يُشكل إنسان على هذه الحقيقة بما يرى من وجود عناصر غير صالحة ولا طيبة حول بعض المراقد المقدسة، لكننا لا نتحدث عن نتائج حتمية بل عن فرص ونفحات لا تلتقطها إلا النفوس المهيّأة، والقابليات المستعدة.

وكم عاش مع الأنبياء والأئمة والأولياء أناس لم ينالوا شرف الاستفادة من تلك الصحبة، ولا توفقوا للارتشاف من ذلك النمير الصافي بل كان حظهم الحرمان والشقاء.

فهنيئاً لمن يسعد بجوار مرقد مقدس، ويمنحه الله تعالى قابلية

الاستفادة والاستثمار للأجواء المعنوية التي يعيشها، ويتوفق للتتلمذ في مدرسة القيم والمثل، ويكون في مستوى التقاط النفحات الإلهية من البركة والرحمة.

والأخ الفاضل الدكتور عصام عباس أراه نموذجاً بارزاً ومثلاً حيّاً لهذا التوفيق الكبير؛ فقد أنعم الله عليه بجوار مرقد الحوراء زينب عقيلة الطالبيين وبطلة الهاشميين عليها وعلى آلها أفضل الصلاة والسلام.

إنه يعيش ذكر السيدة زينب في كل حين، ويستحضر شخصيتها كل آن، ويملأ بصره وبصيرته برؤية قبة حرمها الطاهر في كل لحظة من نافذة مكتبه المطلّة على المقام المقدس.

فهو متخصص في طب الأجسام، لكنه يستثير الإيمان والثقة في نفوس مراجعيه ليعطي العلاج والدواء مفعوله في أجسامهم، وقد حدثني الكثيرون من مراجعيه عن مهارته الطبية، وقدرته العلاجية، لكنه يُرجع كلَّ ذلك إلى لطف الله وبركة السيدة زينب عليها السلام؛ فالشفاء من الله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ والبركة من السيدة الطاهرة، والعلاج والدواء وسيلة وأداة تؤتي مفعولها بإذن الله تعالى.

لقد تعرفت على الدكتور عصام قبل عدة سنوات ببركات السيدة زينب عليها السلام ورأيت آثار جوار السيدة زينب واضحة بارزة في حياته وسلوكه.

وهذه النفحات الولائية التي يقدمها في مدح العقيلة الهاشمية واحد من تلك الآثار حيث يتجلى في كلماتها ومقاطعها صدق الولاء، وعمق المحبة، والتصميم على الإتباع والإقتداء. كما تبرز

هـذه النفحـات موهبته الأدبيـة لتتكامل مع كفاءتـه العلمية الطبيـة، مُتَوْجَةٌ بحسـن خلقـه وجميـل تعاملـه الـذي امتلـك بـه قلـوب عارفيه.

فحيَّـى اللـه الدكتـور عصـام عبـاس أديبـاً وشـاعراً وطبيبـاً حاذقـاً وصديقـاً وفيَّـاً، وزاده اللـه توفيقاً ونشـاطاً وعطـاءً في جميـع المجالات، وكثّـر فـي رجـالات الأمـة أمثالـه. والحمـد للـه رب العالميـن.

حسن موسى الصفار

دمشق/ السيدة زينب

١٦/ ٥/ ١٤١٩هـ

تكريم الإنسان[1]

من بين الخصال الطيبة العديدة التي تحلّى بها فقيدنا الراحل السيد علي العوامي رحمه الله أودّ التركيز على صفة هامة أراها جذراً ومنبعاً لكل مزاياه الحميدة، واعتقد أنها سرّ ما لحظناه من إجماع على محبته واحترامه من مختلف توجهات وشرائح محيطه الاجتماعي.

وتلك الصفة هي إنسانيته في النظر إلى الناس والتعامل معهم.

فقد كان رحمه الله يحترم كل إنسان باعتباره إنساناً أولاً وقبل كل شيء دون النظر إلى منطقته، أو سنّه، أو انتمائه العائلي، أو توجهاته الفكرية والسياسية. ويقدّر العمل الصالح والكفاءة النافعة لأي شخص أو من أية جهة. ويسعى لخدمة الآخرين ومساعدتهم دون توقع شكر أو جزاء.

كان يحترم الصغير والكبير، ويشيد بأي طاقة أو موهبة، ويتفاعل مع كل حركة بناءَة دون تحفظ على أحد، أو حساسية من أحد.

وأعرف عنه تواصله مع عناصر ومجاميع من الشباب المثقفين

---

(١) كلمة في حفل تأبين الأديب السيد علي السيد باقر العوامي (توفي بتاريخ١٤ ذي الحجة ١٤٢٢هـ)، الذي أقيم في حسينية السنان تحت عنوان: مهرجان الإنسان والوطن بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٣هـ.

والعاملين هم في سنّ أحفاده، يستقبلهم بحفاوة، ويبادلهم الزيارات، ويبادرهم بالاتصال، ويتفقّد أوضاعهم وأحوالهم، وقد قال لي أحد مثقفينا الشباب، وهو مقيم خارج المملكة: إن السيد أبا كامل يتصل به في كل عيد ومناسبة ليقدم له التهاني والتبريكات.

وانطلاقاً من إنسانيته العميقة لم يكن يسمح لنفسه بالإساءة إلى أحد، أو جرح مشاعر أي كان، بل يعبّر عن رأيه بأدب وصفاء، ويمحض الآخرين النصيحة، ويكاشفهم بما لديه من ملاحظة ونقد، بطريقة ودّية، وأسلوب لبق، يفيض محبة وحناناً.

إنه يحرص على مساعدة أبناء وطنه ومجتمعه وخاصة المهتمين بالشأن العام، والعاملين من أجل مصلحة الوطن. وقد سمعت من العديد من زملائه الذين رافقوه في المحنة التي تعرّض وتعرضوا لها، كيف كان يرفع معنوياتهم، ويساعدهم على تضميد جراحاتهم وآلامهم، وكثيراً ما كان يغسل ثيابهم، وينظّف مكان إقامتهم، مع أنه كان من أكثرهم معاناة وأكبرهم سنا.

وضمن هذا السياق كان من الطلائع الوطنية المبادرة إلى الاهتمام بكل شأن عام، ويذكر الجميع هنا دوره الريادي في المطالبة بإنشاء مدارس التعليم للبنين والبنات، وتصديه مع ثلة من الخيرين الواعين لافتتاح مدرسة أهلية للبنين وأخرى للبنات، قبل بدء مدارس التعليم الرسمي من قبل الدولة.

كما سخّر فكره وقلمه للكتابة حول هموم الوطن والمواطنين مشجعاً على الحركة والفاعلية، ومطالباً بتحسين الأوضاع وإصلاح الأمور، ومؤرخاً لرجالات المجتمع من ذوي التأثير الوطني

والاجتماعي، وموثقاً للأحداث والتطورات.

وأذكر هنا كشاهد على إنسانيته وأريحيته الوطنية: أنه رحمه الله زارنا في دمشق قبل حوالي خمسة عشر عاماً، يوم كنا نعيش في المهجر ضمن برنامج عمل سياسي، وكانت الظروف آنذاك تمنع الكثيرين من اللقاء بنا، وتجعل نظرة بعضهم مشوشة تجاهنا، لكن الفقيد الراحل كان من الشخصيات القليلة النادرة التي لمسنا منها التشجيع والتقدير لكل جهد وطني، وسعي إصلاحي، كاشفنا بما لديه من ملاحظات، ونقل لنا ما يدور في بعض الأوساط من تساؤلات، وأصغى لنا باهتمام، وفتح لنا قلبه، وحدثنا عن تجاربه، وأفادنا بالعديد من المقترحات والآراء، ثم أخذ على عاتقه مهمة توضيح الصورة للآخرين، ودعوتهم للتواصل والتفاعل الإيجابي.

وحينما عدنا للوطن وجدنا فيه خير ناصح ومشير وداعم ونصير. لذلك نشعر لغيابه وفقده بخسارة فادحة، وفراغ كبير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الأخوة الأعزاء:

إن أهم تجليل وتخليد لذكرى فقيدنا الغالي يتجسد في إحياء وتأكيد هذه القيمة السامية التي كان يتمثلها، وهذا الخلق الرفيع الذي كان يلتزم به: احترام الإنسان.

وهي قيمة أساس في الشرائع الإلهية يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

فكل إنسان مشمول بهذا التكريم الإلهي باعتباره من بني آدم بغض النظر عن دينه أو معتقده أو اتجاهه.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: «إن المراد بالآية بيان حال لعامة البشر مع الغض عما يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية والقرب والفضيلة الروحية المحضة فالكلام يعم المشركين والكفار والفساق»، وقال العلامة الآلوسي البغدادي: «ولقد كرمنا بني آدم أي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرامة».

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة حسن التخاطب مع أي إنسان باعتبار ذلك مظهراً ومصداقاً لاحترامه وتكريمه يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

وقد سئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إلى الله؟ فقال ﷺ: أنفع الناس للناس[1]. ويروي الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سرورا»[2].

وأخرج البخاري في صحيحه في الحديث رقم ١٣١٢ أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال ﷺ: «أليست نفساً»[3].

إن مجتمعنا بحاجة ماسة إلى ثقافة حقوق الإنسان، والتي يجب

(١) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ ص١٦٤، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حديث رقم ١٣١٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

أن تتحـول إلـى قناعة راسـخة فـي النفـوس، ومنهجيـة ثابتة في السـلوك، وليـس مجـرد شـعار يرفع فـي الصراع السياسـي.

نحتـاج إلـى ممارسـة احترام الإنسـان ورعايـة حقوقه فـي تعاملنا مع عوائلنـا وجيراننـا وزملائنـا وموظفينا ومع مـن نختلف معهم فـي المعتقد والتوجـه ولا يصـح أبـداً أن يكـون الاختـلاف في الانتمـاء والـرأي مبرراً لانتهـاك حقوق الإنسـان، أو إسـقاط احترامـه، أو التقليل من شـأنه.

والنخبـة الدينيـة والثقافيـة فـي المجتمع مطالبـة بتعمق هـذه الثقافة، وبـث مفاهيمهـا، وتعزيـز سـلوكياتها فـي أوسـاط الجمهـور. وذلـك بأن تكـون النخبـة نموذجـاً يحتـذى كما هي سـيرة فقيدنـا الراحـل، وأن تربي مـن حولها علـى هـذه الأخلاقيات.

لكـن مـا يؤسـف لـه أن بعـض هـذه النخـب الدينيـة والثقافيـة تلعب دوراً سـلبياً تجـاه حقـوق الإنسـان، بتضخيـم ذواتهـا، والانتقـاص مـن الآخـر، وتعبئـة جمهورهـا ضـده، بأسـاليب مخالفـة للقيـم والأخـلاق، تنطلـق مـن إسـاءة الظن، والتشـكيك فـي النوايـا، وتصيّد الأخطـاء، ومن ثـم التحريـض علـى الكراهيـة والعداء.

إن مجتمعاتنـا وأوطاننـا بحاجة إلى إشـاعة روح التسـامح، وأخلاقية الاحتـرام المتبـادل، والقبـول بالتعدديـة والـرأي الآخر، لنكـون جديرين بالحيـاة في هـذا العصـر المتلاطم الأمـواج، المزدحـم بالتحديات.

وأخيـراً فإنـي أغبط السـيد أبـا كامل أنه قد فـارق هذه الحيـاة والتحق بالرفيـق الأعلـى، قبل أن يشـهد أسـوأ وأفظع مأسـاة تمـر بها أمتنـا العربية والإسـلامية، والمتمثلـة فيمـا تمارسـه القـوات الصهيونيـة مـن عمليـات إبـادة وقتـل ودمـار وإهانـة وإذلال فـي أبنـاء شـعبنا فـي فلسـطين، ولـو

كانت هذه المجازر الجماعية بفظاعتها المذهلة تحصل لقطعان من الماشية والحيوانات، لما سكت عنها العالم بهذا الشكل.

لكن هذه هي صورة العالم في ظل الهيمنة الأمريكية، وتحت تأثير نظرية صدام الحضارات.

لقد استراح قلبك يا أبا كامل من أن يتفجر ويتمزق ليس لهول المجازر الرهيبة فقط وإنما لمشهد الخذلان العربي الرسمي، حيث لا تزال بعض الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية تحرص على مراعاة مشاعر الكيان الصهيوني، ولا تمتلك الإرادة والجرأة لقطع علاقاتها العبثية معه، ولا أدري هل يبكي الإنسان أم يضحك وهو يقرأ تصريحاً لأحد الحكام العرب يهدد فيه بمنتهى الشجاعة والبطولة قائلاً: إن لم تنسحب إسرائيل من المدن الفلسطينية فستتأثر علاقتنا بها. . يا للمذلة والمهانة إن كل ما فعلته إسرائيل لحد الآن لا يستوجب أن تتأثر العلاقة معها. . إن ذلك يشبه أن تقول لسارق معتد اقتحم بيتك وهتك عرضك ونهب مالك، ثم تقول له بعد كل ما فعل: إن لم تخرج الآن من بيتي فسأزعل عليك.

لقد خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الناس بعد أن بلغه خبر غزو جيش معاوية لمنطقة الأنبار على فرات العراق، فكان من خطابه قوله: «وهذا أخو غامد ـ يعني سفيان الغامدي قائد الجيش ـ وقد وردت خيله الأنبار. . ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، وينتزع حِجلها وقُلْبَها وقلائدها ورُعُثَها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن إمرءاً مسلماً

مـات مـن بعـد هذا أسَـفا مـا كان بـه ملوما، بـل كان بـه عندي جديـرا، فيا عجبـاً! عجبـاً واللـه يميت القلـب ويجلب الهم مـن اجتماع هـؤلاء القوم علـى باطلهـم، وتفرقكـم عـن حقكـم فقبحـاً لكـم وترحـا، حيـن صرتم غرضـاً يرمـى يغار عليكـم ولا تغيرون وتُغـزون ولا تغـزون، ويعصى الله وترضون».

رحمـك اللـه يـا أبـا كامـل. والسـلام عليكـم أيهـا الأخـوة الحضور ورحمـة اللـه وبركاته.

تعزية بوفاة سماحة العلامة الشيخ عبد المجيد أبو المكارم

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، ننعى بكل حزن وأسى سماحة العلامة الحجة الشيخ عبد المجيد الشيخ علي أبو المكارم الذي فجعنا بفقده هذه الليلة السادسة والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ بعد عمر حافل بالحركة والنشاط في خدمة الدين والمجتمع.

فقد ولد رحمه الله سنة ١٣٤٤هـ، وتربى في حجر والده المقدس عليه الرحمة، وأسرته العلمية الكريمة، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ودرس العلوم الدينية على يد أساتذة فضلاء، وآب إلى وطنه، ليؤدي دور الإرشاد الديني إماماً للجمعة والجماعة، وخطيباً في المجالس الحسينية، ومتصدياً لأمور المجتمع، وكان رحمة الله عليه مؤلفاً وشاعراً سخرّ قلمه وأدبه في خدمة أهل البيت عليهم السلام، حيث صدرت له مجموعة من الكتب الدينية والأدبية، حتى اختاره الله تعالى إلى جواره. تغمده الله تعالى بواسع رحمته وأسكنه الفسيح من جنته وألهم ذويه الصبر والسلوان.

ونتقدم بخالص العزاء لأسرته الكريمة في القطيف والبحرين وخاصة أولاده الكرام وفي طليعتهم نجله سماحة الشيخ محمد علي، وإلى إخوة الفقيد الكرام وعلى رأسهم سماحة الشيخ سعيد أبو المكارم وإلى جميع الأوساط العلمية وأبناء المجتمع الديني.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

أحاديث

مقابلات

حوار جريدة الأيام
حوار في الفكر الإسلامي حضارة الإسلام لماذا تراجعت؟
حوار جريدة الشرق الأوسط
حوار شبكة الرفيعة الثقافية
حوار موقع المعصومين الأربعة عشر
ولكن: الأقربون أولى بالمعروف
المسلمون والغرب: جهل.. أم سوء فهم متعمد؟
المداخلة الأولى في قناة المستقلة
المداخلة الثانية في قناة المستقلة
المداخلة الثالثة في قناة المستقلة

ALAYAM
الأيام
ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
اتجاهات
الاثنين27 رمضان 1423 هـ العدد 5022

استخدام العنف
والقوة خيار مرفوض
23

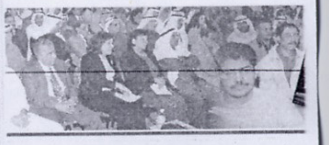

لقاء
ين7

ظرف المرجعية الدينية في قم والنجف جعلها في حدود الفتوى

الشيخ حسن الصفار: استخدام العنف والقوة خيار مرفوض

يحظى الشيخ حسن الصفار بشعبية كبيرة في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، كما انه شخصية فكرية اسلامية معروفة في البحرين بتنوع عطائها السياسي والانتاج الفكري.. «اتجاهات» التقت الشيخ الصفار خلال زيارته الاسبوع الماضي للبحرين حيث لفت الى نضج الحركة السياسية البحرينية ورفض استخدام العنف والقوة داخل المجتمعات الاسلامية الا ضمن الضوابط الشرعية معتبرا ان التطورات السياسية في المنطقتين العربية والاسلامية قد أثبتت فشل هذا الخيار.. وفي السطور التالية المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع وقضايا اخرى على لسانه..

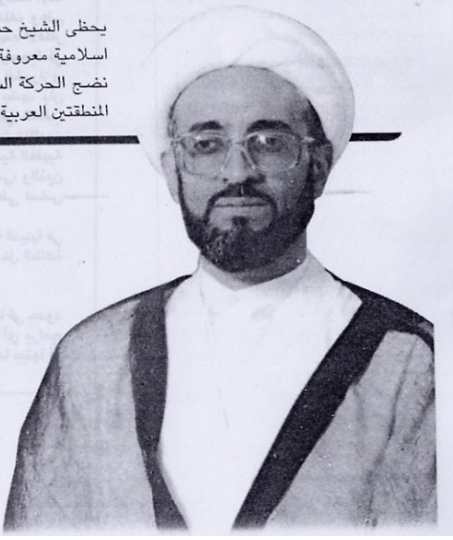

في بداية حديثه ألقى الشيخ حسن الصفار نظرة سريعة على بعض المواقف السياسية في الفترات الاخيرة وقال: لو ألقينا نظرة على التاريخ سنجد أن أقدم الحركات السياسية في المنطقة انطلقت من البحرين بلحاظ ما يتمتع به شعبها من تاريخ حضاري عريق.

ويضيف: وكأي حركة سياسية لا بد وأن تمر بمراحل وتطورات مختلفة فاننا نعتقد ان من بين المراحل التي مرت بها تلك الحركة السياسية في البحرين هي الصدام والصراع البارز حيث فرضت ذلك ظروف داخلية واقليمية، الا انها أثبتت نضجها ورغبتها في عدم احتراف حالة الصدام والتوجه نحو تلمس طريق المعالجة والاستقرار السياسي عبر الثقة المتبادلة بين الحكومة والشعب.

تفاؤل بشأن الإصلاحات

من هنا - والحديث للشيخ الصفار - فاننا نشعر بكثير من التفاؤل والتقدير لموقف هذه الحركة بخصوص تعاطيها الأخير مع الاصلاحات السياسية الأخيرة التي أعلن عنها ملك البحرين بعد فترة وجيزة من استلامه سدة الحكم في البلاد، بل يمكننا أن نذهب الى أكثر من ذلك ونؤكد نضج القوى السياسية فيما يرتبط بالانتخابات النيابية التي جرت في اكتوبر الماضي حيث اعتمدت اسلوب التعبير السلمي وتأت بنفسها عن التشنج والتوتر الأمني.

** كيف تنظرون الى أجواء التقارب والانفتاح بين قوى المعارضة لا سيما في أفقها الشيعي والحكومات الخليجية؟

يجيب الشيخ الصفار: اذا كانت حركات المعارضة عادة ما تكون معنية بالشأن السياسي فان الحركات الشيعية وجدت نفسها معنية بالحالة الدينية التي تعيشها مجتمعاتها، ذلك أن وجود حالة من التشنج الطائفي - المذهبي شجعته ظروف سياسية مختلفة مرت بها المنطقة جعل القواعد الاجتماعية لتلك الحركات تضغط باتجاه معالجة المشاكل المذهبية - الطائفية.

ويقول: ومن الواضح هنا انه ليس من مصلحة مجتمعاتنا الخليجية والاسلامية بشكل عام أن تتعمق فيها الحالة الطائفية، ولذلك حينما لاحت فرصة الانفتاح والانفراج فقد عمدت مثل هذه الحركات للتجاوب معها بغية الا تقع مجتمعاتها فريسة لهذا التوجه الطائفي المضر للجميع.

حوار جريدة الأيام [1]

- **ظرف المرجعية الدينية في قم والنجف جعلها في حدود الفتوى**
- **الشيخ حسن الصفار: استخدام العنف والقوة خيار مرفوض**

يحظى الشيخ حسن الصفار بشعبية كبيرة في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، كما أنه شخصية فكرية إسلامية معروفة في البحرين بتنوع عطائها السياسي والإنتاج الفكري. . (اتجاهات) التقت الشيخ الصفار خلال زيارته الأسبوع الماضي للبحرين، حيث لفت إلى نضج الحركة السياسية البحرينية، ورفض استخدام العنف والقوة داخل المجتمعات الإسلامية، إلا ضمن الضوابط الشرعية، معتبراً أن التطورات السياسية في المنطقتين العربية والإسلامية، قد أثبتت فشل هذا الخيار. . وفي السطور التالية المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، وقضايا أخرى على لسانه. . .

في بداية حديثه، ألقى الشيخ حسن الصفار نظرة سريعة على بعض المواقف السياسية في الفترات الأخيرة، وقال: لو ألقينا نظرة

---

(١) جريدة الأيام البحرينية، صفحة (اتجاهات)، أجرى الحوار الأستاذ مهدي ربيع، الاثنين ٢٧ رمضان ١٤٢٣هـ العدد ٥٠٢٢.

على التاريخ سنجد أن أقدم الحركات السياسية في المنطقة انطلقت من البحرين، بلحاظ ما يتمتع به شعبها من تاريخ حضاري عريق.

ويضيف: وكأي حركة سياسية لا بد وأن تمر بمراحل وتطورات مختلفة، فإننا نعتقد أن من بين المراحل التي مرت بها تلك الحركة السياسية في البحرين، هي الصدام والصراع البارز، حيث فرضت ذلك ظروف داخلية وإقليمية، إلا أنها أثبتت نضجها، ورغبتها في عدم احتراف حالة الصدام، والتوجه نحو تلمس طريق المعالجة والاستقرار السياسي، عبر الثقة المتبادلة بين الحكومة والشعب.

تفاؤل بشأن الإصلاحات

من هنا ـ والحديث للشيخ الصفار ـ فإننا نشعر بكثير من التفاؤل والتقدير لموقف هذه الحركة، بخصوص تعاطيها الأخير مع الإصلاحات السياسية الأخيرة، التي أعلن عنها ملك البحرين بعد فترة وجيزة من استلامه سدة الحكم في البلاد، بل يمكننا أن نذهب إلى أكثر من ذلك، ونؤكد نضج القوى السياسية فيما يرتبط بالانتخابات النيابية، التي جرت في أكتوبر الماضي، حيث اعتمدت أسلوب التعبير السلمي، ونأت بنفسها عن التشنج والتوتر الأمني.

- **كيف تنظرون إلى أجواء التقارب والانفتاح بين قوى المعارضة لا سيما في أفقها الشيعي والحكومات الخليجية؟**

يجيب الشيخ الصفار: إذا كانت حركات المعارضة عادة ما تكون معنية بالشأن السياسي، فإن الحركات الشيعية وجدت نفسها معنية بالحالة الدينية، التي تعيشها مجتمعاتها، ذلك أن وجود حالة

مـن التشـنج الطائفـي ـ المذهبي، شـجعته ظـروف سياسـية مختلفة مرت بهـا المنطقـة، جعل القواعـد الاجتماعية لتلـك الحركات، تضغـط باتجاه معالجـة المشـاكل المذهبيـة ـ الطائفيـة.

ويقـول: ومـن الواضـح هنـا أنـه ليـس مـن مصلحـة مجتمعاتنـا الخليجيـة والإسـلامية بشـكل عـام، أن تتعمـق فيهـا الحالـة الطائفيـة، ولذلـك حينمـا لاحـت فرصة الانفتـاح والانفـراج، فقد عمـدت مثل هذه الحـركات للتجـاوب معهـا، بغية ألا تقـع مجتمعاتها فريسـة لهـذا التوجه الطائفـي المضـر للجميـع.

اللقاء السـني الشيعي

- **إذن كيف تقرؤون في ضوء ذلك اللقاء السني ـ الشيعي على مستوى دول المنطقة على الأقل؟**

هنـاك قـوى واعية فـي الجانبين السـني والشـيعي، تـدرك أن مصلحة الإسـلام ومصلحـة المنطقة، وخاصة في هذه المرحلة الحساسـة، تقتضي التقـارب والانفتاح والحـوار بين أتباع المذهبين السـني والشـيعي، بل أنّ الوعـي الإسـلامي الحقيقـي يوجب مثـل هـذا الانفتاح والتقـارب، بغض النظـر عن بعـض الظروف السياسـية، ومثل هـذا التقارب بين أبنـاء الأمة، يجـب ألا يعبـر عـن تكتيـك مرحلـي، يفرضـه الظـرف السياسـي، وإنمـا يؤكـد على اسـتراتيجية هـذا التوجه لمصلحة الإسـلام والمسـلمين.

وبحسـب الشـيخ الصفـار تعقـد حاليـاً لقـاءات وصفهـا بـ(الطيبـة)، بيـن الجهات الدينيـة في مختلف المناطـق الخليجية، متجـاوزة التصنيف المذهبـي، ومـع ذلك هنـاك بعض الجهـات والعناصـر المتشـنجة التابعة

للطرفيـن، لا تـزال تعـزف علـى الوتـر الطائفـي والمذهبـي، وتعمل على إثـارة الخلافـات المذهبية، عبر الخطابـات التعبويـة التحريضية، وإصدار الكتـب والفتاوى.

ويأمـل أن تبـادر الحكومـات الخليجيـة لمعالجة بعـض الإجراءات، التـي يسـتفاد منهـا فـي تعميـق حالـة الخـلاف الطائفـي والمذهبـي، كـي تؤكـد تلـك الحكومـات حرصهـا علـى وحـدة المجتمعـات الخليجيـة وتماسـكها أمـام مختلـف التحديـات والأخطـار.

خيار العنف والقوة

- **هل تعتقدون أن خيارات القوة قد استبعدت تماماً من قاموس قوى المعارضة في دول المنطقة في ضوء الظروف السياسية الإقليمية والدولية المعقدة؟**

يـرد الشـيخ الصفـار: فـي الأصل أعتقـد أن اسـتخدام العنـف والقوة داخـل المجتمعـات الإسـلامية أمـر مرفـوض وغيـر صالـح إلا ضمـن ظـروف تحددهـا ضوابـط شـرعية تحددهـا مرجعيـات دينيـة مقبولـة في الأمـة. . والتطورات السياسـية فـي المنطقتيـن العربية والإسـلامية أثبتت فشـل خيـارات القـوة والعنـف الـذي نعتقـد أن البديـل الأمثـل لهـا هـو توجـه الحكومـات نحـو الإصـلاح السياسـي وتفاعـل القـوى السياسـية والاجتماعيـة الواعيـة فـي مجتمعاتنـا معـه.

المرجعية والتقليد

- **كنتم أحد النشطاء العاملين ضمن التيار الإسلامي الذي ينتمي في أطروحاته إلى أفكار السيد محمد مهدي الشيرازي. . وتردد أنكم**

خرجتم من هذا التيار في ضوء ما قيل عن وجود بعض الخلافات ورجوعكم في مسألة التقليد بعد وفاة الأول إلى السيد السيستاني. . ما مدى صحة ذلك؟ وانقسام التيار الشيرازي بين مرجعيتين أحدهما للسيد صادق الشيرازي والآخر للسيد محمد تقي المدرسي؟

بالنسبة لي فإنني أعتبر موضوع المرجعية والتقليد مسألة دينية شرعية ولا أتعاطى معها كشأن حزبي فئوي، ولذلك اختياري للمرجع يتم على أساس الشروط والضوابط الشرعية والفقهية، وبالنسبة إلى أفكار السيد الإمام الشيرازي رحمه الله فهي أفكار رسالية أصيلة تدعو إلى وحدة الأمة وإلى تفعيل الجانب الثقافي والمعرفي وتؤكد على اجتناب العنف وعلى التزام الأخلاق في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والتزامي بهذه الأفكار لا يتأثر بوفاة السيد الشيرازي كما لا يصطدم باختياري لأي مرجعية في التقليد. أما بخصوص انقسام المرجعية بين السيد صادق الشيرازي والسيد المدرسي، فنحن نعلم أن تاريخ المرجعية الشيعية يشهد بأن الساحة المرجعية لأي مرجع يغادر الحياة الدنيا لا تتجه في الغالب لمرجع واحد من بعده، وإنما تنقسم تلك الساحة حسب قناعات المقلدين والعلماء الذين يعتمدون رأيهم واختيارهم، ولا يصح من الناحية الفقهية اختيار المرجع على أساس الانتماء العائلي أو الفئوي أو الإقليمي، والذين اختاروا السيد صادق الشيرازي أو السيد المدرسي إنما كان على أساس اطمئنانهم واقتناعهم بالمبررات الشرعية لهذا الاختيار.

- **ماذا عن تقاطع المواطنين الشيعة في منطقة الخليج بين المرجعية الدينية في قم والنجف. . ألا يمكن أن يفتح الباب أمام حالة الانقسام**

داخل الطائفة الشيعية في المنطقة؟

إن الظرف الذي تعيشه المرجعية الدينية في النجف أو قم جعلها في حدود المرجعية الفقهية في الفتوى، وبالتالي ليس لهذه المرجعيات أي برامج سياسية حتى نحتمل أن يكون هنا تقاطعاً أو حتى تصادماً فيما بينها أو بين أتباعها.

حوار في الفكر الإسلامي

حضارة الإسلام لماذا تراجعت؟ [1]

سماحة الشيخ: ندرك جيداً بأن للإسلام قدرة هائلة على قيادة البشرية نحو التقدم في مختلف المجالات، كما يظهر ذلك من خلال المحطات المضيئة في التاريخ الإسلامي، بحيث توفرت لدى المسلمين كل المقومات لقيادة إمبراطورية شاسعة من الأندلس غرباً وإلى حدود الصين شرقاً، وليس فقط قيادة دول ومناطق جغرافية صغيرة.

- **في نظر سماحتك ما هي أسباب انحسار الإسلام اليوم وإبعاده عن مجريات الحياة الواقعية؟ وكيف نجحت بعض الحكومات العلمانية في استلام قيادة الشعوب الإسلامية؟ وأين يكمن الخلل؟**

بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

في البداية أشكر لكم حسن ظنكم وتصميمكم على إنجاز هذا

---

(١) حوار أجرته الجهة المشرفة على إصدار الجزء الثاني من كتاب (مع قادة الفكر الإسلامي) بعد صدور الجزء الأول، تم الحوار في شهر ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، دمشق.

الحوار حول قضايا الأمة. سأحاول بمشيئة اللَّه الإجابة على أسئلتكم بمقدار معرفتي وإدراكي للقضايا التي تفضلتم بطرحها.

بالنسبة لسؤالكم الأول: في الواقع هناك عدة أسباب للانحسار الذي ذكرتم، السبب الأول: تاريخي ويتعلق بالانحراف السياسي المبكر الذي وقع في تاريخ هذه الأمة، حيث استطاع الوصول إلى السلطة أشخاص ليسوا في مستوى المسؤولية، وحولوا الحكم إلى منصب وراثي، يتداولونه بينهم، أو يسيطرون على الحكم بالغلبة والقوة العسكرية، والمؤامرات والدسائس التي تحاك في الظلام. هذا الانحراف السياسي الذي وقع في تاريخ الأمة، وجاء بأمثال الحكام الأمويين والعباسيين، ومن جاء بعدهم من عثمانيين وغيرهم. هذه القيادات السياسية والحكومات المنحرفة في أغلبها هي السبب الأول في انحسار الإسلام وما يعيشه المسلمون اليوم من تخلف وانحطاط.

السبب الثاني: يرتبط بغياب الفهم الصحيح للإسلام وقيمه لدى الأمة. الإسلام له رؤيته الحضارية المتميزة، له منهجه الخاص، ونظامه المتكامل الذي يشمل جميع أبعاد الفعل الإنساني، لكن هذه الرؤية الحضارية غابت لدى المسلمين في عصور التخلف والانحطاط، فتحول الإسلام إلى مجرد طقوس سطحية وتقاليد بالية، وتوارى وراء ذلك المضمون القيمي للإسلام الذي يزخر بالعمق والحياة، هذا التراجع في فهم الإسلام والتعاطي مع قيمه ومبادئه وشعائره، يعتبر من أهم الأسباب في هذا الانحسار والتراجع على المستوى الواقعي.

أما السبب الثالث: فهو نتيجة السببين المذكورين، فالركود وحالة السبات التي أصابت العقل الإسلامي، قضت على جوانب النشاط

والحيوية، التي كان المسلمون يتمتعون بها في جميع المجالات. وبالتالي انتشرت مظاهر التقاعس والتواكل والانحطاط، بالإضافة إلى العوامل الخارجية، فأعداء الإسلام والحضارة الإسلامية، لم يكن يروقهم أن يظل الإسلام في موقع القيادة والريادة، لذلك واكبت نهضتهم، عملية تخطيط دقيق وجدي لإزاحة الإسلام عن مسرح الحياة، وإبعاده عن مواقع التأثير، ليتمكنوا من السيطرة على بلدانه وتوجيه شعوبها.

هذه الأسباب مجتمعة هي التي تسببت في حالة الانحسار الذي نشهده.

الإسلام والتطور العلمي

- **سماحة الشيخ: هل ترون أن للإسلام قدرة على مواكبة التطور العلمي، والاكتشافات الحديثة، الكثيرة والمتتالية؟**

ليس له قدرة على ذلك فقط، وإنما لابد من معرفة أن الإسلام بقيمه وتشريعاته وتعاليمه يدفع باتجاه التقدم والرقي في جميع المجالات، فالإسلام يحث على استخدام العقل، والنظر في آفاق الكون، لاستثمار خيراته والاستفادة منها في تطوره وتقدمه، ليس هناك دين يؤمن بالعلم ويشجع الإنسان على سلوك طريقه، ويحارب الجهل، أكثر من الإسلام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي تمجد العقل وتحث الإنسان المسلم على استخدام عقله والتفكر في الكون والطبيعة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[1]، وقوله

(١) سورة العنكبوت آية ٢٠.

تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢].

وهذه الآية فيها إشارة واضحة لعدم الركون إلى مستوى معين من العلم والمعرفة، وإنما لابد من البحث المستمر، لبلوغ أرقى الدرجات والمستويات المعرفية والعلمية: فنحن دائماً في بداية الطريق فما أوتينا من العلم إلا قليلا، وشعار المسلم يجب أن يكون دائماً ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣].

البشرية وأزماتها الحاضرة

- **بناء على السؤال السابق، نرى أن الفكر العلماني يتهم الإسلام بعدم قدرته على التصدي لمشاكل العالم المعاصر وإيجاد الحلول المناسبة لها، كيف يمكن الرد على هذا الادعاء والاتهام نظرياً وعملياً؟**

أولاً من الناحية النظرية، نحن نعتقد ونؤمن بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه اللَّه لخلقه، وبما أنه سبحانه وتعالى هو الأعلم والأعرف بما يصلح عباده وما ينفعهم، وبما أن الإسلام هو شريعة اللَّه الأكمل، فمن الطبيعي أن تكون لهذا الشريعة ولهذا الدين القدرة على حل جميع المشاكل الإنسانية، يقول تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤] وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ

(١) سورة المجادلة آية ٥٨.
(٢) سورة الإسراء آية ٨٥.
(٣) سورة طه آية ١١٤.
(٤) سورة الملك آية ١٤.

الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[1].

إذن فما دام الإسلام ديناً وشريعةً من اللَّه العالم بخلقه، فمما لا شك فيه أنه الأقدر على معالجة جميع مشاكل البشرية، والأقدر كذلك على فهم وإدراك عمق الأزمات التي تواجه البشرية في هذه الحياة.

هذا من جهة، من جهة أخرى ما هي المشاكل التي يطرحها العلمانيون، ويجدون الإسلام، عاجزاً عن تقديم الحلول لها؟ الأمر يتعلق باكتشاف هذه الحلول، فهي موجودة في المصادر الأساسية للإسلام، في الكتاب والسنة، ومن خلال استخدام العقل حسب المنهج الإسلامي.

فأي مشكل يواجه الإنسان أو المجتمع الإسلامي، يرجع فيه إلى هذه المصادر لاكتشاف الحل الوافي والكافي، وإذا كان هناك تقصير من المسلمين في اكتشاف هذه الحلول، فالإسلام لا يتحمل مسؤولية هذا التقصير. نحن نعتقد بأن في الإسلام كل الحلول للمشاكل الإنسانية، لكن هذه الحلول تحتاج إلى اكتشاف واستنباط.

لقد استطاع علماؤنا في الماضي والحاضر أن يستنبطوا الحلول لمختلف المشاكل.

ويجب أن نعرف بأن العلمانية تعيش الآن وفي عقر دارها أزمة خانقة في أمريكا وفي باقي الدول الغربية العلمانية، هناك أزمات عميقة كثيرة، وهذا ما اعترف به عدد من كبار القادة السياسيين وثلة من

(١) سورة البقرة آية ٢٢٠.

المفكرين هناك، فالحضارة المادية لم تعد قادرة على حل أو معالجة هذه الأزمات، والبشرية أصبحت في حاجة ماسة لمنهج أخلاقي وروحي، يعينها على حل مشاكلها وأزماتها المستعصية. ولم يعد خافياً الفشل والعجز الذي أصاب العلمانيين وتفكيرهم، والمفترض أن يكونوا الآن في موقع دفاع عن آرائهم ونظرياتهم، وليس العكس والهجوم على الإسلام واتهامه بالتقصير، ومطالبته بالحلول لأزمات هي نتائج لتطبيق نظرياتهم. نعم، الإسلام لديه الحلول وعلماؤه ومن خلال ما كتبوه، استعرضوا وجهة نظر الإسلام، وقدموا الحلول المستنبطة من مصادر الإسلام لمعالجة هذه المشاكل المعاصرة، بالرغم من المشاكل الخاصة التي تعترضهم، وقلة التجارب الإسلامية الواقعية التي تفسح للإسلام وعلمائه المجال للبحث، وإبداء الرأي والمشاركة في علاج مشاكل العصر وأزماته.

وحدة الأمة

▼ **سماحة الشيخ: هل يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية بين المسلمين؟**

الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، ويحثهم على ذلك، ولا يقبل بحالة التمزق والتشرذم والانشطار إلى كيانات متعددة ومختلفة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

فالآيات والأحاديث كلها تدل دلالة واضحة على وجوب تحقيق مفهوم الأمة في الواقع، وضرورة أن يعيش المسلمون ضمن كيان

(١) الأنبياء آية ٩٢.

واحـد يجمعهـم، فربهـم واحـد، ونبيهـم واحـد، ومقصدهـم وأهدافهـم واحـدة، وقبلتهم فـي الصلاة والعبـادة واحدة كذلك، لذلـك لا أهمية ولا اعتبـار للحدود الجغرافيـة السياسـية، والحدود الموجـودة الآن هي حالة طارئـة ومخالفـة للإسـلام وتعاليمـه، والإسـلام لا يعتـرف بهـا، ويدعـو لإزالتهـا، لتحقيـق مفهـوم الأمـة التي يعيـش في كنفهـا جميع المسـلمين دون حواجـز أو حـدود جغرافيـة، أو غيرهـا مـن الحـدود والحواجـز الأخرى.

الأخوة الإسلامية

▼ ماذا تعني الأخوة الإسلامية وهل يعتبر المسلم مواطناً في أي بلد إسلامي؟

الأخـوة الإسـلامية تعنـي التفاعـل العاطفـي بيـن جميع المسـلمين، كل مسـلم يجـب أن يتفاعـل نفسـياً وعاطفيـاً مـع قضايـا المسـلمين، أفـراداً ومجتمعـات. وتعنـي كذلـك الاشـتراك فـي الدفـاع عـن مصالـح الأمـة ومصالـح أفرادهـا، والأخـوة الإسـلامية هـي بشـكل عام مشـاركة فـي الآمـال والآلام، والمصالـح، والتناصـر والدفـاع عـن الحقـوق، فأي اعتـداء يقـع على أي مسـلم، فمن واجب الأخـوة الإسـلامية أن يهب بقية المسـلمين للدفـاع ورفـع الظلـم عنـه، لأن الأخوة مسـؤولية كاملـة تجاه جميـع الإخـوة فـي الديـن والعقيـدة، وهذا مـا عبر عنـه الحديـث النبوي الشـريف الـذي اعتبـر المسـلمين كالجسـد الواحـد إذا اشـتكى منه عضو تداعـت لـه بقية الأعضـاء بالسـهر والحمـى. ولأهميـة هذه الأخـوة نجد الرسـول ﷺ يصـرح فـي بعـض أحاديثـه أن مـن أصبـح ولـم يهتـم بأمور المسـلمين فليـس منهـم. وفـي حديث آخـر قال ﷺ، مـا آمن بـي من بات

شبعاناً وجاره جائع.

هذه هي الأخوة الإسلامية، التعاون والتفاعل بين المسلمين، والاشتراك في الآمال والآلام والدفاع عن المصالح المشتركة.

أما بالنسبة لاعتبار كل مسلم مواطناً في جميع البلدان الإسلامية، الحقيقة أن هذا هو الأصل في التشريع الإسلامي، فللمسلم جميع حقوق المواطنة الكاملة في كل بقاع الإسلام، وفي جميع البلدان الإسلامية، هذا ما تقرره الشريعة وتدعو له، أما من حيث الواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فالأمر يختلف تماماً لقد تجزأت الأمة إلى دول قطرية ومناطق إقليمية، ذات سيادة محدودة على جزء من جغرافية الإسلام الكبيرة، هذا الواقع المجزأ والمقسم لا ينسجم مع تعاليم الإسلام، ومفهوم الأمة الواحدة، لكنه أصبح الآن واقعاً معاشاً ومعمولاً به.

حقوق الإنسان

- **أصبح موضوع حقوق الإنسان يشغل اهتمام عدد كبير من المؤسسات والهيئات في الدول الغربية، بحيث بدأ البعض يعتبر أن الحضارة الغربية هي الرائدة في هذا الميدان، هل يمكن أن توضحوا لنا إلى أي حد اهتم الدين الإسلامي بحقوق الإنسان؟ وهل جاء اهتمامه عرضياً أم أن الحقوق الإنسانية من الموضوعات المرسمة التي عالجتها الشريعة الإسلامية، وقدمت فيها رؤية جديدة ومتميزة؟**

لكي ندرك مدى اهتمام الإسلام بموضوع حقوق الإنسان، يجب في البداية أن نعرف ما هو الهدف من مجيء الإسلام والرسالة

المحمدية ؟ فالدين والشريعة لم تأت من أجل اللَّه، لأن اللَّه غني ولا يؤثر في ملكه كفر الناس ﴿إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(١)، وإنما الدين من أجل الإنسان، ومبادئ التوحيد والعبادة هي في أساسها وأهدافها حماية لكرامة الإنسان، هناك حقوق للَّه وحقوق للإنسان، ومن حق اللَّه على الإنسان أن يعبده ولا يشرك في عبادته أحدا، وهذا الخضوع للَّه وحده، يضمن له عدم الخضوع لغيره، أو أن يكون عبداً للآخرين من بني جنسه، وكذلك إيمانه بالدين بقيمه وتعاليمه، يضمن له عدم الخضوع لتعاليم وقيم غير ربانية، تحط من كرامته وتنتهك حقوقه.

فالإسلام جاء من أجل الإنسان ولمصلحته، لذلك من الطبيعي أن تقوم تعاليمه على احترام حقوق الإنسان وضمانها وهناك أمر مهم جداً، فقبل ألف وأربع مئة سنة، عندما لم تكن مصطلحات أو مفاهيم حقوق الإنسان معروفة أو متداولة، جاء الإسلام ليعلن: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢).

وظهر هذا التكريم والتفضيل واضحاً في جميع تشريعاته، فليس هناك أي تشريع إلا وهو لدرء مفسدة أو لجلب مصلحة للإنسان، ولدى أي مراجعة أو بحث لا نجد أي تعارض بين مصالح الإنسان المادية والمعنوية الحقيقية، وبين ما جاء به الإسلام جملة أو تفصيلا.

إذن من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ورسالة الحقوق

(١) سورة الحج آية ٦٤.
(٢) سورة الإسراء آية ٧٠.

للإمام زين العابدين عليه السلام، وما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، وأقوال الأئمة ورواياتهم الكثيرة، تظهر بشكل واضح ريادة الإسلام وتميزه وتقدمه في مجال حقوق الإنسان، واهتمامه بكرامته، واحترام وجوده، والدفاع عن مصالحه المادية والمعنوية.

أما ما وقع في تاريخ الإسلام من انتهاكات لحقوق الإنسان، فالسبب لا يرجع لتعاليم الإسلام، وإنما بسبب إبعاد أهل البيت عن أزمّة الحكم ومنصب الخلافة، وسيطرة من هم ليسوا بأهل للحكم، لأنهم يجهلون تعاليم الإسلام وقيمه، ولا يحرصون على الالتزام بها أو تطبيقها، وكانت النتيجة أن انتشر الاستبداد والقمع، وسادت أجواء الدكتاتورية وانتهكت فيها جميع حقوق الإنسان، وهنا وقع الالتباس، فالذين ينتقدون موقف الإسلام من حقوق الإنسان، لا يميزون بين هذه الوقائع المظلمة من تاريخ المسلمين في الماضي والحاضر، وبين تعاليم الإسلام المتعالية، وحقيقة مبادئه التي تكرم الإنسان وترفع من شأنه.

طبعاً كانت هناك فترات يتم فيها احترام حقوق الإنسان المسلم، وذلك عندما كان يصل إلى الحكم رجال أكفاء، يحترمون تعاليم الإسلام، ويحرصون على تطبيقها في جميع المجالات، ومن ثم يكون هناك احترام لحقوق الإنسان.

بين النظرية والتطبيق

- **من الملاحظ أن المسلمين يكررون دائماً القول بأن الإسلام سبق الدعوات الغربية المنادية باحترام حقوق الإنسان، وكلما ظهر ميثاق أو إعلان في الغرب يدعم هذه الحقوق، نجد المسلمين يبادرون**

بالقول بأن لدينا مثل هذه المبادئ بل أفضل، لكن هذه الدعوات تظل نظرية لا علاقة لها بالواقع. ما رأي سماحتكم في هذه المفارقة؟

هناك تطبيق واقعي لهذه المبادئ، نجده في سيرة الرسول ﷺ، وسيرة الإمام علي عليه السلام أثناء مدة خلافته، هناك نماذج رائعة للالتزام بحقوق الإنسان، انطلاقا من المبادئ الإسلامية التي أولت هذه الحقوق أهمية كبرى، بل هناك تطبيقات لا ترقى لها التطبيقات الغربية المعاصرة. ويجب أن ندرك كذلك بأنه في الغرب لا يوجد تطبيق حقيقي وكامل لحقوق الإنسان، والتعامل الغربي مع هذه القضية مبتور ويعاني من ازدواجية، فهم يكيلون بمكيالين، فحيث توجد لديهم مصلحة سياسية أو اقتصادية، نجدهم لا يفترون عن الحديث عن حقوق الإنسان، والبكاء على الوضع المتردي لهذه الحقوق في تلك المناطق أو الدول، في نفس الوقت نجدهم يغضون الطرف عن انتهاكات وممارسات مسيئة لحقوق الإنسان تقع في أماكن ودول تسبح في فلكهم أو ترعى مصالحهم، كما هو الحال بالنسبة للكيان الإسرائيلي المغتصب، الذي ينتهك كل يوم أبسط حقوق الإنسان في فلسطين وجنوب لبنان. هناك انتهاكات واضحة داخل هذه الدول، لكن الغرب يغض طرفه، ولا يتحدث عنها في وسائل إعلامه، كما يفعل بالنسبة للبلدان الخارجة عن دائرة مصالحه السياسية والاقتصادية. وفي داخل الدول الغربية نفسها هناك الكثير من الأخطاء والنواقص والانتهاكات لحقوق الإنسان، وقد اعترف الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أثناء زيارته للصين ولقائه طلاب جامعة بكين، بأن هناك مشاكل مستعصية يعيشها المجتمع الأمريكي

مثل ظاهرة التمييز العنصري، وقد كُتب حول هذه المشاكل الكتب والدراسات الكثيرة، ووضع حقوق الإنسان هناك ليس مثالياً، لذلك لا يحق للغربيين التبجح بوضع حقوق الإنسان عندهم، طبعاً لا يمكن مقارنة الوضع الحقوقي هناك بالوضع عندنا، فمما لا شك فيه أن وضع حقوق الإنسان هناك أفضل، ولا يمكن مقارنتها بالوضع داخل بلداننا، لكن عند المقارنة بين واقعهم وبين ما يقدمه الإسلام، يظهر الفرق والتميز والتفوق الإسلامي، فما يقدمه الإسلام للإنسان أفضل بكثير وأشمل وأعمق مما تقدمه الحضارة المادية المعاصرة.

مساحات الحرية

- **كيف ينظر الإسلام إلى مبدأ الحرية، وما هي حدود ومساحات الحرية التي يضعها الشرع الإسلامي للإنسان المسلم؟**

الإسلام يعتبر الحرية أصلاً في الوجود الإنساني، وليس شيئاً طارئاً أو مكتسباً، فالأصل أن يكون الإنسان حراً، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما قال: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك اللَّه حراً» والآيات القرآنية الكثيرة تدعو الإنسان للتحرر من كل عبودية لغير اللَّه الخالق، وأن لا يتنازل عن حريته لأي كان، لأن حريته أصل وجوده، يجب أن يعيشها ويمارسها، فهي حق من حقوقه الأصلية المرتبطة بوجوده، بحيث لا يمكنه العيش إلا بممارسة هذا الحق، ولا يجوز له التنازل عنها أبداً، وهذا ما أشارت إليه رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «إن اللَّه فوّض إلى المؤمن أمره كله ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً» .

أما بالنسبة لحدود هذه الحرية، فهناك حدان، الأول الأحكام

الشرعية، لأن الإنسان المسلم لا يجوز له أن يعتدي على حدود اللَّه، أو يمارس حريته في المعصية، مع أنه من الناحية التكوينية مخيّر وليس مسيراً وبإمكانه عمل المعصية إذا أراد، لكن من الناحية التشريعية لا يجوز له فعل ذلك والتعدي على حدود اللَّه. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

هذا هو الحد الأول للحرية الإنسانية في الإسلام، الحد الثاني: حقوق الآخرين وحرياتهم: فانطلاقا من القاعدة الإسلامية «لا ضرر ولا ضرار» يمارس الإنسان المسلم حريته لكن دون تجاوز حريات الآخرين وحقوقهم.

التعددية طريق التقدم

- **هناك اتفاق بين المهتمين بشؤون العالم الإسلامي، على أن الاستبداد السياسي يعتبر من الأسباب الرئيسة لتأخر دوله في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هل بإمكان التعددية الحزبية أن تشكل منطلقاً يتجاوز هذا التخلف؟**
- **وما رأيكم في من يعترض على هذه التعددية السياسية ويتخوف منها لأنها قد تتسبب بدورها في مشكل آخر؟**

كما أكد ذلك المختصون والعلماء، ومن خلال الواقع المعاش، نرى أن التنمية يجب أن تبدأ من الإنسان، ليس هناك تنمية حقيقية، اقتصادية أو عمرانية أو مادية بشكل عام، دون الاهتمام بتنمية الإنسان أولاً، لأن الإنسان هو محور التنمية وهدفها، وتنمية الإنسان تعني أن

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩.

يتمتع بكامل حقوقه وعلى رأسها تمتعه بالحرية، هذه الحقوق هي التي تخلق لديه الدوافع لتحقيق التنمية في واقعه.

أما بالنسبة للتعددية السياسية أو ما يسمى الآن بالديمقراطية، وبغض النظر عن النقاشات حول المصطلح فتعني أن يمتلك الإنسان الحرية في إبداء رأيه في الشأن العام، ويشارك في اتخاذ القرار داخل بلده ومجتمعه، بالإضافة إلى إمكانية تداول السلطة بين القوى الاجتماعية والسياسية المتواجدة على الساحة، مما يتيح لها أن تقدم أفكارها واقتراحاتها وحلولها لمشاكل المجتمع، كما تساهم في اتخاذ القرارات، وانتقال السلطة سلمياً، بهذا المعنى تصبح التعددية هي المخرج والصيغة الأفضل للحياة السياسية داخل المجتمع، أما ما قد يرافقها من مشاكل وأخطاء فهذه حالة طبيعية، وبالممارسة يتم تجاوز هذه الأخطاء. وما يحتج به بعض الحكام من أن شعوبنا غير مؤهلة لممارسة هذه التعددية أو الديمقراطية، فهذا الادعاء عار عن الصحة، وهو تبرير لاستمرارية الاستبداد السياسي والديكتاتورية، فالشعب لا يتهيأ أو يتأهل للديمقراطية إلا بممارستها، وعبر هذه الممارسة يتطور الوعي، وينضج الإدراك، لدى الشعب ويكتمل. ولدينا الغرب كمثال فتجربته الديمقراطية لم تنضج خلال سنة أو عقد من الزمن، بل ترجع هذه التجربة لعشرات السنين، ولم يقل أحد في الغرب أن تجربتهم قد اكتملت ووصلت إلى نهايتها المطلقة، لأن دساتيرهم وقوانينهم وأنظمتهم دائمة التغيير والتجدد والإضافات، نحو ما يرونه أحسن وأفضل لأممهم وشعوبهم.

لذلك نرى أن التعددية هي المخرج والحل المخلص من حالة

الاستبداد، التي تعيشها الشعوب الإسلامية، وهي نقطة البدء لتحقيق التنمية العامة، تنمية الإنسان، وتطوره عبر التجارب، ومعالجة الأخطاء، حتى يكتسب الخبرة المطلوبة لممارسة التعددية السياسية في أحسن حالاتها. أما إيجاد التبريرات الواهية للوقوف أمام الانطلاق لخوض هذه التجربة، فإنه يعني استمرارية حالة الاستبداد السياسي وإبقائها، ومن ثم ترسيخ جذور التخلف الذي تتخبط فيه الشعوب الإسلامية.

أنموذج تاريخي

- **سماحة الشيخ هل يمكن أن تذكروا لنا بعض النماذج التاريخية على ما قلتم، يظهر فيها موقف الإسلام من التعددية مثلاً؟**

أولاً من الناحية النظرية هذا واضح في تعاليم الإسلام ومبادئه، ومن خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات أهل البيت، لكننا نعلم أن أزمّة الأمور السياسية لم تكن بيد الأئمة عليهم السلام حتى يتمكنوا من تطبيق هذه المبادئ على أرض الواقع، لكن لدينا بعض الأمثلة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فالإمام عليه السلام لم يمنع قيام الأحزاب المخالفة له ولتوجهاته، مع أنه كان إماماً وخليفة شرعياً، واجب الطاعة، لكن هذا لم يمنعه من الاعتراف بحقوق الخوارج، فقد خاطبهم عليه السلام يوماً، وأخذ عن نفسه أن لا يبدأهم بقتال، وأن لا يمنعهم حقهم في الفيء، وأن لا يمنعهم دخول المساجد والصلاة فيها، وإذا تكلموا حاججهم وإذا سكتوا تركهم، أما إذا بغوا فسيحاربهم، هذا هو موقف الإمام علي من الخوارج وقد كانوا معارضة مسلحة، إنه تجسيد للعدل الإسلامي، فالإمام لم يأمر بقمعهم أو إسكاتهم، ولم يعتبر إبداء الرأي المخالف له جريمة يعاقب

عليها، بل طلب محاججتهم إذا هم تكلموا، أي إذا طرحوا آراءهم المخالفة، لابد من الرد عليهم لبيان خطئهم. وتعريفهم بالحق، ولم يطالب بمحاربتهم إلا إذا بغوا وأشاعوا الفساد في الأرض.

وهناك أمثلة أخرى تتعلق بالمسائل الدينية، ونحن نعتقد أن الإمام علي عليه السلام هو إمام معصوم ووصي لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، لذلك فما يقوله أو يحكم به هو رأي الإسلام، لكننا نجده يتعامل مع المخالفين له في هذه المسائل بنوع من التسامح، يظهر ذلك عندما دخل إلى الكوفة، ووجد الناس يصلون فيها النوافل جماعة في شهر رمضان، أو ما يسميه إخواننا أهل السنة بالتراويح، فقد أمر ابنه الإمام الحسن بأن يطلب من الناس بأن لا يصلوا النوافل جماعة في شهر رمضان، ولما فعل الإمام الحسن ما أمره به، تصايح الناس في المسجد: «وا سنة عمراه» وفي بعض الروايات : «وا رمضاناه» فلما أخبر الإمام علي عليه السلام بما يقوله الناس، قال دعوهم وما يريدون، نحن نرى هنا أن الإمام عليه السلام يعلم أن هذه الصلاة ليست من السنة النبوية، لكنه لم يستخدم سلطته ويأمر بقمع الناس وصرفهم بالقوة عن إقامتها في المساجد. كذلك هناك واقعة التحكيم المشهورة في حرب صفين، الإمام عليه السلام لم يقبل بالتحكيم بل طالب أصحابه بالاستمرار في الحرب، وعرف أن دعوة معاوية للتحكيم، إنما هي خدعة، لكن الغالبية من أصحابه أصرّوا على قبول التحكيم وإلا انفضوا من حوله، فنزل عند رأيهم، وهذا يعتبر اعترافاً واحتراماً للرأي العام وللأمة والسماح لها بالمشاركة في اتخاذ القرارات. طبعاً كانت لهذا الحادث ملابسات ليس هنا مجال الحديث عنها، لأن

هـذا القبـول كانـت لـه نتائـج سـلبية، لكـن عـدم القبـول كانـت لـه أيضاً مضاعفـات وآثاره خطيـرة، والإمـام عليه السلام كان يعلم بخطأ القبـول بالتحكيم وأنـه خدعـة لا غيـر. وهناك بالطبع شـواهد أخرى من سـيرة الرسـول صلى الله عليه وآله والإمـام عليه السلام علـى مـا ذكرناه.

لكـن هنـاك ملاحظـة فالتعدديـة بصيغتهـا الموجـودة الآن لـم تكـن لتوجـد قبـل ألـف وأربع مئـة سـنة أو ألـف سـنة، لأن المسـتوى الفكري للإنسـان قـد تطـور، وهـذا التطـور لـه مدخليـة فـي تطبيـق الأفـكار والمفاهيـم، فأصـل الفكـرة أو مبـدأ التعدديـة كان موجوداً، لكـن التطبيق تطـورت صيغـه تبعـاً للتطـور الـذي عرفـه الإنسـان، ولدينـا مثـال واضح علـى هذا التطـور الذي طـال مختلف المجـالات، ففي عهد الرسـول صلى الله عليه وآله كان النـاس يتعلمـون الديـن بطريقة معينـة، وفي عهد الأئمـة عليهم السلام تطورت أسـاليب التعليـم والتعلـم، والآن وقبل قـرون ظهرت الحـوزات العلمية، فلـكل عصر أسـاليبه وطرقـه في التعليـم، لكن مبـدأ التعلـم والحث على طلـب العلـم لـم يتغير.

انتشار الوعي ودور الطليعة

- **سماحة الشيخ كيف يتمكن العالم الإسلامي من تطبيق التعددية في الميدان السياسي والدكتاتورية تمسك بالسلطة، وتمارس العنف والقمع ضد كل من ينادي بهذه التعددية أو يشرع في ممارستها؟**

بالطبـع إن ذلـك يحتاج إلى انتشـار الوعي السياسـي بين المسـلمين، ليعرفـوا ويطلعـوا علـى رؤية الإسـلام ليـس فقط فـي المجال السياسـي، ولكـن فـي جميـع المجـالات الحياتيـة، بالإضافـة إلـى الوعـي العـام بالظروف والواقع الاجتماعي والسياسـي الذي يعيشـون فيه، والاسـتفادة

مـن التطـور والتقدم الـذي تعرفه البشـرية.

هـذا مـن جهة، ومـن جهـة أخـرى، ضـرورة تحمـل المسـؤولية من طـرف الطليعـة الواعيـة، هـؤلاء يتحملـون مسـؤولية نشـر هـذا الوعـي، والعمـل مـن أجل تطبيـق المفاهيـم والمبـادئ التي تدعـو إلـى التعددية، ونعتقد أن المسـتقبل لصالح هذه المفاهيم والمبادئ، لأن مسـتوى الوعي لدى الناس بشـكل عام قد تطور، بسـبب انتشـار وسـائل الإعـلام، وتدفق المعلومـات مـن بقـاع العالـم، بحيـث يتمكن الإنسـان من الاطـلاع على تجـارب الآخريـن، ومعرفـة الحقائـق العلميـة، والاجتماعية والسياسـية، وهـذا يرفـع مـن مسـتوى وعيـه وينضـج مواقفـه، لذلـك نحـن متفائلون بالمسـتقبل، متفائلـون بتطـور نضـج وعـي النـاس، ومـن ثم تجـد مبادئ التعدديـة طريقهـا نحـو التطبيق والممارسـة.

العنف قراءة خاطئة للدين

- **من الظواهر والمشاكل التي تشغل الساحة الإسلامية، مشكلة ممارسة العنف والعمل المسلح الذي تقوم به بعض الجماعات الإسلامية، بغية الوصول إلى أهدافها كما تدعي.**
- **هل ترون أن استخدام العنف منهج إسلامي للوصول إلى الأهداف، أم أن هذه الممارسة من الاجتهادات الخاطئة وغير السليمة في الوقت الراهن؟**

فـي البدايـة لابـد مـن معرفـة الأسـباب التـي تدفـع بعـض الجهـات الدينيـة للجـوء إلـى اسـتخدام العنـف، هنـاك حسـب رأينـا سـببان:

السـبب الأول: ويكمن فـي القراءة الخاطئة للديـن، فبعض المتدينين

يقع في الخلط، وتلتبس عليه الأوراق، فيشتبه بين تطبيق الحق وبين مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحصل عنده تزاحم بين هذا المبدأ والمبادئ الإسلامية الأخرى، عندها لا يعرف الأولويات و الأهميات.

هناك مبادئ إسلامية أساسية مثل: لا إكراه في الدين، ومبدأ احترام حقوق الإنسان، واحترام الحريات، ومبدأ الرفق والرحمة، وغير ذلك من المبادئ، فالفهم الخاطئ والقراءة المغلوطة لهذه المبادئ ومفهوم الأولويات والمهم والأهم، ينجم عنهما ما نراه من اللجوء إلى استخدام العنف.

السبب الثاني: يمكن اعتبار هذا اللجوء إلى العنف بمثابة رد فعل تجاه واقع القمع والاستبداد، والإنسان كما نعلم عندما يحشر في زاوية ضيقة أو حرجة تهدد وجوده أو مصالحه الأساسية، لا يجد أمامه سوى الدفاع عن نفسه، وهنا قد يسيء أو يخطئ اختيار وسيلة الدفاع أو الطريقة التي يرفع بها عن نفسه الظلم والحيف.

لذلك فالأنظمة الاستبدادية والقمعية، هي المسؤولة عن لجوء الكثيرين إلى سلوك طريق العنف كرد فعل للعنف الذي يمارس ضدهم. طبعاً الإنسان المؤمن والواعي يجب أن يكون رد فعله منطقياً ومنسجماً مع مبادئ دينه وعقله. لكن الكثير من الناس قد يصل إلى هذا المستوى من الإدراك والفهم، للدين ولا يمتلك الرؤية السليمة والحكيمة لكيفية التعامل مع الواقع فتظهر بسبب ذلك وتنتشر ظاهرة العنف.

أحداث الجزائر

- **سماحة الشيخ: كلنا يعلم ما وقع في الجزائر وكيف أوقف العسكر التجربة الديمقراطية التي كان من المفترض أن توصل الإسلاميين إلى السلطة عن طريق الانتخابات الشعبية، لكن الجيش تدخل وألغى هذه الانتخابات ونتائجها، مما جعل الإسلاميين يرفضون هذا التدخل ويعلنون الجهاد المسلح.**
- **كيف تنظرون لهذا الاختيار كرد فعل تجاه ما وقع، خصوصاً مع ما أسفر عنه من مذابح وسفك للدماء وقتل الأبرياء؟**

عندما ألغى الجيش نتائج الانتخابات وانقلب على العملية الانتخابية كلها، كان أمام الجزائريين طريقان، الطريق الأول هو الذي سلكته بعض الجهات الإسلامية وقد أوصل هذا الطريق إلى نتائج ومضاعفات خطيرة، منها سقوط ضحايا كثيرين من الشعب الجزائري، وتشويه سمعة الإسلام، وغيرها من المشاكل والآلام التي ترتبت عن انفجار الوضع هناك. وما زلنا نسمع كل يوم عن المذابح والمجازر التي ترتكب في حق الأبرياء وغيرهم.

الطريق الآخر الذي يفترض أن يسلكه الإسلاميون، هو الاستعانة بتحريك الشارع الجزائري، والاستفادة من الدعم الذي كانت الجماهير العريضة قد عبرت عنه عن طريق الانتخابات. لكن مع الأسف، ليست لديّ صورة مفصلة وواضحة عن مجريات الأحداث اليومية هناك، وكيف ابتعد الإسلاميون عن سلوك هذا الخيار، ربما قد يكون الشعب الجزائري نفسه في تلك اللحظة غير مهيأ لسلوك مثل هذا الطريق وهذا الخيار.

ولدينا مثال واقعي آخر على نجاح مثل هذا الخيار في منطقة أخرى، ففي أندونيسيا استطاع التحرك الجماهيري ونزول الناس للشارع أن يدفع سوهارتو إلى الاستقالة، فتغير الوضع السياسي هناك وهذا ما لم يحصل في الجزائر مع الأسف الشديد.

اللاعنف هو السبيل

- **سماحة الشيخ يرى بعض المفكرين أن استخدام العنف يؤدي إلى تعميق الأزمات في العالم الإسلامي، بل يزيد من تشويه صورة الإسلام في الداخل والخارج، لذلك اقترح البعض سبيل اللاعنف، فهل يمكن أن يحقق اللاعنف الأهداف المرجوة التي تطمح إليها الحركة الإسلامية؟**

في الواقع لا يمكن اعتبار اللاعنف بديلاً، لأن الأصل في الإسلام وفي منهج الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو اللاعنف، أي الدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي تاريخ الأنبياء لا نجد أحداً منهم قد أنشأ حركة أو عصابة مسلحة، من أجل تطبيق قيم الوحي ومبادئه، أو مارس العنف المسلح في سبيل ذلك، فخيار الأنبياء ومنهجهم تمثل دائماً بالدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة، ومجادلة أقوامهم بالتي هي أحسن، أي بتقديم الأدلة والبراهين لتأكيد صحة ما كانوا يدعون إليه من مبادئ وقيم. وهذا المنهج هو الذي سلكه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فلم نسمع أنهم عليهم السلام شاركوا في مؤامرات أو انقلابات عسكرية، من أجل تغيير أنظمة الحكم في عهد الدولتين الأموية والعباسية. والسبب هو تمسكهم بنهج الإسلام، وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام قال: «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ عهداً فقال: يابن أبي طالب لك ولاء

أمتي، فإن ولوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[١]، إن الأصل في منهج الإسلام هو الدعوة السلمية، وليس استخدام العنف، وعلى المستوى الواقعي فلاحظ النتائج التي أسفر عنها استخدام العنف والمشاكل الكثيرة التي شوهت صورة الإسلام في العالم. لذلك أرى أن من الواجب علينا أن نسلك طريق اللاعنف سواء تحققت أهدافنا اليوم أو غداً، لأن مسؤوليتنا الشرعية تتحدد في سلوك الطريق الصحيح، فلا يمكن أن يطاع اللّه من حيث يعصى، والوسيلة أو الطريق جزء من الهدف. لذلك لا يمكن سلوك هذا الطريق حتى لو أوصلنا إلى الأهداف بسرعة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ظفر من ظفر الإثم به»[٢].

وقد ثبت من خلال التجارب التاريخية أن الذين وصلوا إلى الحكم عن طريق العنف واستخدام القوة لم يستمروا فيه. إذن اللاعنف هو الطريق، والمنهج الإسلامي المطلوب سلوكه واتباعه، أما العنف فهو وإن أوصل في بعض الأحيان إلى الأهداف، فإن ذلك الوصول سيكون عبر ركوب المعاصي وسلوك الطريق الخطأ، وليس هناك ما يضمن الاستفادة من هذه الأهداف التي تم الوصول إليها بطريق الخطأ والمعصية.

الموقف تجاه الظلم

▼ **هل حدد الشرع الإسلامي طريقة التعامل مع الظالمين سواءً كانوا**

(١) النمازي: الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ج١١ ص٧٨، ح ٦٤ ص١٢٤، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٨هـ.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٧٢٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

أفراداً أو مجموعات أو حكومات ومؤسسات سلطوية؟

ينبغي أولاً معرفة حقيقة الظلم وما يقوم به الظلمة وأن نبتعد عن الظالمين، ونقاطعهم وأن لا نركن إليهم، ثم في الأخير العمل على مقاومة الظلم بجميع أشكاله ومظاهره. وقد حدد الشرع الإسلامي هذه الأمور الثلاثة. النفور النفسي والإنكار الداخلي للظلم وأصحابه، ومقاطعة الظالمين والابتعاد عنهم وعدم الركون إليهم بحال من الأحوال، والأمر الثالث مقاومتهم والوقوف في وجه ظلمهم، لكن مع مراعاة الظروف، المعطيات الموضوعية المرتبطة بكل مورد، فالأصل في الإسلام ما ذكرناه، لكن هناك حالات كثيرة يتم التعامل فيها بمنطق مغاير، مثلاً هناك حالات وظروف تدفع الإنسان المؤمن إلى العمل بالتقية، وهنا يتعلق الأمر بالأولويات والمصالح التي تحرص عليها الشريعة، ففي بعض الحالات تكون المصلحة في الاقتراب من الظالم أو التحاور معه، من أجل تخفيف ظلمه، وتحصيل ما يمكن تحصيله من حقوق الناس. وقد حدثنا التاريخ أن الأئمة عليهم السلام اضطروا في بعض الأحيان للتعامل مع الحكام الظالمين، لكن هذه الحالات كانت استثنائية، لأن الأصل هو مقاطعة الظالمين ومقاومة ظلمهم وهناك كما قلنا في بعض الأحيان يكون التعامل لغرض وضع حد لظلم الظالمين ولو بمقدار معين، فقد رأينا كيف شجع الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعض أصحابه وهو علي بن يقطين للالتحاق بالبلاط العباسي، حيث استطاع أن يكون رئيساً للوزراء في خلافة هارون الرشيد، وهذا الاقتراب من الظالم، والدخول في خدمته، كان من أجل وضع حد لبعض مظالمه، واستنقاذ ما يمكن استنقاذه من حقوق الناس، والدفاع

عـن مصالـح المؤمنيـن، وهـذا مـا قـام بـه علي بـن يقطيـن. وفـي (بحار الأنـوار) بـاب كامـل حـول هـذا الموضـوع تحـت عنـوان (رد الظلم عن المظلوميـن ورفـع حوائـج المؤمنيـن إلـى السـلاطين) وهو البـاب (٨٤) مـن كتـاب العشـرة ومما جـاء فيـه الحديـث التالـي: عـن الإمـام الرضا عليه السلام: «إن للَّـه بأبـواب السـلاطين، مـن نـوّر اللَّـه سـبحانه وتعالـى وجهـه بالبرهـان، ومكّـن لـه في البـلاد، ليدفـع به عـن أوليائـه، ويصلح بـه أمور المسـلمين، إليـه يلجـأ المؤمنـون مـن الضـرر» إذن فـي حالـة الاضطرار أو فـي حالـة وجـود أولويـات ومصالـح عليـا مهمـة، يكـون التقـرّب في حـدود معينـة مـن الظالم، وفـي غير ذلـك يبقى الأصـل هو النفـور وعدم الركـون والمقاطعـة وصـولاً إلـى المقاومـة والتصدي.

مسؤولية الحوزات العلمية

- **سماحة الشيخ ما هي بنظركم المسؤوليات التي تقع حالياً على عاتق الحوزات العلمية الشيعية تجاه العالم الإسلامي؟**

المسـؤولية الأولـى تتعلـق باكتشـاف المفاهيـم والأفـكار والأحكام الشـرعية، حول القضايا المسـتجدة، لمعالجـة المشـاكل المعاصرة، التي تعيشـها الأمة الإسـلامية، بـل والعالم ككل.

لكـن الواقـع أن الكثيـر مـن المواضيـع والبحـوث والدراسـات التي يتـم تداولهـا فـي الحـوزات العلمية، هـي مواضيع مكـررة، وقد أشـبعت بحثـاً ونقاشـاً ومعالجـة، خصوصـاً فـي مجـال بحـوث الخـارج، حيـث يبـدل العلمـاء والفقهـاء والمجتهـدون جهـداً كبيـراً فـي مناقشـة مواضيع الطهـارة والصـوم، وعـدداً مـن المواضيـع التـي لهـا علاقـة بالعبـادات والمعامـلات. ونحـن لا نطالب بوقف البحـث والدراسـة، ومعالجة هذه

الأبـواب الفقهيـة. لكـن ينبغـي الالتفـات والاهتمـام بالأبـواب الجديـدة فـي الفقـه، التـي تفرضهـا تطـور الحيـاة، ومـا ينجم عن هـذا التطـور من مشـاكل وقضايـا، تحتـاج إلـى حلـول ومعالجـات شـرعية. لذلـك نحـن نثمـن ونقـدر عاليـاً توجهـات سـماحة المرجـع السـيد محمد الشـيرازي حفظـه اللَّـه، لأنـه اهتـم بأبـواب جديـدة فـي الفقـه الإسـلامي، وبحثهـا وناقـش مواضيعهـا بعلمية، بـل وألف كتبـا حولها مثل: (الفقـه: القانون)، (الفقـه: الحقوق)،(الحريـات)، (الدولـة الإسـلامية)، بالإضافـة إلى كتبه حـول الاقتصـاد والاجتماع والسياسـة.

فالمطلـوب مـن الحـوزات العلميـة أن تولـي اهتمامهـا بالبحـث، واكتشـاف مفاهيم الإسـلام العامـة، وأحكامه بشـكل شـمولي، لا يقتصر علـى بـاب، أو مجموعـة معينـة مـن الأبـواب الفقهيـة، وهذه المسـؤولية تسـتتبع وتتطلب ضـرورة إعـادة جدولة البحـوث الفقهية داخـل الحوزة، وإعـادة منهجـة الدراسـات العلميـة، التـي تحظـى باهتمـام الطلبـة والدارسـين. لمـاذا مثـلاً لا تـدرس حقوق الإنسـان مـن الناحية الشـرعية ؟ طبعـاً ليـس لدينـا منهـج لتدريس هـذه المـادة لأن البحـوث حولها غير متبلـورة بشـكل مفصـل، بسـبب الإهمـال التاريخـي.

وهكـذا الأمـر بالنسـبة للجانـب الاقتصـادي، وكل ما يتعلق بشـؤون المجتمـع، وإدارة الدولـة الحديثة.

المسـؤولية الثانيـة التـي تقـع علـى عاتـق الحـوزات العلميـة، تتعلق بإعـداد القـادة وبنـاء الكـوادر الإسـلامية، المؤهلـة لقيـادة الشـعوب والمجتمعـات المسـلمة. ولا شـك أن الحـوزة مطالبـة كذلـك بتخريـج العلمـاء الذيـن يقومـون بهداية النـاس، وإرشـادهم وتوجيههـم، للالتزام

بقيم الإسلام ومبادئه، وهذه حاجة ملحة الآن، بسبب ظروف التخلف والغزو الثقافي الغربي، والضياع والخواء الروحي، الذي تعيشه شريحة واسعة من الناس.

ولابد من الإشارة هنا إلى المؤهلات التي ينبغي أن تتوفر في هؤلاء العلماء، فليست العبرة في امتلاك قدر كبير من المعلومات فقط، وإنما لابد من الالتزام بالإسلام شكلاً ومضموناً، ومراعاة الجوانب الأخلاقية والاجتماعية.

المسؤولية الثالثة تتعلق بتحمل دور الريادة والقيادة في دعوة الأمة، وتوجيهها نحو طريق الخلاص والدفع بها باتجاه التقدم والتطور، ولا شك أن المسؤولية تقع هنا بشكل كبير على المراجع وعلماء الدين، وأهمية تفعيل دورهم ونشاطهم العلمي والاجتماعي داخل الأمة.

ولاية الفقيه

- **سماحة الشيخ بالنسبة لطبيعة النظام السياسي في زمن الغيبة ما رأيكم في مبدأ ولاية الفقيه العامة والنظرية الأخرى، المقترحة، والتي تفضل ولاية عدد من الفقهاء ممن تتوفر فيهم الشروط المعتبرة، بدل فقيه واحد؟**

تُعرف أحكام الإسلام من خلال الاستنباط والاجتهاد، فالعلماء والمجتهدون الذين يستنبطون أحكام الإسلام ومبادئه، لهم آراء مختلفة حول نظرية ولاية الفقيه العامة، أي قيادة المجتمع سياسياً، والإشراف على جميع مناحي الحياة الاجتماعية والدينية، فالأكثرية من الفقهاء لا يرون الولاية المطلقة للفقيه، وإنما ولاية محددة في

الأمـور الحسـبية وبعض المـوارد، أما إدارة شـؤون الأمة بشـكل عام فهم يختلفـون حولهـا. وبالإضافـة إلى من يـرى الولاية المطلقـة للفقيه، هناك رأي أو نظريـة أخـرى، لعلهـا تتناسـب أكثـر مـع تطـور العصـر، وأوضاع المسـلمين فـي كل مـكان، وقـد تكـون أقـرب إلى تحقيـق مبدأ الشـورى الإسـلامي، ونقصـد بهـا ولاية مجموعـة من الفقهـاء بدل الفقيـه الواحد.

ثغرات التطبيق

- **يرى بعض العلماء والمختصين بأن نظرية ولاية الفقيه العامة قد فشلت على المستوى الواقعي، وقد انعكس هذا الفشل على بنائها النظري... كيف تقيمون وجهة النظر هذه؟**

فـي البدايـة ينبغـي معرفة أن الظـروف والعوامـل الواقعيـة المختلفة، لهـا تأثيـر علـى مدى سـلامة تطبيـق أي نظريـة، وتسـاهم إما فـي نجاحها علـى أرض الواقـع، أو تؤثر عليها سـلباً، وتؤدي إلى فشـلها. ثانياً حصول الأخطـاء أو وجـود الثغـرات أثنـاء الممارسـة والتطبيـق لا يعنـي فشـل النظريـة وانهزامهـا النهائـي. لأن العوائـق الخارجيـة والمشـاكل الداخلية المسـتعصية التـي تعيشـها الأمـة، يمكنهـا أن تعيـق وتسـاهم فـي تعثر أي نظريـة ومنها نظريـة ولايـة الفقيه.

لذلـك فنجاح أي نظريـة مرتبط بتصحيـح الخطأ، ومعالجـة الثغرات والنواقـص، وتجـاوز حـالات الفشـل المؤقـت، والعمـل علـى تغييـر الأسـاليب عنـد التطبيق.

إذن لا يمكـن الاسـتدلال على فشـل النظريـة ببعض مظاهر الفشـل، فـي جانـب مـن الجوانـب، وإنمـا ينبغـي معالجـة العوامل التي سـاهمت

فـي الفشـل أو القصور، والكشـف عـن الظـروف الموضوعيـة، للوصول إلـى تقويـم حقيقـي نسـتطيع من خلالـه أن نحـدد نقـاط القـوة والضعف في أيـة نظريـة عنـد التطبيق.

ولاية الفقيه والاستبداد

- **يرى البعض بأن ولاية الفقيه المطلقة تؤدي إلى الاستبداد السياسي.... إلى أي حد يمكن اعتبار ذلك صحيحاً؟**

إذا طبقـت ولايـة الفقيـه العامـة مـع مراعـاة الضوابـط والحـدود الشـرعية، ولم تتجـاوز أي مفهوم من المفاهيم الإسـلامية، فإنها سـتكون حينئـذ بعيدة عـن الاسـتبداد.

وإذا مورسـت فـي إطـار الشـورى والحفاظ علـى الحريـات العامة، واهتمـت بالحقـوق الشـرعية للناس، ومنهـا حقهم في انتخـاب من يتولى إدارة شـؤونهم، فلـن يكون هنـاك أي مظهر مـن مظاهر الاسـتبداد. لذلك فالتطبيـق السـيئ، والممارسـات التـي تتعـارض مـع مفاهيـم الإسـلام وقيمـه، هـي التـي تؤدي إلـى السـقوط في الاسـتبداد.

شورى الفقهاء

- **يرى البعض بأن الاستبداد يأتي نتيجة التطبيق والتفرد في اتخاذ القرارات، لذلك يطرح بديلاً مغايراً يتمثل في شورى الفقهاء المراجع، باعتبارهم سيكونون الأقدر على التصدي جماعياً لمشاكل الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.**
- **بنظركم ما هي إيجابيات هذا الطرح وآثاره الواقعية على المستوى السياسي؟**

مما لا شك فيه أننا إذا خيّرنا بين ولاية فقيه واحد أو أن يكون التصدي العام شورى بين مجموعة من الفقهاء المراجع، فإن النظرية الثانية أكثر تماشياً مع معطيات التطور المعاصر. لكن ينبغي مراعاة المعطيات الموضوعية التي تساعد على تقبل هذا النهج والأسلوب الشوروي، فما نعرفه عن الوضع الحوزوي والمحيط الذي يعيش فيه المراجع، وعقليات الحواشي المحيطة بهم، كل ذلك يجعل عملية تنفيذ نظرية شورى المراجع صعبة جداً، فالعمل ينبغي أن يوجه لتغيير هذه الأجواء والظروف، لكي يصبح الوضع أكثر ملاءمة وتحسناً، بحيث يمكنه أن يتقبل حالة التشاور وتبادل الرأي بين الفقهاء، ومن ثم يمكننا الحديث مستقبلاً عن شورى المراجع والفقهاء، الذين سيتصدون في إطار مجلس لإدارة شؤون الأمة. ومع الأسف الشديد نحن نلاحظ أن عدداً من المراجع المقيمين في الحوزات العلمية ليس بينهم أي تشاور وتبادل للرأي، ولا وجود لأي حوار بينهم، إلا فيما ندر. بل حتى مع الظروف الصعبة التي يعيش فيها عدد منهم في النجف الأشرف بالعراق، لم نجد أي مبادرات للتلاقي والحوار، أو التعاون فيما بينهم لمواجهة هذه الظروف. وهذا الوضع لا يختص بالمراجع فقط بل يمتد ليشمل عدداً كبيراً من الشخصيات العلمية البارزة، فلا وجود لحالة التلاقي والتشاور إلا نادراً جداً.

إذن فالوضع لم ينضج بعد، وغير مستعد لتقبل حالة التشاور القيادي، كما تقترحه نظرية شورى المراجع. ويخشى من النتائج السلبية إن تم فرض هذا التلاقي أو الحوار على هؤلاء المراجع والعلماء وهم بعد غير مستعدين نفسياً وفكرياً لتحقيق هذا التلاقي

والحـوار المطلـوب.

القيادة الجماعية

- **في الفترة الأخيرة وبسبب بعض المظاهر والممارسات السلبية عند التطبيق، ظهرت دعوات تؤكد على ضرورة تقييد سلطة الولي الفقيه... ما رأيكم في ذلك؟**

هـذه القضيـة متفرعـة ولهـا تداعيـات كثيـرة، أولاً لأن الفقهـاء قـد يختلفـون فـي اسـتنباط الأحـكام مـن الشـريعة، وهـذا هـو الواقـع كمـا نعلـم ونشـاهد، ثانيـاً لابـد مـن وجـود اختـلاف فـي الـرأي والتفكيـر والتحليـل أثنـاء معالجـة القضايـا السياسـية والاجتماعيـة، لذلـك تبقـى القيـادة الجماعيـة واجتمـاع العقـول للتـداول والحـوار ومعالجـة قضايا المسـلمين، أفضـل بكثيـر مـن أن يتحملهـا فقيـه واحـد بمفـرده.

الرأي الآخر

- **هل يعني فتح باب الاجتهاد إمكانية أن يفتي الفقيه المجتهد بما توصل إليه وإن كان مخالفاً لفتوى أو حكم الحاكم الإسلامي (الولي الفقيه). وبمعنى آخر هل يحق للفقهاء الإفتاء بما يخالف رأي الفقيه المتصدي للحكم؟**

بالطبـع إذا وجـد فقيـه حاكـم تجتمـع فيـه الشـرائط المعتبـرة، فـي المرجعيـة والقيـادة، وهـو متصـد وحاكـم للأمـة، رأيـه فـي هـذه الحالـة يكـون نافـداً. لكـن ذلـك لا يعنـي أنـه لا يحـق لأي مجتهـد أن يكـون لـه رأي مخالـف أو مغايـر، إن مبـدأ الاختـلاف العلمـي وارد فـي الإسـلام، كمـا هـو الواقع لـدى اختـلاف المجتهدين عبـر الأزمنة، لذلـك لا يمكن

مصـادرة هـذا الحـق الشـرعي. حتـى مـع وجـود الفقيـه الحاكـم الجامع للشـرائط، ينبغـي أن تتـاح الفرصـة لسـائر الفقهـاء والمجتهديـن لإبـداء آرائهـم العلميـة، في جميـع المجـالات الفقهية والسياسـية، بـل لا يمكن مصـادرة أو منـع عامـة النـاس مـن حقهم فـي إبـداء آرائهم، فـي جميع ما يتعلـق بإدارة شـؤونهم العامـة. لكن المسـألة تتعلق حينئـذ أن تؤخذ بعين الاعتبـار المصلحـة العامة عند إبـداء أي رأي مخالف. ومراعـاة الظروف والمعطيـات الواقعيـة، بحيـث لا يخدم هذا الرأي حالة سـلبية أو يتسـبب فـي انفجـار فتنة تضـر بالمصالح الأساسـية للدولة الإسـلامية. أما البحث العلمـي وإبـداء الـرأي فـي ظـروف موضوعيـة ملائمـة، فإنـه يعتبـر حالة إيجابيـة يفتـرض أن يشـجع عليهـا لأنها لـن تتعـارض مع مصالـح الأمة.

إيجابيات التشاور

- **ما هي الإيجابيات التي يمكن أن تظهر في حالة تطبيق نظرية شورى الفقهاء؟**

أهـم الإيجابيـات الاسـتفادة مـن الآراء المختلفـة والمتنوعـة التـي تنجـم عـن حالة التشـاور وتبـادل الآراء بين الفقهـاء والمراجـع. وقد جاء فـي الحديـث: «مـا اجتمعـت العقـول علـى شـيء إلا أدركته».

فحالـة التشـاور بيـن الفقهـاء تتيـح لنـا الفرصـة للوصول إلـى الرأي الأصـوب، بالإضافـة إلـى الاسـتفادة مـن مختلـف الطاقـات الفكريـة والاجتهاديـة الموجـودة فـي الأمـة.

هنـاك جانـب آخـر لا يقـل أهمية وهـو جمع شـمل الأمـة، لأن لكل فقيـه أو مرجـع أتباعـاً ومقلديـن، ولـه حضـور فـي السـاحة، ويتحكم في

توجيه شريحة من الناس، وكثيراً ما تسود القطيعة، وبعض المشاحنات بين الاتباع المقلدين، بسبب بعض الاختلافات المنقولة والمزعومة بين المراجع، إذن وجود مجلس يجمع هؤلاء الفقهاء، وتتم فيه مناقشة القضايا التي تهم الساحة الإسلامية، يحقق أولا الانسجام داخل الساحة الشعبية الإسلامية وهذه فائدة سياسية، ويقضي على بعض الظواهر السلبية كما قلنا، ويحقق كذلك فوائد علمية مهمة عندما يتم تداول الرأي للوصول إلى الرأي أو الحكم الأقرب إلى الصواب والواقع.

بين الشورى والاستبداد

▼ **ما هو الحد الفاصل بين الشورى والاستبداد في الإسلام؟**

الاستبداد إلغاء لرأي الأمة، واستهانة باختياراتها، وانتهاك لكرامة الناس والمواطنين، فما يراه ويفعله المستبد هو الحق، هو المعمول به، أما مشاركة الأمة فلا تتجاوز حدود الطاعة والخضوع لأهواء المستبد ورغباته، التي تصبح تشريعاً وقانوناً يتحكم في مصائر الناس، ويوجهها لخدمة أهدافه الشخصية، وأهوائه وأحلامه في الملك والتسلط. أما الشورى فأبسط تعريف لها، أنها الأخذ بعين الاعتبار آراء الناس في اتخاذ القرارات، التي تتعلق بإدارة شؤونهم السياسية والعامة، والحكم برضاهم.

الشورى والديمقراطية

▼ **هل الشورى هي الديمقراطية، أم أن هناك فوارق واختلافات بين المصطلحين والمفهومين؟**

أولاً ليس هناك تعريف موحد للديمقراطية، ففي العالم هناك صيغ متعددة ومختلفة للديمقراطية، لكن قد يكون بين هذه الصيغ عناصر مشتركة، مثل إعطاء الحق للناس أو النواب المنتخبين، لممارسة التشريع وإصدار القوانين المتعددة وتنفيذها، وهنا يكمن الاختلاف بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية، فحق التشريع في الإسلام ليس للناس أو من ينتخبونهم، وإنما التشريع حق إلهي فهو سبحانه وتعالى المشرع وواضع القوانين، ولا يمكن للناس أن يشرعوا أحكاماً مخالفة لما أنزل اللَّه في كتابه وسنة رسوله ﷺ والشورى هنا تتعلق بالتشاور وتبادل الرأي في أساليب تطبيق الشريعة، وتشخيص الواقع واستنباط الأحكام من مصادرها المعتبرة وإنزالها على الوقائع المشخصة بدقة.

هذا هو الفرق الأساسي فالتشريع ووضع القوانين في الإسلام مقيد ومحدد، لأنه ينطلق من قاعدة الإيمان، والالتزام بالوحي، ولا يتجاوز ذلك إلاّ في إطار حددته الشريعة وهو الاجتهاد الشرعي لاستنباط الأحكام لمعالجة مناطق الفراغ التشريعي.

الشورى في جميع المجالات

- **هل ترون أن الشورى ضرورية لإدارة المؤسسات والهيئات داخل الدولة الإسلامية؟**

بطبيعة الحال، لأن ممارسة الشورى في إجراء جميع الشؤون العامة والخاصة أمر له فوائد كثيرة، كما أن الشورى لا تعني أبداً فتح الباب أمام الفوضى والتسيب. لابد من وجود أنظمة وقوانين تسير عليها هذه المؤسسات والإدارات، وممارسة الشورى هنا تمّكن من الاستفادة من

أكبر عدد من الآراء والأفكار، وتفسح المجال أمام الطاقات المبدعة للمشاركة بحرية وفاعلية. فالشورى لا يمكن أن تتعارض مع النظم والقوانين المنظمة لعمل هذه الإدارات والمؤسسات.

المرجع والأمة

▼ **كيف ترون وضع العلاقة بين المرجعية الدينية والمجتمع، وما هي المسؤوليات المتبادلة بين المراجع والناس؟**

بالنسبة لمسؤولية المراجع تجاه الناس، فتتحدد أولاً في إيضاح معالم الدين والشرائع والإجابة على تساؤلات الناس الشرعية، بالإضافة إلى الدفاع عن الفكر الديني، ورد شبهات الخصوم ومغالطاتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الاهتمام بمشاكل الناس والقضايا التي تعرض لهم، لأن المرجع لا ينبغي أن يعيش بعيداً عن الناس منزوياً في برج عاجي، بل لابد من تواجده المستمر في الساحة ومعالجة مشاكل الناس. أضف إلى ذلك الأخذ بيد الناس ودفعهم باتجاه التقدم والتطور للخروج من حالة التخلف الحضاري الذي تتخبط فيه الأمة. أما بالنسبة لمسؤولية الناس تجاه المراجع، فالتفاعل مع برامج المراجع، والاستجابة والانخراط في مشاريعهم الاجتماعية والتربوية وفي غيرهما من المجالات، والعمل على إنجاحها والاستفادة منها، بالإضافة إلى إبداء النصيحة لهم، وإطلاعهم على حقيقة الأوضاع التي يعيشها المسلمون خصوصاً في المناطق النائية والبعيدة عن الأضواء. حتى يتمكن المراجع من معرفة أحوال المسلمين في جميع المناطق والأماكن، والمساهمة في إيجاد الحلول لمشاكلهم. وبشكل عام ينبغي على الناس أن ينفتحوا على المرجعية وأن يلتفوا حولها

ويتفاعلـوا مـع برامجها.

الحركات الإسلامية والمرجعية

- **سماحة الشيخ كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين الحركات الإسلامية وبين مراجع التقليد؟**

مبدئيـاً يفتـرض أن تعمـل الحـركات الإسـلامية فـي ظـل المرجعية، لاحتيـاج هـذه الحـركات للأحـكام الشـرعية التـي تؤخـذ مـن الفقهـاء المراجـع، لذلـك لابـد مـن التـزام الحـركات الإسـلامية وقياديهـا بجهة مرجعيـة، يرجعـون إليهـا فـي احتياجاتهـم الشـرعية. مـن جهـة أخـرى ينبغـي أن يكـون هنـاك ترابـط وتنسـيق بيـن هـذه الحـركات والمرجعية، فالمرجعيـة تمتلـك الشـرعية والنفـوذ داخـل السـاحة الاجتماعيـة، والحـركات لديهـا الفاعليـة، والقدرة علـى التحرك والعمل بنشـاط داخل هـذه السـاحة كذلـك. وبإمكانهـا أن تكـون الـذراع والعضـد للمرجعيـة، والمرجعيـة بدورهـا تسـتطيع أن تكـون غطاء لنشـاطات هـذه الحركات. لذلـك ينبغـي أن تتفهـم المرجعيـة دور الحـركات ومـا يمكـن أن تقوم به داخـل السـاحة مـن نشـاط فعـال لكـن بعـض المراجـع الذيـن يفكـرون بطريقـة تقليديـة غيـر منفتحـة علـى تطـورات الواقـع، لا يدركـون أهميـة وجـود تنظيمـات وحـركات إسـلامية اليـوم. لذلـك يضعف التنسـيق بين الحـركات والتنظيمـات الإسـلامية وهـؤلاء المراجع. لكن هـذا الواقع لا يمنـع من زيـادة انفتاح هذه الحـركات علـى المرجعية وضـرورة التعاطي والتنسـيق معهـا، للوصـول إلى تعاون حقيقـي وفاعل بيـن الطرفين، وهذا سـتكون لـه إيجابيـات كثيـرة علـى المسـتوى الواقعـي والاجتماعي.

أمـا عندمـا ينعـدم التنسـيق بيـن الجانبيـن فهـذا ينعكـس سـلبا علـى

الحالـة الدينيـة بشـكل عـام، لأن الحـركات الإسـلامية تعتبـر مـن مراكز القـوة داخـل المجتمـع، والتعـاون والتنسـيق معهـاً يمكّـن المرجعيـة من أسـاليب جديـدة للعمـل وتوجيـه الجماهيـر.

نحو مبادرات عملية

- **كيف نصل إلى حكومة شورى المراجع، وهل الاجتهادات المختلفة للمراجع من شأنها أن تجعل قرارات الحكومة الإسلامية تستفيد من خبرة المراجع وتنوع اجتهاداتهم؟**

الوصـول إلـى حالـة التشـاور والتحـاور والتلاقـي بيـن الفقهـاء والقيـادات الدينيـة، يحتـاج إلـى أمريـن، الأول وعـي السـاحة والأمـة بأهميـة هذا التشـاور واللقـاء، وهذا الأمـر لا يتحقق بين عشـية وضحاها، بـل يحتاج إلـى جهود مكثفـة، من خطابات ونـدوات وكتابات ونقاشـات طويلـة، حتـى تسـود القناعـة بأهمية ذلـك داخل الأوسـاط العامـة، وبين النخـب وقيـادات الأمة.

الأمـر الثانـي نحـن فـي حاجـة إلـى مبـادرات عمليـة تتكـرر علـى المسـتوى الواقعـي، وتصبـح حالـة مألوفـة ومتعارفـة، لذلـك ينبغي على العلمـاء أن يضعـوا إطـاراً للتعاون والتشـاور فيما بينهم، وهناك مناسـبات وأماكـن كثيرة يمكن أن يتـم فيها اللقاء مثل إداراة الحوزات والحسـينيات أثناء مواسـم الاحتفالات الدينية وغيرها من مناسـبات الوعظ والإرشـاد، لمـاذا لا يجتمـع العلمـاء والخطبـاء ويتشـاورون حـول المواضيـع التـي تشـغل السـاحة الإسـلامية؟ ويتبادلون الرأي حول الأولويات، وينسـقون سـبل التعـاون بينهـم؟ الحالـة السـائدة هـي الاعتـزار بالرأي الشـخصي، وإهمـال الـرأي الآخر، وعـدم الالتفات إليـه أو اعتباره. نحـن إذن بحاجة

إلى سعي عملي ميداني على أرض الواقع، لنجعل الوسط الديني يدرك أهمية التشاور والحوار، ولن تفيدنا الشعارات والدعوات للعمل الجمعي دون القيام بمبادرات عملية، هذه هي المقدمات الضرورية للحديث عن نجاح مشروع شورى الفقهاء المراجع.

التعددية والاستقرار السياسي

- **ما رأيكم في التعددية الحزبية، وهل يمكن اعتبارها وسيلة فضلى لإدارة الحكومة؟**

التعددية هي الحالة الطبيعية، وبدونها سيكون البديل هو القمع والكبت، في كل مجتمع هناك فئات قد تتبنى أو تؤمن بأفكار ونظريات، هذه الفئات إذا لم يتح المجتمع لها الفرصة للتعبير عن قناعاتها واختياراتها السياسية والفكرية بشكل علني، ستتجه إلى التعبير عن ذلك بطرق سرية، إذا لم تكن الفرصة متاحة إلا لقوة واحدة مهيمنة أو جهة معينة، فإن باقي القوى لن تتنازل عن اختياراتها بل ستلجأ إلى العمل السري، وستنشط خلف الكواليس، وتعمل على معارضة القوى المهيمنة بكل الأساليب. أما عندما تكون التعددية مباحة ومشرع لها كما نجده لدى الدول التي تعمل بالتعددية الحزبية، فإن جميع القوى تعمل في وضح النهار، وتكشف عن اختياراتها وآرائها بوضوح، دون خوف أو ارتياب، وبالتالي فلا خوف على القوة الحاكمة من أي عمل تخريبي أو معارض ينمو في الخفاء، وقد أثبتت التجارب التاريخية أن الحكومات مهما امتلكت من أسباب القوة، لا يمكنها أن تجبر الناس على اعتناق آراء وأفكار لا يرغبون في اعتناقها أو الإيمان بها. وعندما توجد فئة تعمل في الخفاء وتحت الأرض، فلا يمكن الحديث عن

الاستقرار السياسي والاجتماعي، لأن هذا الاستقرار قابل للانفجار في أية لحظة.

اختيار القيادة

- **ما هو موقف الإسلام من الانتخابات، وهل يؤيد انتخاب القيادة؟ علماً بأن الإمامة معينة بالنص ولا دخل للاجتهاد أو الانتخاب فيها. وما هو الموقف من ولاية الفقيه؟**

بالنسبة للنبوة والإمامة هناك تعيين إلهي واضح وصريح ولا دخل للانتخاب فيه، والتكليف الشرعي هو الخضوع والامتثال، وبعد عصر الأئمة ودخولنا في زمن الغيبة وعدم وجود نص على شخص معين لتولي منصب القيادة، فالمسألة ترجع إلى انتخاب الناس واختيارهم، حتى بالنسبة للفقهاء الذين تحققت فيهم الشروط المعتبرة، وطالب الشرع بتقليدهم وطاعتهم، خصوصاً عندما تتعدد المصاديق ويكون هناك أكثر من فقيه تحققت فيه المواصفات والشروط الشرعية، فإن وصول واحد منهم إلى سدة الحكم والرئاسة، سيكون عن طريق الانتخاب والاختيار، ولن يكون له حق الأمر والنهي ويتمتع بشرعية القيادة إلا إذا اختارته الأمة وانتخبته.

الأعلمية

- **سماحة الشيخ هل تعتبر الأعلمية شرطاً في هذا الانتخاب؟**

الفقهاء مختلفون في هذه القضية، لذلك فاشتراطها يرجع إلى رأي الفقيه المجتهد، والمستنبط للأحكام الشرعية، هناك من الفقهاء من يشترطون الأعلمية في مرجع التقليد، وفي المتصدي للحكم،

وهناك من لا يشترطها، وإنما يكفي الاجتهاد وتوفر بقية الشرائط الأخرى المعتبرة في منصب القيادة مثل الكفاءة والعدالة، فالمسألة إذن خاضعة للرأي الفقهي الذي يختاره الفقيه ويكون لديه قوياً ومعتبراً.

غياب المؤتمرات واللقاءات

- **ما هو السر في غياب ظاهرة المؤتمرات واللقاءات التي تجمع بين العلماء والمفكرين والمختصين، في عالمنا الإسلامي؟**

السر هو التخلف في المجال الفكري والثقافي، وفي مجال العلاقات، التخلف في أي أمة يكمن في هذين البعدين، في ثقافتها وأفكارها وفي شبكة العلاقات بين مراكز القوة فيها. ونحن نعاني من أزمات خانقة في هذين البعدين. في مجال العلاقات بيننا، نجد أن الواحد منا يعتبر الآخر نقيضاً ومناهضاً له، خصوصاً داخل الوسط الديني، ومن أوجهها السلبية اعتبار بعض الجهات أن الأنشطة التي تقوم بها جهة أخرى إنما هي على حسابها، وعلى حساب نموها ومصالحها، وبالتالي يبدأ التفكير في إيجاد الطرق والوسائل لمنعها عن ممارسة أنشطتها، بل إلغائها وإخراجها من الساحة. وهذا قصور في النظر لأن الساحة تستوعب الكل، وبمقدار العمل والنشاط تأخذ أية جهة مكانتها في الساحة.

هذه الأسباب والمظاهر المتخلفة هي التي تجعلنا لا نهتم بالوسائل والسبل التي تجمعنا من أجل التحاور وتلاقح الأفكار والآراء والاستفادة من تجارب بعضنا البعض.

البحث عن أراء الآخرين

- **سماحة الشيخ هل هناك ضرورة لإقامة المؤتمرات؟ وكيف يمكن جمع أكبر عدد من الأساتذة من الجامعات والحوزات العلمية ورؤساء الأحزاب الإسلامية، وعدد من كبار التجار، للتباحث حول أوضاع المسلمين ومعالجة مشاكلهم؟**

لابد من وجود قناعة ذاتية لدى كل واحد منا، بأن الوصول إلى الرأي الصائب لن يكون عن طريق الانعزال في الصوامع الخاصة، وإنما ينبغي البحث عن آراء الآخرين ومحاورتهم ومناقشتهم. لتكوين صورة متكاملة عن أي موضوع.

والمؤتمرات يمكنها أن تكون وسيلة وإطاراً مناسباً لتحقيق هذا الغرض، أي الوصول إلى الآراء والأفكار الناضجة حول أي موضوع، بالإضافة إلى إمكانية صنع علاقات سليمة بين جميع القوى المختلفة. وتنقية أجواء العلاقات بينها، وعرض الأسس التي يقوم عليها تفكير أي جهة ومبرراتها ومستنداتها، وهذا من شأنه أن يخفف من حدة التشنجات التي تعرفها الساحة الإسلامية بين عدد من القوى والتيارات والأشخاص.

لكن مع الأسف الشديد هناك عائق كبير يقف في وجه عقد وتنظيم هذه المؤتمرات حتى لو وجدت الإرادة لعقدها لدى جميع الفرقاء، ونقصد به العائق السياسي وغياب الحريات، بل الخوف من هذه الحريات على أمن الأنظمة السياسية واستقرارها؟

المؤتمرات نهج حضاري

- **سماحة الشيخ: هل يعتبر تنظيم المؤتمرات اتجاهاً موضوعياً مفيداً، أم مجرد أنشطة وفعاليات غير واقعية، لا تقدم في نهاية المطاف ما يرجى منها؟**

بالنسبة لإقامة المؤتمرات أو تنظيمها، تعتبر الآن من الأنشطة المعمول بها في كل التجمعات الإنسانية، فأغلب بلدان العالم تقيم مؤتمرات متنوعة، بحيث لا يكاد يمر يوم، إلا ونسمع عن تنظيم مؤتمرات في مختلف المجالات والتخصصات. هناك مؤتمرات اقتصادية وعلمية وسياسية، ورياضية وكذلك هناك مؤتمرات ينظمها الهواة في مختلف التوجهات وحتى ذوو الأنشطة المنحرفة والشاذة لديهم ملتقياتهم ومؤتمراتهم، لقد قرأتُ قبل فترة عن انعقاد مؤتمر للسحرة في البيرو، ناقشوا فيه بعض القضايا والمسائل التي تهم مجال نشاطهم.

بل لقد نظم مؤخراً مؤتمر للدفاع عن حقوق المدخنين، وقال القائمون عليه: إن سبب تنظيمهم للمؤتمر هو الرد على الحملة العالمية ضد التدخين، لأن المدخنين يمارسون حريتهم الشخصية أثناء التدخين، ونشرت أخبار هذا المؤتمر في الصحف والإذاعات.

الآن في العالم يعتبر أسلوب إقامة المؤتمرات هو الأسلوب المتبع في جميع الاختصاصات والمجالات، لكن للأسف، الوسط الديني لا يستفيد ـ كما هو مفترض ـ من هذا الأسلوب والنشاط الفعال. في كل بلد نجد غرفة للتجارة والصناعة، يجتمع فيها التجار ورجال الأعمال، ومن خلال هذه الغرفة تقام ملتقيات ومؤتمرات لمعالجة

جميع القضايا التي لها علاقة بهذا القطاع وشؤون أصحابه والعاملين فيه. كذلك هناك نقابة للأطباء والمهندسين، وهذه النقابات تسهر على إقامة اللقاءات والمؤتمرات التي تجمع بين هؤلاء المختصين في مجالاتهم المختلفة.

ويبقى الوسط الديني لم يستفد ـ إلى الآن ـ من هذه الأنشطة والإمكانيات التي تتيحها المؤتمرات، لذلك أكرر أسفي لتخلف الوسط الديني عن هذا الركب، وعن هذه المسيرة، وعدم انتهاجه هذا الأسلوب العملي الناجع في علاج عدد من القضايا والمسائل، والانفتاح على بعضنا البعض مع أننا في أمس الحاجة لمثل هذه الأنشطة من مؤتمرات ولقاءات.

الوعي والفاعلية

▼ **كيف يمكن إنقاذ المسلمين من واقعهم المأساوي؟**

هذا ليس بالأمر الهين أو المتيسر بسهولة، لأن الواقع الإسلامي يعاني من تراكم المشاكل الكثيرة، لابد من تهيئة المقدمات الضرورية للنهوض، ونعتقد أن أهم هذه المقدمات، انتشار الوعي الحقيقي بالواقع وبمشاكله، ومن ثم اقتراح العلاجات والحلول لهذه المشاكل، كل ذلك في إطار من الفاعلية العملية الواضحة والجادة، ليتم تحويل هذا الوعي إلى عامل يؤثر في عملية التغيير، وبالتالي الإنقاذ والخروج من وحل التخلف الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية.

سيرة النبي وسيرة علي

▼ **ما هي خصائص حكومة الرسول الأعظم، وحكومة الإمام أمير**

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وهل لحكومتيهما مميزات ونقاط خاصة تميزها عن باقي الحكومات الديمقراطية في العالم المعاصر الآن؟

التمييز الكبير والأساس، كونهما حكومتين إلهيتين، غرضهما الأول والأخير الدعوة إلى اللّه والخضوع لشريعته وأوامره، هذا من جهة ومن جهة أخرى، قامت حكومة الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من بعده على الإيمان بكرامة الإنسان، واحترام حقوقه المادية والمعنوية، أما بالنسبة لحقوق الإنسان التي تروج لها الحكومات في الغرب، فلابد من الإشارة إلى الجانب الشعاراتي في هذه الدعوات المنادية بحقوق الإنسان، والاستغلال السياسي لهذا الموضوع من جانب بعض الأحزاب الغربية، والوسائل الإعلامية الخاضعة لها، بالإضافة إلى استخدامها كورقة ضغط على بعض الحكومات في العالم الثالث التي لا تنتهج الأيديولوجية الغربية في مجالات الاقتصاد والثقافة والسياسة، بحجة أنها تنتهك بذلك حقوق الإنسان.

وقد تابعنا عبر وسائل الإعلام العالمية والمحلية قضية التحرش الجنسي من طرف رئيس أكبر الديمقراطيات الغربية في العالم. مع أن التحرش له علاقة ومساس مباشر بالكرامة الإنسانية، ويعتبر انتهاكاً لحق من حقوق المرأة العاملة، وضرورة احترامها أثناء تأديتها لنشاطها العملي داخل الإدارات وخارجها. أما في حكومة النبي صلى الله عليه وآله وحكومة وصيه الإمام علي عليه السلام، فهناك التزام حقيقي وصادق بكرامة الإنسان وحقوقه في شموليتها وأصالتها، انطلاقاً من الوحي، باعتباره مصدر الحقوق ومشرعها، وبالتالي فالإيمان بكرامة الإنسان وحقوقه ليست

شعاراً انتخابياً أو مطية يمكن ركوبها لتحقيق أغراض سياسية آنية أو مستقبلية، وإنما هو التزام عقائدي له علاقة بهدفية الوجود الإنساني وغاية الخلق.

بالإضافة إلى كونه يجسد مفهوم العدالة الإسلامية، وهذا ما يؤكده الإمام علي عندما يقول «واللَّه لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللَّه في نملة أسلبها جُلْبَ شعيرة ما فعلته».

مبدأ العفو

- **مبدأ (عفا اللَّه عما سلف)، من المبادئ التي عمل بها الرسول والإمام علي عليه السلام فالرسول عفا عن أهل مكة، لما دخلها فاتحاً، مع أنهم حاربوه سنين طويلة، وأخرجوه منها ومنعوه وأصحابه من دخولها للحج أو الزيارة، ومع ذلك خاطبهم بعد ما دخل مكة قائلاً: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». والإمام علي عليه السلام فعل مثل النبي عندما عفا عن أهل البصرة، نرجو توضيح تأثير تطبيق هذا المبدأ على المجتمع إذا مارسه أهل الحكم والسلطات، خصوصاً مع المعارضات السياسية المتعددة؟**

في البداية لابد من معرفة أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لا ينطلقون في تعاملهم مع الناس، من ردود فعل شخصية مشحونة بالانتقام أو الحقد، أو اتباع الأهواء الشخصية، وإنما تحركهم وتتحكم فيهم دوافع رسالية بعيدة عن الزلل أو الخطأ، لأنهم معصومون، وبما أنهم يعرفون حقيقة الوضع الإنساني، لذلك تراهم رحماء بالناس، صغيرهم وكبيرهم، وهذا ما أكده القرآن في أكثر من آية، مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت رحمة للعالمين» من هنا فالرسول ﷺ والإمام عليه السلام يتعاطيان مع الناس من منطلق الرأفة والرحمة بهم، ولا ننسى قضية الدعوة، فالرسول ﷺ والإمام عليه السلام يأمران الناس بالمعروف واتباع ما أمر اللَّه به والالتزام بقيم السماء، وينهيانهم عن كل منكر أو أي شيء يضر بدنياهم وآخرتهم. إذن فمعاملة الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، للناس بعيدة كل البعد عن ردود الفعل الاعتيادية التي نشاهدها بين الناس، والتي تتحكم فيها عادة مظاهر الانتقام والثأر، وغير ذلك من ردود الفعل النفسية والجسدية، إنهم يسيرون على المنهج الإلهي في كل شيء، لذلك جاء في بعض الأحاديث الشريفة دعوة الرسول ﷺ المؤمنين بالتخلق بأخلاق اللَّه، واللَّه سبحانه وتعالى رؤوف رحيم بعباده، يقبل توبتهم، ويعفو عن زلاتهم، وأبواب رحمته مفتوحة لهم كل ساعة وكل حين، بل إن اللَّه ـ كما جاء في بعض الأحاديث ـ يكون أشد فرحاً عند توبة عبده من فرح رجل ضلت ناقته في الصحراء ثم وجدها.

وفي عدد من الروايات نجد الدعوة إلى التوبة والرجوع عن المعاصي، وأن اللَّه غفور رحيم يقبل توبة عباده الصادقة، مهما اجترحوا من ذنوب. وعلى هذا المنهج سار الرسل والأنبياء والأوصياء لأنهم كانوا يتخلقون بأخلاق اللَّه عز وجل.

إن الإنسان وبحكم ما يحيط به من ظروف ذاتية وموضوعية، وإغواء الشهوات والرغبات والمصالح، يسقط دائماً في الأخطاء سواء الكبيرة منها أو الصغيرة، لذلك فهو في حاجة دائمة للتوبة. إذن فمبدأ

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

عفى اللَّه عما سلف من القيم الإسلامية الأصيلة التي حث عليها القرآن ومارسها الرسول ﷺ والأئمة، واتباع الرسل والأئمة والاقتداء بهم يفرض علينا نحن كذلك أن نمارسه في حياتنا العامة، كأفراد ومؤسسات، وأحزاب وحكومات ودول، وقد تبين أن ممارسة هذا المبدأ في حياة الشعوب، أدت إلى نتائج طيبة ومفيدة للفرد وللمجتمع الذي يعيش فيه، ولو طبقته الحكومات والدول الإسلامية مع الأفراد أو الجماعات ممن يحسب على المعارضات السياسية فإنها ستحصد لا محالة نتائج إيجابية، وسيتم القضاء على عدد من المشاكل والأزمات التي لا طائل من إبقائها أو استمرارها.

هذا بالإضافة إلى أن مبدأ العفو عما سلف، يتجاوز الحالة السياسية أو غيرها من الحالات الجزئية في الحياة الإنسانية، لأنه يعكس حالة نفسية وفكرية عميقة ومتأصلة، ولها بواعث إنسانية وعقائدية، وتتمثل في الرغبة في استهداف الرحمة بالناس، وإتاحة الفرصة لهم لتصحيح أخطائهم، والرجوع عما وقعوا فيه من زلل وشطط، أو أعمال مضرة بغيرهم، للانطلاق من جديد، وإعطائهم الفرصة لإعادة النظر في أعمالهم ومواقفهم، وتقويمها والبحث عن سبل جديدة أو مواقف مغايرة، قد تكون مفيدة وصالحة وأفضل مما سبق. ولا شك أن ممارسة هذا المبدأ على المستوى الواقعي، يتيح فرصاً أكبر لإشاعة الأمن والاستقرار والاطمئنان النفسي والاجتماعي والسياسي كذلك.

الجاليات الإسلامية في الغرب

- **دفعت الأوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة التي تعيشها معظم**

الدول الإسلامية عدداً كبيراً من المسلمين للهجرة إلى الدول الغربية، بحثاً عن الرزق أو الأمن السياسي.

▼ **هل كانت نتائج هذه الهجرة سلبية أم إيجابية؟**

في الماضي كانت النتائج سلبية في الغالب، لأن عدداً كبيراً ممن هاجر بحثاً عن الرزق، أو لظروف أخرى ضاغطة، سرعان ما ذاب في المجتمعات الغربية، واستوعبته ثقافتها وتقاليدها المغايرة للإسلام، والسبب يعود إلى الحالة الدينية الضعيفة آنذاك، وضعف الالتزام الديني، وغياب المعرفة بالقيم الدينية، نتيجة عوامل متعددة ليس هنا محل تفصيل القول فيها، لكنها ترتبط بشكل أو آخر، بالتخلف الحضاري العام الذي سقطت فيه الأمة الإسلامية، وأدى بها في نهاية المطاف إلى السقوط في براثن الاستعمار الغربي، الذي عمل كل ما في وسعه للقضاء على الهوية الدينية للشعوب الإسلامية، وحاول توجيهها لاعتناق قيمه المادية، وما يروج له من نظريات وأفكار، تتعارض مع قيم الدين الإسلامي ومبادئه. وهذا الضعف والتخلف من جانب، والتقدم والتطور المادي الغربي من جانب آخر، ساعد على انتشار ظاهرة الانبهار بالحضارة الغربية المتطورة والمتفوقة، وكان من نتائج هذا الانبهار والارتماء في أحضان الثقافة الغربية، الابتعاد شيئاً فشيئاً عن قيم الإسلام وثقافته ومثله، هذا ما وقع داخل العالم الإسلامي وعلى نطاق واسع. أما الذين هاجروا إلى الغرب وعاشوا في كنف حضارته وبين مجتمعاته، فسرعان ما كانت مظاهر هذه الحضارة تجذبهم بسرعة فيذوبون في قيمها الجديدة، ويتخلفون عن التزامهم بالدين وقيمه وأخلاقه، ويضربون بتقاليدهم العربية

والإسلامية عرض الحائط. وهذا التحول كان يترك انطباعاً سيئاً وسلبياً جداً تجاه الإسلام داخل المجتمعات الغربية.

أما في الآونة الأخيرة ونتيجة انبعاث الصحوة الإسلامية، وانتشار مظاهر الالتزام بالقيم الدينية على نطاق واسع، فإن الهجرة إلى الغرب لم تعد كما كانت في الماضي، لقد تغيرت المعادلة بشكل كبير وملفت للنظر، إن هذه الصحوة الإسلامية انتشرت كذلك في بلاد المهجر وفي وسط المهاجرين المسلمين، وتوسعت كذلك ظاهرة اعتناق الإسلام من طرف الغربيين، الذين اهتموا بدورهم بالدعوة للدين الإسلامي، باعتباره يمتلك المخزون الروحي الذي يمكنه معالجة المشاكل النفسية، والفراغ الروحي، الذي تعاني منه المجتمعات الغربية، وهكذا فقد بدأت النظرة إلى الحضارة الغربية تتغير، كلما ازدادت ثقة المسلم في دينه وحضارته وذاته، وإمكانية الانبعاث من جديد والخروج من حالة الضعف والتخلف.

وقد استفاد عدد ممن هاجر إلى الغرب من هذه الحالة الجديدة، فازداد وعيهم وبصيرتهم بالحضارة الغربية، فعرفوا مواقع القوة فيها، كما استطاعوا الكشف عن نقاط ضعفها، ومكامن الانحطاط في منطلقاتها وتوجهاتها. وهذا ما ساعد عدداً منهم على ترشيد الدعوة والتبليغ للإسلام، والدفاع عن قضايا الشعوب الإسلامية، بحيث استطاعوا أن يغيروا ـ إلى حد كبير ـ النظرة السلبية القديمة حول الإسلام من طرف الغربيين، وبدؤوا ينشرون الحقائق الموضوعية عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية. وهذا الوضع الجديد ترك آثاراً إيجابية على وضع الإسلام والمسلمين في العالم بشكل عام. لذلك نحن متفائلون

الآن للنتائج التي يمكن أن يسفر عنها النشاط الدعوي والتبليغي الذي يمارسه بعض الأفراد والجهات داخل أوساط المهاجرين في البلدان الغربية، وأملنا أن ينمو هذا النشاط ويتوسع وينضج بشكل أفضل، لكي يصبح هؤلاء المهاجرون سفراء حقيقيين للإسلام في تلك البلدان، وداخل تلك التجمعات الإنسانية، التي هي في أمس الحاجة إلى الهداية والتعرف على قيم الوحي ومبادئ الرسالة المحمدية.

استيعاب الخبرة العلمية

- **سماحة الشيخ كيف يمكن استثمار هذه الهجرات في مجال الدعوة للإسلام والاستفادة من العلوم الحديثة من خلال الدراسة في الجامعات الغربية المختلفة؟**

بالطبع يمكن الاستفادة من هذه الهجرة في عدد من المجالات، ومنها نشر الدعوة الإسلامية، لكن بشرط أن يتخلص المهاجرون المسلمون من مختلف السلبيات التي يعايشونها في مجتمعاتهم، والاكتفاء بنقل جوهر الإسلام وصفائه وقيمه السمحة والمتعالية، إلى المجتمعات التي يهاجرون إليها ويعيشون بين شعوبها. أما إذا اصطحبوا معهم سلبيات واقعهم والعناصر الموبوءة، والتي تعتبر من المظاهر المرضية داخل مجتمعاتهم، فإنهم لن يتمكنوا من تحقيق أي شيء يذكر في مجال الدعوة للإسلام، بل ستنعكس هذه السلبيات على النظر إلى الإسلام وأهله، بالإضافة إلى أن وجودهم سيظل هامشياً، كما نلاحظ الآن في عدد من بلدان المهجر.

أما إذا استطاعوا التخلص من هذه السلبيات والمظاهر التي تعمقها وترسخها، وانفتحوا على الحياة واستفادوا من الحقائق

العلمية، وتفاعلوا مع محيطهم الجديد بإيجابية، وسادت بينهم قيم التعاون والتفاهم واللقاءات المفيدة، فإنهم بلا شك سيشكلون الجسر الذي سيربط بين الأوضاع في بلادهم، وبين الأوضاع المتقدمة في بلدان المهجر، وعليهم كذلك تقع مسؤولية نقل العلوم والتكنولوجيا المتطورة من البلدان المتقدمة صناعياً وعلمياً إلى بلدانهم، التي هي في أمس الحاجة إلى معرفة هذه العلوم، والاستفادة، منها للخروج من حالة التخلف العلمي والصناعي.

وهناك ملاحظة لابد من الانتباه إليها، وهي أن الغرب ومؤسساته العلمية والصناعية، يحرص بشكل كبير على عدم نقل التقنية المتقدمة إلى البلدان الخارجة عن دائرته الحضارية، وفي المقابل يعمل على استقطاب الكفاءات والعقول المبدعة، التي تظهر وتبرز أثناء التحصيل العلمي، وبعض المؤسسات العلمية تقدم إغراءات مادية كبيرة لهذه الكفاءات المهاجرة، لصرفها عن العودة إلى أوطانها والاستفادة منها. والأمثلة على ذلك كثيرة، حيث فضل عدد من الطلبة البقاء في بلدان المهجر والاستقرار بها والعمل هناك، على الرجوع إلى بلدانهم والمساهمة بما اكتسبوه من علم وخبرة، في تقدم بلدانهم وتطورها.

بالإضافة إلى أن عدداً من المؤسسات العلمية والجامعية في الغرب، والتي تدرّس بعض الاختصاصات العلمية الدقيقة والمهمة، لا تسمح للطلبة من العالم الثالث، وخصوصاً الطلبة المسلمين منهم، بالالتحاق بها، ولو كانوا من أبناء المهاجرين المقيمين رسمياً هناك لمدد طويلة، وقد حصل البعض منهم على جنسية البلد الذي هاجر إليه، وأصبح قانونياً مواطناً له من الحقوق ما لأبناء بلد المهجر،

لكـن الخـوف مـن نقـل هـذه العلـوم والاختصاصـات الدقيقـة، يضـل هاجسـاً لـدى المؤسسـات الغربيـة، لذلـك لابـد للمهاجرين المسـلمين، وخصوصـاً طلبة العلـم منهم، أن يعوا هذه المشـاكل والعقبـات، ويعملوا علـى تجاوزهـا، حتـى يتمكنوا فعلاً مـن إفـادة مجتمعاتهم بعـد تخرجهم ورجوعهـم إلـى أوطانهـم، ليسـاهموا فـي تطورهـا وتقدمها.

الحفاظ على الهوية

- **سماحة الشيخ كيف يتمكن المسلمون في الغرب من المحافظة على وجودهم الديني وتماسكهم الاجتماعي، للحيلولة دون ذوبانهم وانسلاخهم عن هويتهم الدينية والحضارية؟**

لكـي يحافظ المسـلمون علـى كيانهـم ومقومات هويتهم الإسـلامية فـي الغـرب، لابد من توفر أمريـن، الأول العامل الثقافـي والفكري، فلابد مـن احتضـان وامتلاك ثقافـة إسـلامية متنورة واعيـة وصحيحـة وحاضنة للقيـم الإسـلامية الأساسـية والمهمـة. الأمـر الثانـي: لابد لهم مـن إيجاد محيـط اجتماعي، يسـاعدهم علـى المحافظة علـى تقاليدهم الإسـلامية، وتفعيلهـا وإحيائهـا، دون أن يعنـي ذلـك الانعـزال والانكماش فـي دوائر مغلقـة عـن المحيـط المجتمعـي الكبيـر الذي يعيشـون ضمنـه، لكن لابد مـن إيجـاد أجـواء خاصة بهـم، ومحيـط يتمكنـون فيه مـن تربيـة أبنائهم، وتعريفهـم بالتقاليـد والشـعائر الإسـلامية، وتعويدهـم علـى الاهتمام بها وممارسـتها، لكـي لا صبحوا غربـاء عنها.

الدعوة إلى الإسلام

- **ما هي الطرق والوسائل الناجعة لنشر الدعوة وتبليغ الإسلام داخل**

المجتمعات الغربية؟

الطريق الأمثل لنشر الإسلام، يتحقق بتوفر أمرين: الأول: يتعلق بالمستوى العلمي والمعرفي للخطاب الذي يوجهه الداعي المسلم لهذا المجتمع الغربي، إذ لابد من مراعاة حجم ومستوى المعرفة لدى الناس هناك، وخصوصاً المستوى العلمي الذي يعيشون فيه. وكثرة المعارف العلمية ومصادرها المتوفرة لديهم، فالوعظ والإرشاد هناك لابد أن يرتكز على الحقائق العلمية، واعتمادها والإشارة إليها، واستخدامها، في أي خطاب ديني وعظي أو توجيهي، وهذا يتطلب بدوره معرفة واطلاعاً واسعاً من طرف الداعية المسلم، الذي يحمل على عاتقه مهمة الدعوة للإسلام.

الأمر الثاني: الاستفادة الشاملة، والمتكاملة من وسائل الإعلام، في عصر الفضائيات والسينما والمسرح والانترنت، لا يمكن للإنسان أن يراهن على وسيلة واحدة فقط باعتماد الخطاب المباشر مثلاً عبر اللقاءات الشخصية أو المحاضرات، فالتأثير لن يكون بالمستوى المطلوب، لذلك لابد من الاستفادة من جميع هذه الوسائل، إذا أراد المهتمون بالدعوة الإسلامية أن يحدثوا التأثير المرغوب، وتوجيه أنظار المجتمعات الغربية إلى الإسلام وقيمه وحضارته المتميزة.

بالتسلح بالعلم والمعرفة والاستفادة من وسائل الإعلام المتعددة، يمكن للدعوة الإسلامية أن تحقق غاياتها، ليس فقط داخل الأوساط الغربية ولكن ضمن الأوساط الاجتماعية الإسلامية المهاجرة كذلك.

شخصية الإمام الشيرازي

- **ما هي أهم ذكرياتكم وانطباعاتكم عن الإمام المرجع آية اللَّه السيد محمد الشيرازي دام ظله الوارف؟**

ذكريات وانطباعات كثيرة، لكن أهم ما يلاحظه العارف والزائر لهذا الرجل العالم والمجاهد في سبيل اللَّه. هو أخلاقه السامية وسلوكياته التي تتصف بالعظمة. لقد مرت عليه ظروف صعبة للغاية، وعانى من مشاكل اجتماعية وسياسية كثيرة وضغوطات مختلفة، لكن طموحاته وتطلعاته لم تتأثر بهذه الظروف، ولم تتمكن حتى الضغوطات القوية أن تزحزحه عن رزانته أو أخلاقه الطيبة في التعامل مع مختلف الجهات والأفراد.

عرفته في الكويت، قبل أن يهاجر إلى إيران، وفي ذلك الوقت كان سماحته يتعرض لعدد من الضغوطات، لكن ذلك لم يؤثر فيه سلباً، ولم يجعله يغير سلوكياته في التعامل مع الناس، وخصوصاً المناوئين منهم، ومن كان يتجرأ بالتجريح لشخصه والتهجم عليه، كان سماحته يتعامل مع الكل بروح التسامح والسمو. بالإضافة إلى همته العالية، كلما زرته أو التقيت به أجده غير متأثر سلباً بما تعرفه الساحة من هزائم ونكسات، بل يبادر دائماً ويطلب من زائره ويحثه على المزيد من العمل والنشاط والعطاء، ويدعو إلى الانطلاق من جديد لتحقيق المشاريع والأهداف التي تخدم المسلمين، لا يمل سماحته من الحديث عن التطلعات الكبيرة التي تحتاجها الأمة، ويدعو دائماً إلى مضاعفة العمل والنشاط من أجل تحقيقها، وهذا لا نجده عند الكثيرين الذين لا يتجاوزون المشاكل الخاصة والهموم المحدودة،

والأهـداف الجزئية، بينما تجد سـماحته دائم الاهتمـام والتطلع للأهداف الكبـرى للأمة، مشـغولاً بعلاج المشـاكل الكبـرى التي تعتـرض العاملين فـي سـبيل اللَّـه، مشـجعاً وداعمـاً لهـم، بتوجيهاتـه وكتاباتـه الشـمولية والمتفائلـة بالتغييـر والمسـتقبل الأفضل.

كذلـك يلاحظ عليه النشـاط الدائـم والدؤوب في جميـع المجالات المتعلقـة بالعلـم والدعـوة، فهـو إمـا مشـغول بالتأليـف أو التدريـس، أو يباشـر عملاً دعويـاً، وعندما كان سـماحته في الكويـت، كان دائم الحركة والنشـاط، يقضـي مجمـل وقتـه فـي اللقـاءات والزيـارات والاجتماع مع العامليـن فـي مجـال الدعـوة والتبليـغ، دون أن يمنعه ذلك مـن تخصيص الوقـت للكتابـة والتأليـف، لأن الكتابـة جـزء مـن حيـاة السـيد وكيانه، لا يمكـن أن يعيـش دون أن يحمل القلـم ويكتب لدرجة يمكـن القول معها، ودون مبالغـة بـأن القـارئ لكتاباتـه يجـد نفسـه مسـبوقاً، ولا يتمكـن من مواكبـة كل مـا يكتبـه السـيد حفظـه اللَّـه، لكثـرة مـا يكتب، وهـذا واضح فـي عـدد مؤلفاته.

صفات الداعية

- **سماحة الشيخ! ما هي الصفات التي ينبغي توفرها فيمن يتصدى لعملية التبليغ والإرشاد؟**

لابـد له أولاً مـن معرفة الواقع الـذي يتحرك فيه والظـروف المحيطة بـه، حتـى لا تفاجئـه وقائـع أو معطيـات لـم يكن علـى علم بهـا، وليكون علـى اسـتعداد معرفـي وعلمـي لمواكبة احتياجـات واقعـه. بالإضافة إلى الخطـة الواضحـة والمدروسـة التي سـيعمل من أجـل تنفيذهـا وتطبيقها، حتـى لا يكـون عمله عشـوائياً ارتجاليـاً دون تخطيط. ثانياً الحالة النفسـية

القوية والمستعدة، التي تجعله يواجه العقبات بصبر وحلم وأناة، وتساعده على امتلاك الحس المهني الذي يساعده كذلك على المثابرة والتحدي، بالإضافة طبعاً إلى التحلي بالأخلاق الكريمة.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1]

ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى هذه الجوانب النفسية والأخلاقية، وخصوصاً الإشارة إلى حالة الصبر، فالدعوة وما يتبعها من مشاكل وعقبات لا يمكن تجاوزها والتغلب عليها إلا بالصبر، وهناك إشارة أخرى تتعلق بالجانب العلمي والمعرفي لأن اليقين لا يتأتى إلا بالمعرفة الصحيحة والعميقة. هذه الصفحات الأساسية: المعرفة بالمحيط الاجتماعي وما يدور فيه من قضايا ومشاكل، وإنجاز خطة علمية مدروسة ومحددة الأهداف، بالإضافة إلى الجوانب النفسية والتحلي بالأخلاق الحميدة. هي أهم ما يجب أن يتحلى به ويعرفه الداعية أو العامل في مجال التبليغ الإسلامي.

نحو ارتقاء روحي

- **كيف السبيل لرفع مستوى العاملين في مجال الدعوة، للوصول إلى المراتب العليا في مجال الأخلاق الفاضلة والصفاء الروحي، واجتناب الوقوع في بعض الرذائل النفسية مثل الحسد والرياء؟**

على العاملين في مجال الدعوة إلى اللَّه أن يهتموا أكثر من غيرهم بالتربية الروحية، ويقووا اتصالهم باللَّه عز وجل، لأنهم معرضون أكثر

(١) سورة السجدة آية ٢٤.

مـن غيرهم للسـقوط فـي الأخطاء والمخاطـر، لذلك لابـد لأي عامل في سـبيل اللَّـه مـن برنامـج روحي مكثف خـاص به، يسـتعين به علـى تصفية وتنقيـة نفسـه مـن كل الأدران، والميـول والبواعـث السـيئة. أضـف إلـى ذلـك أهميـة التواصـي والتناصـح الـذي يجـب أن يسـود داخـل أوسـاط المؤمنيـن والعامليـن فـي سـبيل اللَّـه، لأنـه السـبيل للتقـدم فـي مجـال الدعـوة، وتنميـة قـدرات ونفسـيات العامليـن فـي هـذا المجـال. وقـد وردت أحاديـث وروايـات كثيـرة تحـث وتدعـو للمناصحـة والنصيحة.

الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية
طبعة الخليج
www.aawsat.com
London - Saturday - 4 May 2002 - Front Page No. 1 Vol 24. No. 8558
السبت 21 صفر 1423هـ 4 مايو (أيار) 2002م، السنة الرابعة والعشرون، العدد 8558

الشيخ حسن الصفار لـ «الشرق الأوسط»: الخطاب الإسلامي يحتاج لطرح رؤى حياتية ليتصدر موقعه الريادي

لندن: غالب درويش

اكد الشيخ حسن الصفار احد الشخصيات العلمية السعودية في المنطقة الشرقية اهمية ان يكون الخطاب الاسلامي عاكسا طبيعة المفاهيم والقيم الاسلامية التي تنطلق من التأكيد على كرامة الانسان وتقر له بحريته في الاختيار ، وتملأ نفس المسلم بالحب والاحترام لابناء جنسه من البشر. واوضح في اجابته على اسئلة لـ «الشرق الاوسط» بأنه حين يتخاطب المسلم مع الاخرين عليه ان يكون حريصا على مراعاة مشاعرهم واحترام انسانيتهم وذلك ما نفهمه من قوله تعالى «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن». وقال ان من لا يجيد افضل اساليب الطرح والعرض ويتحدث مع الآخرين بانفعال وتشنج عليه ان يصمت ويسكت لانه غير مؤهل للتخاطب مع الآخرين. فليلتزم بالنهي والمنع القرآني (ولا تجادلوا).

● الا ترون ان الخطاب الاسلامي الجديد بعد احداث سبتمبر في اميركا يستدعي التركيز على مقومات التضامن الاسلامي وذلك بالكشف عن القواسم المشتركة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتباين توجهاتهم الفكرية؟ فما هي برأيكم ابرز مقومات هذا الخطاب الجديد لمواجهة هذه التحديات؟

- الخطاب الاسلامي يجب ان يعكس طبيعة المفاهيم والقيم الاسلامية، التي تنطلق من التأكيد على كرامة الانسان، وتقر له بحريته في الاختيار، وتملأ نفس المسلم بالحب والاحترام لابناء جنسه من البشر، فحينما يتخاطب المسلم مع الآخرين، عليه ان يكون حريصاً على مراعاة مشاعرهم، واحترام انسانيتهم، وذلك هو ما نفهمه من قوله تعالى: «وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»، إن من لا يُجيد أفضل أساليب الطرح والعرض، ويتحدث مع الآخرين بانفعال وتشنج عليه أن يصمت ويسكت، لأنه غير مؤهل للتخاطب مع الآخرين، فليلتزم بالنهي والمنع القرآني: «وَلاَ تُجَادِلُوا».

وإن من نقاط الضعف في خطابنا الاسلامي المعاصر مع الآخرين وجود اصوات متشنجة، كانما تنبعث من حقد وكراهية للآخرين، وتتحدث من موقع الفرض والتعالي، وهذا مخالف لسمات الخطاب الدعوي الذي يصفه الله تعالى بقوله: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ». من ناحية أخرى ينبغي أن نعرض الاسلام من خلال تقديم معالجات للمشاكل التي تعاني منها البشرية، ومن خلال طرح برامج ورؤى تقدمية في مجالات الحياة المختلفة، فذلك هو الذي يستقطب إنسان العصر، ويجعل الاسلام في موقعه الريادي، باعتباره يقدم شيئاً جديداً ومفيداً للانسانية.

● الاجتهاد باب أصيل من أبواب التيسير في الفكر الاسلامي، فما هي الضوابط التي يجب مراعاتها بالنسبة للمجتهدين خاصة في قضايا الامة الاسلامية وذلك في معالجة الاشكاليات الفقهية والمستجدات المعاصرة؟

- ماتتعرض له الامة الاسلامية من اعتداءات ومؤامرات من قبل الاعداء والمستكبرين امر واضح، لكن مجرد التنديد بما يجري، والتحريض والتعبئة ضد الاعداء، لا يكفي لمعالجة الوضع. يجب الانتباه الى أن ما تعيشه الامة من ضعف عام وتخلف شامل هو الذي يغري الآخرين بالاعتداء عليها، وهو الذي يثير اطماع الطامعين في الاستحواذ على خيراتها وثرواتها. لذلك لابد من التوجه الى التنمية والبناء، بدفع ابناء الامة نحو كسب العلم والمعرفة، واقتحام ميادين التقدم التقني والتكنولوجي، وتفجير قدرات الابداع والتطوير وتعبئة الامة باتجاه التنمية السياسية، بحيث يتحمل كل مواطن مسؤوليته نجاه وطنه، بتحقيق المشاركة السياسية، والتمتع بالحقوق المشروعة، وإرساء مفاهيم السلم الاجتماعي بقبول التعددية واحترام الرأي الآخر، ورفع مستوى الفاعلية والانتاج. ففي بلاد المسلمين خيرات وثروات وموارد اقتصادية هائلة وفرص للعمل والنمو لكن الانسان محدود الفاعلية قليل الانتاجية في الغالب، وتكبله كثير من العادات والقوانين المعوقة المثبطة.

إن الخطاب الاسلامي مطالب بالتوجه الى الانسان المسلم لدفعه نحو فاعلية أكثر، وبالتوجه الى داخل الامة لدفعها نحو مناهج التنمية وبرامج البناء، وليس فقط التحريض ضد الاعداء والتحفز لمواجهتهم واجترار حالة الغبن والظلامة.

● غياب المرجعية الفكرية عند كثير من المسلمين، على اختلاف مذاهبهم احدث هوة كبيرة بينهم، فكيف يمكن الاتفاق على مرجعية مؤسسة للاجتهاد الجماعي وتوحد في الخطاب؟

- يفترض في الخطاب الاسلامي الا يكون الا وحدوياً، لأن الوحدة قيمة اساسية ومبدأ ثابت في الاسلام، وهي في الصدارة والمقدمة من قيم الاسلام ومبادئه، ومن أهم الثغرات ونقاط الضعف في واقع الامة الإسلامية انحراف بعض الخطابات الاسلامية عن محور الوحدة، واعتمادها لغة التفريق والتمزيق بعناوين مذهبية أو سياسية او حزبية. إننا بحاجة الى ميثاق شرف إسلامي نلتزم به في خطابنا وخاصة في هذا الظرف الخطير حيث تواجه الامة هذه التحديات الكبيرة ويرتكز هذا الميثاق على ما يلي:

1 - التأكيد على الوحدة كقيمة اساسية من قيم الاسلام وليس مجرد صفة اخلاقية كمالية، وان لهذه القيمة حاكمية على سائر القيم والمفاهيم، فلا يصح ابداً تمزيق وحدة الامة من أجل التمسك بهذه الفكرة او تلك، او الالتزام بهذه المسالة الشرعية او غيرها، بل يجب اعتبار الوحدة اساساً ومحوراً لا يجوز المساس به او اضاعته.

2 - التركيز على إصول الإيمان وثوابت الدين التي يجمع عليها المسلمون واعتبارها القاسم المشترك، والاطار الاسلامي العام، وهي توحيد الله تعالى ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بالآخرة ومرجعية الكتاب والسنة، والالتزام باركان الدين كالصلاة والصيام والحج والزكاة، اما التفاصيل والمسائل الفرعية في العقيدة والشريعة فلا ينبغي ان يترتب على الاختلاف فيها اثر يضر بوحدة الامة وتماسكها. واكبر دليل على ذلك ان هذه الاختلافات كانت موجودة في العهود الاولى من تاريخ الامة لكنها لم تؤثر على الحالة الوحدوية العامة للامة، كما هي الحال الآن.

3 - الالتزام باخلاقيات الاسلام التي تدعو الى احترام الرأي الآخر واعتماد منهجية الحوار والجدال بالتي هي أحسن، ومراعاة الحقوق العامة لاخوة الدين والوطن، فالاختلاف في الرأي لا يجيز التعدي على حقوق الآخرين، ولا يخدش من حقوق المواطنة.

4 - توجيه اهتمامات ابناء الامة لمعركة البناء والتنمية ولمواجهة الاخطار والتحديات التي تحيط بالامة، فذلك هو ما ينفع الامة في حاضرها ومستقبلها بدلاً من اجترار الخلافات التاريخية، والانشغال بالمسائل النظرية.

● كثرت في الاونة الاخيرة دعوات الحوار بين الاديان اضافة لحوار الحضارات، كيف ترون اهمية ذلك ؟ ثم اليس من المجدي ان يتعمق الحوار الاسلامي - الاسلامي اولا؟

- الجهود التي يبذلها العلماء المصلحون في هذا المجال هي محل تقدير واحترام، ومن اواخرها الاجتماع الذي عقد في عمان - الاردن، بداية نوفمبر (تشرين الثاني) 2001م، لاجتماع خبراء لمناقشة استراتيجية التقريب بين المذاهب الاسلامية، الذي نظمته المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو)، والمعهد العالمي للفكر الاسلامي، واللجنة الوطنية الاردنية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع جامعة اليرموك.

ومن وجهة نظري فإن عنوان التقريب بين المذاهب الإسلامية ليس دقيقاً.

أولاً: لأن المذاهب الإسلامية هي متقاربة في أصولها وفي خطوطها العامة، حيث تتفق جميعاً على مرجعية الكتاب والسنة، وتؤمن باصول مشتركة هي التوحيد والنبوة والمعاد، وتجمع على أركان الإسلام وفرائضه الأساسية، كالصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

والاختلاف بين المذاهب إنما هو في بعض التفاصيل والفروع، ضمن نسبة محدودة لا يعني التباعد. لكن المشكلة تكمن في ما حدث لملامة من عصور تخلفها، من التركيز على نقاط الخلاف المحدودة، وتجاهل مساحات الاتفاق الواسعة.

يقول الدكتور حسين علي محفوظ، وهو عالم باحث من

الشيخ حسن الصفار (خاص بـ«الشرق الاوسط»)

حوار جريدة الشرق الأوسط[1]

التوجهات الإنسانية للخطاب الإسلامي

- **ألا ترون أن الخطاب الإسلامي الجديد بعد أحداث سبتمبر في أمريكا يستدعي التركيز على مقومات التضامن الإسلامي وذلك بالكشف عن القواسم المشتركة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتباين توجهاتهم الفكرية؟ فما هي برأيكم أبرز مقومات هذا الخطاب الجديد لمواجهة هذه التحديات؟**

الخطاب الإسلامي يجب أن يعكس طبيعة المفاهيم والقيم الإسلامية، التي تنطلق من التأكيد على كرامة الإنسان، وتقر له بحريته في الاختيار، وتملأ نفس المسلم بالحب والاحترام لأبناء جنسه من البشر، فحينما يتخاطب المسلم مع الآخرين، عليه أن يكون حريصاً على مراعاة مشاعرهم، واحترام إنسانيتهم، وذلك هو ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. إن من لا يجيد أفضل أساليب الطرح والعرض، ويتحدث مع الآخرين بانفعال وتشنج عليه أن يصمت ويسكت، لأنه غير مؤهل للتخاطب

---

(١) الشرق الأوسط: جريدة يومية تصدر من لندن، حوار أجراه غالب درويش، لندن، السنة الرابعة والعشرون العدد ٨٥٥٨، بتاريخ ٢١ صفر ١٤٢٣هـ ـ ٤ مايو ٢٠٠٢م.

مع الآخرين، فليلتزم بالنهي والمنع القرآني: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا﴾.

وإن من نقاط الضعف في خطابنا الإسلامي المعاصر مع الآخرين وجود أصوات متشنجة، كأنما تنبعث من حقد وكراهية للآخرين، وتتحدث من موقع الفرض والتعالي، وهذا مخالف لسمات الخطاب الدعوي الذي يصفه الله تعالى بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. من ناحية أخرى ينبغي أن نعرض الإسلام من خلال تقديم معالجات للمشاكل التي تعاني منها البشرية، ومن خلال طرح برامج ورؤى تقدمية في مجالات الحياة المختلفة، فذلك هو الذي يستقطب إنسان العصر، ويجعل الإسلام في موقعه الريادي، باعتباره يقدم شيئاً جديداً ومفيداً للإنسانية.

الخطاب الإسلامي وبرامج البناء والتنمية

- **الاجتهاد باب أصيل من أبواب التيسير في الفكر الإسلامي، فما هي الضوابط التي يجب مراعاتها بالنسبة للمجتهدين خاصة في قضايا الأمة الإسلامية وذلك في معالجة الإشكاليات الفقهية والمستجدات المعاصرة؟**

ما تتعرض له الأمة الإسلامية من اعتداءات ومؤامرات من قبل الأعداء والمستكبرين أمر واضح، لكن مجرد التنديد بما يجري، والتحريض والتعبئة ضد الأعداء، لا يكفي لمعالجة الوضع. يجب الانتباه إلى أن ما تعيشه الأمة من ضعف عام وتخلف شامل هو الذي يغري الآخرين بالاعتداء عليها، وهو الذي يثير أطماع الطامعين في الاستحواذ على خيراتها وثرواتها. لذلك لابد من التوجه إلى التنمية

والبناء، بدفع أبناء الأمة نحو كسب العلم والمعرفة، واقتحام ميادين التقدم التقني والتكنولوجي، وتفجير قدرات الإبداع والتطوير وتعبئة الأمة باتجاه التنمية السياسية، بحيث يتحمل كل مواطن مسؤوليته تجاه وطنه، بتحقيق المشاركة السياسية، والتمتع بالحقوق المشروعة، وإرساء مفاهيم السلم الاجتماعي بقبول التعددية واحترام الرأي الآخر، ورفع مستوى الفاعلية والإنتاج. ففي بلاد المسلمين خيرات وثروات وموارد اقتصادية هائلة وفرص للعمل والنمو لكن الإنسان محدود الفاعلية قليل الإنتاجية في الغالب، وتكبّله كثير من العادات والقوانين المعوقة المثبطة.

إن الخطاب الإسلامي مطالب بالتوجه إلى الإنسان المسلم لدفعه نحو فاعلية أكثر، وبالتوجه إلى داخل الأمة لدفعها نحو مناهج التنمية وبرامج البناء، وليس فقط التحريض ضد الأعداء والتحفز لمواجهتهم واجترار حالة الغبن والظلامة. إن أُمماً أخرى تعرضت للعدوان والظلم، ووقعت تحت هيمنة المستعمرين والمستكبرين، وأصابتها الهزائم والنكسات، لكنها تجاوزت كل ذلك ببناء قدراتها وتنمية طاقات شعوبها، حتى أصبحت في مصاف الدول الكبرى. وهذا ما نلحظه لدى اليابانيين الذين تعرضوا لهزيمة نكراء في الحرب العالمية الثانية، وفرض عليهم الاستسلام بشروط مذلة، لكنهم لم ينشغلوا بالبكاء على ظلامتهم، ولم يستهلكوا طاقتهم بالتعبئة والتحريض العاطفي ضد العدو، بل اتجهوا للبناء والتنمية وهم الآن في مواقعهم المتقدمة الواضحة.. وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا. وأعداؤنا اليهود اليوم حجة علينا، فقد كانوا يعيشون منبوذين مهمشين في مختلف

أنحاء العالم، لكنهم الآن يمتلكون وسائل قوة وتأثير عالمي بارز مكنتهم من ممارسة عدوانهم البشع على العرب والمسلمين.

نحو خطاب وحدوي

- **غياب المرجعية الفكرية عند كثير من المسلمين، على اختلاف مذاهبهم أحدث هوة كبيرة بينهم، فكيف يمكن الاتفاق على مرجعية مؤسسة للاجتهاد الجماعي وتوحد في الخطاب؟**

يفترض في الخطاب الإسلامي ألاّ يكون إلا وحدوياً، لأن الوحدة قيمة أساسية ومبدأ ثابت في الإسلام، وهي في الصدارة والمقدمة من قيم الإسلام ومبادئه، ومن أهم الثغرات ونقاط الضعف في واقع الأمة الإسلامية انحراف بعض الخطابات الإسلامية عن محور الوحدة، واعتمادها لغة التفريق والتمزيق بعناوين مذهبية أو سياسية أو حزبية. إننا بحاجة إلى ميثاق شرف إسلامي نلتزم به في خطابنا وخاصة في هذا الظرف الخطير حيث تواجه الأمة هذه التحديات الكبيرة ويرتكز هذا الميثاق على ما يلي:

١. التأكيد على الوحدة كقيمة أساسية من قيم الإسلام وليس مجرد صفة أخلاقية كمالية، وأن لهذه القيمة حاكمية على سائر القيم والمفاهيم، فلا يصح أبداً تمزيق وحدة الأمة من أجل التمسك بهذه الفكرة أو تلك، أو الالتزام بهذه المسألة الشرعية أو غيرها، بل يجب اعتبار الوحدة أساساً ومحوراً لا يجوز المساس به أو إضاعته.

٢. التركيز على أصول الإيمان وثوابت الدين التي يجمع عليها

المسلمون واعتبارها القاسم المشترك، والإطار الإسلامي العام، وهي توحيد الله تعالى ونبوة النبي محمد ﷺ، والإيمان بالآخرة ومرجعية الكتاب والسنة، والالتزام بأركان الدين كالصلاة والصيام والحج والزكاة، أما التفاصيل والمسائل الفرعية في العقيدة والشريعة فلا ينبغي أن يترتب على الاختلاف فيها أثر يضر بوحدة الأمة وتماسكها. وأكبر دليل على ذلك أن هذه الاختلافات كانت موجودة في العهود الأولى من تاريخ الأمة لكنها لم تؤثر على الحالة الوحدوية العامة للأمة، كما هي الحال الآن.

٣. الالتزام بأخلاقيات الإسلام التي تدعو إلى احترام الرأي الآخر واعتماد منهجية الحوار والجدال بالتي هي أحسن، ومراعاة الحقوق العامة لأخوة الدين والوطن، فالاختلاف في الرأي لا يجيز التعدي على حقوق الآخرين، ولا يخدش من حقوق المواطنة.

وينبغي الابتعاد عن أسلوب التكفير والتبديع والتفسيق وعن التنابز بالألقاب التزاماً بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾.

٤. توجيه اهتمامات أبناء الأمة لمعركة البناء والتنمية ولمواجهة الإخطار والتحديات التي تحيط بالأمة، فذلك هو ما ينفع الأمة

فـي حاضرهـا ومسـتقبلها بـدلاً مـن اجتـرار الخلافـات التاريخية، والانشـغال بالمسـائل النظرية.

التقريب بين المذاهب الإسلامية

- **كثرت في الأونة الأخيرة دعوات الحوار بين الأديان إضافة لحوار الحضارات، كيف ترون أهمية ذلك؟ ثم أليس من المجدي أن يتعمق الحوار الإسلامي ـ الإسلامي أولاً؟**

الجهـود التـي يبذلهـا العلمـاء المصلحـون فـي هـذا المجـال هـي محـل تقديـر واحتـرام، ومـن أواخرهـا الاجتمـاع الـذي عقد فـي عمان ـ الأردن، بدايـة نوفمبر (تشـرين الثانـي) ٢٠٠١م، لاجتماع خبراء لمناقشـة اسـتراتيجية التقريـب بيـن المذاهـب الإسـلامية، الـذي نظمتـه المنظمـة الإسـلامية للتربيـة والعلـوم والثقافـة (الايسيسـكو)، والمعهـد العالمـي للفكـر الإسـلامي، واللجنـة الوطنيـة الأردنيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم بالتعـاون مـع جامعـة اليرمـوك. ومـن وجهة نظـري فـإن عنـوان التقريب بيـن المذاهـب الإسـلامية ليـس دقيقاً.

أولاً: لأن المذاهـب الإسـلامية هـي متقاربـة فـي أصولهـا وفـي خطوطهـا العامـة، حيـث تتفـق جميعـاً علـى مرجعيـة الكتـاب والسـنة، وتؤمـن بأصـول مشـتركة هـي التوحيـد والنبـوة والمعـاد، وتجمـع علـى أركان الإسـلام وفرائضـه الأساسـية، كالصـلاة والصيـام والحـج والزكاة والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر والجهـاد فـي سـبيل اللـه. والاختـلاف بيـن المذاهـب إنما هو في بعـض التفاصيل والفـروع، ضمن نسـبة محـدودة لا يعنـي التباعـد. لكـن المشـكلة تكمـن فـي مـا حـدث

للأمة في عصور تخلفها، من التركيز على نقاط الخلاف المحدودة، وتجاهل مساحات الاتفاق الواسعة.

يقول الدكتور حسين علي محفوظ، وهو عالم باحث من العراق: اطلعت على كتب الفقه وقرأت مسائل الخلاف وهي (٤١٥٢) مسألة، من مجموع مسائل الفقه الكثيرة، التي تبلغ في بعض كتبه (١٦٠٠٠٠) مسألة، فلم أر مسألة في مذهب، ولم أجد رأياً عند طائفة، إلا قال به جمع من الفقهاء، أو قال بعض جماعة منهم، أو هو المروي عن قوم. ولقد حققت ما انفردت به بعض المذاهب، وما يظن انفرادها به فوجدته (٢٥٣) مسألة فقط من مسائل الخلاف بين المذاهب لا من مجموع مسائل الفقه.

وإذا قرأنا كتب الفقه والأحكام وجدناها على منوال واحد تقريباً، بلغة فقهية مشتركة، متقاربة في الألفاظ والاشتقاقات. فالمذاهب قريبة من بعضها ولا تحتاج إلى تقريب.

ثانياً: قد يثير هذا العنوان مخاوف وهواجس البعض بأن التقريب بين المذاهب يعني التنازلات المتبادلة بينها، والتخلّي عن بعض الآراء والقناعات، حتى تلتقي المذاهب عند نقطة وسط.

وقد أعلن البعض تحفظه على فكرة التقريب بين المذاهب انطلاقاً من هذا الهاجس.

ولا يبدو أن المطلوب من أحد أن يتنازل عن شيء من قناعاته الدينية المبدئية، في مسألة عقدية أو فقهية ضمن صفقة مساومة أو مجاملة. وبالتالي فإن المذاهب ستبقى على توجهاتها وآرائها واجتهاداتها.. فماذا يعني التقريب بينها؟ الأصح أن يكون العنوان

هـو التقريـب بيـن أتبـاع المذاهـب، والذيـن باعـد بينهـم ضعـف الوعـي بالديـن، وأخلاقيـات التعصـب والتطـرف، ووجـود قوى مغرضـة منتفعة مـن الخـلاف، وتآمـر الأعـداء لتمزيـق الأمـة.

ولكأنمـا عنـى الإمـام علـي بـن أبـي طالـب هـذه الحالـة بقولـه فـي إحـدى خطبـه: «وإنمـا أنتـم إخـوان علـى ديـن اللـه، مـا فـرّق بينكـم إلا خبـث السـرائر، وسـوء الضمائـر، فـلا تـوازَرُون ولا تَناصحُـون، ولا تباذَلُـون ولا تـوادُّون». ويبدو أن هذا هـو المقصود بالتأكيـد، أي التقريب بيـن أتبـاع المذاهب، لكـن العنوان لا يعبّـر عنه بدقة ووضـوح. وبصراحة فـإن وجـود حاجـة لمثـل هـذه الجهود يكشـف عن مـدى عمـق التخلف الـذي تعيشـه الأمـة، والاّ فلمـاذا يكون تعـدد المذاهـب مشـكلة؟ ولماذا يسـبب تباعـداً ونزاعـاً نسـعى لتجـاوزه؟ متى نحتـرم حقوق الإنسـان في مـا بيننـا حتـى يعتـرف كل منـا للآخـر بحريتـه الدينيـة والفكريـة؟ ومتـى نعـي مفهـوم المواطنة حتى يتسـاوى المواطنـون في حقوقهـم وواجباتهم دون النظـر إلـى مذاهبهـم وتوجهاتهـم؟ فسـواء تقاربنـا في مذاهبنـا أو لـم نتقـارب، وسـواء اتفقنا علـى هذه المسـألة العقديـة والفقهية أو لـم نتفق، لمـاذا يكـون لذلـك تأثيـر علـى علاقتنـا وارتباطنـا وتعايشـنا ونحـن أبناء وطـن واحـد وننتمـي إلـى ديـن واحـد؟ هذا هـو السـؤال الـذي يجب أن نطرحـه علـى أنفسـنا بإلحاح.

تنشيط الحوار الداخلي

▼ **كيف تنظرون لدور السعودية في تعزيز حوار الحضارات؟**

جميـل جـداً الاهتمـام بحـوار الحضـارات، ويجـب تعميـق هـذا التوجـه، فذلـك منسـجم مـع دعـوة القـرآن الكريـم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وكان رائعاً المبادرة التي أطلقها الرئيس الإيراني محمد خاتمي بالطلب من الأمم المتحدة اعتبار السنة الماضية مكرسة لحوار الحضارات وموافقتها على ذلك. كما أن الندوة التي عقدت في الرياض خلال الشهر الماضي وفي مكتبة الملك عبد العزيز لمناقشة موضوع حوار الحضارات كانت هامة وثرية بالأبحاث والأفكار. حينما يكون الحوار نابعاً من قناعة الإنسان باحترام الرأي الآخر وأهمية الإطلاع عليه، وإيصال وجهة نظره كما يراها للآخرين، وتلّمس القواسم المشتركة من أجل بلورة الأفكار، ومعالجة ثغراتها، وإثراء الحياة وتنوعها، فإن هذه القناعة تتحول إلى منهجية لدى الإنسان في التعاطي مع الآخر، سواء كان قريباً أو بعيداً، داخل محيطه أو خارجه، لكن ما يؤسف له أن البعض يتعامل مع مسألة الحوار ليس كقناعة ومنهجية، وإنما كاستجابة لظروف معينة، وتفاعل مع مقتضيات وقتية.. وهنا يصبح الحوار انتقائياً ضمن دائرة دون أخرى، وباتجاه الخارج مثلاً وليس الداخل.

إن الأمة الإسلامية بحاجة ماسّة إلى تنشيط وتفعيل حالة الحوار الداخلي بين الحكومات والشعوب، منعاً للاحتقان الذي يؤدي إلى الانفجارات، ووقاية من اللجوء إلى القوة والعنف.. والى الحوار بين قيادات المذاهب الدينية ليتعرفوا على توجهات بعضهم البعض بشكل مباشر وليس من خلال كتابات مغرضة أو نقولات قديمة، ولتدرك كل جهة مقدار التطور في فكر الجهة الأخرى وتقومها، من واقع فكرها المعاصر لا على أساس أفكار وتوجهات سابقة. وأيضاً للتعرف على خلفيات ومبررات وأدلة هذه التوجهات والآراء عند كل مذهب. كل

ذلك من أجل أن نتجاوز فتاوى التكفير والتبديع والتهم المتبادلة بين المذاهب الإسلامية. ونحتاج إلى الحوار بين المدارس الفكرية والتيارات السياسية لنصل إلى صيغة تمكننا من التعايش والاهتمام بالبناء والتنمية في أوطاننا بدلاً من الاسترسال في هدم قوانا وهدر إمكاناتنا وتضييع جهودنا في النزاع والاحتراب الداخلي.

منتديات الرقيعة الثقافية - مقابلة : سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله مع شبكة الرقيعة الثقافية - Microsoft Internet Explorer
ملف تحرير عرض المفضلة أدوات تعليمات
الخلف بحث المفضلة وسائط
عنوان http://forum.alrufaiah.net/showthread.php?threadid=1957
Links انتقال
Highlight My Button Customize LookSmart AlltheWeb Ask Jeeves AltaVista Google Edit
رمضان شهر الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
ابحث
Google
منتديات الرقيعة الثقافية > المنتديات الثقافية > ديوان الثقافة > مقابلة : سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله مع شبكة الرقيعة الثقافية
عدد الصفحات (٢): [١] ٢ »
< الموضوع السابق الموضوع التالي >
الكاتب
الموضوع
موضوع جديد
مغلق
إدارة الشبكة
الأدارة
تاريخ التسجيل » Aug 2002
البلد »
عدد المشاركات » ٧٣
بمعدل » ٠.١٦ مشاركة لكل يوم
مقابلة سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله مع شبكة الرقيعة الثقافية

حوار شبكة الرفيعة الثقافية[1]

حمل على عاتقه مسيرة العمل الجهادي والفكري، وحمل هموم وطنه وأمته الإسلامية، وعُرف في الأوساط الثقافية والجماهيرية على مستوى العالم العربي، كعالم ومنظر ومفكر لمسيرة العمل الإسلامي. اشتغل بالبحث والتأليف والخطابة، والعمل الرصين، والدعوة لاستنهاض الأمة الإسلامية، على مدار سنوات عمره المديد، إتصل بالكثير من المفكرين والباحثين والشخصيات العلمية، وكان أكثر التصاقاً بالجماهير المتطلعة، التي أعطاها من زخم فكره الأصيل جل وقته، اضطلع بدور ريادي بارز في تأسيس وتدشين العديد من المشاريع الثقافية على مستوى العالم الإسلامي، إنه سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار، إذ تتشرف شبكة الرفيعة باستطلاع آرائه في أهم وأبرز القضايا المصيرية، التي تهم الجماهير المؤمنة، في هذا الوقت الحساس والدقيق، الذي تمر به الأمة الإسلامية

الانغلاق الفكري

▼ الانغلاق الفكري والإحساس بالغربة الثقافية في أوساط الأمة

(١) حوار أجرته شبكة الرفيعة الثقافية، ٢٥ شوال ١٤٢٣هـ. عنوان الشبكة ووصلة الحوار http:forum.akrufaiah.net،showthread.php?threadid=1957

الإسلامية وأوساط العاملين واحدة من الهموم التي تؤرق المثقفين في نظر سماحتكم ما هي أسباب هذه الظاهرة وكيف يمكن تجاوزها؟

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الانغلاق الفكري ينشأ بسبب شعور الإنسان بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وأن الآخرين لا شيء عندهم يضيفونه إلى ما عنده، وفي بعض الأحيان قد ينشأ الانغلاق الفكري من حالة نفسية، هي حالة الشك في نوايا أصحاب الآراء الأخرى، وبالتالي لا يجد دافعاً للانفتاح عليهم والتواصل الفكري معهم، وبالنسبة إلى الانغلاق والغربة التي تشعر بها النخبة في أوساط جماهير الأمة، فهذا ناشئ من عدم أخذ النخبة المثقفة دورها في أوساط الجمهور، وبقاء هذه النخبة في أبراج عاجية، وعدم وجود برنامج وخطط ثقافية ترفع من مستوى الأمة، بحيث تصل إلى الاهتمامات والتطلعات التي تحملها النخبة المثقفة.

المثقفون يرون أن هناك فاصلاً بين ما يعيشونه هم من أجواء فكرية ثقافية، وبين ما تعيشه الجماهير، ينبغي أن يكون هناك تجسير لعلاقتهم مع الجمهور، لا نطالب المثقفين بأن يتنازلوا عن اهتماماتهم وينزلوا إلى مستوى الشارع، وإنما نطالبهم بأن يرفعوا هذا الشارع عن طريق الخطط الثقافية، و النشاط المعرفي، ولو اعتمدت خطط، وبذلت جهود، لوجدنا أن جمهورنا الذي نعاني من انخفاض مستواه في هذه المنطقة أو تلك قد ارتفع وتجاوز هذه الحالة، بحيث يسهل علينا التخاطب معه، وأن يكون قريباً مما نفكر فيه، ونحن قريبين أيضاً

مـن همومـه وآلامه.

ثقافة النخبة

- **يظن الكثير من المثقفين أن ثقافة النخبة كفيلة بتحقيق التميز على حساب سعة الانتشار فما رأي سماحتكم بهذه المشكلة ؟**

أنـا أعتقـد أننا يجـب أن نحدد الهـدف من الفاعليـة الثقافيـة، إذا كان العمـل الثقافـي.. الثقافـة للثقافـة، فهـذا بحث، أمـا إذا كنا نشـعر أن عندنا رسـالة نريـد إيصالهـا للجمهور وللنـاس، فهنا لا بد وأن نعتمد الأسـلوب الـذي يوصل رسـالتنا إلى أذهـان الناس، حينما تكـون الثقافـة للثقافة فإن الأسـلوب أسـلوب نخبوي، يكون على مسـتوى الوسـط النخبـوي، لكن من يشـعر أن لديه رسـالة يريد إيصالها للجمهور، يريد أن يرتقي بمسـتوى هـذا الجمهور، فلا بـد وأن يجعل خطابه في المسـتوى المناسـب لإدراك الجمهـور، والمتفاعـل مـع آلامـه وآمالـه، ولعلنـا نتصـور النـص القائـل «نحـن معاشـر الأنبيـاء أمرنـا أن نكلـم النـاس على قـدر عقولهـم»، يعني علـى قـدر فهمهم والآيـات الكريمة التـي تقول ﴿ وَمَا أَرْسَـلْنَا مِن رَّسُـولٍ إِلاَّ بِلِسَـانِ قَوْمِـهِ ﴾[1] قـد لا تعني بلسـان قومـه يعني باللغة، لغـة عربية، أو عبريـة، أو فارسـية... وإنمـا أيضـاً تعنـي أكثر مـن ذلك، يعني بالأسـلوب وبالمنطـق وبالطريقـة التـي يفهمها قومه.

العصرنة

- **العصرنة في لغة الخطاب الإسلامي توحي بحالة من الفصام ما بين النخبة كطليعة وما بين الجماهير، هل تشعرون أن لغة الخطاب**

(١) سورة إبراهيم آية ٤.

الإسلامي للمسلمين أو النخبة كفيلة بتحقيق المستوى المنشود لها وما هي معوقات وصول الخطاب للجماهير بلغة تتماشى مع روح العصر ومعطياته؟

العصرنة لا توحي بالانفصال والفصام بين النخبة وبين الجمهور، بل على العكس من ذلك، في بعض الأحيان يكون اعتماد الأسلوب القديم في الخطاب الإسلامي هو الذي يسبب الانفصام والانفصال، لأن الجمهور الآن أصبح يتعامل مع وسائل الإعلام المختلفة، وأصبح يتعايش مع حقائق العلم، وتطورات الحياة، فيحتاج الخطاب الإسلامي إلى العصرنة في مضامينه ومحتوياته، العصرنة ليست استخدام ألفاظ ومصطلحات قد لا تفهمها عامة الناس، العصرنة هي الاقتراب من القضايا والمضامين التي يواجهها الإنسان في هذا العصر، والتي يعيش العالم الاهتمام بها، فإذا كانت العصرنة بهذا المعنى فهي لا تسبب الانفصام، بل إن استخدام الأسلوب القديم هو الذي يسبب الانفصام، فمثلاً بعض المسائل الفقهية، وبعض النصوص والروايات، حينما تقرأ الآن على بعض الناس لا يكادون أن يفهموا معناها، لأنها تتحدث عن ألفاظ وعن مصطلحات ما عادت تستخدم الآن، فممارسة الخطاب الإسلامي بأسلوبه القديم، هي التي تعني الانفصام والانفصال، أما العصرنة فإنها تعني التفاعل مع الناس، ومخاطبة الناس بما يعيشون وبما يفهمون.

و بعض المثقفين يستعرض عضلاته العلمية باستخدام مصطلحات معينة، مصطلحات تخصصية قد لا يفهمها عامة الناس، وهنا يكمن الخطأ، حينما يكون الخطاب موجهاً للجمهور، قد يكون ذلك مناسباً

علـى مسـتوى النخب، ولكـن على مسـتوى الجمهور يجـب أن نتخاطب مـع النـاس بما يدركـون معانيه مـن ألفـاظ و مصطلحات.

معوقات العمل الثقافي

- **تتنوع معوقات العمل الثقافي ما بين الإحباط وقلة الخبرات وما شابه، في نظر سماحتكم ما هي أهم معوقات العمل الثقافي وكيف نواجهها ؟**

فـي ظنـي أن مـن أهـم معوقـات العمـل الثقافـي عـدم المأسسـة، العمـل الثقافـي لا يـزال يجـري في الكثيـر مـن مجتمعاتنا كنشـاط فردي، وكنشـاط عفـوي ارتجالـي تلقائـي، والآن نحـن نعيـش فـي عالـم الثقافة والإعـلام والفكـر أصبحـت لـه مؤسسـاته، فنحـن نحتـاج إلـى أن يكون العمـل الثقافـي ضمـن مؤسسـات، وضمن عمـل جمعـي، وضمن خطط وبرامج.

و عـدم المأسسـة تجعل الأعمـال محـدودة و مبتـورة، ولا ترقى إلى مسـتوى التحديـات الثقافيـة التـي يعيشـها الإسـلام، وتعيشـها الأمـة هذا اليوم.

التأصيل الثقافي

- **من وجهة نظر سماحتكم ما هي مرتكزات نظرية التأصيل الثقافي؟**

تقوم على المرتكزات التالية:

أولاً: فهم مبادئ الدين وقيمه الأساسية.

ثانيـاً: الاطـلاع علـى مصـادر الفكـر والتشـريع الإسـلامي وهـي

الكتاب والسنة ومجريات التاريخ الإسلامي لنستشف منها النماذج والتطبيقات.

ثالثاً: القدرة الاجتهادية على الاستنباط في ميادين الفكر والفقه.

رابعاً: معرفة العصر وقضاياه التي يراد التأصيل لها.

الوضوح

- **كما يقول الفقهاء توضيح الواضحات من أشكل المشكلات ومع شدة وضوح المبادئ الإسلامية رغم ذلك هناك صراع بين الأصالة والحداثة والفهم المغلوط، ما هي انعكاسات ذلك على مستوى التطبيق؟**

في الواقع وضوح المبادئ الإسلامية ليس من المسلمات، فقد مرت على أمتنا عهود اختلطت فيها الأوراق، واختلطت الأولويات، فأصبحت بعض القضايا الفرعية في أذهان البعض وكأنها هي المبادئ، وغابت بعض المبادئ، فليس صحيحاً أن المبادئ واضحة أمام الناس، وأيضاً قضايا العصر ليست واضحة بتلك الدرجة من الوضوح.

في اعتقادي ليس هناك وضوح، لا زالت المسألة تحتاج إلى استيضاح أكثر عند قطاع لا بأس به من المثقفين والعلماء، وتجاوز هذا الموضوع إنما يتم بإعادة قراءة الفكر الإسلامي، وإعادة قراءة الفقه الإسلامي من العارفين والمختصين، بعد اطلاعهم على تطورات العلم وقضايا العصر.

الموروث الثقافي

- **كثيراً ما يرتب البعض مواقفه بناء على الموروث الثقافي ويجهد**

نفسه في البحث والتقصي عما يوجد له صبغة شرعيه من خلال الإسقاطات التاريخية على البيئة المعاشة كيف نتعامل مع هذه الظاهرة على صعيد البحث العلمي والثقافة المتداولة ؟

الموروث الثقافي نستطيع أن نستفيد منه في مجالين.

المجال الأول: النص الشرعي بعد أن نتأكد من ورود النص، وخاصة في مجال السنة. القرآن الكريم قطعي الصدور، لكن بالنسبة للسنة ينبغي أن نتأكد من ورود النص.

المجال الثاني: كيف نفهم هذا النص، فإذا استطعنا أن نستفيد من النص الشرعي، بعد أن نتحقق من وروده، وبعد أن نجتهد في فهم معناه، فيمكننا أن ننظر إلى الواقع من خلال ذلك النص.

الأمر الثاني: التاريخ الإسلامي والسيرة الإسلامية وخاصة للقيادات الدينية، وللجمهور المسلم، يمكننا من خلال قراءة التاريخ، وقراءة سيرة النبي ﷺ، وقراءة سيرة الأئمة عليهم السلام، يمكننا أن نستشف الكثير من التطبيقات والتجسيدات للمفاهيم التي وردت في النصوص، كما أن حياة الجمهور المسلم في العهود الماضية يمكننا من خلالها أيضاً أن نفهم بعض المصطلحات.

حينما يأتي في نص من النصوص الحديث عن قضية من القضايا ونجد أن الجمهور المسلم في ذلك الوقت كان يتعامل بهذا الشكل ندرك أن هذا النص كان يتحدث عن هذه الحالة بهذه الحدود وبهذه المعالم فيمكننا أن ندرس النص وأن ندرس سياق التاريخ أو الموارد التاريخية ونأخذ منها إسقاطات على واقعنا الحاضر، لكن يحصل في بعض الأحيان أن يكون هناك تكلف والتكلف في الإسقاط يدل على

أن الإنسان سلفاً لديه رأي يريد أن يجعل له غطاءً أو تبريراً شرعياً وهذه طريقة خاطئة، ينبغي أن يقودنا النص وليس أن نقود النص ونتعسف في تفسيره وفي تطبيقه على الآراء والأفكار التي نرغب أن نطرحها باسم النص.

- **ولكن كيف نعالج مشكلة فقهاء التأويل الذين يضعون تفسيرات أو تأويلات للنصوص ؟**

تفسير وتأويل أي فقيه ليس ملزماً للفقهاء الآخرين بل عليهم أن يعملوا اجتهادهم، وآراء الفقهاء السابقين ليست سقفاً للفقهاء المعاصرين اللهم إلا حينما تصل إلى مستوى الإجماع الذي يكون حجة وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا يتأتى هذا في كل مورد.

حوار الحضارات

- **الشرق يتهم الغرب والعكس بالعكس ما مدى مصداقية نظرية المؤامرة التي نادى بها الغرب وهل في النصوص الدينية مسوغات تؤيد ولو بعضاً من هذه النظرية كرأي الدين في اليهودية المنحرفة مثلاً؟**

الغرب لا يطرح نظرية المؤامرة، عادة هذه النظرية تتردد عندنا في الشرق، في الشرق دائماً نحن نفسر كل الأحداث بعقلية المؤامرة ويبدو لي أن الشعوب حينما تفقد الثقة بنفسها ولا تدرك عوامل الأحداث فإنها تريح نفسها و تفسر أي حدث من الأحداث بالمؤامرة، وحينما يغفل المجتمع وتغفل الأمة عن العوامل الذاتية فإنها دائماً تعلق ما يحصل لها من هزائم و نكسات على العامل الخارجي، وهنا تشيع

نظريـة المؤامـرة بأننـا انتكسـنا وانهزمنا و حصلـت هذه المشـكلة أو تلك لأن الغـرب تآمـر علينـا، يحيكون لنـا المؤامـرات، بعض الأحيـان حينما تقـرأ بعـض الخطابـات الإسـلامية توحي لـك بـأن الغربيين لا شـغل لهم إلا التآمـر علـى المسـلمين وهـذا خطأ، الغـرب عندهم حضـارة وعندهم انشـغال بأمورهم وقضاياهـم، إذا كانت هناك جهات تفكـر في التآمر على المسـلمين إنمـا هـو ضمن الدوائـر التي تفكر فـي الهيمنة و تفكـر في فتح أسـواق اسـتهلاكية وتحصيل مصالح فـي مناطقنا، فنظريـة المؤامرة تدور فـي أذهـان الشـرقيين أكثـر مما تـدور عنـد الغربييـن باعتبارهم فـي موقع القـوة لا يتحدثـون عـن مؤامرة عنـد المسـلمين، وأي مؤامرة تسـتطيع أن تنـال مـن قوتهـم وهيمنتهم وقدرتهـم، لكن عندنـا نحن الشـرقيين تجري مثـل هـذه الطروحـات وعلينا أن نتخلص منها وننظر إلى أسـباب الأشـياء وعللهـا وأن نتحمـل نحن مسـئوليتنا تجاه مـا نعيش من أوضـاع ولا نلقي باللائمـة على العامـل الخارجي دائمـاً وأبداً.

- **وجدت العلوم الإنسانية لتجسير الصلة فيما بين الحضارات من قبيل علم الأديان المقارن مثلاً كيف نوظف هذه العلوم في خدمة حوار الحضارات وما هي الآفاق المقترحة على هذا الصعيد؟**

ينبغـي أن نـدرس هذه العلـوم، مشـكلتنا أن العلوم الحديثـة لم تأخذ موقعهـا بعد فـي منظومتنا الفكريـة والثقافية، فـي حوزاتنا العلميـة بعد لم يسـتفد مـن هـذه العلـوم لا زلنا مثـلاً في مجـال علـم الأديـان نعتمد على بعـض الكتـب القديمـة عندنـا مثـل كتـاب الملـل والنحـل للشهرسـتاني وأمثـال هـذه الكتـب وننظـر إلى الأديـان الأخرى مـن خلال هـذه الكتب مـع أنـه مـن الواضح أن هـذه الكتابات تمثل جهـوداً فردية وفي قسـم منها

ليست دقيقة ويمكننا أن نجد المصداقية في حديث هذه الكتب عن هذا المذهب أو ذاك حينما نجد أن هذا الكتاب إذ يتحدث عن الشيعة ليس موضوعياً فكيف نثق بموضوعيته حينما يتحدث عن الصابئة، أو عن البوذيين أو عن المسيحيين، إذاً هذه الكتابات لا ينبغي أن نعتمد عليها اعتماداً مطلقاً ولا نلغيها، فهي جزء من التراث المعرفي نستفيد منها لكن علينا أن نعتمد مناهج العلوم الحديثة، علم الأديان علم حديث له قواعده، يدرس الظاهرة الدينية وكيف تحصل ومتى تحصل وكيف تتقدم وكيف تتأخر والعلاقة بين الأديان والقواسم المشتركة وما أشبه ذلك العلم ينبغي أن نطلع عليه وخاصة بالنسبة إلى الشريحة الدينية العلمية، العلماء المفكرون الإسلاميون ينبغي أن يدرسوا هذه العلوم الحديثة علم الأديان، علم النفس، علم الاجتماع، علم اللغات والعلوم المختلفة الموجودة هذه تفيدنا كثيراً في فهم ديننا وفي فهم الآخرين وفي قدرتنا على أن نعرض ديننا وأفكارنا بالطريقة العلمية المنهجية المقبولة في هذا العصر.

- **يركز القرآن الكريم بشكل رئيسي من خلال سرد قصص الأنبياء على الحوار بين مختلف الأديان كقاعدة للتعايش، هل الحوار بيننا كمسلمين ونعني به الحوار المذهبي، هو هل في مستوى الطموح وهل ترون أن الإعلام الإسلامي الرسمي والشعبي يتساوق مع هذا الاتجاه؟**

من المؤسف جداً أن الحوار لم يأخذ موقعه في حياتنا كمسلمين وخاصة على المستوى الداخلي مع أن آيات القرآن تدفع الإنسان وتربي الإنسان المسلم على اعتماد منهج الحوار، فنجد أن القرآن

الكريم يعرض علينا حوار الله تعالى مع ملائكته والحوار بين الله جل وعلا وبين إبليس المتمرد، ويعرض علينا قصصاً كثيرة لمحاورة الأنبياء مع أممهم وأقوامهم وبعض المؤمنين، كما يقول القرآن الكريم ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾[1] يعرض لنا نماذج من الحوار وفي الروايات والنصوص تأكيد على هذا الجانب، نحن استبدلنا الحوار بالقطيعة وبالنزاع والخصومة وهذه مشكلة كبيرة تكرس تخلفنا ينبغي أن نعتمد منهجية الحوار من أجل أن نتعرف على بعضنا البعض، يعرف كل واحد بالضبط ما هي وجهة نظر الآخر ولا يكوّن عنه نظرة مبتسرة مشوهة وأن يعرف مبرراته في هذه النظرة وهذا الموقف فالحوار طريق للمعرفة وطريق للتعارف تتعرف على وجهة نظر الطرف الآخر وهو يتعرف على وجهة نظرك، إذا لم يكن هناك حوار مباشر تكون معرفتك به ومعرفته بك عن طريق طرف ثالث عن طريق معلومات قد لا تكون دقيقة وصحيحة وسليمة، كما نجد الآن بين المسلمين كل مذهب يأخذ نظرته عن المذهب الآخر من خلال ما يسمع من كلام أو من كتابات مشوهة أو غير سليمة ومن ناحية أخرى فإن الحوار طريق للسلام، لأنه ينقل الخلاف من دائرته النفسية كصراع وكأحقاد إلى دائرته الفكرية العقلية كوجهات نظر مختلفة وكدوافع مختلفة لهذا الموقف أو لذلك الموقف.

من المؤسف جداً أن الحوار بين المسلمين خاصة على المستوى المذهبي لم يرق إلى هذه الدرجة اللهم إلا بعض الومضات المضيئة في تاريخنا المعاصر كما حصل من خلال دار التقريب الإسلامي في

(١) سورة الكهف آية ٣٧.

القاهـرة حينمـا ذهب بعض علماء الشـيعة إلـى هناك كالشـيخ محمد تقي القمـي وأجـرى حـواراً مـع بعـض العلمـاء فـي مصـر، وأيضـاً مـا حصل أخيـراً من قبل (إسسـكو) المنظمة الإسـلامية للعلـوم والثقافة، و حصلت لقـاءات علـى هـذا الصعيـد، لكن نشـهد في بعـض الأحيان أعمـالاً تمثل انتكاسـة عـن هـذا المسـتوى المتقـدم كمـا شـاهدنا فـي بعـض القنـوات الفضائيـة وكمـا نشـهد علـى بعـض مواقـع الانترنـت ممـا هو أقـرب إلى المهاتـرات منـه إلـى الحـوار، أقـرب إلـى المنافـرة مـن المناظـرة ونحن نـرى أن هـذا الأسـلوب يعكـس التخلـف الـذي تعيشـه الأمـة والحالـة السـلبية التـي يجـب أن يعمـل الواعون حتـى تتجاوزهـا الأمة.

الاستشراق

- **هل حركة الاستشراق في مجملها تعتبر طليعة فكرية لخدمة الحركة الاستعمارية أم أنها لعبت دوراً اتفاقياً أو خدمة ما في تأسيس الاستعمار أم أنها حركة منظمة وواعية قائمة على ردود أفعال مستقلة؟**

حركـة الاستشـراق حركـة واسـعة ولا يصـح أن ننظـر إليهـا نظـرة أحاديـة وأن نعطـي حكمـاً تعميميـاً، لا شـك أن هنـاك مستشـرقين ابتعثوا مـن قبل جهـات سياسـية واسـتخباراتية من أجـل تجميع معلومـات ومن أجـل إعطـاء رؤيـة وفكـرة ونظرة عـن أوضـاع هـذه المنطقـة أو تلك من العالـم الإسـلامي وهـذه القضيـة أو تلـك عنـد المسـلمين، هـذا أمـر لا يشـك فيه، وهـم يعترفون بـه، لكن هناك عناصـر من المستشـرقين جاؤوا باندفـاع ذاتـي ينتمـون إلـى حضـارة تهتـم بالعلم وتهتـم بالمعرفـة وتدفع بهـذا الاتجـاه فحصـل عندهـم اندفاع مـن أجل الاطـلاع علـى واقع هذه

البلـدان ومـن أجـل معرفة حقائـق ما يجري، ومـن ناحية أخـرى قد يكون هـذا بالنسـبة لبعضهـم وسـيلة مـن وسـائل الكسـب والبـروز، الإطـلاع الـذي يتحصـل عليـه يصبـح ورقـة لصالـح دوره و شـخصيته و موقعيتـه فـي مجتمعـه فلا يمكن اتهـام كل المستشـرقين بأن دوافعهم في نشـاطهم الاستشـراقي دوافـع سـيئة كمـا لا يمكـن تبرئتهم كلهـم، ينبغـي أن نكون موضوعييـن بالنظـر إلى تاريخ كل مستشـرق مـن المستشـرقين وأيضاً أن نقـوم نشـاطه إن كان موضوعيـاً أو منحـازاً.

الحوارات الطائفية

- **هل وجد الشيعة نقطة فراغ معينة يبحثون عنها جعلها تشعر أنها في حالة انتقاص ولذلك هبت للدفاع عن التشيع بشكل دفاعي أو وصلت لطريق ورطت نفسها فيه من خلال الحوار غير المسئول واللاعقلاني مع أطراف ليست أهلاً للحوار كما حدث في المناظرات الأخيرة؟**

لا أعتقـد أن المسـألة كانـت ناتجـة مـن نقطة فـراغ، وأظـن أن بعض الأشـخاص الذين اشـتركوا فـي الحوار لـم يكونوا سـلفاً قـد خططوا وما كانـوا يتوقعـون أن تصبـح القضيـة ضمـن هذا المسـتوى، هـم مخلصون واعـون و لكـن وجـدوا أنفسـهم ضمـن حالـة معينـة بحيـث اسـتدرجوا إلـى مثـل هـذه الحالـة فأصبحوا فـي موقـع يصعب فيـه التراجـع و إلا لو كانـوا يدركـون أن الحوار سـيكون بهـذه الطريقـة وبهذه الصورة مـا كانوا يقبلـون الدخـول فيه !

- **هل يعتقد سماحتكم أن أمثال هذه الحوارات مخطط لها سلفاً من قبل جهات مغرضة تستهدف التفرقة فيما بين المسلمين؟**

احتمال وارد لكن كما تحدثنا سابقاً ليس صحيحاً أن نفكر دائماً بعقلية المؤامرة، يمكن أن تكون الجهة التي أدارت هذا الحوار، القناة الفضائية ترى فيه مجالاً للكسب الإعلامي، باعتبارها مسألة مثيرة وبالفعل استقطبت الجمهور واستقطبت الناس وأي وسيلة إعلامية تبحث عن مثل هذه الفرصة، أما أن هناك جهات خططت ودفعت بهذا الاتجاه، احتمال وارد لا نمتلك أدلة عليه، لكن لا أستطيع أن أوجه الاتهام للجهة التي قامت بإجراء هذه المناظرات أو الأطراف التي اشتركت على أنهم شركاء في مؤامرة. لا أستطيع أن أتهم هكذا.

قنوات الحوار والمنتديات الشيعية

- **تعددت صور قنوات الحوار وتطورت بشكل متسارع وتوزعت ما بين الأشكال التقليدية والافتراضية كمواقع شبكة الانترنت هل ترون أن مجتمعاتنا استطاعت هضم المعادلة والنفوذ من خلال هذه الوسائل بالشكل المأمول وتوظيفها بالصورة المطلوبة وما هو المأمول من هذه الشبكات في مقابل الجيش العرمرم من إمبراطوريات الإعلام الرسمي واليهودي بشكل خاص خاصة أننا سمعنا أن نسبة استخدام الانترنت في العالم العربي لا تتجاوز نسبة ٦.٠ ٪ في العالم العربي؟**

بالطبع بعد لم تستوعب مجتمعاتنا هذا التطور المعلوماتي لا من ناحية الكم ولا من ناحية الكيف، من ناحية الكم كما ذكرتم الإحصائية لا تزال متدنية يعني عدد المستفيدين من شبكة الانترنت في العالم العربي والإسلامي لا تزال نسبة متدنية، وعلى مستوى الكيف أيضا لا تزال الكثير من المواقع والمنتديات بعيدة عن مناقشة

القضايا الجوهرية في الإسلام وفي واقع الأمة، ومنشغلة بالقضايا الهامشية والجانبية، علينا أن ندرك التحديات الرهيبة التي تواجه الأمة وأن نرتقي بوسائلنا الإعلامية من حيث الكم والكيف إلى المستوى الذي وصل إليه الآخرون قبلنا.

- **شبكات الحوار (المنتديات الشيعية) هل هي بواقعها الحالي والمأمول في نظركم قادرة ككل على خلق تيار واع وإعطاء صورة ناصعة وثقافة موجهه ومركزة توصل الإنسان الشيعي خصوصاً والمسلم بشكل عام للمطلوب وما هي الخطوات اللازمة للارتقاء به؟**

المنتديات الشيعية الموجودة تختلف في مستوياتها، هناك شعور كثير عند الشيعة بأنهم لم تتح لهم الفرصة لكي يُعرفوا بأنفسهم ولكي يقدموا صورة واضحة عن مذهبهم، في الفترات السابقة كانت وسائل الإعلام وسائل رسمية للدول والحكومات، والشيعة كانت الوسائل الإعلامية غير متاحة لهم، فالأطراف الأخرى شوهت سمعة الشيعة والتشيع وأبرزتهم أمام المسلمين على أساس أنهم مبتدعة وعلى أساس أنهم رافضة وأنهم. . وأنهم كما سمعنا وقرأنا كثيراً.

شبكة الانترنت أتاحت فرصة للكثير من الطاقات الشيعية أن تعبر عن نفسها وأن تحاول رسم صورة عن مذهبها وعن طريقتها وعن موقفها لكن بعض العناصر كانتقام من الحالة المعاشة سابقاً وكرد فعل لبعض الأصوات المتشنجة عند أهل السنة وقعت في مطب المهاترات الطائفية، ولأن بعض السنة يسبون ويشتمون، صارت عندنا أصوات شيعية في بعض المنتديات تمارس نفس الأسلوب كرد فعل،

ونحن نتمنى أن لا يحصل مثل هذا الأمر ونريد من الإنسان الشيعي الذي هو تلميذ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يكون أسلوبه في طرح المذهب وطرح الموقف منسجماً مع أسلوب أئمة المدرسة التي ينتمي إليها، أئمتنا ما كان أسلوبهم السب والشتم وإنما كان أسلوبهم المنطق والموضوعية والإحسان التزاماً بأوامر القرآن الكريم ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2] وسيرة الأئمة فيها الكثير من الشواهد بهذا الاتجاه.

الاعتداء على المقدسات

- **تصاعدت في الآونة الأخيرة الدعوات للنيل من شخصية النبي بدءاً من قضية سلمان رشدي ومروراً بالكاتبة البنغالية وما حدث في الكويت على لسان بعض الأديبات وبعض الأغاني والحملة المسعورة في الإعلام الغربي على خلفية أحداث ١١ سبتمبر وانتهاء بقضية عروض ملكات الجمال في نيجيريا التي ألغيت بعد تفاقم الأحداث والغضب الشعبي العارم إثر سب النبي وإهانته على أي خفية تسير تلك الخطوات؟**

أولاً:

لا شك أن قسماً من هذه الأمور ناتج عن جهات معينة مشبوهة تريد أن تشغل المسلمين بمعارك جانبية من أجل أن ننشغل بمعركة ضد هذا الشخص أو ذاك، ومن أجل نزع القداسة والهيبة عن بعض

(١) سورة النحل آية ١٢٥.
(٢) سورة فصلت آية ٣٤.

قيمنا وبعض مرتكزاتنا الدينية، ومع الأسف إننا نتجاوب كثيراً مع هذه الأمور بحيث حينما تصدر كتابة من شخص أو رواية من جهة أو من كاتبة تصبح معركة رئيسية لنا ويصبح الدفاع عن الدين والكرامة في مقابل هذه الفتاة أو هذا الكاتب أو هذه الجهة أو تلك الجهة، وأعتقد أن هذا ليس هو الأمر المطلوب والمناسب، نحن ينبغي أن نقوم بدورنا الإيجابي الوقائي في تقديم صورة الرسول ﷺ وتقديم صورة الإسلام بالشكل المناسب وبالأساليب المقبولة، لماذا الروايات والأعمال الأدبية التي تلقى رواجاً ودوراً كبيراً تكون بذلك الاتجاه السيئ؟! لماذا ليس لدينا أعمال أدبية وأعمال فنية تكون بالمستوى المطلوب والمقبول حتى تفرض نفسها في الساحة الدولية؟! ونحن وجدنا أن بعض الأعمال مثلاً فيلم الرسالة استطاع أن يحقق له صدى عالمياً جيداً، أخيراً في الجمهورية الإسلامية في إيران قاموا بعمل فني قيم عن السيدة الصديقة مريم عليها السلام ودبلج للغة العربية وعرض في قناة المنار الفضائية كان له وقع وتأثير طيب، نحن لماذا ننتظر أن شخصاً يأتي ويتحدث بشكل سلبي عن رموزنا فنهب لمواجهته لماذا ليس عندنا مبادرة ؟! لماذا نكون دائماً في موقع رد الفعل ؟!

ثانياً: مثل هذه الأمور يجب أن نتعامل معها بحجمها وحدودها ولا نعتبرها هي معاركنا الرئيسية، كل يوم يبرز لنا شخص ويشغل الأمة بمحاربته وبمواجهته ينبغي أن تكون ضمن حجمها الطبيعي والمحدود ولا تأخذ لها هذا المقدار من التفاعل والاهتمام.

تنمية الكفاءات

- **لتهيئه جو مناسب لنمو الكفاءات. . نحتاج لتحقيق العدالة من معرفه**

مالنا وما علينا سواء بمسؤولية فرديه أو جماعية فهل قام المثقفون وطلبة العلم من تأدية هذا الدور. . . وهل يتم التأكيد على حق كل جهة. . . دون التركيز على حق أحد دون الآخر بوعظ شمولي لتحقيق حق الأبناء كما الآباء. . . الزوجة كما الزوج. . والعكس. . إضافة إلى المثقف والجهات الأخرى؟

لا يزال الوعظ عندنا والخطاب في بعض الأحيان يفقد التوازن، دائماً حينما يطرح قضية يتناسى أو يغفل الطرف الآخر في القضية، حينما يتكلم عن حقوق الأبناء يتناسى دور الآباء كموجهين وكرعاة وموقع الأب واحترامه ودوره في الأسرة، وبالعكس حينما يتحدث عن الأب ينسى دور الأبناء وأنهم أناس ينبغي احترام مشاعرهم. نحتاج أن يكون الخطاب أكثر توازناً بحيث يوازن بين الحق والواجب كل إنسان له حقوق ولكن عليه واجبات فينبغي أن نتحدث عن الواجب ونتحدث عن الحق إلى جانبه، تعودنا أن كل إنسان يطالب بحقوقه، لكنه لا يفكر كثيراً في الواجبات الملقاة على عاتقه.

ينبغي أن يكون الخطاب أكثر توازناً في معالجة أي مشكلة من المشاكل كما هو منطق الدين، مثلا لو نظرنا إلى رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام نجده يتحدث بتوازن عن حق الأب وإلى جانبه حق الابن وحق الزوج والى جانبه حق الزوجة حق المعلم وإلى جانبه حق المتعلم حق الحاكم وإلى جانبه حق الرعية.

المرأة والثقافة

- **لماذا لا نجد قوة العنصر النسائي ثقافيا: هل يعزى ذلك إلى البيئة العامة لمجتمعاتنا والممارسة الخاطئة للقيمومة على المرأة. . أم أن**

المشكلة أكبر من ذلك بالنظرة الدونية لطاقات المرأة وعدم توظيفها وبالتالي إنشاء أجيال متكالبة على نفسها من غير أن تحقق أدنى فائدة؟.

لا شك أن الثقافة السائدة في المجتمع والأعراف والتقاليد وفي بعض الأحيان حتى القوانين الرسمية معوق لبروز طاقات المرأة وكفاءاتها في مجتمعنا.

من أجل مواجهة هذه الحالة نحن نحتاج إلى مبادرات واعية من الوسط النسائي حتى تفرض المرأة وجودها كما نحن بحاجة إلى ثقافة سليمة تعطي للمرأة دورها وتعيد لها قيمتها في المجتمع، المطلوب أن تكون هناك مبادرات نسائية واعية تثبت نفسها وتثبت دورها وكفاءتها ومتى ما حصلت مثل هذه المبادرات فإنها ستكون معالجة عملية للواقع الموجود، نحن رأينا أنه في بعض البلدان الإسلامية استطاعت امرأة أن تصل إلى مستوى رئاسة الوزراء كما رأينا في باكستان وبنغلادش وكما رأينا في مناطق أخرى، كيف استطاعت هذه المرأة وهي في وسط مسلم وفي بلاد إسلامية أن تصل إلى هذا المستوى، أثبتت جدارة وكفاءة بعملها وتحركها وشخصيتها إضافة إلى العوامل الأخرى التي ساعدت على ذلك فوصلت إلى هذه الموقعية، نحن في مجتمعنا في حاجة إلى مبادرات من قبل المجتمع النسائي نفسه أن تخرج عندنا المرأة الفقيهة و المرأة الأديبة والمرأة المفكرة و المرأة النشطة اجتماعياً فتفرض المرأة نفسها من خلالها تفجيرها لكفاءتها و طاقتها.

- **ألا يفترض في الرجل أيضاً في الجهة المقابلة أن يبادر لإيجاد أنشطة**

والقنوات التي تدفع النشاط النسائي نحو الرقي؟

الرجل يجب أن يقوم بدوره ولكن المرأة هي تشكو من وصاية الرجل ثم تطالبه بأن يفرض وصايته حتى في حركة انطلاقتها، هي يجب أن تأخذ المبادرة لماذا تريد من الرجل أن يحررها، لماذا هي لا تسعى لتحرير نفسها عن طريق إبراز كفاءتها وإبراز طاقتها؟! لو خرجت عندنا مثلاً في المجتمع امرأة كانت متطورة ومتقدمة ومبدعة في الجانب الروائي بحيث تكتب رواية وتبرز نفسها من خلال هذه الرواية أو تكتب كتاباً معرفياً تفرض نفسها سيكون هذا معالجة عملية لتغليب المرأة في المجتمع، ولعلكم قرأتم في الأخبار منذ شهر كيف أن فتاة فلسطينية من أصل مصري كتبت رواية شغلت بها الأوساط العالمية (عمرها ١٦ عاماً) لكن الرواية بما حوتها من أسلوب أدبي ترجمة إلى أكثر من لغة، لكن المضمون أثار المؤسسات الصهيونية فأصبحت قضية، بالتالي هي فرضت نفسها، نحن في مجتمعنا نحتاج إلى شيء من هذا القبيل.

الأوضاع العالمية

- **مع دقات طبول الحرب الأمريكية وتجييش الأساطيل، العالم مقبل على تغييرات متسارعة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، بشكل مختصر ما هي أهم ملامح الفترة القادمة من وجهة نظر سماحتكم؟**

الفترة القادمة كما تبدو ملامحها الآن هي تكريس واقع الهيمنة الأمريكية على العالم، ما عاد هنالك ثنائية، هناك أحادية في الهيمنة تتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن تتبلور حالة ثنائية سيبقى العالم تحت هيمنة القطب الواحد والقوة الواحدة. وثانياً في

المرحلة السابقة كان هناك مفهوم السيادة للدول وللأقاليم، يبدو في المرحلة القادمة ستتلاشى الحدود الإقليمية وستتضاءل سيادات الدول بعنوان أو بآخر، سيكون هناك تدخل من قبل أمريكا وحلفائها ومن قبل الأمم المتحدة في هذا البلد أو ذلك البلد وسيصبح عنوان سيادة الدول واحترام كيانات الدول في خبر كان لصالح القوة الأمريكية والقوة الغربية، قد تنال الشعوب بعض المكاسب المحدودة من خلال انهيار بعض الأنظمة الهشة في العالم العربي والإسلامي كنظام صدام حسين، سقوط هذا النظام مكسب لصالح الشعب العراقي ولكن ينبغي أيضاً أن ندرك أن هذا المكسب قد يكون في مقابله ثمن كبير فتحتاج شعوبنا في هذه المرحلة إلى وعي عميق و إلى فاعلية كبيرة حتى تستطيع أن تواجه مخاطر هذه التحديات الكبيرة والرهيبة.

- **هل هناك تصور واضح لأوضاع ما بعد العراق ؟**

صعب أن نقدم تصوراً واضحاً لأنه لا أحد يدعي أن لديه تصوراً واضحاً وإنما هناك سيناريوهات كل واحد يقدم سيناريو معين يسعى لتحقيقه ولكن إلى أي حد يسعفه الواقع وإلى أي حد يستطيع مقاومة العوامل الأخرى، أمريكا وهي الأوفر حظاً في أن تطبق ما تريد ولكنها ليست القوة التي تسيطر وتهيمن وتعمل كل ما تريد، بالتالي العوامل الأخرى لها دور بشكل أو بآخر، هي لها الدور الأكبر ولكن لا يمكن إلغاء بقية العوامل أيضا من الفاعلية على الأرض.

- **هل سيكون هناك مقارنة ما بين الوضع في أفغانستان والوضع في العراق ؟**

الوضع في العراق يختلف كثيراً عن أفغانستان وستكون الآثار

أوسع مدى وأعمق، على أن الوضع في أفغانستان لم يصل إلى صورة مستقرة، لا يزال الحكم في أفغانستان يعاني من مشكلة السيطرة على الوضع الأمني ويعاني من مشكلة توفير القدرة المالية الاقتصادية، يعني الاقتصاد الوطني في أفغانستان بعد لم يسير بشكل طبيعي، لا تزال الدولة تعتمد على الدول المانحة وعلى المساعدات، ولا يمكن لدولة أو لوطن أن يعتمد دائماً على المساعدات، لا بد وأن يكون هناك تسيير ذاتي لشؤونه الاقتصادية. الحالة الأمنية.. لا تزال هناك قواعد وقوات أمريكية و أجنبية وحتى أن رئيس الوزراء يحرس من قبل الأمريكيين وفي كل يوم نسمع عن انفجارات واغتيالات مما يدل على أن الوضع غير مستقر في أفغانستان.

- **هل تتوقع أن تكون هناك ردة فعل على المستوى الشعبي العربي إزاء ما سيحدث للعراق ؟**

أعتقد أن ردة الفعل ستكون محدودة وضعيفة وذلك لأسباب، أحدها أن الشعوب العربية لا تأسف كثيراً على انهيار هذا النظام العربي أو ذاك النظام، مسألة الدفاع عن الكرامة أكثر الشعوب العربية هي لا تشعر أنها تعيش الكرامة في ظل العديد من الأنظمة القائمة فلن ترى نفسها أنها ستخسر الكثير، فلا يوجد حماس واندفاع ذاتي وليس هناك شعور بأن كرامتهم مستهدفة، هم يعيشون بلا حرية وبلا سيادة حقيقية وإنما مجرد شعارات وأوهام هذا أولاً، ثانياً الحكومات لا تفسح مجالاً للشعوب أن تعبر عن ردات فعلها وتترجم مشاعرها مواقف على الأرض، هذه بعض الأسباب التي لا تجعلنا نتوقع ردة فعل كبيرة.

- **هل سيشكل الهجوم على العراق منعطفاً في الثقافة الجماهيرية على مستوى العالم العربي أو بداية لبلورة توجه ؟**

بعد لم يشكل.

كلمة أخيرة

- **يسعى سماحتكم من خلال مسيرتكم الجهادية التي عرفتم بها لبلورة المشاريع الإسلامية وبث روح الوعي في الجيل الصاعد بأفق أممي وبعد نظر في ضوء المعطيات الحالية ما هي نصيحتكم لهذا الجيل الطموح؟**

ثلاثة أشياء أنصح بها وأدعو إليها هذا الجيل الطموح:

١- الأمر الأول:

التطور المعرفي الدائم و ألا يكتفي الشاب ببضع كتيبات يقرأها، وألا يكتفي بمتابعته للوسائل الإعلامية، على كل شاب واع أن يكون أكثر عمقاً في الجانب المعرفي عن طريق قراءة البحوث العلمية والمعرفية المعمقة والاستفادة من الدورات والمعاهد والجامعات والكليات، والآن أصبحت متوفرة يمكن للشاب أن يدرس أي مستوى من المستويات عن طريق الانتساب إذا كان في مستوى البكالوريوس فعليه أن يفكر في تحقيق الماجستير وإذا تجاوزها عليه أن يفكر في الدكتوراه وما أشبه، أدعو الشباب إلى أن يرفعوا مستوى عمقهم ومعارفهم في الجانب العلمي والديني.

٢-الأمر الثاني:

زيادة الفاعلية والنشاط.. هذا المستوى من النشاط الموجود

أشكر كل الإخوة الذين لهم أدوار وأنشطة في الساحة الثقافية والاجتماعية ولكن أطالبهم بالمزيد لأني أعلم أنهم ينطوون على قدرات و إمكانات وكفاءات كبيرة جداً وأن الفاعلية التي لديهم إنما هي بنسبة محدودة من طاقاتهم وإمكاناتهم.

٣- الأمر الثالث:

التوجه لمأسسة الأنشطة وللعمل الجمعي، ينبغي أن نتجه أن تكون أنشطتنا أنشطة مؤسساتية وأن نعمل بروح الفريق، وعمل جمعي وفي مختلف المجالات نستفيد من خبرات وتجارب بعضنا البعض.

وفق الله الجميع للخير والصلاح والحمد لله رب العالمين.

لقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصفار - Microsoft Internet Explorer
ملف تحرير عرض المفضلة أدوات تعليمات
الخلف بحث المفضلة وسائط
عنوان http://www.14masom.com/leqaa/32/32.htm
Links انتقال
Highlight My Button Customize LookSmart AltheWeb Ask Jeeves AltaVista Google Edit

لقاء الشهر

لقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصفار

أجراه: السيد عامر الحسين

عدسة: أحمد الحسن

من الجزيرة العربية من تلك الأرض الطيبة التي هاجر إليها نبي الله إبراهيم الخليل وأقام أهله وابنه إسماعيل الذبيح فيها وشيد عليها بيت الله العتيق، من تلك الأمكنة التي نشأ وترعرع فيها رسول الله وسيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، من تلك المواقع والآثار التي ظلت حاضرة عبر الدهور تدور بين تكويناتها هتافات المسلمين الأوائل أيام بدء الدعوة الإسلامية، الله أكبر، لا إله إلا الله محمد رسول الله، أحد.. أحد، من بيوتات وشعب أبي طالب الصابرة من مراكز الحلقات التدريسية التي أقامها أهل البيت (عليهم السلام) وعبق حنينهم المبارك فيها وهم يؤسس لبناء حضارة إسلامية تشمل أنوارها كل أركان الأرض.. من بركات وفيوضات كل هذه الأشياء يبرز لنا من القطيف، إحدى المدن المتأصلة الولاء في منطقة الجزيرة العربية، عالم عامل يفوح عطر الإيمان والأخلاق من جنبيه ويمتلك نشاطا متميزا فهو لا يعرف للتعب معنى بعد أن نذر نفسه للتعريف بالدين الإسلامي الحنيف ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) وإبراز صورته الوضاءة في تعاليمه ومناهجه التي ترسم للبشر أقصر الطرق للوصول إلى أرقى الحضارات الإنسانية على وجه البسيطة والفوز برضا الله في الآخرة.

إنه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصفار (حفظه الله)، وكما عودكم أعزائنا الزوار الكرام موقع المصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) في استضافته لمثل هذه الشخصيات الفكرية والدينية المتميزة.

استضاف في هذا اللقاء سماحته للاستفادة من أجوبته على الأسئلة التي طرحها عليه مندوب الموقع والتي تهم الشأن الإسلامي بشكل خاص ومجمل القضايا الراهنة بشكل عام ، نسأل الله تعالى أن ينتفع بها زوار موقعنا الكرام ..

بداية نرحب أجمل ترحيب بسماحة العلامة الشيخ حسن الصفار على صفحات موقعنا فأهلاً وسهلاً بسماحتكم..

حوار موقع المعصومين الأربعة عشر[1]

مـن الجزيـرة العربية، من تلـك الأرض الطيبـة، التي هاجـر إليها نبي اللـه إبراهيم الخليل، وأقام أهله وابنه إسـماعيل الذبيح فيها، وشـيد عليها بيـت اللـه العتيـق، مـن تلـك الأمكنـة التي نشـأ وترعـرع فيها رسـول الله وسـيد الخلـق أجمعين محمد بـن عبد اللـه ﷺ، من تلك المواقـع والآثار التـي ظلـت حاضرة عبر الدهـور، تدور بيـن تكويناتها هتافات المسـلمين الأوائـل، أيـام بـدء الدعـوة الإسـلامية، اللـه أكبـر، لا إلـه إلا اللـه محمد رسـول اللـه، أحـد. . أحـد، من بيوتات وشـعب أبـي طالب الصابـرة، من مراكـز الحلقـات التدريسـية التـي أقامهـا أهل البيـت عليهم السلام، وعبـق حديثهم المبـارك فيهـا، وهم يؤسسـون لبنـاء حضارة إسـلامية تشـمل أنوارها كل أركان الأرض. . مـن بـركات وفيوضـات كل هـذه الأشـياء، يبـرز لنـا من القطيـف، إحـدى المـدن المتأصلـة الـولاء فـي منطقـة الجزيـرة العربية، عالـم عامـل يفـوح عطـر الإيمـان والأخلاق مـن جنبيـه، ويمتلك نشـاطا متميـزا، فهـو لا يعـرف للتعـب معنى، بعـد أن نذر نفسـه للتعريـف بالدين الإسـلامي الحنيـف، ومذهـب أهـل البيـت عليهم السلام، وإبـراز صورتـه الوضاءة فـي تعاليمـه ومناهجـه، التـي ترسـم للبشـر أقصـر الطـرق للوصـول إلى

(١) لقاء الشهر بموقع المعصومين الأربعة عشر، أجراه السيد عامر الحسين، عنوان الشبكة ووصلة الحوار :http://www.14masom.com/legaa/32/32.htm

أرقى الحضارات الإنسانية على وجه البسيطة، والفوز برضا الله في الآخرة.

إنه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الصفار (حفظه الله)، وكما عودكم أعزائنا الزوار الكرام موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، في استضافته لمثل هذه الشخصيات الفكرية والدينية المتميزة.

استضاف في هذا اللقاء سماحته للاستفادة من أجوبته على الأسئلة التي طرحها عليه مندوب الموقع، والتي تهم الشأن الإسلامي بشكل خاص، ومجمل القضايا الراهنة بشكل عام، نسأل الله تعالى أن ينتفع بها زوار موقعنا الكرام. .

- **بداية نرحب أجمل ترحيب بسماحة العلامة الشيخ حسن الصفار على صفحات موقعنا فأهلاً وسهلاً بسماحتكم. .**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. .

أشكركم جداً على إتاحة هذه الفرصة لكي ألتقي مع قرائكم الكرام، من على صفحات هذا الموقع المبارك، وأرجو لكم المزيد من التوفيق في عملكم الإعلامي والثقافي الهادف لخدمة الإسلام والأمة، إن شاء الله وأهلا ومرحباً بكم كذلك.

إذن نبدأ مع سماحتكم هذا اللقاء على بركة الله:

- **حبذا لو تحدثتم بشيء من الإيجاز عن سيرتكم الذاتية؟**

بالنسبة لسيرتي الذاتية فليس فيها شيء مميز، فقد ولدت سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م في مدينة القطيف، من المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية. وتربيت في أحضان والدي اللذين قاما جازاهما الله كل خير بتربيتي وتنشئتي على طريق الخير والصلاح، ودخلت في الكتاتيب التي كانت تدرس القرآن الكريم، حيث تعلمت قراءة القرآن الكريم، وحفظت بعض آياته وسوره، ثم دخلت في المدرسة الحكومية الرسمية، المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة.

والدي حفظه الله شجعني كثيراً على ارتقاء المنبر، وعلى خدمة الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان يلقنني منذ صغري حفظ بعض القصائد من نظمه، ومن نظم الشعراء الآخرين، وكان يأخذ بيدي إلى مجالس العزاء والقراءات، وكانت له علاقات مع كبار الخطباء في المنطقة، فكنت أقرأ ما يحفظني وما يلقنني من الشعر أمامهم، فأحظى منهم بالتشجيع والتشويق، وشيئاً فشيئاً وفقني الله تعالى لسلوك هذا الطريق، وخدمة المنبر الحسيني.

ذهبت إلى النجف الأشرف للدراسة الدينية سنة ١٣٩١هـ وبقيت هناك سنتين (٩١ و ٩٢)، ثم اضطربت الأوضاع بالنسبة للطلاب السعوديين هناك حيث قامت سلطات البعث باعتقال مجموعة منهم، ففررنا وذهبنا إلى قم المقدسة للدراسة الدينية، وبقيت في قم سنة واحدة ١٩٩٣هـ، وبعد ذلك التحقت بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت، التي أسسها الإمام الراحل السيد الشيرازي قدس سره. وبقيت هناك عدة سنوات، أثناءها كنت أتردد على مسقط سلطنة عمان، وأمارس دور التبليغ الديني فيها، ثم عدت إلى وطني القطيف، والتزمت ببعض البرامج الدينية والاجتماعية إلى سنة ١٤٠٠هـ، حيث غادرت البلاد

مـرة أخـرى علـى أثـر بعض الظـروف السياسـية، وأقمـت في طهـران في الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة إلـى سـنة ١٤١٠هـ غـادرت إيـران إلـى دمشـق، وأقمـت فيهـا حتـى سـنة ١٤١٥هـ، وعدت إلـى البـلاد، ولا زلت منشـغلاً بمهماتـي وواجباتي الدينيـة في البلاد، أسـأل الله تعالـى التوفيق وحسـن العاقبـة والختام.

▼ عرف عن سماحتكم أنكم ألّفتم كتباً عديدة محاولين دفع العجلة الفكرية الإسلامية إلى الأمام ما هي أبرز مؤلفاتكم؟

بالنسـبة للتأليـف فهـو ميـدان مـن ميادين العمـل، والخدمـة للديـن والأمـة، وقـد شـجعني الإمـام الراحل السـيد الشـيرازي منذ صغر سـني علـى الكتابـة والتأليف، وهو الـذي دفعنـي لتأليف أول كتـاب، وكان عن الصـوم قبيـل شـهر رمضـان، حيـث قـال: لي لمـاذا لا تكتـب كتابـاً حول شـهر رمضـان المبـارك ونحـن على أعتابـه؟ فاعتـذرت إليه بأنـي لا أجيد الكتابـة والتأليـف، ولكنـه شـجعني كثيـراً، وألحّ علـيّ كثيراً، حتـى ألفت أول كتـاب تحـت عنـوان (الصوم مدرسـة الإيمـان) وقد تفضل سـماحته بكتابـة المقدمـة للكتـاب، وبالفعـل طبـع هـذا الكتـاب، وبذلـك انفتـح أمامـي طريـق الكتابـة والتأليـف، وواصلت هذه المسـيرة.

الغالـب فـي مؤلفاتـي أنهـا تعالج ما أشـعر به من مشـاكل في سـاحة العمـل، وفـي وسـط المجتمـع، فهـي ليسـت كتابـات تنظيريـة أو فكريـة مجـردة، وإنمـا هـي من وحـي هموم العمـل، وتحمـل المسـؤولية، فكما أخطـب وألقـي فـي محاضراتـي مـا أراه مناسـباً، ومـا أراه مفيـداً لسـاحة العمـل، ولأوضـاع المجتمـع، كذلـك الشـأن بالنسـبة للكتابـة، وبتوفيـق اللـه تعالـى أنجـزت عـدداً مـن الكتـب والكتيبـات، وهنـاك الانشـغال

الاجتماعي الكبير، الناس النشطون والموفقون يستطيعون الجمع بين مختلف المهام الاجتماعية والثقافية، ولكن الكسالى أمثالي لا يتمكنون من الجمع بين هذه المهام المتعددة، وقد طبع لي حتى الآن من الكتب والكتيبات حوالي ٦٠ كتاباً وكتيباً منها كتاب (التعددية والحرية في الإسلام بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب)، ومنها كتاب (التسامح وثقافة الاختلاف)، ومنها كتاب (التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الوطنية والاجتماعية)، ومنها كتاب (الحسين ومسؤولية الثورة)، ومنها كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) طبع مجلدان والثالث في طريقه إلى الطبع إن شاء الله. ومنها كتاب (المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام)، ومنها (رؤى الحياة في نهج البلاغة)، ومنها (الإمام المهدي أمل الشعوب)، إلى مجموعة من الكتب والكتيبات.

- **كثيراً ما نرى في هذه المؤلفات دعوتكم في أن التراث الإسلامي الفكري بحاجة إلى التجديد في الصياغة وتحديث الأسلوب بما يتلاءم ومعطيات ذلك العهد، كيف يمكن أن تكون هذه العملية وما شروط نجاحها؟**

في الواقع التراث الإسلامي لمختلف المذاهب، وسواء كان ضمن خط ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو ضمن المذاهب الإسلامية الأخرى، بحاجة إلى أمرين:

الأمر الأول: التحقيق والغربلة، ذلك لأن في عصور التخلف، وفي عصور التاريخ الماضي، حصل هناك دس وتشويه في هذا التراث، ولو قرأنا الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، كالإمام

الصادق ﷺ، والإمام الكاظم ﷺ، والإمام الرضا ﷺ، وسائر الأئمة ﷺ، لرأيناهم يتحدثون كيف أن المفوضة والغلاة والمبتدعة أدخلوا في أحاديثهم أشياء كثيرة، وتقوَّلوا عليهم أشياء لم يقولوها، فأصبح عندنا دس وتشويه وافتعال، وهذا ما حصل حتى في أحاديث رسول الله ﷺ حيث قال: (ستكثر عليّ الكذابة).

وكذلك فيما يرتبط بالتاريخ، هناك الكثير من التحريف والتزييف في قضاياه، فتحتاج هذه الأمور إلى دراسة وتحقيق، حتى يمكن إزالة هذا الركام، وهذا الغبار المتراكم عبر عصور التخلف من الزيف والتحريف، الذي لحق بتراثنا ولحق بتاريخنا هذا أولاً.

ثانياً: بما يرتبط بتقديم هذا التراث، يجب أن يقدم لهذا العصر ولهذا الجيل المعاصر، باللغة التي يفهمها ويرتاح لها. لا شك أن في مفاهيم الإسلام وتراثه، أشياء عظيمة ومهمة جداً، البشرية يوم بعد آخر تشتد حاجتها إلى هذه المفاهيم الصحيحة والأساسية، التي تسعد الإنسان وتعالج مشاكله، لكن هذه المفاهيم يجب أن تقدم بلغة عصرية، تأخذ الإحصاءات والأرقام والحقائق العلمية بعين الاعتبار، وتستعين بالوسائل الجذابة القادرة على الاستقطاب، إن القصة والرواية والمسرحية والفلم كلها وسائل جديدة ومعاصرة، تخدم الفكرة أكثر مما تخدمها الكتابة العادية، أو الإلقاء العادي المجرد، فعلينا أن نقدم هذا التراث وهذه المفاهيم لهذا الجيل المعاصر بما يتناسب ولغته، وبما يتناسب مع وعيه، ومع التطور العلمي والتكنولوجي الذي يعيشه إنسان هذا العصر.

- **هناك من يدعو إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وعلى النقيض مما**

يدعو إليه هؤلاء هناك من يرى بأن نبش التاريخ ربما يثير نعرات طائفية تصيب المجتمع بحالة التشتت والتشضي ما هو رأي سماحتكم في ذلك؟

في الواقع إعادة كتابة التاريخ أمر مطلوب ولا يمكن التنازل عنه، لكن أسلوب إعادة كتابة التاريخ قد تتم بإحدى طريقتين:

أما طريقة تعتمد التهريج والإثارة والإساءة إلى هذه الفئة أو تلك، واستخدام الكلمات والتعبئة غير الموضوعية هذه تسبب إشكاليات ومشاكل.

الطريقة الأخرى هي الدراسة الموضوعية الهادئة الهادفة، التي تعتمد الدليل والبرهان والمنطق، ولا أعتقد أن مثل هذه الدراسات تحدث مشكلة، أو تسبب فتنة.

الفتنة إنما تأتي من طريق إثارة التهريج، والإساءة إلى الطرف الآخر، وتوظيف إعادة كتابة التاريخ في النيل من هذه الجهة أو تلك الجهة، أما الكتابة العلمية الموضوعية فإني لا أرى فيها إشكالاً أو مشكلة، بيد أنه لا ينبغي أن تكون على حساب قضايانا الواقعية والمعاصرة.

يعني أن لا نستغرق في أمور التاريخ على حساب قضايا الواقع المعاش، يجب أن نأخذ هذه القضية بعين الاعتبار.

- **كيف ينظر سماحتكم إلى الوحدة الإسلامية كمطلب ديني وحضاري وسياسي؟**

الوحدة الإسلامية هي واجب ديني، بل هي من أصول الدين،

وهي من مقاصد الشريعة الإسلامية، وكما قال أحد كبار علمائنا: قام الدين على شيئين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فيهي أصل أساسي، لا يصح أن نتعامل مع مسألة الوحدة وكأنها مسألة كمالية، أو مسألة جانبية، وإنما هي مسألة أساسية، والأصل الأساس في مفاهيم الدين، وفي الفكر الإسلامي.

بعد ذلك فالوحدة أصبحت ضرورة لحماية مصالح الأمة، ولإنقاذ الأمة من الواقع المتخلف الذي تعيش فيه، مشكلتنا أن البعض يفهم الوحدة على أنه تذويب الفئات والجهات في بوتقة واحدة، على الصعيد الفكري، أو على الصعيد السياسي، فحينما يقال الوحدة يتبادر إلى الذهن أن هذه الأمة تكون كلها تحت قيادة واحدة مثلاً، أو ضمن دولة واحدة، وأن التوجهات المذهبية على الصعيد الفكري كلها تلتقي عند مذهب واحد، وتصوير الوحدة بهذا الشكل، وإن كان هذا طموح نتطلع إليه، ولكن الوحدة بهذا الشكل أمر غير ممكن، وغير وارد في الواقع المعاش، وليس هو المقصود من الوحدة، الوحدة تعني أن تجد الأمة صيغة لكي تتعايش بمختلف قواها، وبمختلف توجهاتها، إذا كانت هناك مذاهب متعددة، إذا كانت هناك أحزاب متعددة، وتوجهات متعددة تعيش ضمن إطار واحد، وتخدم كلها مصلحة مشتركة.

نحن نجد كيف أن الشعوب الأوروبية على اختلاف أعراقها ولغاتها وتوجهات حكوماتها السياسية، ولكنها صنعت الآن الاتحاد الأوروبي، وهي تخطو خطوات حثيثة وسريعة نحو الوحدة، فليس المقصود من الوحدة ذوبان هذا الطرف مع ذاك الطرف، وإنما

المقصـود من الوحـدة أن نتفـق على صيغة للعيـش المشـترك، والاحترام المتبـادل، وخدمـة المصالح المشـتركة، الوحدة بهذا المعنـى أمر ممكن، يدعـو إليهـا العقـل، وتدعـو إليهـا الفطـرة، ولا يمكننـا أن نتجـاوز هـذا التخلـف الـذي نعيشـه إلا إذا خطونـا خطـوات بهـذا الاتجـاه.

- **لديكم آراء وطروحات عديدة لملء أوقات فراغ الشاب المسلم من أجل صيانته وبرمجة حياته بشكل يساعد في أن تجعل منه عنصراً فاعلاً في مجتمعه هل لكم أن تحدثونا عنها؟**

أرى أن هنـاك تجـوزاً فـي التعبير، المسـألة ليسـت مسـألة فـراغ نريد أن نمـلأه عنـد الشـباب، وإنمـا الشـباب يختزنـون طاقـات وكفـاءات كبيـرة، وبالتالـي هـذه الطاقـات والكفـاءات ينبغـي أن تفجـر، وينبغـي أن توجـه مـن أجـل بنـاء واقـع أفضـل للأمـة، ومن أجـل مسـتقبل أفضل لهـذه المجتمعـات. وجـود أوقـات فـراغ عنـد الشـباب هـذا يعنـي خللاً كبيـراً فـي مناهـج التعليـم، والمناهـج التثقيفيـة، والمناهـج الاجتماعيـة، فينبغـي معالجـة هـذا الأمـر بوضـع صيـغ توجـه الشـباب إلـى اسـتثمار هـذه المرحلـة الهامة مـن أعمارهـم، بتفجير طاقاتهـم، وتنميـة كفاءاتهم، خاصـة وأن أمتنا فـي حاجة إلى النهـوض العلمي، وفي حاجـة إلى التقدم الحضـاري، نحـن فـي حاجة إلـى تفكير فـي وضعنـا الحالي، إلـى تطوير فـي واقعنـا السياسـي والاقتصادي، والشـباب هـم الأمل الذيـن يجب أن نتوقـع منهـم، وأن نتطلـع إلـى دورهم لإنقـاذ هذه الأمـة، وتغييـر واقعها، والبرامـج التـي أراها مناسـبة:

الإطـار الأول: إتاحـة الفرصـة لهـؤلاء الشـباب حتـى يشـتركوا فـي الواقـع السياسـي لهـذه الأمـة، حتـى يعبـروا عـن آرائهـم ويشـاركوا فيما

يرتبط بالشأن السياسي، وهذا يتم عن طريق فتح المجال لوجود مدارس وأحزاب وحركات سياسية، والكلام على مستوى العالم الإسلامي ككل، التنظيمات والحركات والأحزاب السياسية تستقطب هؤلاء الشباب وتستوعبهم، وبالتالي تساعدهم على تفجير طاقاتهم، وتربيهم على الاهتمام بشؤون أمتهم ومجتمعهم، بالطبع الأوضاع السياسية في البلدان تختلف حول موضوع وجود التجمعات والحركات والتنظيمات، في بعض البلدان تفسح المجال لقيام التنظيمات والأحزاب، وبعض البلدان لا تزال تحضر قيام أحزاب وتنظيمات، وكلامنا الآن هو على المستوى النظري، أعتقد على المستوى النظري أنه من المناسب جداً ومن أجل استقطاب هؤلاء الشباب، أن يفتح أمامهم المجال لكي يهتموا بالشأن السياسي عبر الأحزاب والحركات والتنظيمات.

التنظيمات التي ألفتها الساحة الإسلامية كتنظيمات سرية، وتنظيمات تعتمد العنف، وتعتمد العمل التخريبي، هذا أمر حصل في بعض الساحات، وهو أمر خاطئ، نحن لا ندعو إلى تنظيمات وإلى أحزاب من هذا القبيل، نحن ندعو إلى وجود تنظيمات تعتمد الفكر والمنطق، وتربي على الاهتمام، بالشأن السياسي، وتنمي التوجهات الاجتماعية والسياسية عند الشباب دون أن تدفعهم إلى العنف، ودون أن تدفعهم إلى التخريب، ودون أن تكون لديها مشاريع للفتنة والاحتراب الداخلي.

الإطار الثاني: إيجاد مجال للعمل الفكري والمعرفي، ليس فقط على الصعيد الديني والنظري، وإنما على الصعيد العملي، وجود

ورش عمل في مجالات الصناعة، وفي مجالات التكنولوجيا، ودفع الشباب لهذا الاتجاه هذا أمر مطلوب، لماذا نجد هناك نابغين، ومبتكرين ومكتشفين في المجتمعات الغربية، بينما لا نجد هذه الحالة بارزة في مجتمعاتنا! هل أن أدمغة شبابنا عقيمة؟! هل أن أبناءنا أقل مستوى وكفاءة من أبناء المجتمعات الأخرى؟! في تلك الشعوب تتاح للشباب فرص التعلم والتطور الفكري، وتتاح أمامهم مجالات تنمية قدراتهم وتجاربهم على هذا الصعيد.

الإطار الثالث: هو الإطار الاجتماعي، نحتاج إلى وجود منظمات وأطر اجتماعية تستوعب هؤلاء الشباب، وتوجههم للتطوع في خدمة مجتمعاتهم وأممهم، بل والإنسانية جمعاء، نحن نجد في الغرب منظمات تهتم بالعالم وعلى مستوى البشرية جمعاء، نجد أن هناك مؤسسات للإغاثة الدولية، ونجد هناك مؤسسات للدفاع عن الحريات كما في منظمة العفو، ونجد هناك منظمة أطباء بلا حدود، وما شابه ذلك من المنظمات العامة، التي تعمل على مستوى العالم، بينما نحن ما زالت حاجات كثيرة في مجتمعاتنا ليس هناك من يتصدى لمعالجتها وحلها.

الشباب هم الجهة التي يجب أن توجه لتبني مشاكل مجتمعاتهم، عن طريق منظمات ولجان وهيئات اجتماعية.

وأخيراً: ينبغي أن ننشئ مؤسسات وبرامج للترفيه كالرياضة مثلاً بمختلف ألوانها، ووسائل التسلية والترفيه، بحيث تستوعب ما يزيد من أوقات هذا الجيل الشاب.

▼ **تطل علينا اليوم (العولمة) بوجوه مقنعة، كالانفتاح، الحرية، السوق**

المشتركة، التبادل العلمي والمعرفي، البورصة العالمية، القرية الصغيرة. . الخ. . وهي حسب ما يرى كثير من المختصين أنها نوع من أنواع السيطرة من قبل القوى الكبرى. . فما هو التعاطي الصحيح معها؟

العولمة هي مرحلة في مسيرة التطور البشري، ولا يمكن الوقوف أمام هذه المرحلة، تطور مستوى الإنتاج، وتطور وسائل التكنولوجيا، جعلت العالم يعيش مثل هذه المرحلة، ومثل هذه الحالة، ونحن ينبغي أن لا نستمر كثيراً بالعيش في أجواء المخاوف من هذه العولمة، وإنما علينا أن نفكر كيف نستفيد من هذه العولمة في نشر مفاهيم ديننا ومبادئنا، وفي تكريس وتركيز هويتنا، وفي إظهار قضايانا أمام العالم، أمام أي تطور من التطورات العلمية والتكنولوجية، كانت هناك مخاوف وتحفظات في الوسط الديني، حينما بدأ التعليم بأسلوبه الأكاديمي المتطور، (المدارس الحكومية) عاش الوسط الديني نوعاً من الخوف والحذر والتحفظ، على أساس أن هذه المدارس ستستقطب أبناءنا وتغير تفكيرهم، وتنحرف بهم عن طريق الدين، ونحن نعرف قصصاً عن مجتمعات كثيرة كانت ترفض افتتاح المدارس لأبنائها، وبشكل أخص لبناتها، ولكننا الآن نلاحظ أن التعليم أصبح واقعاً معاشاً، وأصبح ضرورة لا غنى عنها لأبنائنا ولبناتنا، ولو أننا منعنا أبناءنا وبناتنا من دخول المدارس، ومن التعلم، لكنا حرمناهم من فرص التقدم، ولكنا حرمناهم من الاستفادة من وسائل التطور، ومن بناء شخصياتهم العملية في هذه الحياة. الطريقة المثلى هي أخذ المبادرة من أجل وضع مناهج تعليمية أفضل، تأخذ قيمنا بعين الاعتبار، وتربي

أولادنا بالطريقة التي نراها مناسبة لقيمنا ولمبادئنا ولمصالحنا، وحينما بدأت الوسائل الإعلامية المتطورة كالإذاعة والتلفزيون أيضاً، كان الوسط الديني حذراً منها، وكان هناك من يحرم استخدام التلفزيون، وكان هناك من يمنع شراء (الراديو) والاستفادة منه، ولكنه بعد فترة من الزمن رأينا أن هذه الوسائل الإعلامية أمر واقعي، وأنها شكلت نقلة في وضع المجتمعات البشرية، فبدأنا نفكر متأخراً كيف ننشئ إذاعة، وكيف ننشئ محطة تلفزيونية، وأخيراً كيف ننشأ قناة فضائية، كان يفترض علينا من أول يوم أن نأخذ زمام المبادرة، وأن نستعين بهذا التطور الإعلامي، ووسائل الاتصالات والإنترنت أيضاً واجهناه بحذر ومخاوف، ولكننا نرى الآن كيف أن شبكة الإنترنت أتاحت لنا فرصة التواصل، وأتاحت لنا فرصة إبلاغ رسالتنا وأفكارنا، وبلورة هذه الأفكار على المستوى العالمي. فيما يرتبط بالعولمة أيضاً هي مرحلة من مراحل تطور المجتمع البشري، علينا أن لا نستمر في إثارة المخاوف والقلق أمامها، بل أن نأخذ زمام المبادرة للاستفادة من هذا التطور في خدمة مصالحنا، وفي حماية مبادئنا، وفي تحويل ثقافتنا وهي مهيأة لكي تكون ثقافة عالمية، ولكي تشق طريقها إلى مختلف المجتمعات البشرية.

- **نعم نتوجه بأسئلتنا الآن إلى جانب آخر، وبالتحديد فيما يخص الحالة العدائية التي يواجهها الإسلام (بحجة الإرهاب)، ونسأل: أولا: هل هناك تعريف للإرهاب في الإسلام؟.**
- **وثانياً: هل تعتقد أن هنالك جماعات سخرت أو استخدمت الدين الإسلامي كغطاء لتمرير عمليات إرهابية بحيث شوهت صورة**

الإسلام الوضاءة والمتسامحة؟

الإرهاب كلمة عامة أو مصطلح عام، في بعض الأحيان يكون الإرهاب بمعنى استخدام القوة لإحقاق الحق، وللدفاع عن الحق، كما يقول القرآن الكريم: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]، وكما تمارس السلطة الشرعية القوة في ردع المعتدين على حقوق الناس، هنا يكون بهذا المعنى أمر صحيح ومقبول، ولكن الإرهاب بمعنى الاعتداء من غير حق، واستخدام العنف تجاه الأبرياء، وتجاه الآمنين، واستخدام أساليب التخريب، كما تعارفت عليه بعض الحركات المتطرفة، هذا الأمر ليس صحيحاً ومضراً، ويشوه سمعة الإسلام، ويشكل انتهاكاً للحرمات التي يحرص الإسلام على حمايتها وعلى حفظها، من هنا فإن الإسلام لا يقبل بأي شكل من الأشكال الاعتداء على الآخرين، من أجل تحقيق غرض سياسي، أو من أجل خدمة توجه فكري معين، الإسلام يرى أن الفكر والمنطق وإقناع الناس هو الطريق الصحيح، ولذلك لم يستخدم الأنبياء القوة، ولم يستخدموا الإرهاب لنشر رسالتهم، والله تعالى لم يسمح لهم بذلك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٢] وفي آية أخرى الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣] وكما يقول تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٤] فلا يمكن أن تستخدم القوة كطريق لخدمة مبدأ، أو كطريق لخدمة

(١) سورة الأنفال آية ٦٠.
(٢) سورة الغاشية آية ٢١،٢٢.
(٣) سورة يونس آية ٩٩.
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٦.

توجه، أو للوصول إلى مقصد سياسي، القوة يجب أن تستخدم عبر جهة شرعية لردع المعتدي، ولردع الظالم ضمن الحدود الشرعية، وما عدا ذلك يعتبر إرهاباً، ويعتبر استخداماً غير مشروع للقوة، وقد رأينا أن بعض الفئات ممن انتسبت إلى الإسلام قامت ببعض هذه الممارسات، وفي الواقع أضرت الإسلام كثيراً، وأعطت الفرصة للأعداء من أجل أن يوجه الضربات العنيفة للأمة الإسلامية، كما نشاهد في أعقاب بعض الأعمال التي قام بها بعض المتشددين، سواء كان داخل البلدان الإسلامية كما حصل في الجزائر، وكما حصل في مصر، وكما حصل في سوريا، وكما حصل في إيران، أن فئات تدعي أن لها أهدافاً سياسية تقوم باغتيالات، وتقوم بتفجيرات، داخل البلاد الإسلامية، وداخل المجتمع الإسلامي، هذا أوجب رد فعل عند الناس تجاه الإسلام، مما أعطى مستمسكاً أكثر بيد السلطات، وبيد الأعداء، ضد الحركات الإسلامية. وكذلك ما تقوم به بعض الحركات ضد غير المسلمين من هجوم أو تفجير للآمنين وللأبرياء في تلك المجتمعات هذا أمر أيضاً غير مقبول. .

- **حين تستشرفون المستقبل هل تقرؤون فيه صداماً بين الحضارات أم ترون فيه أفقًا مفتوحًا لحوار هادئ وبناءً لهذه الحضارات؟ ثم ما هي الآليات التي يمكن استخدامها لتحقيق الحوار الموضوعي؟**

في الواقع الإدارة الأمريكية حالياً تعمل من أجل أن يعيش العالم معركة صراع الحضارات، إنهم أعدوا لهذا الأمر، حينما طرحوا فكرة صدام الحضارات عن طريق المفكر الأمريكي المعروف (صموئيل هنتنغتون)، طرح صدام الحضارات، وواكبت ذلك مقالات عديدة في

الجرائد ومجلات الأبحاث الأمريكية لتدوير هذه الفكرة، واستغلت الإدارة الأمريكية والكثير من الدوائر الغربية أحداث ١١ سبتمبر من أجل تحويل هذه المقولة إلى واقع معاش، أصبحت وسائل الإعلام، وأصبحت الصحافة في تلك البلدان، وبتحريض من اللوبي الصهيوني، ومن اليمين المسيحي، ومن القوى التي تسعى للهيمنة على العالم، أصبحوا ينشرون في أوساط العالم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، ويحرضون على معاداة الإسلام والمسلمين، لذلك نرى في هذه الفترة صدور العديد من الكتب التي تشوه الإسلام، وصدور الكثير من المقالات التي تحرض على الإسلام والمسلمين، ونجد الخطط التي تعتمدها الإدارة الأمريكية الحاضرة في انحيازها إلى الاعتداء الصهيوني على إخواننا الفلسطينيين، وعلى العرب والمسلمين، وكذلك التهديدات الأمريكية المتكررة يومياً ضد مختلف البلدان الإسلامية، كسوريا، لبنان، إيران، والسعودية، هذه التصريحات إنما تريد إذكاء حالة الصراع وحالة الصدام الحضاري.

نحن كمسلمين يجب علينا في الوقت الذي نواجه فيه هذا التحدي على الصعيد العملي، يجب علينا من الناحية الفكرية والسياسية والإعلامية، أن لا نقع في هذا المخطط، وأن تبقى أيدينا مفتوحة وممدودة، ونرفع شعار حوار الحضارات، لأن هذا هو ديننا، ديننا يدعونا إلى أن نتحاور مع الآخرين، يدعونا إلى أن نكون رسل سلام إلى الآخرين، وإلى أن نعتمد قوة المنطق لا منطق القوة في علاقاتنا مع الآخرين، إن الله تعالى يقول: ﴿لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

ديننا يدعونا للانفتاح على الآخرين، والتحاور معهم، واحترام خصوصيتهم، وإذا كان الآخرون بدافع الهيمنة على العالم، يطرحون قضية صدام الحضارات، ويعملون من أجل إذكاء صدام الحضارات، فنحن يجب أن نكون منسجمين مع مبادئنا بأن نطرح حوار الحضارات، وأن يكون هذا هو منهجنا وهذا هو توجهنا.

- **بعد أن أصبحت أمريكا القطب الواحد الذي يتحكم في العالم مدعية شرعيتها في هذا التحكم لأنها تمثل قمة الحضارة ظهرت نظرية (نهاية التاريخ) لفوكوياما سنة ١٩٨٩م والتي يدعي بها (فشل الإسلام حضاريا)، بماذا تعلقون على ذلك؟**

في الواقع هذه النظرية تمثل حالة الغرور التي أصابت العقل الرأسمالي الغربي، هذه الحالة مرفوضة حتى عند العديد من المفكرين الأمريكيين.

نوقش فوكوياما في نظريته وحصلت عليه ردود في داخل أمريكا نفسها، أن يعتقد الإنسان في مرحلة من المراحل أنه وصل إلى السقف، وإلى القمة، وأن لا مجال لتطوير الفكر، ولا مجال لتطوير مستوى الإنسان وحركته، هذه حالة من الغرور، يرفضها العقل السليم، وترفضها الفطرة، ولا تقبلها المعرفة التجريبية التي يعيشها العالم المعاصر، فإذن هذه فكرة مرفوضة وهي تمثل حالة من الغرور ولا تمثل حالة معرفية موضوعية.

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨.

ننتقل الآن إلى حالة التعدد المرجعي في المذهب الشيعي وبعض الإشكاليات المثارة

- **كما تعلمون أن المذهب الشيعي جعل باب الاجتهاد مفتوحاً ولذلك فإن الآراء قد تتباين، وتختلف من مرجع لآخر.. كيف يتسنى لنا التعامل معها إيجابياً بحيث لا تتحول إلى صراع داخلي؟**

في الواقع الاختلاف بين الفقهاء والمجتهدين داخل المذهب الشيعي يمكن أن نجده في اتجاهين:

الاتجاه الأول: الاختلاف في المسائل الفقهية التي هي محل ابتلاء فردي للإنسان المسلم، وهذا أمر معروف ومتداول، إن الفقهاء يختلفون في آرائهم الفقهية، حول مسائل العبادات، وحول بعض مسائل المعاملات، وهذا لا ضير فيه، ولا يسبب إشكالية.

الاتجاه الثاني: أن تكون هناك توجهات سياسية أو ثقافية مختلفة بين الفقهاء والمجتهدين، بأن يكون لهذا الفقيه مشروع سياسي، ويكون لفقيه آخر مشروع سياسي آخر، أو أن تكون لهذا الفقيه مدرسة فكرية ثقافية، وللفقيه الآخر مدرسة فكرية أخرى، هنا قد توجد إشكالية ينبغي أن تحل وأن تعالج: بالتأكيد على أخلاقيات الإسلام، وعلى مبادئ الإسلام لاحترام الرأي الآخر، ولاحترام التوجه الآخر، فليس صحيحاً أن تحاول فئة أو تحاول جماعة مرجعية معينة، إلغاء حق المرجعية الأخرى في أن يكون لها مشروع، وفي أن يكون لها رأي، (حق متبادل) إذا كانت هذه المرجعية ترى أن من حقها أن تعبر عن رأيها، وأن تطرح مشروعاً في ساحة الأمة فهذا يعني أن تعترف بأن للمرجعية الأخرى أيضاً رأياً، يجب أن نتكامل من خلال احترام بعضنا

البعـض، ونتقبـل التنـوع والتعدديـة، مادمنـا قبلنـا بفتـح بـاب الاجتهـاد، ومادمنـا قـد قبلنـا بأننـا جميعـاً ضمن ديـن واحـد، وضمن مبـدأ ومذهب واحـد، وأساسـاً علـى مسـتوى الأمـة الإسـلامية هناك تنـوع مذهبـي، إذا كنـا نطـرح التقـارب والتقريب بيـن المذاهب علـى اختلافها فـي المجال العقـدي والفقهـي، فأحـرى بنـا أن نصـر علـى الوحـدة وعلـى التقـارب بيـن أتبـاع المذهـب الواحـد، وبيـن مرجعياتـه المختلفـة، في المشـاريع وفـي التوجهـات الفكريـة، حالـة التنـازع والصـراع حالـة مرضية، ناشـئة إمـا مـن ضيـق الأفـق، وإما مـن وجـود أغراض نفسـية، بـأن يكـون هناك تحاسـد، أو يكـون هنـاك تكالـب علـى مصلحـة معينـة، وينبغي أن ننشـر فـي المجتمـع ثقافة قبـول التعدديـة، واحترام الـرأي الآخـر، والتوحد مع التنـوع في إطـار مشـترك، لخدمـة القضايـا العامة والمشـتركة.

- **على ذكرك لمبادئ الإسلام ومنهج أهل البيت وأسلوبه. . هل ترى أن هنالك قصور في التعامل مع التراث الفكري الذي تركه لنا المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام؟**

لاشـك أن هنـاك قصـوراً وتقصيـراً كبيـراً، هـذا التراث تراث شـامل لمختلـف جوانـب المعرفـة، ونحـن لـم نسـتفد من هـذا التـراث، وخاصة فيمـا يرتبط بقضايانـا المعاصرة، وخاصة بالأمور التي تقدم صورة مشـرقة عـن هـذا المذهـب، وعن هـذه المدرسـة الرسـالية أمـام العالـم أجمع. . إننـا يجـب أن نهتـم أكثر بهـذا التـراث في بعـده الكونـي. . كيـف نتعامل مـع الطبيعـة؟ كيف نسـتثمر خيراتها وثرواتهـا؟ الله سـبحانه وتعالى خلق الإنسـان مـن أجل أن يعمر الكـون ﴿هُوَ أَنشَـأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ

فِيهَا﴾[١] يعني طلب منكم عمارة الأرض، أساساً الكون كله مسخر من أجل الإنسان﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٢]. القرآن والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تأمرنا بأن ننفتح على الطبيعة، أن نستفيد من خيراتها، وهذا ما توجه إليه الغربيون، الغربيون توجهوا إلى الطبيعة ولذلك نراهم قد غزوا الفضاء، وغاصوا في أعماق البحر، واكتشفوا واخترعوا وعملوا. .

بينما نحن نعيش ضيوفاً في هذه الحياة، ننتظر أن الآخرين هم يستثمرون خيرات الكون ويقدمونها لنا، نحن دورنا في هذا الإطار دور محدود، علينا أن نأخذ من تراث الأئمة عليهم السلام ما يعيننا ويساعدنا على أخذ موقعيتنا المناسبة في الكون والحياة. . نجد أن الإمام الصادق عليه السلام من قبل أربعة عشر قرن هناك في جامعته الكبيرة قسم لتعليم الكيمياء، ونرى أن جابر بن حيان هو ملهم الكيمياء في التاريخ الإنساني، كما نرى في كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الكثير من الكلمات التي تتحدث عن قضايا الكون، وتشير إلى أسرار الطبيعة والحياة، بما لم نعرف ولم نكتشف إلا بعد هذه التطورات العلمية، لماذا نحن لم نأخذ بهذا المنهج؟ انشغلنا في القضايا الكلامية، وفي الجدل المذهبي والعقائدي، وفي الخلافات المذهبية، وتركنا أمور الطبيعية، وأمور الكون والحياة. . وهذا خطأ كبير. . يجب العودة إلى تراث الأمة في هذا المجال أولاً وثانياً في مجال العلاقات الاجتماعية. . كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟ كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين العالم وسائر الناس؟ كيف ينبغي أن تكون العلاقة

(١) سورة هود آية ٦١.
(٢) سورةلقمان آية ٢٠.

بيـن الفئـات والحـركات ومراكز القـوى الاجتماعية؟ إلى كيـف ينبغي أن تكـون العلاقـات العائليـة بيـن الوالـد وولده بيـن الزوج وزوجتـه؟ صيغة العلاقـات الاجتماعيـة هذا مجال مهـم، نجد المجتمعـات الغربية اهتمت بهـذا الأمر، ووصلـت إلى صيغة مـن الديمقراطية تتناسـب مـع أوضاعها وأجوائهـا، بينمـا نحـن لا تزال أغلـب مجتمعاتنـا وبلادنا تعيـش حالة من الاسـتبداد، وتعيـش حالة مـن التناحر، تعيـش حالة مـن الصراعات، وإلى جنبنـا هـذا التـراث الكبيـر الـذي فيـه مثـل عهـد الإمـام علـي عليه السلام لمالك الأشـتر، وفيـه مثل رسـالة الحقوق للإمـام زيـن العابدين عليه السلام، وفيه أشـياء كثيـرة مـن المعـارف التي يمكن أن نسـتنتج منهـا صيغ لعلاقتنـا مع بعضنا البعـض، هـذا ما يجـب أن نهتم بـه ونتوجـه إليه.

- **عن الشعائر الحسينية نسأل سماحتكم في الكيفية التي تمكننا من جعل الشعائر الحسينية مدرسة لتهذيب الأخلاق وتعميق الوعي الرسالي؟**

الشـعائر الحسـينية حينمـا تبـرز لنـا سـلوك الأئمـة عليهم السلام ومواقفهـم للتأسـي والإقتـداء، هـذه الشـعائر حينمـا تعتمد على هـذا الجانـب، إبراز سـيرة الإمـام. . إبراز موقف الإمـام. . حتى نتأسـى به، هنا تكون الشـعائر منبعـاً للاسـتفادة، وهنـا تنفعنـا كثيـراً فـي بنـاء إنسـاننا المؤمـن الواعـي المعاصـر، وكذلـك حينما تكون الشـعائر الحسـينية دافعاً باتجـاه الالتزام بالقيـم، أن تركـز هـذه الشـعائر علـى القيـم، وعلـى المبـادئ، وعلـى المفاهيـم والأخلاقيـات الإسـلامية. . وكيـف أن الأئمـة عليهم السلام، التزمـوا بها فـي حياتهـم، وضحـوا من أجلها، هنا تكون الشـعائر الإسـلامية مدرسـة، نسـتلهم منهـا كل معانـي الصمـود والاسـتقامة فـي أمـواج هـذه الحيـاة

العاتيـة، مـن المهـم جـداً أن نعيـش آلام ومعانـاة ومآسـي أهـل البيت ﷺ وأئمتنـا أمرونـا بذلك: (شـيعتنا منا يفرحـون لفرحنا ويحزنـون لحزننا). . لكـن لا يصح أبـداً أن تكون المأسـاة هـي الجانب الوحيـد والطاغي على بقيـة الجوانـب. . ينبغـي أن يكـون هنـاك العِبـرة إلـى جانـب العَبـرة، أمـا لـو اقتصرنـا علـى العَبرة وعـن الحديث علـى المأسـاة بالشـكل العاطفي فقـط، ولـم نبـرز حالـة العِبرة فـي حياة أهـل البيـت ﷺ، فإن هذه الشـعائر لا تـؤدي الـدور المطلوب فـي حياتنا، ولا تخـدم مذهبنـا، ولا تخدم خط أئمتنـا بالشـكل المطلوب والمناسـب.

▼ بعد هذه الأسئلة الفكرية والعقائدية. . بودنا لو تحدثتم لنا وبشكل موجز عن واقع الشيعة في المملكة العربية السعودية اليوم؟

واقـع الشـيعة الآن في المملكـة العربية السـعودية هو فـي طريقه إلى التحسـن، والشـيعة فـي طريقهـم إلـى الاندمـاج أكثـر فـي بوتقـة الوطن، ومـع بقيـة المواطنيـن، فـي الفترة الماضيـة كانت هنـاك حواجـز، وكانت هنـاك حـالات وأوضـاع تجعـل من الشـيعة وكأنهـم حالة وكيـان ووجود مفصـول عـن بقية المواطنين، ولكـن الآن الحمد لله بـدأت هذه الحواجز وبـدأت هذه الحالة تنسـحب وتتلاشـى، من أجـل أن يكون الشـيعة جزءاً مـن هـذا الوطن، وجـزءاً من هـؤلاء المواطنين، يعيشـون معهـم على قدم المسـاواة فـي النشـاط الاقتصـادي، وفـي حقـوق المواطنـة العامـة، وفي تحمـل واجبـات المواطنـة، وفـي التنعـم بحقـوق المواطنة، هذا مـا نأمله ونرجـوا أن يتحقـق بالكامل إن شـاء الله. .

▼ هنالك التجربة البحرينية التي استقطبت الشيعة وأعطتهم دوراً في الحياة السياسية والإدارية، وكذلك الانفتاح على المذهب الشيعي

في الكويت بحيث جعل للشيعة ممثلين في البرلمان، هل هنالك أمل في أن تتم مثل هذه الانفتاحات على الشيعة في السعودية؟

نحن نأمل أن كل بلاد المسلمين تعيش حالة من الانفتاح، وتجاوز حالة الجمود السياسي، وتتجاوز حالة التخندق المذهبي الطائفي، بأن يعيش المواطنون كلهم كمجتمع واحد، ضمن وطن واحد، حقوقهم تكون متساوية، في المشاركة السياسية، وفي تحمل واجبات المواطنة، والتنعم بحقوقها، وبالنسبة لنا في المملكة العربية السعودية، الحكومة والشعب يتطلعون أن تتحسن الأمور في مختلف المجالات إن شاء الله.

- **عودة إلى عالم الكتاب والفكر. . فنسأل سماحتكم أن العالم أصبح يزخر بوسائل الاتصال المعرفي الحديثة من قنوات فضائية إلى شبكات انترنيت. . كيف أصبح رصيد الكتاب في هذا العالم؟**

لا زال الكتاب يحافظ على موقعه عند المهتمين به، لكن ساحة الاهتمام بالكتاب هي في الأصل محدودة في مجتمعاتنا، فينبغي توسعة هذه الساحة عن طريق توفير الكتاب، وعن طريق إزالة الحواجز ،وخاصة حواجز الرقابة أمام انتشار الكتاب، وينبغي أن يكون هناك تشجيع وتشويق لمطالعة الكتاب في مجتمعاتنا.

- **إذن وصلنا إلى نهاية المطاف في هذا اللقاء السعيد مع سماحتكم ونختم باستطلاع رأيكم عن موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام؟**

الموقع بحمد لله يمثل توجهاً جيداً وإيجابياً، والساحة الإسلامية كانت في حاجة إلى مثل هذا الموقع، ونأمل أن هذا الموقع يسير في طريق التطور، وينحى المنحى الإيجابي، ويبتعد عن الإثارات التي قد

تسبب مشكلة هنا ومشكلة هناك. . نحن في حاجة إلى تأكيد وحدة الصف، وإلى تأكيد حالة الانفتاح، وهذا ما يتمتع به موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام إن شاء الله، ونأمل أن تتعزز هذه الحالة بحيث يتعامل هذا الموقع مع كل الوجود الشيعي في جميع البقاع، ومن جميع التوجهات والمرجعيات والمدارس نظرة واحدة، بحيث يبرز هذه الطائفة كطائفة قادرة على أن تتعايش فيها التوجهات المختلفة، فنقدم نموذجا لقبول التعددية واحترام الرأي الآخر، من خلال هذا الموقع إن شاء الله. .

- **الموقع: ختاماً نتوجه بالشكر والامتنان لسماحة العلامة الشيخ حسن الصفار (حفظه الله ورعاه).**

الشيخ: وأنا بدوري أتوجه لكم ولكل العاملين في موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام بالشكر الجزيل داعياً لكم بالموفقية والسؤدد وإلى مزيد من النجاح إن شاء الله.

ولكن: الأقربون أولى بالمعروف[1]

مشاركة ضمن الملف الذي طرحته مجلة اليمامة بهذا العنوان

ـ ١ ـ

مبادرات المحسنين من بلادنا لتبني أعمال الخير والبر في مختلف بلدان العالم أمر يستحق الشكر والتقدير ويبعث على الاعتزاز والفخر، وكان ينبغي الاهتمام أولاً بأهل الدار، لكن الحاجات ومناطق الضعف الاجتماعي في البلاد، لا يتوفر لها إعلام يبرزها، بل هناك تعتيم عليها نابع من سببين:

الأول: أننا نستعيب أن يظهر أن في بلادنا ومجتمعنا حاجات ومحتاجين، وهذه نظرة خاطئة، فحتى أقوى وأثرى الدول وهي أمريكا وأوربا، تظهر إحصائياتها وأخبارها وجود الفقراء والمحتاجين، بل والمتسكعين الذين لا مأوى لهم.

ثانياً: إلقاء كل العبء على عاتق الدولة، وهذا غير صحيح، فتعاليم الإسلام تربّي وتوجه إلى التكافل والتضامن الاجتماعي وإلى المشاركة في تحمل المسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

---

(١) مجلة اليمامة: مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض، نشر ضمن ملف قضية الأسبوع، العدد رقم ١٧٣٩، بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤٢٣هـ.

فالدولة لها دورها، والمواطنون عليهم واجباتهم أيضاً بحكم الشرع والعقل.

إن الحاجات والعوز في المجتمعات الأخرى تصل أخبارها وتقاريرها إلى أثريائنا والمحسنين في بلادنا، ومع أصوات استغاثة، وطرح وجداني مؤثر، عبر التقارير المصورة، ومع خطابات العلماء المشجعة والمؤكدة على ضرورة مد يدّ العون والدعم لسائر المسلمين المستضعفين.

بينما لا يتوفر عرض لمناطق الفقر والحاجة في بلادنا وهنا تأتي مبادرة سمو ولي العهد بزيارة بعض الأحياء الفقيرة في الرياض لتضع حداً لسياسة التعتيم الخاطئة، ولتوجه أنظار المسئولين وأهل الخير للاهتمام بحاجات أهل الدار.

ـ ٢ ـ

تحتاج نظرتنا إلى العمل الخيري الإنساني أن تكون أكثر شمولية وعمقاً، ولا يصح أن تقتصر على معالجة حالات الفقر القائمة، بل يجب وضع الخطط للوقاية من الفقر ولتقليص مساحته، وذلك بالإسهام في برامج التنمية الاجتماعية، عبر دعم العملية التعليمية مثلاً، فلماذا لا يكون اهتمام ببناء مدارس في بعض الأحياء والمناطق، ولماذا نترك العبء كله على الوزارة وميزانيتها، وقد تحدث وزير المعارف مرة عن أن نصف المدارس في البلاد تقريباً مستأجرة، وتعاني من نواقص.

ولماذا لا نساعد في تأمين تكاليف الدراسة الجامعية لمن لا يحصلون على مقاعد في الجامعات الحكومية؟ إننا في حاجة إلى هيئات خيرية تؤازر الدولة في جهودها في مجال الدراسة والتعليم.

وأيضاً في مجال تأهيل وبناء الكفاءات العملية، فإذا درّبنا وأهلّنا مجاميع من أبناء البلاد ليتمكنوا من العمل والإنتاج، لكان ذلك خير وقاية لهم ولأسرهم من احتمالات الفقر والحاجة.

وكذلك فإن وجود لجان للاهتمام بالشأن الصحي وخاصة لبعض الأمراض الخطيرة كالسرطان والإيدز وأمراض الدم الوراثية وأمراض الكلى، وقد بدأت هذه البادرة الطيبة في بعض مناطق المملكة، فانتشارها وتعميمها أصبح أكثر من ضروري في هذه المرحلة.

ـ ٣ ـ

إنه لا يصح لنا أن ننفصل عن هموم أمتنا ولا أن نتخلى عن مسؤوليتنا تجاه المستضعفين من المسلمين، وقد شرّفنا الله تعالى، بخدمة الحرمين الشريفين، وبالانتماء إلى أرض الوحي والرسالة، حيث تتجه إليها أنظار المسلمين، وتهوى أفئدتهم.

وعلينا أن لا نخضع للضغوط وننكفئ على أنفسنا، لكنه يجب دراسة تجاربنا الماضية على هذا الصعيد، وتجاوز بعض الإشكاليات التي قد تكون حصلت، فنمد أيدينا بالعون لإخوتنا المسلمين المستضعفين، ولكن مع تطوير في الخطط والتصورات.

ومن الأشياء التي يجب أن نهتم بها أن يكون الاهتمام بتنمية الذات عند تلك المجتمعات الإسلامية المستضعفة أكثر من تعبئتهم تجاه الآخر، فأفضل وقاية لهم من الشرك والضلال والانحراف، هو رفع مستوى قدراتهم وكفاءاتهم العلمية والعملية، ليكونوا فئة منتجة، وليأخذوا موقعهم في أوطانهم على المستوى السياسي والاقتصادي، فيكونون عوناً ودعماً للإسلام والمسلمين في المستقبل، بدل أن يبقوا

عبئاً وعيلة يحتاجون دائماً إلى من يساعدهم، ويستغل الآخرون حاجتهم للتأثير والنفوذ فيهم. إن الفقر والتخلف هو الخطر الأكبر على إخوتنا المسلمين فلنساعدهم في تجاوزه والوقاية منه برفع مستوى إنتاجيتهم وتأهيلهم للعطاء والتقدم.

أما الاكتفاء بتحذيرهم من الكفار والكافرين والشرك والمشركين والضلال والضالين والذي قد يبالغ بعض الدعاة في طرحه بأساليب غير حكيمة، فهذا ما يعطي مستمسكاً لضغوط الأعداء ضدنا، إننا مأمورون من قبل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في دعوتنا يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

المسلمون والغرب: جهل.. أم سوء فهم متعمد؟[1]

إن الواقع المتخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في غالبية أقطارها عامل أساس في رسم الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين لدى الأوساط الغربية.

فالديمقراطية أو الشورى حسب المصطلح الإسلامي والتي تتيح الفرصة للمشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة لا تزال حلماً لكثير من الشعوب الإسلامية.

وبرامج التنمية الاقتصادية متعثرة مع وفرة الثروات والامكانات في بلاد المسلمين.

وعلى الصعيد العلمي والتكنولوجي ليس لنا دور ولا أثر يذكر في منجزات التقدم.

كما أن بعض الجهات المحسوبة على الإسلام تقدم خطاباً متشنجاً وتعلن مواقف متطرفة وتقوم بممارسات لا تنسجم مع سماحة الإسلام ومنهجه الإنساني وتتصادم مع أوليات حقوق الإنسان واحترام الرأي الآخر. ولأنها تتحدث باسم الإسلام فإنها ترسم صورة مشوهة وتترك

---

(١) اليمامة: مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض، نشر ضمن ملف قضية الأسبوع، العدد ١٧١٥ بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ.

انطباعاً سيئاً لدى الآخرين عن الإسلام والمسلمين.

(٢)

لاشك أن هناك قوى معادية للإسلام وفي طليعتها الصهيونية الحاقدة، وكذلك الجهات الاستكبارية التي تريد بسط الهيمنة والسيطرة الأمريكية على العالم ويزعجها ما يبثه الإسلام في نفوس أبنائه من روح ثبات والتزام تستعصي على الذوبان في بوتقة العولمة المادية الغربية.

لكننا يجب أن نركز على الثغرات التي نعاني منها وتفسح المجال لنجاح خطط الأعداء.

(٣)

انطباعات الآخرين عنا لا يمكن تصحيحها بمجرد الجهود الإعلامية والدعائية وإنما لابد وأن يتغير السيء من واقعنا. وإلا فالعالم غير خفي عليه ما تعيشه العديد من بلدان ومجتمعات المسلمين.

ولا يمكنك الدفاع عن الخطأ فمثلاً هل يمكن الدفاع عن واقع الديكتاتورية والاستبداد القائم في العراق؟

وهل يمكن تبرير المذابح و الصراعات الطائفية في باكستان بين مسلمين ينتمون إلى دين واحد، ولكن بسبب اختلاف مذاهبهم يسفكون دماء بعضهم البعض حتى في المساجد وأثناء إقامة الصلاة؟

وإذا كان هؤلاء المسلمون لا يتحملون التعددية في إطار دينهم، ولا يعترفون بحرية الرأي الآخر ضمن اختلافاتهم المذهبية فكيف يمكنهم إقناع العالم بالحوار والتعايش مع سائر الأديان والحضارات؟

وكيف نفسّر للآخرين ما يحدث في الجزائر من فظاعات ترتكب باسم الإسلام وتنسب لجماعات إسلامية؟

وكذلك ما كان يجري في أفغانستان فترة حكم طالبان؟

إننا مطالبون بتغيير داخلي عميق كان يجب أن ينبعث منذ زمن طويل وقبل أن نواجه مأزق الضغوط العالمية.

(٤)

بالتأكيد فإن الدول الإسلامية مقصرة إلى حد كبير تجاه تصحيح الصورة عن الإسلام والمسلمين لدى الآخرين ويكفي أن نعلم أننا نفتقد أبسط وسائل التأثير وإيصال صوتنا إلى الشعوب الأخرى.

فليس لدينا قناة فضائية بلغات تلك الشعوب، ولم نصنع تجمعات «لوبي» يسعى للتأثير في أوساط القرار السياسي والإعلامي في الدول المتقدمة.

المداخلة الأولى في قناة المستقلة[1]

الأخ الكريم محمد الهاشمي.

سماحة الشيخ الخالصي.

الإخوة المشاهدين الأعزاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحوار بين المسلمين، وخاصة في هذه الظروف الخطيرة الحساسة، ينبغي أن يكون خطوة في طريق تجاوز الأمة لمشكلات التخلف التي تعيشها.

هذا التخلف الذي يتركز في جانبين:

الجانب الأول: التخلف العلمي، حيث لا دور يذكر للأمة الإسلامية العريضة، في مجال الإنجازات العلمية البشرية. فنصيب الدول الإسلامية بملايينها الألف، لا يتجاوز ١٪ من البحث العلمي المنشور، في جميع فروع العلم والمعرفة، كما جاء في إحصائيات

(١) برنامج الحوار الصريح، ليلة الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٣ يناير ٢٠٠٣م.

اليونسكو عام ١٩٩٣م.

والجانب الثاني: التخلف في مجال العلاقات، حيث يعاني الوضع الداخلي للأمة من اضطراب في الجانب السياسي، والجانب الديني، فالعلاقات بين الحكومات العربية والإسلامية ليست على ما يرام، كما هو معروف، وكذلك بين كثير من الحكومات وشعوبها، وبين الحركات والقوى السياسية بعضها مع بعض، في العالم العربي والإسلامي.

وفي الجانب الديني هذا التشنج المذهبي الطائفي، الذي رأينا بعض مظاهره، عبر حلقات الحوار السابقة خلال شهر رمضان على قناة المستقلة، وداخل كل طائفة ومذهب هناك أيضاً اختلافات وتنوعات بينها تناقضات وتشنجات، كما رأينا كيف اتصل شخص ينال من الشيخ الخالصي، والمدرسة التي يمثلها ضمن الشيعة، وكذلك رد الشيخ الخالصي عليه. وهكذا في أوساط السنة، توجد مثل هذه التشنجات.

إن هذا التشنج السياسي والديني، يعكس عجزاً وتخلفاً في الوعي الحياتي، وفي القدرة على التعايش مع الاختلاف والتنوع.

فلا بد من الحوار الصريح والمفتوح، لتجاوز هذا التخلف، وهذا المأزق المعاش.

إن ثقافتنا الإسلامية متهمة الآن في العالم، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، بأنها تعصبية، تدعم الإرهاب والتطرف. ويناضل المخلصون في الأمة لإبراز سماحة الإسلام وتعاليمه في احترام الإنسان، والتعايش بين أبناء البشر.

ولكن واقع التشنج، والصراع الداخلي بين الجهات والقوى والمذاهب، يلغي كل هذه الجهود المخلصة، إذ كيف نقنع الآخرين من غير المسلمين استعدادنا للتعايش معهم، واحترام حقوقهم مع عجزنا عن التعايش فيما بيننا؟! كيف نقنع الآخرين بأننا مستعدون لقبول الرأي الآخر، وللتعايش مع الأديان الأخرى والبشرية جمعاء؟!

إنني أؤيد وبقوة ما طرحه الدكتور خليل بن عبد الله الخليل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هذا الطرح طرح واع وواقعي.

وأرى أن الحوار يجب أن يكون من أجل التعارف الصحيح، بأن تعرف كل طائفة ما عليه الأخرى.. من خلال مصادرها، ومن خلال الرأي المقبول لديها.

رأينا في الحلقات السابقة، عبر قناة المستقلة، في شهر رمضان، كيف أن هذا الطرف الشيعي، أو هذا الطرف السني، يذكر بعض الروايات من تراث الطائفة الأخرى، حتى يدين بها هذه الطائفة، مع أنها روايات ومرويات شاذة وغير مقبولة، عند أكثر علمائها، ولكن من أجل إثبات التشنج، وإثبات حالة الصراع، يؤتى بمثل هذه المرويات، وبمثل هذا الكلام، الذي يجب أن تتجاوزه الأمة، وان نتجاوزه كمتحاورين، وكما أوافق الدكتور خليل على أن الحوار هو للبحث عن القواسم المشتركة، ما بين المسلمين سنة وشيعة، وهي الأكثر. إن الاختلاف لا يطال إلا نسبة بسيطة في بعض الفروع والجوانب، أما الأشياء الأساسية فكلهم مسلمون متفقون عليها، فيجب أن نثبت هذه القواسم المشتركة، التي نتفق عليها، وليس من أهداف الحوار التبشير

المذهبي، ماذا يفيدني أن أكسب عدة أشخاص من أبناء السنة، حتى يصبحوا شيعة؟ أو أن يكسب السني عدة أشخاص من أبناء الشيعة حتى يكونوا سنة؟ ونحن نشاهد كيف أن أبناؤنا ـ سنة وشيعة ـ يعيشون حالة من الانبهار بالفكر الغربي، وبالحضارة الغربية، المسألة ليست أن يصبح أبناؤنا سنة أو شيعة، المشكلة نحن مهددون أن نصبح ويصبح أبناؤنا عبيداً تحت هيمنة الغرب، وتحت هيمنة الآخرين. وأؤكد هنا على نقطتين:

النقطة الأولى: رفض اتهام الناس في أديانهم يقول تعالى: ﴿ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1]، لا يصح لنا أن نتهم الآخرين في أديانهم فللإسلام مذاهب وقراءات متعددة ومتنوعة ليست طارئة، فالمدرسة الشيعية والمدرسة السنية ليست وليدة هذا اليوم ولا وليدة هذا العصر، و إنما هما مدرستان كانتا منذ العهد الإسلامي الأول. فلماذا تشكك هذه المدرسة أو يشكك أتباع هذه المدرسة في دين أتباع المدرسة الأخرى؟!

فيجب أن نقر في البداية أن هناك تعددية في المذاهب، وتنوعاً في القراءات، ولكنها جميعاً ضمن إطار الإسلام الواحد.

النقطة الثانية: لا ينبغي أن تمس هذه الاختلافات المذهبية حقوق المواطنة وحقوق الإنسان، حينما يعيش مواطنون سنة في بلاد شيعية كما هو الحال في إيران، لا ينبغي أن تمس حقوقهم كمواطنين لأنهم سنة، وحينما يعيش جماعة من الشيعة في بلاد سنية ـ يعني أكثريتها من السنة أو المذهب الرسمي سني ـ لا ينبغي أن تمس حقوقهم لأنهم

(١) سورة النساء آية ٩٤.

شـيعة، ينبغي أن تحفـظ حقوق المواطنة، وأن يعيش المواطنون متسـاوين فـي واجباتهـم وحقوقهـم، وكذلـك لا ينبغـي أن تمـس حقوق الإنسـان، الحالـة الدينيـة حالـة قلبيـة لا يمكـن أن يكـره عليها الإنسـان، اللـه تعالى يقـول ﴿لاَ إِكْـرَاهَ فِـي الدِّيـنِ﴾[1]، ينبغـي أن نؤكد على هـذه الأمور.

وإننـي أرجـو أن يسـتمر الحـوار بعقليـة هادئـة ومنفتحـة، وأن يتمثل الأخطـار الكبيـرة التـي تواجههـا الأمة الإسـلامية.

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.

المداخلة الثانية في قناة المستقلة[1]

تمنيت وكثيرون من الغيورين على وحدة الأمة أن تكون هذه الجولة الجديدة من الحوار أفضل موضوعية، وأصح منهجية، من الجولة السابقة في شهر رمضان المبارك، حتى تخدم مصلحة الأمة وتكون أقرب إلى رضا الرب سبحانه، الذي ينادينا وحيه صبح مساء: ﴿إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4].

خاصة ونحن الآن على أعتاب موسم الحج العظيم، والذي هو تأكيد ومظهر لوحدة هذه الأمة على اختلاف أعراقها وقومياتها ومذاهبها.

ولكن المؤسف هو وقوع هذه الجولة في سلبيات الجولة السابقة،

---

(١) برنامج الحوار الصريح، ليلة الاثنين ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠٠٣م.
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٢.
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣.
(٤) سورة الأنفال آية ٤٦.

حيث أخذت منحى إثارة الأضغان والحساسيات، ونشر الغسيل المسيء لما ورد في تراث السنة والشيعة، من روايات ومواقف متطرفة حادة، بفعل العوامل السياسية، والاتجاهات التعصبية عند الطرفين.

إنني أرجو من القائمين على الحوار السعي الجاد لضبط مسار الحوار، وأقترح اعتماد أفكار الدكتور خليل بن عبد الله الخليل عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود، أو نحواً منها لتكون إطاراً منهجياً للحوار، وأن لا يفسح المجال لطرح الإثارات الطائفية البغيضة، من طرف سني، أو شيعي، كتكفير أحد من أهل القبلة، سنة أو شيعة، وكالتشكيك في سلامة النص القرآني، أو الطعن في إسلام الصحابة الأجلاء، أو النيل من عرض رسول الله ﷺ، هذا الكلام القبيح المقزز، الذي يجب أن يبرأ منه كل مسلم. فلماذا يثار ضمن برنامج فضائي يشاهده الملايين في العالم؟!

إن أهم إشكالات بعض الحوارات والمداخلات الدائرة، هو انطلاقها من حالة التعالي وادعاء هذا الطرف أو ذاك أنه الأصل، وأن الآخر طارئ دخيل، وأنه هو الجهة التي تقرر إسلام هذا وكفر ذاك، فالسنة والشيعة مسلمون والحمد لله، لا تحتاج جهة منهم لأخذ شهادة حسن سيرة وسلوك، أو صك براءة وغفران، من الجهة الأخرى. ينبغي أن نتجاوز هذا المنطق الوصائي المتعالي.

ثم لماذا تأخذ الحوارات منحى المحاكمة وكأن كل طرف يحاكم الآخر ويبحث عن أدلة لإدانته؟! إنه حتى في المحاكمات تدرأ الحدود بالشبهات، فلماذا الإصرار على التنقيب والبحث في ركام التراث القديم، لاستخراج شبهة يدين بها الشيعةُ السنة، أو السنةً الشيعة؟

وأذكر هنا مثالاً واحداً حول ما ذكر البارحة: من أن السيد الخوئي يرى كفر غير الشيعة، إنه افتراء واضح فالكلام الذي نقل عنه مبتور: إنه ناقش هذه المسألة في كتابه التنقيح في شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة، الجزء الثاني صفحة ٨٣ إلى صفحة ٨٧ وذكر القول بكفر المخالفين للشيعة، ثم رد عليه بالأدلة والبراهين، وانتهى إلى النتيجة التالية: قال ما نصه: «إن المناط في الإسلام وحقن الدماء والتوارث وجواز النكاح إنما هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسوله، وهي التي عليها أكثر الناس، وعليه فلا يعتبر في الإسلام غير الشهادتين، فلا مناص معه عن الحكم بإسلام أهل الخلاف». ثم يرد على من يقول بكفر غير الشيعة لأنهم ينكرون ولاية أهل البيت عليهم السلام بقوله ما نصه: «الضروري من الولاية إنما هي الولاية بمعنى الحب والولاء، وهم ـ أي السنة ـ غير منكرين لها بهذا المعنى، بل قد يظهرون حبهم لأهل البيت، وأما الولاية بمعنى الخلافة، فهي ليست بضرورية بوجه، وإنما هي مسألة نظرية، وقد فسروها بمعنى الحب والولاء، ولو تقليداً لآبائهم وعلمائهم.. نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين».

فلماذا يبتر كلامه ويتشبث به لإثارة مسألة التكفير بين المسلمين؟!

ينبغي أن نكف عن هذا الأسلوب.. وأن يبحث كل طرف عن الأمور والجوانب التي يراها سليمة عند الطرف الآخر، لتشجيعها وتنميتها، على حساب الجوانب السيئة، التي يجب التعاون لتجاوزها والتخلص منها.

أيها الإخوة الأعزاء أوصيكم ونفسي بتقوى الله في وحدة هذه

الأمـة، وفـي الحفاظ علـى ما تبقى مـن كرامتهـا. وهـي الآن تواجه أخطر تحد فـي تاريخهـا مع افتعـال صـراع الحضارات.

وإذا لـم يكـن ضبـط مسـار الحـوار ممكنـاً، فأتمنـى إيقافه قربـة إلى اللـه تعالـى وخدمـة لمصلحـة الأمة.

المداخلة الثالثة في قناة المستقلة[1]

هـذه الحـوارات والسـجالات تضع المسـلمين دائمـاً أمـام التحدي الكبيـر فـي هـذا العصر، وهـو قدرتهـم على تجـاوز الجوانب السـلبية في تراثهم.

فللأمـة تـراث ضخـم، تتضمنـه كتـب الحديـث والفقـه والتاريـخ والأدب، وفيـه الكثيـر من كنـوز الخير، ومنابـع القوة، ويمكن للمسـلمين إذا مـا أخـذوا بهـذا العطـاء الإيجابي مـن تراثهـم، أن يحققـوا الإنجازات الطيبـة لأنفسـهم وللبشـرية جمعاء.

كمـا أن فـي هـذا التـراث بمـا يعكـس مـن أداء بشـري، فيمـا عـدا النـص الشـرعي الثابـت، من فهم النـص وتفسـيره، ومن أحـداث التاريخ ووقائعـه، أقـول فـي هـذا التـراث جوانب سـلبية عديـدة. وخاصـة في ما يرتبـط بالموقـف مـن الآخـر المختلـف دينيـاً أو مذهبيـاً أو سياسـياً.

فقـد تراكمـت عنـد المسـلمين سـنة وشـيعة، أراء عقديـة وفقهيـة وتاريخيـة، تجـاه بعضهـم البعـض، ناتجـة إمـا من نصـوص غيـر معلومة

(١) برنامج الحوار الصريح، ليلة الأربعاء ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٠٣م.

الصحة والثبوت، أو من فهم غير سليم ودقيق للنص، أو من وحي النزاعات والصراعات عبر أدوار التاريخ، والتي تلقي بظلالها على أفكار وثقافة المتنازعين.

والآن هل يريد السنة أن يحاسبوا الشيعة على كل ما في تراثهم من مواقف سلبية تجاه السنة؟ وهل يريد الشيعة أن يحاسبوا السنة على جميع ما في تراثهم من طروحات وممارسات تجاه الشيعة؟

إذن والله يطول الحساب بين الطرفين، وستحتاج القضية إلى سنوات طويلة. إنني أقترح أن يجعل الحوار ضمن إطار المستقبل، وما ينبغي أن يكون، وليس حول الماضي وما كتبه ذلك العالم، أو أفتى به ذلك الفقيه، أو تحدثت عنه تلك الروايات.

فكيف يجب أن تكون نظرة السنة إلى الشيعة، ونظرة الشيعة إلى السنة الآن؟ وليس ما أنتجته الفترة السابقة، من أحاديث تضمنتها كتب السنة والشيعة، وفتاوى لعلمائهم الماضين.

وما هو المشترك الذي يجمع الطرفين، الآن من خلال رؤية واجتهاد معاصر، وليس على أساس التبعية والتقليد للسلف؟

وهل هناك مصلحة دينية ودنيوية واحدة يتلاقى الطرفان من أجل خدمتها أم لا؟

أحبتي وإخوتي في الله من السنة والشيعة: إن السنة والشيعة اليوم ليسوا مخيرين بين حكم أبي بكر وعمر، أو حكم علي والحسين، ولكنهم أمام حكم أمريكا وهيمنتها، وهذه أساطيلها تزحف إلى المنطقة، وتريد فرض أوامرها وقراراتها، في أنظمة الحكم في بلادنا،

وفي مناهج التعليم، وفي نشاط الجمعيات الخيرية، وفي قضايا المرأة، وما أشبه...

لقد قال أحد علماء الإسلام المصلحين قبل أكثر من نصف قرن: ما زلنا نتنازع هل أبو بكر خليفة أو علي خليفة، حتى أصبح المفوض السامي البريطاني هو الخليفة!. وما زلنا نتناقش في الوضوء عن غسل القدم أو مسح القدم، حتى لم يبق لنا في الشرق موطئ قدم!

من ناحية أخرى فإن الجوانب السلبية الموجودة في تراثنا جميعاً، تشكل خطراً على مستقبل أبنائنا وناشئتنا دينياً، حيث لم تعد عقولهم المنفتحة على تطورات العلم والعصر تقبل الآراء المتزمتة، والأفكار المتشددة، والمرويات السيئة.

إن تشويه صورة الإسلام، وصورة نبي الإسلام، وصورة أهل البيت والصحابة، إنما تستغل بعض ما في تراث المسلمين، فالبابية والبهائية استغلت بعض ما في تراث الشيعة، والكتابات التشكيكية الحديثة التي أصدرها أشخاص ينتمون عائلياً إلى أهل السنة، إنما يستغلون بعض ما في تراث السنة. فكتاب معروف الرصافي التشكيكي في النبوة والنبي، بعنوان (الشخصية المحمدية) وكتاب فاطمة المرنيسي المسيء عن زوجات الرسول ﷺ بعنوان (الحريم السياسي ـ النبي والنساء) وكتاب (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) لخليل عبد الكريم الذي يشوه صورة الصحابة في ثلاثة أجزاء. هذه الكتب كل مصادرها من كتب أهل السنة، كما أن كتب البهائية والبابية مصادرها من كتب الشيعة.

وهذا يعني أن على السنة والشيعة أن ينقحوا ويغربلوا تراثهم

الإسلامي، وأن يجددوا عرضه بصورة مناسبة، ويقدموا له التفسير الموائم للعصر. لا أن ينشغلوا ببعضهم. ويبقوا أسارى لما ورد في تراثهم من جوانب سلبية. وهذا ما نرجو أن تسهم في إنجازه هذه الحوارات، وليس اجترار السلبيات لتكريسها، والتخندق من خلالها، وإشهارها أسلحة في الصراع المذهبي.

وأخيراً أهدي هذه الرواية من كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي، كنموذج للإيجابية في تراثنا، والتي ينبغي أن لا تحجبنا عنها بعض الروايات ذات المنحى السلبي المتشدد.

عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «إنَّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون و الصدِّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصّالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرَّة من بغضنا أهل البيت»[1].

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦٩ ص١٥٩، الطبعة الثانية مصححة ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

ندوات

رسالة السيدة زينب عليها السلام إلى شعب فلسطين [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا وحبيبنا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . .

لماذا نحتفل بالمناسبات الدينية؟ هل لكي ننشغل بها عن واقعنا المعاصر ونحن أمة تعيش الكثير من التحديات الخطيرة في واقعها؟!

هذه المناسبات الدينية يجب أن نحتفي بها بطريقة تنفعنا في تسيير أمور حاضرنا، وفي مواجهة المشاكل الكبيرة التي نعيشها، وليس أن ننشغل من خلالها بقضايا سلفت في التاريخ، فيحصل من خلال ذلك النزاع والتخاصم، أو نصرف جهودنا واهتماماتنا في مناقشة تفاصيل بعض ما حدث في التاريخ الغابر، علينا أن نوظف هذه المناسبات والاحتفاء بها لما ينفع الأمة، بل لما ينفع الإنسانية جمعاء، وهذه المناسبة الكريمة، التي نحتفي بها هي ذكرى ولادة السيدة زينب عليها السلام،

---

(١) كلمة ألقيت في الاحتفال بمولد السيدة زينب عليها السلام في المركز الثقافي العربي في دمشق ونشرتها: النجمة المحمدية، إصدار خاص بمناسبة المهرجان الولائي السنوي الحادي عشر، الأحد ٥/ ٨/ ٢٠٠١م، إعداد الدكتور عصام عباس.

حفيدة الرسول المصطفى ﷺ، وبنت علي وفاطمة عليها السلام، وأخت الحسن والحسين عليهما السلام.

حينما نحتفي بهذه المناسبة أية فائدة نأخذ منها لواقعنا المعاش؟

بدا لي أن السيدة زينب توجّه من خلال ذكرى ميلادها رسالة هامة لإخوتنا ولشعبنا في فلسطين، وسيكون حديثي بعنوان (رسالة السيدة زينب عليها السلام لشعب فلسطين).

قاسم مشترك:

السيدة زينب واجهت ظلماً كبيراً فظيعاً، تكثف في فترة زمنية محدودة، كانت هناك قوة ظالمة مسيطرة، وكانت السيدة زينب وأهل بيتها تمثل تلك الفئة التي ترفض الظلم وتواجهه، ولذلك صب الظالمون جام غضبهم على هذه الفئة، فواجهت السيدة زينب وأسرتها في عاشوراء مصائب ومآسي كبيرة، كان هناك القتل والإبادة الجماعية لكل أفراد الأسرة الهاشمية.

الجيش المنتمي للسلطة الظالمة، سلطة يزيد، كان له قرار إبادة كل رجالات تلك الأسرة. حتى أن التاريخ ينقل لنا أن أطفالاً صغاراً رضَّعاً كانوا بحاجة إلى الماء، وقد أمضَّهم العطش، ولكن الجيش الأموي امتنع عن تقديم الماء إلى هؤلاء الأطفال، تحت عنوان «لا تبقوا من هذا البيت صغيراً ولا كبيراً». وأيضاً كان هنالك ظلم معنوي عن طريق توجيه التهم والافتراءات لهذه الأسرة الكريمة، وتشويه سمعتها، عبر الإشاعات «أن هؤلاء خوارج خرجوا على دين جدهم فيقتلون بسيف جدهم».

كانت هناك ظلامة مكثفة في فترة محددة من الزمن، في صبيحة يوم واحد فقدت السيدة زينب ثلاثة وسبعين رجلاً من أهل بيتها، وخيار أنصارهم وتلامذتهم، فيهم أطفال، وفيهم رضع، ثم كانت هنالك حالات الأسر ولا نريد أن نتحدث عن تفاصيل تلك الظلامات، ولكن نريد أن نقول: إننا اليوم وإن شعبنا في فلسطين، يعيش ظلامة فظيعة، لا يعرف التاريخ المعاصر لها مثيلاً، ووقائع هذه الظلامات تتكرر وتتصاعد في كل يوم. أقرأ عليكم إحصائية بسيطة عن بعض الظلامات التي يتحملها شعبنا في فلسطين.

من تاريخ ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ إلى تاريخ ١١/ ٧/ ٢٠٠١م بلغ عدد الشهداء خلال هذه الأشهر ٥٥٨ شهيداً فيهم ١٤٩ طفلاً، أما عدد الجرحى خلال هذه الفترة في فلسطين فهو ١٤٦٤٠ جريحاً فيهم ١٥٠٠ معاق بشكل كامل.

عدد الذين تعرضوا للاعتقال خلال هذه الفترة ٢٥٧٦ شخصاً.

المباني السكنية التي هدمت بالهجمات الإسرائيلية ٥٥٩ مبنى عدا البيوت التي أزيلت، أزالت القوات الإسرائيلية ٥٠٠ بيتاً، وتعرفون كم هي معاناة العائلة التي تصرف عمرها وجهدها حتى تبني لها بيتاً ثم تأتي الجرافات الإسرائيلية، وفي دقائق تحوله إلى ركام وتصبح العائلة في العراء، المباني السكنية التي أصابها القصف ٣٦٦٩ مبنى.

لم تسلم حتى الطبيعة من ظلم الصهاينة، ومن إجرامهم (أشجار الزيتون التي اقتلعت بلغ عددها خلال هذه الفترة ٢٦٥٧٠ شجرة).

الأراضي الزراعية التي خربت ٣٦٦٩٠٠٠م٢ .

في مختلف أنحاء العالم لحالات الإسعاف حصانة، ولكن ليس هناك حاجز أو رادع أمام الصهاينة العنصريين الحاقدين، فالجرحى من الأطباء وسائقي الإسعاف ١٦٠ جريحاً، وسيارات الإسعاف التي ضُربت ١٣٥ سيارة إسعاف.

المدارس التي أغلقت ١٧٤ مدرسة، الطلاب الذين حرموا من الدراسة ٩٠ ألف طالب.

الفلسطينيون الذين حرموا من العمل ٢٥٧ ألف إنسان. وفي كل يوم نسمع عن جرائم إسرائيل تجاه شعبنا في فلسطين.

ظلامة واجهتها السيدة زينب، واليوم يواجه شعبنا في فلسطين هذه الظلامة الفظيعة. تُرى كيف تعاملت السيدة زينب مع الظلامة التي وقعت عليها؟ وكيف كان موقفها؟ وما هي الرسالة التي توجهها السيدة زينب لشعب فلسطين؟. يمكننا أن نقتطف النقاط التالية من خلال مواقف السيدة زينب يوم عاشوراء، ومن خلال تجليات مواقفها الرسالية في رفض الظلم ومقاومته وفضحه أمام الملأ.

أولاً: الخروج من أسر الواقع والانطلاق إلى الرؤية الحضارية المبدئية:

قد يمتلك الظالم سلطة، وقد يقهر بظلمه، وقد يحقق بعض ما يريد في أوساط المستضعفين والمظلومين والمضطهدين. ضعاف النفوس يفقدون الثقة ويتصورون أن هذا الواقع قدر محتم دائم مستمر، ولكن الذي يتمتع بالبصيرة النافذة يتجاوز هذا الواقع، وينظر ببصيرته إلى المستقبل، في تلك اللحظات الزمنية كانت القوة الأموية هي المسيطرة، وكان يزيد بن معاوية هو الحاكم، وكانت زينب

مثكولة، وأهل بيتها قد قتلوا، والنساء أسارى، والحالة التي كانوا يعيشونها مزرية فظيعة، ولكن مع ذلك كانت زينب ذات بصيرة نافذة إلى المستقبل، ما كان هذا الواقع يأسر مشاعرها وأحاسيسها وفكرها. كانت تراه واقعاً محدوداً مؤقتاً، لا بد أن ينتهي ويتلاشى، لأنه يخالف القيم الحقيقية، والإرادة الحقيقية، ويخالف عدالة الله سبحانه وتعالى، ويخالف الفطرة والطبيعة، ولذلك نقرأ في كلمات السيدة زينب: أنها كانت تخاطب يزيد بن معاوية في قصره، وهو الحاكم المسيطر، في استعراض عسكري جاء بالسيدة زينب وأهل بيتها أسارى، مع عرض كامل لكل قوته وقدراته، ولكن السيدة زينب تقف أمامه في ذلك المجلس وتقول له:

«أظننت يا يزيد بأن أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الإماء أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حيث رأيت الأمور لك متسقة، والدنيا مستوثقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطشْ جهلاً. . . .».

أية كلمات هذه الكلمات؟!

الصهاينة اليوم وهم يتمتعون بدعم لا محدود من قبل القوة العظمى في عالم المادة، من قبل أمريكا، كلما ازداد إجرامهم ازداد تأييد الأمريكيين لهم، فيمدونهم بالسلاح والمال، ويدافعون عنهم في المنتديات والمواقف السياسية، لا يتصور الصهاينة أن هذا الواقع هو واقع دائم، إنه جور، والجور لا يمكن أن يستمر.

المسألة مسألة وقت محدود، وهذا ما كانت تؤكده السيدة زينب، ويؤكده القادة النافذون، كانت الضغوطات تمارس على القائد الراحل الرئيس حافظ الأسد من مختلف الأنحاء والجهات، وحتى من بعض بني قومه، يضغطون عليه من أجل أن يقدم التنازلات، والمبرر الواضح ماذا نفعل؟! إسرائيل قوة مفروضة، وأمريكا تدعمها، ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا كما قال أحدهم، ماذا نفعل؟ ولكن الرئيس الأسد كان يرفض ويقول: إذا كنا لا نستطيع الآن أن نزيل الظلم فلنترك المهمة للأجيال القادمة، أما أن نوقع على القبول بالظلم فهذا لا يمكن أن نقوم به. وبالفعل ذهب عن الحياة الدنيا شريفاً ولم يوقع أي وثيقة أو معاهدة فيها اعتراف بالظلم وبالاحتلال الصهيوني، وهذا من نسمات وجود العقيلة زينب ومواقفها في التاريخ، هذا موقف مستلهم من تاريخنا العربي الإسلامي، الذي يربي أبناءه على العز والثبات، وعدم الانهزام والانهيار والانبهار بالباطل، مهما كانت قوته وجولته وصولته.

من هنا علينا وعلى شعبنا في فلسطين أن لا تخيفهم مظاهر القوة والبطش من قبل الصهاينة المعتدين، ويجب أن لا يرعبنا الدعم الأمريكي والاستكباري للصهاينة. كل بناء وإن استطال أو تضخم إذا كان قائماً على الظلم فمصيره الانهيار والزوال.

ثانياً: التحلي بالمعنويات الرفيعة انطلاقاً من هذه الرؤية الحضارية المبدئية:

يريد الأعداء أن يوقعوا بنا الهزيمة النفسية، عن طريق الإعلام، والحشد السياسي الهائل، الذي يحشدونه لصالح مواقفهم الظالمة،

ولكـن علينـا التحلـي بالمعنويـات الرفيعـة، مهمـا وقـع علينـا مـن ظلم، سـقوط الشـهداء، إصابـة الجرحـى، تهديـم المنـازل. هـذه الأعمـال لا يصـح أبـداً أن تنـال مـن داخـل نفوسـنا، وإنمـا ينبغي أن تشـكل دافعـاً لنا للاسـتمرار فـي خـط المقاومـة والجهاد.

هـذا عبيـد اللـه بـن زيـاد، وكان الوالـي علـى العـراق، وهـو الـذي باشـر إدارة المعركـة ضـد الحسـين، وضـد زينـب والبيـت العلـوي، بعد المعركـة بيوميـن دخلوا بزينب أسـيرة في مجلـس ابن زيـاد، فيلتفت إليها ويسـألها: «كيـف رأيـت صنـع اللـه بأخيـك؟»، فمـاذا قالـت تلـك المرأة الأسـيرة المثكولـة المظلومة، التي عاشـت تلك المصائب والمآسـي، في فتـرة زمنيـة مكثفة؟

انتفضـت وأجابتـه بـكل شـموخ وقـوة: «والله مـا رأيـت إلا جميلاً، هـؤلاء أنـاس كتـب الله عليهـم القتـل فبرزوا إلـى مضاجعهم، وسـيجمع اللـه بينـك وبينهـم، فُتحـاجّ وتُخاصـم، فانْظر لمـن الفلج يومئـذ، ثكلتك أمك يـا ابـن مرجانة».

هـذا هـو منطـق زينـب، وهـذه هـي رسـالة زينب لشـعب فلسـطين، يجـب أن لا يريعكـم القتـل، ولا ينال مـن عزائمكم، إنما يجـب أن تتحلوا بالمعنويـات الرفيعـة مهما أشـتد ظلـم الظالم.

الصهاينة يمارسـون إجرامهم، ثم يجلسـون للتفاوض مع المظلومين الفلسـطينيين والعـرب والبعـض ـ مـع الأسـف ـ يجلـس معهـم وهـو في موقـف ضعيـف، ونفسـية ضعيفـة، فيأخـذون منـه فـي المفاوضـات مـا يريـدون. لمـاذا؟ لأن داخلـه ضعيـف، ونفسـيته مهـزوزة. السـيدة زينـب وهـي تخاطب يزيد لا تنسـى ولا تغفل عـن المعادلة الحقيقيـة، تعرف من

هـو يزيـد، وإن كان حاكمـاً ظالمـاً قويـاً في تلـك اللحظة، وتعرف نفسـها صاحبـة الحـق، فتقـول له: «ولئن جـرَّت علـيّ الدواهي مخاطبتـك. . .»، قـد تفرض عليك الظـروف التفاوض مـع العدو والتحـاور والحديث معه ـ والمفـروض أن لا حـوار مـع الظالـم المغتصب ـ «إني لأسـتصغر قدرك وأسـتعظم توبيخـك ولكـن العيـون عبـرى والصـدور حـرى»، المعادلـة واضحـة أمامهـا، ليسـت معادلـة ماديـة إنهـا معادلة حـق وباطـل، معادلة عـدل وجـور، معادلـة آن ومسـتقبل، فالمعادلـة واضحـة أمامهـا لذلـك تتحـدث معـه وهـي بكامل قوتهـا النفسـية وشـموخها وصمودها.

ثالثاً: حماية القيادات:

يسـعى الصهاينـة الآن لتصفيـة القيـادات فـي الشـعب الفلسـطيني، قيـادات الجهـاد، وحتـى القيـادات السياسـية، وتسـمعون كل يـوم عـن تصفيـة بعض القـادة المجاهدين والسياسـيين، ولديهم برنامـج عبارة عن قائمـة تحمل ١٠٠ اسـم مـن القيـادات الفلسـطينية، قرر المجرم شـارون وأجهـزة حكمـه الظالمـة تصفيتها، والهدف مـن تصفيات القيـادات بعثرة الشـعب، لأنـه يحتـاج إلـى قياداتـه فـي هـذه اللحظـة المعاصـرة، لحظـة المواجهة.

لقـد واجهـت العقيلـة زينب هـذه الحالة، بعـد أن قتـل كل رجالات بيتهـا العلـوي، ولـم يبـق إلا واحـد منهم حمـاه اللـه تعالى، ضمـن مظهر وعنـوان المـرض، وهـو علي بـن الحسـين زيـن العابديـن عليه السلام، حـاول الأمويـون أكثـر مـن مـرة أن يصفـوا علي بـن الحسـين ويقتلـوه، وكان يمكـن لهـم أن يفعلـوا ذلـك حسـب المقاييـس الظاهريـة، لكـن وجـود السـيدة زينـب هـو الـذي حمـى زيـن العابديـن، هجمـوا علـى الخيـام

وسحبوا زين العابدين من على فراش المرض، واختلفوا بينهم ماذا يفعلون، وساد بينهم رأي أن يقتل، وزينب واقفة منتبهة، فألقت بنفسها عليه، وقالت: «ويحكم لم يُبقِ الزمان لنا غيره فإن أردتم قتله فاقتلوني قبله»، وتعلقت به ولم تدع لهم فرصة أن ينالوا منه، فحمته من القتل. وفي مجلس ابن زياد حينما حدث حوار بين علي بن الحسين وبين ابن زياد سأله: «ما اسمك؟» قال: «علي بن الحسين». قال ابن زياد: «أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟». قال: «لي أخ أكبر مني اسمه علي بن الحسين قد قتله الناس» قال: «بل قتله الله»، قال الإمام: «إن الله يتوفى الأنفس حين موتها»، فقال ابن زياد: «ويحك أو بك جرأة على رد جوابي ـ الطاغي لا يتحمل المنطق لأنه يفضحه ـ يا جلاوزة خذوه واضربوا عنقه»، وكان يمكن أن يصّفى هذا القائد آنذاك، وفي لحظة فورية سريعة أقبلت العقيلة زينب وألقت بنفسها عليه، وقالت: «إذا كنتم تريدون قتله فاقتلوني قبله، والله لا تقتلونه حتى تقتلوني قبله»، وحمته مرة أخرى.

شعبنا في فلسطين مطالب بحماية قياداته، وأن لا يمر اغتيال القيادات وتصفيتها مرور الكرام، على الشعب أن يحمي قياداته النضالية والسياسية، إضافة إلى أننا نعتقد كما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مربي السيدة زينب وأبوها: «بقية السيف أعز وأبقى». مهما قتلوا فإن الشعب سينجب قيادات تتحمل مسؤوليتها، وتواصل المعركة، ولكن هذا لا يعني أن نستهين بأمر تصفية القيادات.

رابعاً: رعاية الضعفاء في المجتمع:

الجرحى والمعتقلون والأسرى والأطفال الذين يصابون في

فلسطين، أقل واجب على هذه الأمة العربية والإسلامية العظيمة أن تتحمل مسؤوليتها تجاه الحاجات الإنسانية لشعب فلسطين.

حينما يؤدي الفلسطينيون واجبهم في التصدي للقوات الإسرائيلية، والبطش الإسرائيلي، فيُقتَل الرجال، ويخلفون عوائل وأطفال وأرامل وأيتام، من يتحمل مسؤولية هؤلاء؟

العقيلة زينب تحملت مسؤولية أيتام الحسين، وسبايا الحسين، وتحملت كافة المسؤولية في رعايتهم، وإدارة أحوالهم، كانت تؤثرهم على نفسها في حصتها من الماء والخبز، كل يوم خصصت القوات الأموية لكل شخص كأساً من الماء ورغيفاً من الخبز، والسيدة زينب تُعطى حصتها كالبقية، ولكنها حين ترى أطفالاً يعانون من الجوع والعطش، كانت تعطي حصتها لهم فتبقى بالجوع والعطش.

رآها علي بن الحسين تؤدي صلاة الليل وهي جالسة فقال لها: «عمة مالي أراك تصلين جالسة؟»، فأجابت: «إن قتل أبيك قد هدَّ أركاني، وإن القوم يعطون إخوتك من الأطفال والأيتام نصيباً لا يكفيهم من الطعام والشراب فأعطيهم حصتي وقد مضى عليَّ أيام لم أذق فيها طعاماً».

أطفال فلسطين لا يريدون من العرب أن يتنازلوا عن دخلهم من الثروة النفطية، ولا من ملياراتهم الموجودة في البنوك والاستثمارات، ولا عن ما ينفقونه على الرفاه والرخاء في حياتهم، يريدون منهم أن يتحملوا مسؤوليتهم الإنسانية تجاه هؤلاء الأطفال الذين يقع عليهم أبشع ظلم في التاريخ المعاصر، العائلة التي يهدم بيتها، ويقتل معيلها، ويجرح بعض أفرادها، وبعضهم يعاق إعاقة كاملة، كيف سيكون

وضع هذه العائلة؟

خامساً: الاجتهاد في فضح الظلم:

الظالم يمارس ظلمه ولا يريد أن يكتشف الناس ذلك، فيتستر ويغطي على ظلمه. في الإعلام ـ كما نرى اليوم ـ يطرح الظالم نفسه على العالم وكأنه هو الضحية، والفلسطينيون هم الذين يمارسون الإرهاب، وعليهم أن يوقفوا العنف!، الضحايا هم الإرهابيون، والظالم المحتل هو صاحب الحق، وهو المظلوم الذي يجب أن يوقف الإرهاب عنه!، هكذا يحول الإعلام الاستكباري الضحية إلى إرهابي. تماماً واجهت السيدة زينب هذه الحالة. كانت السلطة الأموية تعتبر الحسين خارجياً يستحق القتل، بينما هم الذين أوقعوا القتل، وهم الذين أصروا إلى آخر لحظة، والإمام الحسين يقول لهم: «فإن كنتم على غير ما كتبتم إلي فدعوني أنصرف إلى أرض الله». هو ما كان يريد أن تحصل هذه المعركة، هم الذين أصروا على قتله، ثم بعد ذلك ينشرون في وسائل الإعلام، وعبر الخطب على المنابر في الجوامع أنه خارجي! خرج عن حده فيقتَل بسيف جده!.

في مواجهة هذا الإعلام الذي يروج للظلم، ويحمي الظالم، لابد من إعلام حقيقي، وصرخة حقيقية تفضح الظلم، هناك أصحاب ضمائر في العالم، وهناك أناس لا يعرفون الحقيقة، فيجب أن نعمل من أجل إجلاء الحقائق وتعرية الظلم الإسرائيلي والإجرام الصهيوني.

وقد عملت السيدة زينب بهذه السياسة وكشفت الظلم الأموي في خطبها في الكوفة والشام.

تلك بعض من رسالة زينب لشعب فلسطين، نتلقى هذه الرسالة

منهـا في ذكـرى ولادتها ولا يفوتني أن أشـكر الأخ الدكتـور عصام عباس علـى مبادرتـه الطيبـة، فـي إقامـة هـذا الحفـل البهيـج، وأشـكركم جميعاً علـى الحضـور والإصغـاء، و أتمنـى للجميـع الثـواب والخيـر والفائـدة إن شـاء اللـه، والحمـد للـه رب العالميـن والسـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركاته.

صدر للمؤلف

١. **الصوم مدرسة الإيمان**

- الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، دار التراث الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٢. **ولكل أمة رسول**

- الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، منشورات مكتبة الإمام الصّادق، الكويت.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٣. **الرسول طريق إلى القمّة**

- الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٥م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح ـ سلطنة عمان.

٤. **الحسين ومسؤولية الثورة**

- الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، مطابع دار السياسة، الكويت.
- الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، مطابع دار السياسة، الكويت.
- الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م، أمريكا.
- الطبعة الرابعة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، طهران ـ الجمهورية

الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الخامسة: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، دار الحوراء، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة السادسة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.

٥. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان.

٦. الإمام المهدي أمل الشعوب

- الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح ـ سلطنة عمان.
- الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٢م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام مهدى اميد ملّتها)، المترجم محمد علي مجيديان، نشر آفاق، طهران، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٧. مسؤولية الشباب

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي لمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية
- الإيرانية.
- الطبعة الثالثة: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.

٨. المرأة مسؤولية وموقف

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الزهراء، بيروت ـ لبنان.

٩. المرأة والثورة

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٠. مسؤولية المرأة

- الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار البيان العربي، بيروت ـ

لبنان.

١١. الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، الكويت.
- الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٢. رؤى الحياة في نهج البلاغة

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.
- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (تصوير زندكي در نهج البلاغه)، المترجم لطيف رشدي، انتشارات قدس، قم.

١٣. حياة الأئمة والتاريخ المزيف

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

١٤. رمضان برنامج رسالي

- الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

- الطبعة الثانية: الكويت.
- الطبعة الثالثة: طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الرابعة: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.

١٥. قراءة في فكر الإمام الخميني

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، باريس ـ فرنسا.

١٦. أعلنا الولاء بالدم

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٧. بصائر وهدى

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٨. السجن أحب إليّ

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٩. الشعب يتحدّى السجون

- الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر.

٢٠. الثورة والإرهاب

- الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر.

٢١. كيف نتحدّى الطغاة

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر.

٢٢. رمضان وقضايا الثورة

- الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، طهران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٢٣. النضال على جبهة الثقافة والفكر

- الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر.

٢٤. فلنحطم الأغلال

- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار البداية، القاهرة ـ مصر.

٢٥. الجماهير والثورة

- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر.

٢٦. خطر السُّقوط

- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر.

٢٧. النفس منطقة الخطر

- الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، مركز الجواد للطباعة، الأحساء ـ المملكة العربية السعودية.

٢٨. القلب حرم الله

- الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر.

٢٩. لكي لا نحتقر أنفسنا

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر.

٣٠. رمضان دعوة إلى ضيافة الله

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر.

٣١. فئات العمل الرسالي

- الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر.

٣٢. رسالة المجالس الحسينية

- الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر.

٣٣. الأنانية وحب الذات

- الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، دار الجزيرة للنشر.

٣٤. معرفة النفس

- الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.

٣٥. ا لتغيير الثقافي أولاً

- الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

٣٦. كيف نقهر الخوف

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مركز الشباب المسلم، أميركا.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (غلبه بر خوف).
- الطبعة الثالثة : ١٤٠٥هـ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- الطبعة الرابعة: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت

ـ لبنان

٣٧. كيف نقاوم الإعلام المضاد

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الشهيد للثقافة والإعلام.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (رويار ويى تبليغاتى)، المترجم سعيد خاكرند، نشر بقيع، طهران.

٣٨. الثائر والسجن (دراسة في حياة الإمام الكاظم عليه السلام)

- الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار البصائر.
- الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

٣٩. يوم البقيع

- الطبعة الأولى: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، الجمعية الجعفرية، استراليا.

٤٠. مختصر الطفل بين الوراثة والتربية

- الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان.

٤١. الشيخ علي البلادي القديحي

- الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان.

٤٢. التعدّدية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب

- الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.
- تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (جندكونكى وآزادى در إسلام)، ترجمة سعيد خاكرند.

٤٣. المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام

- الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثالثة: ٢٠٠٢م، مؤسسة الثقلين، بيروت ـ لبنان.

٤٤. الوطن والمواطنة: الحقوق والواجبات

- الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.

٤٥. التنوع والتعايش

- الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار الساقي، لندن ـ بريطانيا.

٤٦. التطلع للوحدة وواقع التجزئة في العالم الإسلامي

- الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الكنوز الأدبية، بيروت ـ لبنان.

٤٧. علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام

- الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد، بيروت ـ لبنان.

٤٨. الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات

- الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد، بيروت ـ لبنان.

٤٩. الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح الأليمة

- الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان.

٥٠. العمل والفاعلية طريق التقدم

- الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، دار الكنوز الأدبية، بيروت ـ لبنان.

٥١. شهر رمضان والانفتاح على الذات

- الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

٥٢. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول)

- الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان.

٥٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني)

- الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان.

٥٤. السلم الاجتماعي ـ مقوماته وحمايته

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار الساقي، بيروت ـ لبنان.

٥٥. التسامح وثقافة الاختلاف ـ رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٥٦. الإمام المهدي وبشائر الأمل

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٥٧. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٥٨. كيف نقهر الوسواس

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٥٩. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب.

٦٠. إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٦١. الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر

- الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، هيئة محمد الأمين ﷺ، بيروت ـ لبنان.

- الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ،مؤسسة عاشوراء، قم ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦٢. رؤية حول السجال المذهبي

٦٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث)

- الطبعة الأولى:١٤٢٣هـ، مؤسسة البلاغ ـ دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٦٤. بناء الشخصية ومواجهة التحديات

- الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، دار المحجة البيضاء ـ دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٦٥. عن اللقاء الوطني للحوار الفكري (الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١٥-١٨/ ٤/ ١٤٢٤هـ، ١٥/ ١٨/ ٦/ ٢٠٠٣م)

- الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء ـ دار الواحة، بيروت ـ لبنان.

٦٦. الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة

- الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان.

٦٧. الحوار والانفتاح على الآخر

- الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الهادي، بيروت ـ لبنان.

٦٨. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع)

- بين يدي القارئ.

المحتويات

تقديم ٥

أول الحديث ١١

كربلاء فلسطين ١٩

التصنيف المذهبي ٢٢

النظرة الطائفية للتراث والتاريخ ٢٤

محاولات رائدة ٢٥

كربلاء جديدة ٢٦

التخاذل سبب المأساة ٢٨

أمريكا تقود صدام الحضارات ٣١

برنامج العداء الأمريكي ٣٦

الاستجابة الواعية للتحدي ٣٩

تمتين الجبهة الداخلية ٤٠

التنمية والارتقاء الحضاري ٤٢

الشباب في عالم التحديات ٤٣

طبيعة مرحلة الشباب ٤٦

بين العاطفة والعقل ٤٧

ثلة الأقران ٤٩

توجيه الطاقة والنشاط ٥١

الانفتاح على الشباب.....٥٣
أهل البيت عليهم السلام وخيارات المواجهة ٥٩
الإمام علي والخلافة ٦١
صلح الإمام الحسن ٦٤
الإمام الصادق وحركة العباسيين ٦٥
الإمام الرضا والمشاركة في الحكم.....٦٥
موقف أهل البيت ٦٦
الطريق الشرعي ٦٧
وحدة الأمة ٦٩
ثورة الإمام الحسين ٦٩
ثورات العلويين.....٧٢
معركة الوعي.....٧٣
سلاح المقاطعة..... ٧٥
قريش تفرض المقاطعة.....٧٧
حماية أبي طالب ٧٨
تحت الحصار.....٧٩
انهيار المقاطعة.....٨٢
المقاطعة في الحاضر ٨٣
دلالات المقاطعة ٨٥
قلق الاختبارات ٨٧
بين الاهتمام والقلق.....٨٩
النتائج العكسية ٩١
الثقة والاطمئنان ٩٣
دور العائلة.....٩٥
المدرسة والمعلم ٩٦

تنمية العلاقات الاجتماعية ١٠١
العلاقات وحركة المجتمع ١٠٦
ثقافة التسامح والتقارب ١٠٩
المفاهيم الدينية الاجتماعية ١١١
مؤسسات للتنمية ١١٢
الحوار والإقناع.. مشاهد من السيرة النبوية ١١٥
الاتهام بالجنون ١١٩
يستأذن في الزنا ١٢١
الحوار مع الداخل ١٢٢
عطاياه من غنائم حنين ١٢٤
حوار مع الأنصار ١٢٧
المنهج السليم ١٢٩
نحو استثمار أفضل للعطلة الصيفية (١/ ٢) ١٣١
وقت الفراغ ١٣٤
الاهتمام بوقت الفراغ ١٣٦
رؤية دينية ١٣٨
تنوع المهام والأبعاد ١٤٠
مشروعية الترويح ١٤٢
نحو استثمار أفضل للعطلة الصيفية (٢/ ٢) ١٤٧
التوجهات السيئة ١٥٠
كثرة النوم ١٥٢
هدر الأوقات ١٥٥
التلقي السلبي ١٥٥
الفراغ والانحراف ١٥٨

الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة ١٦١
التمييز.. مخاطر وأضرار ١٦٥
بين الماضي والحاضر ١٦٦
الإسلام شريعة المساواة ١٧٠
نهج المساواة ١٧١
المساواة في العطاء..... ١٧٢
حقوق غير المسلمين..... ١٧٧
مع المخالفين في الرأي ١٧٩
التعصب والعصبية ١٨١
نهج التعميم والتنميط ١٨٤
نقد الذات..... ١٨٤
معنى التعصب ١٨٦
تعريف التعصب ١٨٨
انقسام التعصب ١٩٠
التعصب والعصبية في النصوص الدينية ١٩٢
تأملات في مولد الحسين عليه السلام ١٩٥
ظاهرة فريدة..... ١٩٨
نماذج من النصوص..... ١٩٩
وقفة تأمل..... ٢٠٢
من علم الغيب ٢٠٢
أهمية الشخص والحدث ٢٠٤
مستقبل الأبناء..... ٢٠٦
ليلة النصف من شعبان ٢٠٩
النصف من شعبان ٢١٣

الجذور الدينية ٢١٥
أحاديث وروايات ٢١٧
تحويل القبلة ٢٢٠
ولادة الإمام المهدي ٢٢١
برامج الاحتفاء ٢٢٢
الفكر بين الموضوعية والانحياز ٢٢٥
منهجية التفكير ٢٢٨
منهجية خاطئة ٢٣١
الجانب المصلحي ٢٣٣
رغبة التوافق الاجتماعي ٢٣٤
التقديس والانبهار ٢٣٥
احترام العقل ٢٣٧
القرآن المهجور ٢٣٩
اتخذوا القرآن مهجورا ٢٤٢
مضامين القرآن ومناهجه ٢٤٣
برنامج حياة ٢٤٧
النظر في كتاب الكون ٢٤٨
أنظمة العلاقات الاجتماعية ٢٥١
الانفتاح على الرأي الآخر ٢٥٥
القرآن: دعوة إلى الانفتاح ٢٥٨
رفض الانغلاق ٢٦١
الرأي والرأي الآخر ٢٦٧
الرأي الآخر الإسلامي ٢٦٨
الحوار للمعرفة والسلام ٢٧٣

مراجعة الرأي ٢٧٦
معرفة الرأي الآخر ٢٧٧
الحوار للدعوة والإقناع ٢٧٨
حركة المعرفة ٢٨٠
من أجل السلام ٢٨١
الإسلام والتربية على الحوار ٢٨٢
مهارات التفاوض والحوار ٢٨٥
الخيار الصحيح ٢٨٩
أزمة الحوار ٢٩٠
أخلاقيات الحوار ٢٩١
الهدف النبيل ٢٩٢
أخلاقيات الحوار ٢٩٧
موضوعية البحث ومنهجيته ٣٠٠
الاحترام المتبادل ٣٠٣
نقاط الالتقاء ٣٠٧
التعددية والرأي الآخر ٣٠٨
عالم الدين بين التواضع وتضخّم الذات ٣١١
تضخّم الذات ٣١٣
أرضية الابتلاء ٣١٥
التربية الروحية الأخلاقية ٣١٨
العلم مسؤولية وتكليف ٣٢٠
التواضع ثمرة العلم ٣٢٢
تواضع العظماء ٣٢٥
عدم الاهتمام بالتشريفات ٣٣٠

احترام الناس وخدمتهم ٣٣٤
الاستشارة واحترام الرأي..... ٣٣٧
المؤسسات الصحية وخطورة المسؤولية ٣٣٩
الطب مهنة إنسانية..... ٣٤٢
أمريكا نموذجاً ٣٤٣
الإهمال والتقصير..... ٣٤٦
وعي المواطن..... ٣٤٩
المبادئ والقيم..... ٣٥١
عاشوراء: برنامج رسالي ٣٥٣
عطاء كبير ٣٥٧
من أجل استثمار أفضل..... ٣٥٨
تكثيف البرامج وتركيزها ٣٥٨
التنسيق بين البرامج ٣٦٠
خطاب الوحدة والتقارب..... ٣٦١
رعاية الأمن والنظام ٣٦٣
التدين بين المظهر والجوهر..... ٣٦٥
إصلاح الإنسان بالقانون ٣٦٩
العلم هل يضبط الانسان؟..... ٣٧١
دور الوازع الديني..... ٣٧٣
عند الشهوة ٣٧٥
وفي موقع القوة..... ٣٧٦
كتابات..... ٣٧٩
تقديم كتاب مناهل الأدباء وحديقة الخطباء..... ٣٨١
تقديم كتاب أم البنين ﷺ رسالة للمرأة المسلمة ٣٨٧

تقديم كتاب النفحات الولائية في العقيلة الهاشمية..... ٣٩٣
تكريم الإنسان ٣٩٩
تعزية بوفاة سماحة العلامة الشيخ عبد المجيد أبو المكارم ٤٠٧
مقابلات ٤٠٩
حوار جريدة الأيام ٤١٣
تفاؤل بشأن الإصلاحات..... ٤١٤
اللقاء السني الشيعي..... ٤١٥
خيار العنف والقوة..... ٤١٦
المرجعية والتقليد..... ٤١٦
حوار في الفكر الإسلامي حضارة الإسلام لماذا تراجعت؟ ٤١٩
الإسلام والتطور العلمي ٤٢١
البشرية وأزماتها الحاضرة..... ٤٢٢
وحدة الأمة ٤٢٤
الأخوة الإسلامية ٤٢٥
حقوق الإنسان..... ٤٢٦
بين النظرية والتطبيق ٤٢٨
مساحات الحرية ٤٣٠
التعددية طريق التقدم..... ٤٣١
أنموذج تاريخي..... ٤٣٣
انتشار الوعي ودور الطليعة..... ٤٣٥
العنف قراءة خاطئة للدين ٤٣٦
أحداث الجزائر ٤٣٨
اللاعنف هو السبيل..... ٤٣٩
الموقف تجاه الظلم..... ٤٤٠
مسؤولية الحوزات العلمية ٤٤٢

ولاية الفقيه ٤٤٤
ثغرات التطبيق ٤٤٥
ولاية الفقيه والاستبداد..... ٤٤٦
شورى الفقهاء ٤٤٦
القيادة الجماعية..... ٤٤٨
الرأي الآخر..... ٤٤٨
إيجابيات التشاور ٤٤٩
بين الشورى والاستبداد ٤٥٠
الشورى والديمقراطية..... ٤٥٠
الشورى في جميع المجالات ٤٥١
المرجع والأمة..... ٤٥٢
الحركات الإسلامية والمرجعية ٤٥٣
نحو مبادرات عملية..... ٤٥٤
التعددية والاستقرار السياسي ٤٥٥
اختيار القيادة..... ٤٥٦
الأعلمية ٤٥٦
غياب المؤتمرات واللقاءات ٤٥٧
البحث عن أراء الآخرين ٤٥٨
المؤتمرات نهج حضاري ٤٥٩
الوعي والفاعلية..... ٤٦٠
سيرة النبي وسيرة علي ٤٦٠
مبدأ العفو..... ٤٦٢
الجاليات الإسلامية في الغرب ٤٦٤
استيعاب الخبرة العلمية ٤٦٧
الحفاظ على الهوية ٤٦٩

الدعوة إلى الإسلام ٤٦٩
شخصية الإمام الشيرازي ٤٧١
صفات الداعية ٤٧٢
نحو ارتقاء روحي ٤٧٣
حوار جريدة الشرق الأوسط ٤٧٧
التوجهات الإنسانية للخطاب الإسلامي ٤٧٧
الخطاب الإسلامي وبرامج البناء والتنمية ٤٧٨
نحو خطاب وحدوي ٤٨٠
التقريب بين المذاهب الإسلامية ٤٨٢
تنشيط الحوار الداخلي ٤٨٤
حوار شبكة الرفيعة الثقافية ٤٨٩
الانغلاق الفكري ٤٨٩
ثقافة النخبة ٤٩١
العصرنة ٤٩١
التأصيل الثقافي ٤٩٣
الوضوح ٤٩٤
الموروث الثقافي ٤٩٤
حوار الحضارات ٤٩٦
الاستشراق ٥٠٠
الحوارات الطائفية ٥٠١
قنوات الحوار والمنتديات الشيعية ٥٠٢
الاعتداء على المقدسات ٥٠٤
تنمية الكفاءات ٥٠٥
المرأة والثقافة ٥٠٦
الأوضاع العالمية ٥٠٨

كلمة أخيرة ٥١١
حوار موقع المعصومين الأربعة عشر ٥١٥
ولكن: الأقربون أولى بالمعروف ٥٣٩
المسلمون والغرب: جهل.. أم سوء فهم متعمد؟ ٥٤٣
المداخلة الأولى في قناة المستقلة ٥٤٦
المداخلة الثانية في قناة المستقلة ٥٥١
المداخلة الثالثة في قناة المستقلة ٥٥٥
ندوات ٥٥٩
رسالة السيدة زينب عليها السلام إلى شعب فلسطين ٥٦١
قاسم مشترك: ٥٦٢
صدر للمؤلف ٥٧٣